



# الإعجاز

في القرآن الكريم والسنة المطهّرة  
(الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة)

الطبعة الأولى

الترقيم الدولي: 978-9953-576-58-9 ISBN:

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف  
ربيع ثانٍ ١٤٤٥هـ. - تشرين الثاني ٢٠٢٣م.

يوزع مجاناً وصدقة جارية:  
عن أرواح أموات جميع المسلمين والمسلمات

طباعة وإخراج  
وليد محمود شكشك ٠٣ ٢١ ٧٦ ٤٣

لبنان - طرابلس

[www.3alamatnisurah.com](http://www.3alamatnisurah.com)

[www.3alamatnisourat.com](http://www.3alamatnisourat.com)

e-mail: [info@alamatnisourah.com](mailto:info@alamatnisourah.com)



**دار الخلود**

للسحافة والطباعة والنشر والتوزيع

قريطم - بيروت - تلفاكس: +٩٦١ ١ ٨٦٢٥٠٠

E-mail: [print@karaky.com](mailto:print@karaky.com)



# الإعجاز

في القرآن الكريم والسنة المطهرة  
(الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة)

-المجلد الثاني-

جمع وإعداد

المهندس / عامر محمد مدحت كبارة



# إهداء

أهدي هذا العمل إلى كل مسلم ومسلمة.

كما أهديه إلى الوالدين الكريمين، وعائلي الصغيرة والكبيرة، والأصدقاء  
الأجلاء، والقراء الأعزاء، عسى أن يكون مصدر نفع لهم بإذن الله تعالى،  
والله تعالى من وراء القصد.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.







## [ ١ ] أليس الكون - (الذي خلقه الله تعالى - معجزة!) (١)

تمهيد:

إنَّ الحقَّ لا بَسَ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الشَّيْءُ الثَّابِتُ  
وَالهَادِفُ، بِخِلَافِ الْبَاطِلِ؛ فَإِنَّهُ الشَّيْءُ الزَّائِلُ وَالْعَابِثُ (٣)، إِنَّ الْحَقَّ دَائِرَةٌ  
تَتَقَاطَعُ فِيهَا أَرْبَعَةٌ خَطُوطٍ:

١. خَطُّ النُّقْلِ الصَّحِيحِ: وَهُوَ كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَعَ بَيَانِ الْمَعْصُومِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢. وَخَطُّ الْعَقْلِ الصَّرِيحِ: مِيزَانٌ (٤) مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِي الْإِنْسَانِ  
لِيَتَعَرَّفَ مِنْ خِلَالِهِ إِلَى اللَّهِ.

٣. وَخَطُّ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ: وَهِيَ مِيزَانٌ آخَرٌ مُتَطَابِقٌ مَعَ الشَّرْعِ الْإِلَهِيِّ، وَهُوَ  
مَرَكَزٌ فِي أَصْلِ كِيَانِ الْإِنْسَانِ لِيَكْتَشِفَ مِنْ خِلَالِهَا خَطَاةَ.

٤. وَخَطُّ الْوَاقِعِ الْمَوْضُوعِيِّ: وَهُوَ خَلْقُ اللَّهِ، تَحْكُمُهُ الْقَوَانِينُ الَّتِي وَضَع  
قَوَانِينَهَا اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ.

١. مقتبس من كتاب «آيات الله في الآفاق»، موسوعة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، للدكتور محمد  
راتب النابلسي حفظه الله.

٢. لا بَسَ: خالط وعرف.

٣. العابث: المستخف بالقيم.

٤. ميزان: ذو قواعد منظّمة موزونة بدقّة.

فإذا كانت هذه الفروع الأربعة من أصلٍ واحدٍ فهي متطابقةٌ في ما بينها.  
 يقومُ دينُ الله - بشرائعه المتعددة<sup>(١)</sup> - على أصليْن لا ثالثَ لهما، لقوله  
 تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا  
 إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥).

فالأصلُ الأوَّلُ: معرفةُ اللهِ موجودًا، وواحدًا، وكاملًا، وهو ذو الأسماءِ  
 الحُسنى والصفاتِ العُلا، [وهذا هو التوحيد].

والأصلُ الثاني: معرفةُ منهجه<sup>(٢)</sup> من أجلِ عبادته التي هي علة<sup>(٣)</sup> وجودِ  
 الإنسان، وهي طاعةٌ طوعية<sup>(٤)</sup>، ممزوجةٌ بمحبةٍ قلبيةٍ، أساسها معرفةٌ يقينية<sup>(٥)</sup>،  
 تُفضي إلى سعادةٍ أبديةٍ، [وهذه هي العبادةُ الحقيقية]، فالتوحيدُ قِمةُ العلمِ،  
 والعبادةُ قِمةُ العملِ.

إنَّ اللهَ جَلَّ جلالُهُ خلقَ الكونَ بسماواتِهِ وأرضِهِ، وخلقَ العوالمَ<sup>(٦)</sup>، وعلى  
 رأسها الإنسانَ وفقَ أنظمةٍ بالغةِ الدقةِ، ومن أبرزِ هذه الأنظمةِ نظامَ السببيةِ<sup>(٧)</sup>،  
 وهو تلازم<sup>(٨)</sup> شئيين وُجودًا وعدمًا، أحدهما قَبْلَ الآخرِ، فنسمي الأولَ سببًا،  
 ونسمي الثانيَ نتيجةً، وممَّا يكملُ هذا النظامَ الرائعَ أنَّ العقلَ البشريَّ يقومُ  
 على مبدأ السببيةِ، أي: إنَّ العقلَ لا يفهمُ حدثًا دونَ سببٍ، ومن رحمةِ اللهِ  
 بنا أنَّ هذا النظامَ أوجده اللهُ في الكونِ، وذلك المبدأ في العقلِ يقودنا برفقٍ

١. بشرائعه المتعددة: المقصود: اليهودية والمسيحية والإسلامية.

٢. منهجه: طريقه الواضح الذي يتبع.

٣. علة: سبب ومبرر.

٤. طوعية: اختيارية.

٥. يقينية: من اليقين، أي ما يعلمه الإنسان علمًا ثابتًا لا شك فيه ولا ريب.

٦. العوالم: جمع عالم، وهو كل صنف من أصناف الخلق، كعالم الإنسان، وعالم الحيوان، وغيرهما.

٧. السببية: قانون يبيِّن علاقة السبب بالمسبب؛ لأن لكل ظاهرة سببًا ونتيجة، ومُسببًا لهما، وهو الله تعالى.

٨. تلازم: تعلق، لا انفكاك فيه.

إلى معرفة الله مُسَبِّبِ الأسبابِ، الأقدامُ تدلُّ على المسيرِ<sup>(١)</sup>، والماءُ يدلُّ على الغديرِ<sup>(٢)</sup>، سماءُ ذاتُ أبراجٍ<sup>(٣)</sup>، وأرضُ ذاتِ فجاجٍ<sup>(٤)</sup>، ألا تدلَّانِ على الحكيمِ الخبيرِ!؟

وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِنَا أَيْضًا أَنَّ تَلَازِمَ الْأَسْبَابِ مَعَ النَّتَائِجِ يُضْفِي عَلَى الْكُونَ طَابَعِ الثَّبَاتِ، وَيَمَهِّدُ الطَّرِيقَ لِكِتْشَافِ الْقَوَانِينِ، وَيُعْطِي الْأَشْيَاءَ خِصَائِصَهَا الثَّابِتَةَ لَيْسَهْلَ التَّعَامُلِ مَعَهَا، وَلَوْ لَمْ تَكُنِ الْأَسْبَابُ مُتَلَازِمَةً<sup>(٥)</sup> مَعَ النَّتَائِجِ، وَلَوْ لَمْ تَكُنِ النَّتَائِجُ بِقَدْرِ الْأَسْبَابِ لِأَخْذِ الْكُونَ طَابَعِ الْفَوْضَى وَالْعَبِيثَةِ<sup>(٦)</sup>، وَلَتَأَهَّ الْإِنْسَانُ فِي سَبْلِ الْمَعْرِفَةِ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِعَقْلِهِ، لَكِنْ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْأَسْبَابَ وَحْدَهَا تَخْلُقُ النَّتَائِجَ، ثُمَّ اعْتَمَدَ عَلَى الْأَسْبَابِ وَحْدَهَا، فَقَدْ أَشْرَكَ؛ لِذَلِكَ يَتَفَضَّلُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي وَقَعَ فِي الشُّرْكِ الْخَفِيِّ<sup>(٧)</sup> فَيُؤَدِّبُهُ بِتَعْطِيلِ فَاعِلِيَّةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا، فَيُفَاجِئُ بِنَتَائِجٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ، وَمَنْ تَرَكَ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ مُتَوَكِّلاً - فِي زَعْمِهِ - عَلَى اللَّهِ، فَقَدْ عَصَى؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْجَبْ بِهَذَا النِّظَامِ الَّذِي يَنْتَظِمُ الْكُونَ، وَلِأَنَّهُ طَمَعٌ - بَغَيْرِ حَقٍّ - أَنْ يَخْرُقَ<sup>(٨)</sup> اللَّهُ لَهُ هَذِهِ السُّنَنَ<sup>(٩)</sup>، أَمَّا الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ فَيَأْخُذُ بِالْأَسْبَابِ دُونَ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهَا تَصْنَعُ النَّتَائِجَ، وَبِالتَّالِي دُونَ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْهَا، يَأْخُذُ بِهَا، وَكَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَيَعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ، وَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، مُعْتَقِداً أَنَّهُ: مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّ الْأَسْبَابَ وَحْدَهَا لَا تَقْوُدُ إِلَى النَّتَائِجِ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ «التَّوْحِيدُ الْإِيجَابِيُّ»

١. المسير: السَّيْرُ.

٢. الغدير: المياه الراكدة قليلة العمق (المستقع).

٣. أبراج: جمع بُرْج، وهو صور النجوم التي تبدو للناظر، وقد حدَّد العلماء ١٢ بُرْجاً سماوياً.

٤. فجاج: طُرُقٌ واسعة.

٥. متلازمة: مترامنة، معلقة بها ومصاحبة لا تفارقها.

٦. العبثية: فلسفة العبث (عدم الجدوى) في وجود البشر في الكون.

٧. الخفي: غير المرئي.

٨. يُخْرُقُ: يجاوز ويُبطل المؤلف.

٩. السنن: المناهج والطرق الواضحة، والقوانين الكونية.

الذي يغيبُ عن كثيرٍ من المؤمنين، فضلاً عن غير المؤمنين، حيث قال تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦)، أي: إن المشركين إذا سُئلوا عَمَّنْ خلق السماواتِ والأرضِ وَمَنْ خَلَقَهُمْ؟ يقولون: الله، وَهُمْ - مع هذا - يعبدون الأصنامَ والأوثان، كالكَلاتِ والعزَّى سابقاً، والعِلْمِ والطبيعةِ حاليّاً.. ويستغيثون بها، فهم يؤمنون بأن هناك ربّاً خالقاً، ولكن هذا الإيمان يَفْسُدُ بشركهم بالله تعالى، ولا ينفعهم، وهذا هو معنى الآية عند أهل العلم.

لكنَّ هذا النظامَ - نظامَ السببيَّةِ - يُخرَقُ أحياناً... متى وكيف؟

حينما يأتي إنسانٌ ويقول: إنَّه رسولٌ من عندِ الله جاءَ ليلبِّغَ منهُجَ الله، فلا بدَّ من أن يطالبه الناسُ «برهانٍ»<sup>(١)</sup> على أنَّه رسولُ الله، وعلى أن الكتابَ الذي جاء به هو من عندِ الله، وهنا تأتي قدرةُ الله التي سمَّاهَا العلماءُ «المعجزة»، لتكونَ برهاناً على صدقِ إرسالِ النبيِّ، ومصداقيةِ منهجه، والمعجزةُ في بعضِ تعاريفها خرقٌ لنواميسِ<sup>(٢)</sup> الكونِ ولقوانينه، ولا يستطيعها إلا خالقُ الكونِ؛ لأنَّه هو الذي وضعَ القوانينَ والنواميسَ، يعطيها لرُسلِهِ لتكونَ برهاناً على صدقِهِم في إرسالِهِم، وصدقِهِم في إبلاغِهِم عن ربِّهم، والمعجزةُ مُمكنَةٌ عقلاً، غيرُ مألوفة<sup>(٣)</sup> عادةً، فهناك فرقٌ بين أن يحكِّمَ العقلُ على شيءٍ باستحالته<sup>(٤)</sup>، وأن يُعلنَ عجزه عن فهمِ هذا الشيءِ، فعدمُ العلمِ بالشيءِ لا يلزمُ العلمُ بعدمه.

ولكنَّ لا معنى للحديثِ عن المعجزاتِ التي هي خرقٌ للنواميسِ والعاداتِ، وعن جزئياتها، وعن وقوعها، أو توهمها، إذا كان أصلُ الدِّينِ الذي يتلخَّصُ في الإيمانِ بالله، موجوداً، وواحدًا، وكاملًا، والإيمانُ أنَّه بكلِّ

١. برهان: دليل.

٢. نواميسِ الكونِ: قوانين الكون، كالجاذبية أو حرق النار.

٣. غيرُ مألوفة: غير معتادة.

٤. استحالته: عدم إمكان حصوله بأيِّ حال من الأحوال.

شيءٍ عليهم، وعلى كل شيءٍ قديرٌ، وفَعَّالٌ لِمَا يَرِيدُ، إذا كان هذا الأصلُ محلَّ إنكارٍ<sup>(١)</sup> أو شكٍّ، فلا معنى للحديثِ عن ما يُسمَّى بالمعجزاتِ أصلاً، فالناسُ عامةٌ يخاطَبُونَ عادةً بأصولِ الدِّينِ<sup>(٢)</sup>، والمؤمنون يخاطَبُونَ بفروعِ الدينِ<sup>(٣)</sup>، والحديثُ عن المعجزاتِ من فروعِ الدينِ، فإذا كان الأصلُ مهتراً، فلا جدوى من الحديثِ عن المعجزاتِ.

ثم إنَّ الكونَ بمَجْرَّاتِهِ<sup>(٤)</sup>، بكواكبه ومُذَبَّبَاتِهِ، بالمسافاتِ البينِيَّةِ<sup>(٥)</sup>، والسرعاتِ الضوئيةِ، بحجمِ النجومِ، بدورانها، وتَجَادُفِهَا، وإنَّ الأرضَ بجِبَالِهَا، ووديانها، وسهولها، وقفارها<sup>(٦)</sup>، وبحارها، وبُحَيْرَاتِهَا، بينابيعها، وأنهارها، بحيواناتها، ونباتاتها، بأسمائها، وأطيَارها، بمعادنها، وثمراتها، وإنَّ الإنسانَ بعقله، وعاطفته، وأعضائه، وأجهزته<sup>(٧)</sup>، ببطوره، وطباعه، بزواجه، وذُرِّيَّته، هذه كلها آياتٌ ودلائلٌ على قدرةِ الله وعَظَمَتِهِ، وهي مُعْجَزَاتٌ، وأيُّ معجزاتٍ.

وبكلامٍ مُجَمَّلٍ: الكونُ بسمواته وأرضه هو في وضعه الراهن، من دون خرقٍ لنواميسه، ومن دون خروجٍ عن نظامه، هو في حدِّ ذاته معجزةٌ، والدليلُ قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا<sup>(٨)</sup> وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا<sup>(٩)</sup> سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾.

١. إنكار: عدم الاعتراف.

٢. أصول الدِّين: القواعد الأساسية.

٣. فروع الدين: ما يتفرَّع أو ينبثق من الأصول.

٤. مجرَّاتُه: جمع مجرَّة، وهي مجموعة كبيرة من النجوم في الكون.

٥. المسافاتِ البينِيَّةِ: المسافات بقدر مدِّ النظر، وتستعمل في القياس بين شيئين متباعدين.

٦. قفارها: أماكن الخلاء الذي لا ماء فيه، ولا عشب، ولا ناس.

٧. أجهزته: أنظمة الإنسان، كالجهاز العصبي، والدماغ، والقلب...

٨. قِيَمًا: قائمين واقفين.

٩. بَطْلًا: الباطل عكس الحق، والمقصود بالباطل - هنا - ما لا هدف له.

غَيْرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ - لَانْهَمَاكِهِ<sup>(١)</sup> بِمَشَاغِلِهِ، وَغَفْلَتِهِ عَنِ خَالِقِهِ، وَلَطُولِ  
 أَلْفَتِهِ<sup>(٢)</sup> لِمَا حَوْلَهُ - لَا يَنْتَبِهَ لِمَعَالِمِ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَيَغْفُلُ عَنِ عِظَمَةِ الْخَالِقِ فِي مَا  
 خَلَقَ، فَيَحْسِبُ - جَهْلًا مِنْهُ، وَغُرُورًا - أَنَّ الْمَعْجِزَةَ هِيَ تِلْكَمُ الَّتِي تَخَالِفُ مَا  
 أَلْفَهُ وَاعْتَادَهُ، ثُمَّ يَمْضِي هَذَا الْإِنْسَانُ الْجَاهِلُ فَيَتَّخِذُ مِمَّا أَلْفَهُ وَاعْتَادَهُ مَقْيَاسًا  
 لِإِيمَانِهِ بِالْأَشْيَاءِ، أَوْ كُفْرِهِ بِهَا، وَهَذَا جَهْلٌ عَجِيبٌ فِي الْإِنْسَانِ، عَلَى الرَّغْمِ  
 مِنْ ارْتِقَائِهِ فِي مَدَارِجِ<sup>(٣)</sup> الْمَدَنِيَّةِ وَالْعِلْمِ، فَتَأَمَّلْ سَيْرَ مِنَ الْإِنْسَانِ يُوَضِّحُ لَهُ  
 - بِجَلَاءٍ - أَنَّ الْخَالِقَ جَلٌّ وَعَلَا الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْكُونَ الْمُعْجِزَ، لَيْسَ عَسِيرًا  
 عَلَيْهِ أَنْ يَزِيدَ فِيهِ دَلِيلًا آخَرَ عَلَى قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، أَوْ أَنْ يَبْدَلَ، أَوْ أَنْ يَغَيِّرَ فِي  
 بَعْضِ أَنْظِمَتِهِ الَّتِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَفَقَّهَا.

يَقُولُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْغَرَبِيِّينَ: «الْقُدْرَةُ الَّتِي خَلَقْتَ الْعَالَمَ لَا تَعْجِزُ عَنِ  
 حَذْفِ شَيْءٍ مِنْهُ، أَوْ إِضَافَةِ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْعَالَمُ مَوْجُودًا»، وَلَوْ  
 قِيلَ لِرَجُلٍ - مِمَّنْ يُنْكِرُ الْمَعْجِزَاتِ وَالْخَوَارِقَ<sup>(٤)</sup> - : سَيُوجَدُ عَالَمٌ صِفَتُهُ كَذَا  
 وَكَذَا، فَإِنَّهُ سَيَجِيبُ فُورًا: هَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَلَا مُتَّصِرٍ، وَيَأْتِي إِنْكَارُهُ هَذَا أَشَدَّ  
 بِكَثِيرٍ مِنْ إِنْكَارِ بَعْضِ الْمَعْجِزَاتِ.

وَالشَّيْءُ الْمَهْمُ هُنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ السَّابِقِينَ بُعِثُوا لِأَقْوَامِهِمْ  
 لَيْسَ غَيْرَ، فَكَانَتْ مَعْجِزَاتُهُمْ حَسِيَّةً مَحْدُودَةً بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الَّذِي بُعِثُوا فِيهِ،  
 فَمَعْجِزَاتُهُمْ كَتَأْتِي<sup>(٥)</sup> عَوْدِ الثُّقَابِ، وَقَعَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَأَصْبَحَتْ خَبْرًا يُصَدِّقُهُ  
 مَنْ يُصَدِّقُهُ، وَيُكَذِّبُهُ مَنْ يُكَذِّبُهُ.

١. انهماكه: مواصلته عمله بجد وحرص.

٢. ألفتته: ما تعودته.

٣. مدارج: مصاعد الرقي والتقدم.

٤. الخوارق: الخارج عن العادة.

٥. تأتت: توهج.

أَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، الذي هو خَاتَمُ<sup>(١)</sup> الأنبياء والمرسلين، الذي أُرْسِلَ إلى الناسِ كَافَّةً<sup>(٢)</sup> بشيراً<sup>(٣)</sup> ونذيراً<sup>(٤)</sup>، فينبغي أن يكونَ مِنْ معجزاته ما هو مستمرٌّ؛ ولذلك كانت الآياتُ التي فيها الإشارات العلمية الإعجازية، وُسِّمَتْ - لاحقاً - بالإعجاز العلمي في الكتابِ (القرآن) والسُّنَّةِ معجزةً علميةً نَصِيَّةً<sup>(٥)</sup> دائمة.

ففي القرآن الكريم نَحْوُ أَلْفٍ وثلاث مئة آيةٍ، - وحددها بعض العلماء بحدود ٧٥٠ آيةً - تتحدَّثُ عن الكون، وعن خَلْقِ الإنسانِ، وهذه الآياتُ تقتربُ مِنْ سدسِ القرآن، وإذا كانت آياتُ الأمرِ<sup>(٦)</sup> تقتضي الطاعةَ، وآياتُ النهيِ<sup>(٧)</sup> تقتضي التركَ، فماذا تقتضي آياتُ الكونِ<sup>(٨)</sup>؟ إنها تقتضي التفكُّرَ<sup>(٩)</sup>؛ لذلك وردَ في الأثرِ: «تَفَكَّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ» [من قولِ الحسن البصري، وقيل: أبي الدرداء].

ولحكمةِ إلهيةٍ بالغةٍ، لم يُفسَّرِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذه الآياتِ؛ لأنَّه لو فسَّرها على نحوٍ يناسبُ فهمَ مَنْ حَوْلَهُ لأنكرَ هذا التفسيرَ مِنْ سيأتي بعده، ولو فسَّرها تفسيراً يفهمه مَنْ سيأتي بعده لاستغلقَ<sup>(١٠)</sup> هذا التفسيرُ على مَنْ حَوْلَهُ.

لذلك تُرِكَتْ هذه الآياتُ للعصورِ اللاحقةِ، ليكشفَ التقدُّمُ العلميُّ في

١. خَاتَمُ: من الختم الذي يختم على المغلف بعد الانتهاء من وضع ما فيه، وهو آخر الشيء.

٢. كَافَّةً: عامةً وجميعاً.

٣. بشيراً: من البُشْرَى، أي: الذي يبشِّرُ بالخير.

٤. نذيراً: من الإنذار، أي الذي يبلغُ ويعلمُ، وتكون للتخويف.

٥. نَصِيَّةً: من النصوص، أي: مكتوبة.

٦. آياتُ الأمرِ: الآيات القرآنية التي أمر الله فيها فعل شيء ما.

٧. آياتُ النهيِ: الآيات القرآنية التي نهى الله بها القيام بأمر ما.

٨. آياتُ الكونِ: الآيات القرآنية التي تتكلم عن أحد مكونات الكون.

٩. التفكُّرُ: وهي عبادة ونشاط ذهني للمعرفة والاعتبار والانعاط.

١٠. استغلقَ: عَسَّرَ فهمَ أو حلَّ أو معرفة أمر ما.

كُلِّ عَصْرِ جَوَانِبِ الإِعْجَازِ فِيهَا، وَبِهَذَا يَكُونُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ - بِمَا فِيهِ مِنْ آيَاتٍ كُونِيَّةٍ - مُعْجَزَةً مُسْتَمِرَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

### أ. عبادة التفكر في خلق السماوات والأرض:

لقد دعا الإسلام إلى العلم بالله، من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض؛ حيث تتابع الأمر به في سور القرآن، وعُدَّ الأساس الأول لبناء دعائم العقيدة<sup>(١)</sup> والإيمان، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَأَلْتَعْمَرُ مَخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٢٨)</sup>، وقال أيضًا في سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ<sup>(٤)</sup> عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

والتفكر في خلق السماوات والأرض نوعٌ من العبادات، بل هو من أرقى العبادات، ففي صحيح ابن حبان عن عطاء أن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ فِي لَيْلَتِي، وَقَالَ: ذَرِينِي أَتَعْبُدُ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَقَامَ إِلَيَّ الْقُرْبَةَ<sup>(٥)</sup>، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَبَكَى حَتَّى بَلَ لِحَيْتِهِ، ثُمَّ سَجَدَ حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَيَّ جَنْبِهِ، حَتَّى أَتَى بِاللَّيْلِ يُؤَدِّئُهُ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يُبْكِيكَ - وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ -؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا بِلَالُ! وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَبْكِيَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ: ﴿إِنَّا

١. دعائم العقيدة: الدِّعَامَةُ: الركن والسند الذي يبنى، والعقيدة: هي ما يعتقدُه الإنسان، والمراد هنا: الدين.

٢. نُصِبَتْ: أقيمت بثبات لا تتحرك.

٣. سُطِحَتْ: بُسِطَتْ وُمِدَّت.

٤. النذر: من الإنذار بالتخويف من العذاب.

٥. الْقُرْبَةَ: وعاء من الجلد، يُحْفَظُ بِهِ الْمَاءُ وَالسَّوَابِلُ.

فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴿١﴾

[آل عمران: ١٩٠].

وصدق الله العظيم إذ يقول في سورة الأنعام: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ  
وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا <sup>(٢)</sup> فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ  
يُحْشَرُونَ <sup>(٣)</sup>﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣﴾.

والعلم - كما يرى بعض العلماء المسلمين - : علمٌ بالله، وعلمٌ بأمره،  
وعلمٌ بخلقه، أو علمٌ بالحقيقة، وعلمٌ بالشريعة، وعلمٌ بالخلقة، والعلمٌ بالله  
أصلُ الدين، والعلمٌ بأمره أصلُ العبادة، والعلمٌ بخلقه أصلٌ في صلاح الدنيا.

إنَّ الإنسانَ إذا تفكَّرَ في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فعرفَ اللهَ خالقًا  
ومُربِّيًّا ومُسيِّرًا، وعرفَ طرفًا <sup>(٤)</sup> من أسَمَائِهِ الحَسَنِي، وَصِفَاتِهِ الفُضْلَى، يشعرُ  
بدافعٍ قوِيٍّ إلى التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ مِنْ خِلَالِ امْتِثَالِ أَمْرِهِ، واجْتِنَابِ نَهْيِهِ، عندها يأتي  
علمُ الشَّرِيعَةِ لِيُبَيِّنَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، فِي العِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَالْأَخْلَاقِ.

والشَّرِيعَةُ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمِصَالِحٌ كُلُّهَا، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا، فَكُلُّ  
مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنِ العَدْلِ إِلَى الجَوْرِ <sup>(٥)</sup>، وَعَنِ الرَّحْمَةِ إِلَى ضِدِّهَا، وَعَنِ  
المِصْلَحَةِ إِلَى المِفْسَدَةِ، وَعَنِ الحِكْمَةِ إِلَى العَبَثِ فليست من الشَّرِيعَةِ، وَإِنْ  
أَدْخَلَتْ عَلَيْهَا بِأَلْفِ تَأْوِيلٍ <sup>(٦)</sup> وَتَأْوِيلٍ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ  
بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» [رواه البخاري ومسلم].

١. أوَّلِي الْأَبَابِ: أصحاب القلوب المؤمنة والعقول الواعية.

٢. فَرَطْنَا: قَصْرْنَا أَوْ تَرَكَنَا.

٣. يُحْشَرُونَ: يُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٤. طَرْفًا: جَانِبًا مِنْ عِلْمٍ.

٥. الجَوْرُ: الظلم والبغي.

٦. تَأْوِيلٌ: تَفْسِيرٌ.

بقي علم الخليقة<sup>(١)</sup>، لقد دعا الإسلام إلى العلم بطبائع<sup>(٢)</sup> الأشياء وخصائصها، والقوانين التي تحكم العلاقة بينها، كي نستفيد منها، تحقيقاً لتسخير<sup>(٣)</sup> الله جلّ وعلاً الأشياء لنا..

قال تعالى في سورة لقمان: ﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ<sup>(٤)</sup> عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً<sup>(٥)</sup>﴾<sup>(٦)</sup>، وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ<sup>(٧)</sup>﴾.

وتعلّم العلوم المادية يحقق عمارة الأرض عن طريق استخراج ثرواتها، واستثمار طاقاتها، وتذليل الصعوبات، وتوفير الحاجات، تحقيقاً لقوله تعالى في سورة هود: ﴿وَإِلَىٰ نُمُودَٰ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ<sup>(٨)</sup> فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ<sup>(٩)</sup>﴾.

وتعلّم العلوم المادية، والتفوق فيها قوة، يجب أن تكون في أيدي المسلمين، ليُجابهوا<sup>(١٠)</sup> أعداءهم، أعداء الحق والخير والسلام، وتحقيقاً لقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ<sup>(١١)</sup> تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ<sup>(١٢)</sup>﴾.

ولأنّ قوة هذا العصر في العلم، بل إنّ الحرب الحديثة ليست حرباً بين ساعدين<sup>(١٣)</sup>، بل هي حربٌ بين عقليّين، فينبغي أن يكون المسلم قوياً؛ لأنّ

١. الخليقة: المخلوقات التي خلقها الله تعالى.

٢. طبائع: جمع طبيعة، وهي صفات كل مخلوق.

٣. تسخير: التكليف والإخضاع لعمل ما.

٤. أسبغ: أفاض وغمر من النعم.

٥. ظاهرة وباطنة: الظاهر: المحسوس، والباطن عكسه.

٦. بأس: قوة وشدة.

٧. استعمركم: لتقوموا بالإعمار المادي والمعنوي القيمي.

٨. يجابهوا: يتصدوا ويقاوموا ويردّوا.

٩. رباط الخيل: حبس الخيل للجهاد في سبيل الله، ومثله - في أيامنا - كل آلة حربية.

١٠. ساعدين: ذراعين، والمقصود قوتان ماديتان.

الحقّ الذي يحمله يحتاجُ إلى قوّة، فقد قال عليه الصلاة والسلام - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - : «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلِّ خيرٍ» [رواه مسلم].

ب. الإشارات العلميّة ( الإعجازية ) في القرآن والكون:

إنَّ إشارات القرآن العلميّة الإعجازية لتظهرُ لأهل العلم في كلِّ مجالٍ من مجالاته، فهي ظاهرةٌ في نظمه<sup>(١)</sup>، وفي إخباره عن الأولين، وفي إنبائه بحوادث المستقبل، وفي ظهور حكم التشريع وغيرها، ولقد شاع مصطلح<sup>(٢)</sup> «الإعجاز العلميّ» في عصرنا، للدلالة على أوجه الإعجاز في القرآن والسنة، والتي كشفت عنها «العلوم الكونية».

وإعجاز القرآن يقصد به تحديّ القرآن الناس أن يأتوا بمثله، ووصفُ الإعجاز هنا بأنه علميٌّ نسبةً إلى العلم، الذي هو حقيقةٌ مقطوعٌ بها<sup>(٣)</sup>، تُطابقُ الواقع، عليها دليلٌ، فإذا لم يكن مقطوعاً بها كانت وهمّاً، أو شكّاً، أو ظناً، وإذا لم تطابقِ الواقع كانت جهلاً، وإذا افتقرت إلى الدليل كانت تقليدياً<sup>(٤)</sup>.

والإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتّها العلم التجريبيّ، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، ممّا يظهر ويؤكد صدقه فيما أخبر به عن ربّه سبحانه وتعالى، والمعجزة القرآنية - بما تتضمنه من حقائق علمية - دليلٌ على عالمية الرسالة الإسلامية.

١. نظمه: كلامه الموزون.

٢. مصطلحٌ: ما تم الاتفاق عليه على معنى معيّن لكلمة ما.

٣. مقطوعٌ بها: لا شكّ فيه، مُسلمٌ به.

٤. تقليدياً: نقلاً عن الغير غير مُثبت.

لَمَّا كَانَ الرَّسُلُ قَبْلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبْعَثُونَ إِلَى أَقْوَامِهِمْ خَاصَّةً، وَلَا زَمَنَةً مَحْدُودَةً، فَقَدْ أَيْدَهُمُ اللَّهُ بَيِّنَاتٍ حَسِيَّةً<sup>(١)</sup>، مِثْلَ: عَصَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى - بِإِذْنِ اللَّهِ - عَلَى يَدِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَسْتَمِرُّ هَذِهِ الْبَيِّنَاتُ الْحَسِيَّةُ مُحْتَفِظَةً بِقُوَّةِ إِقْنَاعِهَا فِي الزَّمَنِ الْمَحْدَدِ لِرِسَالَةِ كُلِّ رَسُولٍ، حَتَّى إِذَا تَطَاوَلَ الزَّمَنُ<sup>(٢)</sup>، وَتَقَادَمَ، وَتَكَدَّرَ<sup>(٣)</sup> نَبْعُ الرِّسَالَةِ الصَّافِي، اخْتَفَتْ قُوَّةُ الْإِقْنَاعِ الْحَسِيَّةِ، وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا آخَرَ بِالذِّينِ الَّذِي يَرْضَاهُ، وَبِمَعْجَزَةٍ جَدِيدَةٍ، وَبَيِّنَةٍ<sup>(٤)</sup> مُشَاهِدَةٍ، وَلَمَّا خَتَمَ اللَّهُ النُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ضَمِنَ لَهُ حِفْظَ دِينِهِ، وَأَيْدَهُ بَيِّنَةً كُبْرَى، تَبْقَى بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ مُخَاطَبًا نَبِيَّهُ ﷺ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً<sup>(٥)</sup> قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ<sup>(٦)</sup>﴾<sup>(١٩)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا<sup>(٧)</sup>﴾.

وَفِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ - اللَّتَيْنِ نَزَلَتَا رَدًّا عَلَى تَكْذِيبِ الْكَافِرِينَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - بَيَانٌ لِطَبِيعَةِ الْمَعْجَزَةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي تَبْقَى بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ (وَهِيَ الْقُرْآنُ)، وَتَتَجَدَّدُ مَعَ كُلِّ فَتْحِ بَشَرِيٍّ<sup>(٧)</sup>، فِي آفَاقِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ<sup>(٨)</sup>، ذَاتِ الصَّلَةِ بِمَعَانِي الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ<sup>(٩)</sup>.

١. حَسِيَّةٌ: مَا يُسَمَّى بِهِ وَيُدْرَكَ بِالْحَوَاسِ الْخَمْسَةِ.

٢. تَطَاوَلَ الزَّمَنُ: ائْتَدَّ.

٣. تَكَدَّرَ: تَعَكَّرَ وَتَنَغَّصَ.

٤. بَيِّنَةٌ: حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ، بَرَهَانٌ، دَلِيلٌ.

٥. أَكْبَرُ شَهَادَةً: أَيُّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَعْظَمُ شَاهِدٍ فِي الْإِنْبَاتِ، وَهُوَ الْعَالَمُ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

٦. وَمَنْ بَلَغَ: وَمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأُمَّمِ الْأُخْرَى الَّتِي بُلِّغَتْ بِهِ.

٧. فَتْحٌ بَشَرِيٌّ: إِتْجَازٌ بَاهِرٌ مِنَ الْبَشَرِ.

٨. آفَاقُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ: أُسُسُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

٩. الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وهكذا تَسَطَّعُ<sup>(١)</sup> بَيِّنَةُ الوحي المنزَّلِ على مُحَمَّدٍ ﷺ بما نَزَلَ فيه مِنْ علم إلهي يَدْرِكُهُ النَّاسُ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، ويتجدَّدُ على مَرِّ العصورِ والدهورِ<sup>(٢)</sup>؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام - فيما رواه أبو هريرة - : «مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أَوْتِيَتْهُ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا<sup>(٣)</sup> يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [رواه البخاري مسلم].

قال ابن حجرٍ عند شرحه لهذا الحديث: «رَتَّبَ هذا الكلامَ على ما تقدَّم من معجزةِ القرآنِ المستمرةِ لكثرةِ فائدته، وعمومِ نفعه، لاشتماله على الدعوة والحُجَّةِ<sup>(٤)</sup> والإخبارِ بما سيكونُ، فَعَمَّ نفعُهُ مَنْ حَضَرَ، وَمَنْ غَابَ، وَمَنْ وُجِدَ، وَمَنْ سِوَجَدَ. وقيل: المرادُ أنَّ معجزاتِ الأنبياءِ انقضتْ بانقراضِ أعصارِهِمْ<sup>(٥)</sup> فلم يشاهدوها إلا مَنْ حَضَرَهَا، ومعجزةُ القرآنِ مستمرةٌ إلى يومِ القيامةِ، وخرُّقُه للعادةِ في أسلوبه، وبلاغته، وأخباره بالمُغيباتِ<sup>(٦)</sup>، فلا يمرُّ عصرٌ من الأعصارِ إِلَّا ويظهرُ فيه شيءٌ ممَّا أُخبرَ به أنه سيكونُ، يدلُّ على صحَّةِ دَعْوَاهُ...». [فتح الباري].

ولأنَّ القرآنَ معجزةٌ مُستمرةٌ لكلِّ الخلقِ إلى يومِ القيامةِ، فإنَّ بَيِّنَةَ القرآنِ العلميةَ يَدْرِكُهَا العربيُّ والأعجميُّ<sup>(٧)</sup> على حدِّ سواءٍ، وتبقى ظاهرةً متجدِّدةً إلى قيامِ السَّاعةِ، ففي القرآنِ أنباءٌ نعرفُ المقصودَ منها لأنَّها بلسانِ عربيٍّ مبينٍ، لكنَّ حقائقها وكيفياتها لا تتجلَّى<sup>(٨)</sup> إلا بعدَ حينٍ، قال تعالى في سورة ص: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ<sup>(٨٧)</sup> وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ<sup>(٨٨)</sup>﴾.

١. تَسَطَّعُ: تظهر وتُشعُّ.
٢. الدهورِ: جمع دهر، وهو الزمان الطويل.
٣. تَابِعًا: متابعين مؤمنين به.
٤. الحُجَّةِ: الدليل والبرهان.
٥. أعصارِهِمْ: زمانهم.
٦. المُغيباتِ: كل ما غاب عن الإنسان وخفي.
٧. الأعجميُّ: كل ما هو غير عربي.
٨. تتجلَّى: تنكشف وتظهر.

و شاء الله أن يجعل لكل نبيًا زمانًا خاصًا يتحقق فيه، فإذا تجلَّى الحدُّثُ (١) ماثلاً للعيان (٢) أشرقَت المعاني التي كانت تدلُّ عليها الحروفُ والألفاظُ في القرآن، كما في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ (٣) وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)﴾.

ويبقى النباُ الإلهيُّ (٤) محيطًا بكلِّ الصُّورِ التي يتجدَّدُ ظهورُها عبرَ القرونِ، قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٥)﴾، ومعنى: وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ: سوف يخلق الله أدواتٍ مناسبة للركوب لا تعلمونها أنتم في وقت نزول القرآن، ولا من جاء بعدكم أيضًا، وفي أيامنا هي السيارات والطائرات.. إلى ما هنالك، وفي الزمن السابق المركبات التي تجرُّها الخيول.. إلى ما هنالك، وهذه الآية فيها نوع من الإشارات الإعجازية.

لقد نزلَ القرآن في عصرٍ انتشارِ الجهلِ وشيوعِ (٥) الخرافةِ، والكهانةِ (٦)، والسِّحرِ، والتنجيمِ (٧) في العالمِ كلِّه، وكان للعربِ النصيبُ الأوفى من هذه الجاهليةِ والأميةِ كما بينَ القرآنُ ذلك بقوله في سورة الجمعة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ (٨) رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩)﴾. في ذلك العصرِ، وعلى تلك الأمةِ نزلَ الوحيُّ، وفيه علمُ الله، ويصفُ أسرارَ الخلقِ في شتى الآفاقِ، ويُجلِّي (٩) دقائقَ الخلقِ في النفسِ البشريةِ، ويقرِّرُ البدايةَ في الماضي (١٠)،

١. تجلَّى الحدُّثُ: ظهر وبان.

٢. ماثلاً للعيان: ظاهرًا بيِّنًا لكل مشاهد.

٣. مُسْتَقَرٌّ: غاية ونهاية واستقرار.

٤. النباُ الإلهيُّ: الخبر الذي جاء في القرآن، أو ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحيًا.

٥. شيوع: انتشار خبر بين الناس.

٦. الكهانة: يطلق على كل من يدعي الغيب، مثل العرَّاف وما شابهه، وهم كاذبون.

٧. التنجيم: ما يسمى دور الكائنات السماوية في التأثير على الحياة الأرضية، وهذا يتعارض مع الدين الإسلامي.

٨. الْأُمِّيِّينَ: العرب قبل الإسلام.

٩. يجلي: يكشف ويظهر ويبيِّن ويوضِّح.

١٠. البدايةَ في الماضي: المقصود بداية الخلق في الزمان الغابر.

ويصفُ أسرارَ الحاضرِ، ويكشفُ غيبَ المستقبلِ، الذي ستكونُ عليه  
سائرُ المخلوقاتِ.

وعندما دخلَ الإنسانُ في عصرِ الاكتشافاتِ العلمية، وامتلكَ أدقَّ أجهزةِ  
البحثِ العلميِّ، وتمكَّنَ من حشدِ جيوشٍ من الباحثين في شتى المجالاتِ،  
يبحثون عن الأسرارِ المحجوبة<sup>(١)</sup> في آفاقِ الأرضِ والسماءِ، وفي مجالاتِ  
النفْسِ البشرية، يجمعون المقدماتِ، ويرصدون النتائجَ<sup>(٢)</sup>، في رحلةٍ طويلةٍ  
عَبَرَ القرونِ، ولمَّا أخذتِ الصورةُ في الاكتمالِ، والحقيقةُ في التجلِّي<sup>(٣)</sup>،  
وقعتِ المفاجأةُ الكبرى بتجلِّي أنوارِ الوحيِ الإلهيِّ، الذي نزلَ على محمدٍ  
ﷺ قبلَ أكثرَ من ألفٍ وأربعِ مئةِ عامٍ، بذكرِ تلكِ الحقيقةِ في آيةٍ من القرآنِ  
أو بعضِ آيةٍ، أو في حديثٍ أو بعضِ حديثٍ، بدقَّةٍ علميةٍ معجزةٍ، وبعباراتِ  
مشرقةٍ، وبهذا أنبأنا القرآنُ الكريمُ فقالَ تعالى في سورةِ فُصِّلَت: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ  
إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ<sup>(٤)</sup>  
﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ  
رَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾.

قالوا: «وأما الطريقُ العيانيُّ<sup>(٥)</sup> فهو أن يرى العبادُ من الآياتِ الأفاقيةِ<sup>(٦)</sup>  
والنفسيةِ ما يبيِّنُ لهم أن الوحيَ الذي بلغتهُ الرسلُ عن اللهِ حقٌّ»، وقالوا:  
«الآفاق: تعني أقطارَ السماواتِ والأرضِ، من الشمسِ والقمرِ والنجومِ والليلِ  
والنهارِ، والرياحِ والأمطارِ، والرعدِ، والبرقِ، والصواعقِ، والنباتِ والأشجارِ،  
والجبالِ، والبحارِ، وغيرها»، ورُويَ هذا عن عددٍ من أئمةِ التفسيرِ.

١. المحجوبة: المستورة والمخفية.

٢. يرصدون النتائج: يلاحظون ويسجلون النتائج.

٣. التجلِّي: ما ينكشف في القلوب والعقول.

٤. شِقَاقِ بَعِيدٍ: نزاع وخلاف بعيد عن الحق.

٥. الطريقُ العياني: الطريق المُشاهد المرئي.

٦. الآياتِ الأفاقية: الدلائل والبراهين في الكون.

فهذه آياتُ الله في كتابه تتحدّثُ عن آياته في مخلوقاته، وتتجلّى بمعجزةٍ علميّةٍ بيّنةٍ تسطعُ في عصرِ الكشوفِ العلميّةِ في آفاقِ الكونِ.

إنّنا على وعدٍ من الله عز وجل، بأن يُرينا آياته، فيتحقّق لنا بهذه الرؤية العلمُ الدقيقُ بمعاني هذه الآياتِ، كما قال تعالى في سورة النمل: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ وَأَيْنُهُ فَتَعَرَّفُونَهَا﴾ (١٣).

وممّا سبقُ يتبيّن لنا أن البشرية على موعدٍ من الله، متجدّدٍ ومستمرٍّ، بكشفِ آياته في الكونِ، وفي كتابه (القرآن الكريم)، أمام الأَبصارِ، لتقومِ الحجّةُ والبرهانُ، وتظهر المعجزةُ للعِيانِ<sup>(١)</sup>.

والفرقُ بين التفسيرِ العلميِّ والإعجازِ العلميِّ: أن التفسيرَ العلميَّ كشفٌ عن معاني الآية أو الحديثِ، في ضوء ما ترجّحت<sup>(٢)</sup> صحّته من حقائق العلوم الكونية، أما الإعجازُ العلميُّ فهو إخبارُ القرآن الكريم، أو السنّة النبوية بحقيقة أثبتّها العلمُ التجريبيُّ أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرسول ﷺ.

### ج. أسسُ مباحث الإعجازِ العلميِّ:

١. علمُ الله، هو العلمُ الشاملُ المحيطُ الذي لا يعترّيه<sup>(٣)</sup> خطأ، ولا يشوبه<sup>(٤)</sup> نقصٌ، وعلمُ الإنسانِ محدودٌ، وقابلٌ للازديادِ، ومُعرّضٌ للخطأ.

٢. هناك نصوصٌ من الوحي قطعياً الدلالة<sup>(٥)</sup>، كما أنّ هناك حقائق علميةً كونيةً قطعياً.

١. للعِيان: المرئي.

٢. ترجّحت: ثقلت كفته، غلبت على غيرها.

٣. يعترّيه: يلحق به أو يصيبه.

٤. يشوبه: ما اختلط بغيره من الأشياء.

٥. قطعياً الدلالة: أي لا تحمل دلالة ألفاظها أكثر من تفسير، ومما لا خلاف عليه ويجب الإيذان والعمل به عند الجمع.

٣. في الوحيِ نصوصٌ ظنيّةٌ<sup>(١)</sup> في دلالتها، وفي العلمِ نظرياتٌ ظنيّةٌ في ثبوتها.

٤. لا يمكنُ أن يقعَ صدامٌ بينَ قطعيٍّ من الوحيِ<sup>(٢)</sup> وقطعيٍّ من العلمِ التجريبيِّ، فإن وقعَ في الظاهرِ فلا بد أن هناك خللاً في اعتبار قطعية أحدهما، وهذه قاعدةٌ جليّةٌ قرّرها علماء المسلمين، وقد ألفَ غيرُ واحدٍ من العلماءِ كتباً تؤكّدُ حتميّةً<sup>(٣)</sup> توافقِ العقلِ مع النقلِ<sup>(٤)</sup>.

عندما يُري اللّه عباده آيةً من آياته في الآفاقِ أو في الأنفسِ (آية طبيعية كونية) مُصدّقةٌ لآيةٍ في كتابه (آية قرآنية)، أو حديثٍ من أحاديثِ رسوله ﷺ يتّضح المعنى، ويكتملُ التوافقُ<sup>(٥)</sup>، ويستقرُّ التفسيرُ<sup>(٦)</sup>، وتُحدّدُ دلالاتُ<sup>(٧)</sup> ألفاظِ النصوصِ بما كُشِفَ من حقائق علمية، وهذا ما يسمى «بالإعجاز».

إن نصوصَ الوحيِ قد نزلتْ بألفاظٍ جامعةٍ<sup>(٨)</sup>، قال ﷺ - فيما يرويه أبو هريرة -: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ...» [رواه البخاري]، ممّا يدلُّ على أن النصوصَ التي وردتْ عن النبي ﷺ بكلِّ المعاني الصحيحةِ في مواضعها التي قد تتابعتْ<sup>(٩)</sup> في ظهورها جيلاً بعد جيلٍ.

إذا وقعَ التعارضُ<sup>(١٠)</sup> بين دلالةٍ قطعيةٍ للنصِّ، ونظريةٍ علميةٍ، رُفِضَتْ هذه

١. نصوصٌ ظنيّةٌ: نصوصٌ تحتملُ أكثر من وجه.

٢. قطعيٍّ من الوحي: حكم في القرآن الكريم، وهو كلام ربِّ العالمين الذي هو تفسير واحد قاطع.

٣. حتمية: وجوب، لا مفرّ منه.

٤. النقل: الكتاب والسنة.

٥. يكتملُ التوافقُ: التطابق الكامل حول موضوع معيّن.

٦. يستقرُّ التفسيرُ: يثبت التفسير.

٧. تُحدّدُ دلالاتُ: تتعين وتخصّص الشيء، بحيث لو حصل العلم به لزم منه العلم بشيء آخر.

٨. ألفاظٌ جامعةٌ: ألفاظٌ ونصوصٌ موجودة في كل شيء، والمشاركة بين الناس جميعاً.

٩. تتابعتْ: تتوالى وتستمر وراء بعض.

١٠. التعارضُ: عدم التطابق أو التوافق.

النظرية؛ لأنَّ النَّصَّ وحي<sup>(١)</sup> مِنَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَإِذَا وَقَعَ التَّوَافُقُ بَيْنَهُمَا كَانَ النَّصُّ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ تِلْكَ النَّظَرِيَّةِ، وَإِذَا كَانَ النَّصُّ ظَنِيًّا، وَالْحَقِيقَةُ الْعِلْمِيَّةُ قِطْعِيَّةً يُؤَوَّلُ النَّصُّ بِهَا (أَيِ الْحَقِيقَةُ الْعِلْمِيَّةُ)، وَحَيْثُ لَا يُوْجَدُ مَجَالٌ لِلتَّوْفِيقِ فَيُقَدَّمُ الْقِطْعِيُّ.

د. منهجيةُ أبحاثِ الإعجازِ العلميِّ في ضوءِ منهجِ السلفِ وكلامِ المفسِّرين:

إِنَّ كَلَامَ الْخَالِقِ سَبْحَانَهُ عَنِ اسْرَارِ خَلْقِهِ فِي الْآفَاقِ وَفِي الْأَنْفُسِ غَيْبٌ قَبْلَ أَنْ يُرِينَا اللَّهُ حَقَائِقَ تِلْكَ الْأَسْرَارِ، وَلَا طَرِيقَ لِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّاتِهَا وَتَفَاصِيلِهَا قَبْلَ رُؤْيَيْهَا، إِلَّا مَا سَمِعْنَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَكَانَ السَّلْفُ لَا يَتَكَلَّفُونَ<sup>(٢)</sup> مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ.

إِنَّ مَعَانِيَ الْآيَاتِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، وَدِلَالَتَهَا<sup>(٣)</sup> اللَّغْوِيَّةَ مَعْلُومَةٌ، وَلَكِنَّ الْكَيْفِيَّاتِ وَالتَّفَاصِيلَ مَحْجُوبَةٌ<sup>(٤)</sup>، وَإِنَّ مَنْ وَصَفَ حَقَائِقَ الْوَحْيِ الْكُونِيَّةَ بِدَقَائِقِهَا وَتَفَاصِيلِهَا بَعْدَ أَنْ كَشَفَهَا<sup>(٥)</sup> اللَّهُ وَجَلَّاهَا<sup>(٦)</sup> لِلْأَعْيُنِ، غَيْرُ مَنْ وَصَفَهَا مِنْ خِلَالِ نَصِّ يَسْمَعُهُ<sup>(٧)</sup>، وَلَا يَرَى مَدْلُوكَهُ الْوَاقِعِيَّ؛ لِأَنَّ وَصْفَ مَنْ سَمِعَ وَشَاهَدَ غَيْرُ مَنْ سَمِعَ فَقَطْ.

ولقد وُفِّقَ السلفُ الصالحُ من المفسِّرين كثيرًا في شرحهم لمعنى الآياتِ القرآنية، على الرَّغْمِ من احتجابِ<sup>(٨)</sup> حَقَائِقِهَا الْكُونِيَّةِ، مع أنَّ المفسِّرَ الَّذِي

١. النَّصُّ وَحْيٌ: الْمَكْتُوبُ فِي الْقُرْآنِ - كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى - .

٢. يَتَكَلَّفُونَ: يَتَحْمَلُونَهُ عَلَى مَشَقَّةٍ وَعَسْرِ .

٣. دِلَالَتُهَا: مَعَانِيهَا، بَرَاهِينُهَا، عِلَامَاتُهَا .

٤. مَحْجُوبَةٌ: مُسْتَوْرَةٌ، لَا تُرَى .

٥. كَشَفَهَا: بَيَّنَّهَا وَأَظْهَرَهَا .

٦. جَلَّاهَا: وَصَّحَهَا .

٧. نَصٌّ يَسْمَعُهُ: كَلَامٌ وَرَدَ مِنْ قَائِلٍ وَسَمِعَهُ مِنْهُ .

٨. احْتِجَابٌ: اخْتِفَاءٌ، سِتْرٌ .

يَصِفُ حَقَائِقَ وَكَيْفِيَّاتِ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ فِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ، وَهِيَ مَحْجُوبَةٌ  
عَنِ الرَّؤْيِيَّةِ فِي عَصْرِهِ، قِيَاسًا عَلَى مَا يَرَى مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَفِي ضَوْءِ مَا سَمِعَ  
مِنَ الْوَحْيِ يَخْتَلِفُ عَنِ الْمَفْسِّرِ الْمَعَاصِرِ الَّذِي كُشِفَتْ أَمَامَهُ الْآيَةُ الْكُونِيَّةُ،  
فَجَمَعَ بَيْنَ مَا سَمِعَ مِنَ الْوَحْيِ<sup>(١)</sup>، وَمَا شَاهَدَ فِي الْوَاقِعِ.

وَنظَرًا لِعَدَمِ خَطُورَةٍ مَا يَتَقَرَّرُ<sup>(٢)</sup> فِي مَجَالِ الْأُمُورِ الْكُونِيَّةِ عَلَى أَمْرِ الْعَقِيدَةِ  
يَوْمَ ذَلِكَ، لَمْ يَقِفِ الْمَفْسِّرُونَ بِهَا عِنْدَ حُدُودِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ، بَلْ حَاوَلُوا  
شَرْحَهَا بِمَا يَسَّرَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الدَّرَائِيَّةِ<sup>(٣)</sup> الَّتِي أُتِيحَتْ لَهُمْ فِي عَصْرِهِمْ، وَبِمَا فَتَحَ  
اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْهَامٍ<sup>(٤)</sup>، وَكَانَتْ تِلْكَ الْجُهُودُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي بَدَّلَهَا الْمَفْسِّرُونَ  
عَبْرَ الْقُرُونِ لِشَرْحِ نُّصُوصِ الْوَحْيِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأُمُورِ الْكُونِيَّةِ - الَّتِي لَمْ تُكْشَفْ  
فِي عَصْرِهِمْ - مَبِينَةً لِمَسْتَوَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ عِلْمٍ، فِي تِلْكَ الْمَجَالَاتِ،  
وَمَبِينَةً لِمَدَى تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُؤُلَاءِ الْمَفْسِّرِينَ، فَإِذَا مَا حَانَ حِينُ مَشَاهِدَةِ الْحَقِيقَةِ فِي  
وَاقِعِهَا الْكُونِيِّ، ظَهَرَ التَّوَافُقُ الْجَلِيُّ<sup>(٥)</sup> بَيْنَ مَا قَرَّرَهُ الْوَحْيُ، وَمَا شَاهَدَتْهُ الْأَعْيُنُ،  
وظَهَرَتْ حُدُودُ الْمَعَارِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ<sup>(٦)</sup> الْمُقَيَّدَةِ بِقِيُودِ الْحَسِّ الْمَحْدُودِ، وَالْعِلْمِ  
الْبَشَرِيِّ الْمَحْدُودِ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَازْدَادَ الْإِعْجَازُ تَجَلِّيًّا وَظُهُورًا.

وَكَتَبَ اللَّهُ التَّوْفِيقَ لِلْمَفْسِّرِينَ فِي مَا شَرَحُوهُ مِنْ آيَاتٍ وَأَحَادِيثٍ مُتَعَلِّقَةٍ  
بِأَسْرَارِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، بِفَضْلِ اهْتِدَائِهِمْ<sup>(٧)</sup> بِنُصُوصِ الْوَحْيِ الْمَنْزَلِ مِمَّنْ  
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَمُسْتَرشِدِينَ<sup>(٨)</sup> بِمَا عَلَّمَهُمْ مِنْ دَلَالَاتِ  
الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِي الْآيَاتِ.

١. الوحي: ما يلقيه الله على قلب النبي.

٢. يتقرر: يستقر الأمر له ويثبت.

٣. الدراية: العلم بالشيء بناء على استعمال الفكر والرأي.

٤. أفهام: حسن تصور للمعاني واستعداد الذهن للاستنباط والإدراك.

٥. التوافق الجلي: التقارب، التألف والاتفاق والانسجام.

٦. المعارف الإنسانية: جمع معرفة وهي العلوم والمعلومات والفنون التي استقرت بين الناس.

٧. اهتدائهم: استرشادهم وسيرهم في طريق الهداية.

٨. مسترشدين: مستدلين على الهداية.

هـ. أوجه الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة:

١. التوافق الدقيق بين ما في نصوص الكتاب والسنة، وما كشفه علماء الكون من حقائق وأسرار كونية لم يكن في إمكان بشر أن يعرفها وقت نزول القرآن.

٢. تصحيح الكتاب (القرآن) والسنة لما شاع<sup>(١)</sup> بين البشرية في أجيالها المختلفة من أفكار باطلة حول أسرار الخلق.

٣. إذا جمعت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة المتعلقة بالكون وجدت بعضها يكمل الآخر، فتتجلى بها الحقيقة، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة<sup>(٢)</sup> في الزمن، وفي مواضعها من الكتاب الكريم (القرآن)، وهذا لا يكون إلا من عند الله الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

٤. سن<sup>(٣)</sup> التشريعات الحكيمة، التي قد تخفى حكمتها على الناس وقت نزول القرآن، وتكشفها أبحاث العلماء في شتى المجالات.

٥. عدم الصدام بين نصوص الوحي القاطعة<sup>(٤)</sup> التي تصف الكون وأسراره - على كثرتها - والحقائق العلمية المكتشفة - على وفرتها<sup>(٥)</sup> -، مع وجود الصدام الكثير بين ما يقوله علماء الكون من نظريات تبدل مع تقدم الاكتشافات، ووجود الصدام بين العلم، وما قررته سائر الأديان المحرقة والمبدلة<sup>(٦)</sup>.

١. شاع: أذيع وانتشر.

٢. مفرقة: موزعة.

٣. سن: أنشأ ووضع.

٤. نصوص الوحي القاطعة: ما نص عليه القرآن الكريم بجزم ووضوح بدون ريب على الإطلاق.

٥. وفرتها: كثرتها.

٦. المبدلة: المعدلة، المغيرة والمحرقة والمستبدلة.

و. ضوابط البحث في الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة:

١. أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان<sup>(١)</sup> نزول الوحي، وأن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها، وأن تراعى القواعد البلاغية وخصائصها، ولاسيما قاعدة: «ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز<sup>(٢)</sup> إلا بقريضة<sup>(٣)</sup> كافية».

٢. البعد عن التأويل<sup>(٤)</sup> في النصوص المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ودلالة نبوة النبي ﷺ.

٣. ألا تجعل حقائق القرآن موضع نظير<sup>(٥)</sup>، بل أن تجعل هذه الحقائق هي الأصل: فما وافقها قبل، وما عارضها رفس.

٤. ألا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت<sup>(٦)</sup> من العلم، لا بالفروض والنظريات التي ما تزال موضع فحص وتمحيص<sup>(٧)</sup>، أمّا الحدسيات<sup>(٨)</sup> والظننات فلا يجوز أن يفسر بها القرآن؛ لأنها عرضة<sup>(٩)</sup> للتصحيح والتعديل، بل للإبطال<sup>(١٠)</sup> في أي وقت.

١. إبان: أثناء.

٢. المجاز: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له مناسبة بينها.

٣. قريضة: دليل.

٤. التأويل: التفسير وبيان المعنى المحتمل للفظ على وجه التقدير عقلاً.

٥. موضع نظير: مأخوذ بعين الاهتمام.

٦. اليقين الثابت: العلم المؤكد الذي لا شك فيه.

٧. تمحيص: اختبار وفحص دقيق.

٨. الحدسيات: الأمور المقدرة بالإحساس والتخمين، دون تدقيق أو دليل مادي أو عقلي.

٩. عرضة: معرضة وقابلة.

١٠. للإبطال: للإلغاء وجعله غير نافذ.

وإذا كان النقص يعترى<sup>(١)</sup> بعض الدراسات في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، فلا يصح أن يكون ذلك حكماً ينسحب<sup>(٢)</sup> عليها جميعها، وإن هذا ليوجب على القادرين من علماء الإسلام أن يسارعوا إلى خدمة القرآن والسنة في مجال العلوم الكونية، كما خدمها السلف في مجال اللغة، والأصول<sup>(٣)</sup>، والفقه، وغيرها من مجالات العلوم الشرعية، فنحن أمام معجزة علمية كبرى تنحني أمامها جباه المنصفين<sup>(٤)</sup> من قادة العلوم الكونية في عصرنا.

والطرف الآخر من أعداء الإسلام اتخذوا من المقولات المرتجلة<sup>(٥)</sup>، والمتسرعة في موضوع الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ذريعة<sup>(٦)</sup> لا تُقدَّر بثمن - بالنسبة إليهم - لنقض آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ، من خلال نقض النظرية العلمية الفجة<sup>(٧)</sup> التي لم تثبت، فينبغي للباحث في الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة أن يبالغ في التحقق والتثبت والتريث<sup>(٨)</sup> قبل أن يربط آية في كتاب الله، أو حديثاً لرسول الله ﷺ بمقولة يتوهم أنها تنتمي إلى العلم، والعلم منها براء<sup>(٩)</sup>.

ومجمل القول: إن التفسير العلمي للقرآن والسنة مرفوض إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم تثبت، ولم تستقر<sup>(١٠)</sup>، ولم تصل إلى درجة الحقيقة

١. يعترى: يصيب ويضطرب.

٢. ينسحب: ينطبق.

٣. الأصول: الثابت والقوي الذي له أساس، وهنا يقصد ثوابت الدين.

٤. جباه المنصفين: المقصود رؤوس العادلين في الأحكام.

٥. المقولات المرتجلة: الأحاديث التي تقام دون إعداد سابق بلا روية ولا دليل.

٦. ذريعة: حجة أو وسيلة يتعلل بها وقد يكون لاحق لها فيها.

٧. الفجة: السطحية أو التي لم تنضج بعد.

٨. التريث: التمهل والانتظار قبل الإقدام على عمل.

٩. براء: بريء.

١٠. تستقر: لا يطرأ عليها تغيير أو تبديل.

العلمية المقطوع بها<sup>(١)</sup>، ومفروض إذا خرج بالقرآن عن قواعد اللغة العربية، ومدلولات مفرداتها في زمن النبي ﷺ، ومفروض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلاً<sup>(٢)</sup>، وتجعل القرآن تابعاً<sup>(٣)</sup>، مفروض إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضع آخر، أو دل عليه صحيح السنة، وهو مفروض ممن هب ودب<sup>(٤)</sup> من الذين لم يتحققوا في أخذهم، ولم يتثبتوا في إقائهم، وهم يزعمون أنهم على علم، والعلم منهم براء؛ وهو مقبول بعد ذلك ممن التزم القواعد المعروفة في أصول التفسير والتزم ما تفرضه حدود اللغة، وحدود الشريعة، وامتاز بالتحري<sup>(٥)</sup>، والاحتياط، والضبط الذي يلزم كل ناظر في كتاب الله، وهو مقبول ممن رزقه الله علماً بالقرآن والسنة، وعلماً بالسنن الكونية معاً، فلا بد من أن يكون النص الذي هو موضع الإعجاز قطعي الثبوت والدلالة، وأن يكون الجانب العلمي مقطوعاً بصحته، وأن يكون التطابق<sup>(٦)</sup> عفويًا وتامًا، لا مفتعلًا<sup>(٧)</sup> أو متكلفًا<sup>(٨)</sup>.

١. المقطوع بها: الثابتة والمسلم بها وبصحتها.

٢. أصلاً: أساساً يقام عليه حكم.

٣. تابعاً: سائراً على منهج غيره.

٤. هب ودب: من كل أنواع الناس وأصنافهم.

٥. التحري: عملية تهدف لزيادة المعرفة ورفع الشك وحل مشكلة.

٦. التطابق: اتفاق شيئين في الخواص أو تساوي شكلين وتمثيلهما.

٧. مفتعلًا: الأمر المصطنع المتكلف أو المزور.

٨. متكلفًا: على مشقة وعسر.

## ز. أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها:

إذا كان المعاصرون<sup>(١)</sup> لرسول الله ﷺ قد شاهدوا بأعينهم كثيراً من المعجزات، فإن الله أرى أهل هذا العصر معجزة لرسوله تتناسب مع عصرهم، ويتبين لهم بها أن القرآن حق، وتلك البيئته<sup>(٢)</sup> هي بيئته الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وأهل عصرنا لا يدعون<sup>(٣)</sup> لشيء كإدعائهم للعلم، على اختلاف أجناسهم وأديانهم.

لقد جعل الله النظر في ملكوت<sup>(٤)</sup> السماوات والأرض، الذي تقوم عليه العلوم التجريبية، طريقاً إلى الإيمان به، وطريقاً إلى الإيمان برسوله، وطريقاً إلى الإيمان بدينه الحق، الذي يدعو إلى العلم، والعلم يدعو إليه.

وإن بإمكان المسلمين أن يتقدموا التصحيح مسار العلم في العالم، ووضع في مكانه الصحيح، وجعله طريقاً إلى الإيمان بالله ورسوله، ومصداقاً لما في القرآن، ودليلاً على أحقية<sup>(٥)</sup> الإسلام.

إن التفكير في خلق السماوات والأرض عبادة من أجل العبادات<sup>(٦)</sup>، والتفكير في معاني الأحاديث عبادة من أرفع المستويات، وتقديمها للناس دعوة خالصة إلى الله خالق الأرض والسماوات، وهذا كله متحقق<sup>(٧)</sup> في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهذا من شأنه أيضاً أن يحفز<sup>(٨)</sup> المسلمين إلى اكتشاف أسرار الكون، بدوافع إيمانية تعبّر بهم فترة التخلف

١. المعاصرون: الذين عاصروه، أي: كانوا في زمانه.

٢. البيئته: الحجة القوية الواضحة والبرهان والدليل.

٣. يدعون: يخضعون وينقادون.

٤. ملكوت: مخلوقات الله وسلطانه وعظمته وملكه.

٥. أحقية: أهلية وجدارة.

٦. أجل العبادات: أعظم وأكرم العبادات.

٧. متحقق: مثبت صدقه.

٨. يحفز: يحث ويدفع بإيجابية.

التي عاشوها حقبة<sup>(١)</sup> من الزمن في هذه المجالات، وسيجد الباحثون المسلمون في كلام الخالق عن أسرار مخلوقاته أدلةً تهديهم في أثناء سيرهم في أبحاثهم، تقرّب لهم النتائج، وتوفّر لهم الجهود.

إذا علمنا أهمية هذه الأبحاث في تقوية إيمان المؤمنين، ودفع الفتن التي ألّبسها الإلحاد<sup>(٢)</sup> ثوب العلم عن عقول المسلمين، وفي دعوة غير المسلمين إلى هذا الدين القويم، وفي فهم ما خوطبنا به في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وفي حفز المسلمين إلى الأخذ بأسباب النهضة العلمية التي تتوافق مع الدين = تبين من ذلك كله أن القيام بهذه الأبحاث من أهمّ فروض الكفايات<sup>(٣)</sup>.

إنّ الله خلق الإنسان في أحسن تقويم<sup>(٤)</sup>، وكرّمه أعظم تكريم، وسخر له الكون تسخير<sup>(٥)</sup> تعريف وتفضيل<sup>(٦)</sup>، ووهبه نعمة العقل، وفطره فطرة تنزع<sup>(٧)</sup> إلى الكمال، وأودع فيه الشهوات ليرقى بها صابراً أو شاكراً إلى ربّ الأرض والسموات، ومنحه حرية الإرادة ليجعل عمله ثميناً، وأنزل كتباً أحلّ له فيها الطيبات، وحرّم عليه الخبائث<sup>(٨)</sup>، كل ذلك ليعرف ربه فيعبده، ويسعد بعبادته في الدنيا والآخرة.

إنّ الأشياء المألوفة<sup>(٩)</sup> وغير المألوفة، والأشياء المعتادة وغير المعتادة، والأشياء التي نعرفها معقولةً، والأشياء التي يظنها بعض الناس غير معقولةً،

١. حقبة: مدة من الزمن غير محددة.

٢. ألّبسها الإلحاد: سترها وغطاها من غير المؤمنين بالله.

٣. فروض الكفايات: ما أوجبه الله على عباده من أمر على جهة الإلزام، من غير تعيين فاعله، أي: إذا فعله البعض سقط عن الكل، وأما إذا لم يفعله أحد أثم الجميع.

٤. تقويم: تقدير وإنشاء وتحديد.

٥. تسخير: إخضاع وتسيير وتكليف.

٦. تفضيل: متقدماً أو مرجحاً على غيره.

٧. تنزع: تميل.

٨. الخبائث: الرديء والمستكره.

٩. المألوفة: المعروفة والمنسجمة.

إنها في قدرة الله سواء؛ لأنَّ أمرَ الله تعالى: كُنْ فيكون، ألا تقرُّ قوله عز وجل: ﴿قُلْنَا يَنْزَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلْمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. النارُ لا تحرقُ إلا بإرادة الله، فإذا شاءَ اللهُ لها أن تحرقَ أحرقت، وإن لم يشأَ لم تحرق، والماءُ مائعٌ<sup>(١)</sup> بمشيئةِ الله، فإذا شاءَ اللهُ له أن يكونَ يَبَسًا ضَلْبًا صارَ يَبَسًا ضَلْبًا، انظر ما فعَلَهُ اللهُ عز وجل مع سيدنا موسى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا<sup>(٢)</sup> وَلَا تَحْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]. قال الله تعالى لموسى عليه السلام: اضربْ بعصاك البحرَ؛ فأصبحَ البحرُ طريقًا يَبَسًا، لماذا يخرقُ اللهُ العاداتِ؟ لأنك إذا رأيتَ أن هذا الشيءَ نتيجةٌ لهذا السببِ<sup>(٣)</sup>، وظننتَ أن هذا السببَ هو خالقُ هذا الشيءِ، فقد وقعتَ في الشركِ<sup>(٤)</sup>، وأنتَ لا تدري، خالقُ الشيءِ هو اللهُ سبحانه وتعالى، وهذا السببُ رَافِقُ النتيجةِ، هذه هي العقيدةُ الصحيحةُ، ولكنَّ الذي يخلُقُ الإحراقَ في النارِ هو اللهُ، والذي يخلُقُ الانتقالَ بلمحِ البصرِ من مكانٍ إلى مكانٍ هو اللهُ، فإذا ما أرادَ خالقُ الزمانِ والمكانِ أن يعطَلَ شرطَ الزمانِ والمكانِ فعَلَ؛ لذلك كان الإسراءُ والمعراجُ حكمهُ حكمُ أيِّ معجزةٍ وردتْ في القرآنِ الكريمِ.

شيءٌ آخرٌ، وهو أن الأشياءَ المألوفةَ وغيرَ المألوفةِ كلاهما معجزةٌ، ألا تنظرُ إلى البقرةِ، وهي تعطيك الحليبَ، لو اجتمع أهلُ الأرضِ، لو اجتمع علماءُ الكيمياءِ العضويةِ في العالمِ على أن يصنعوا مِن هذا النباتِ الأخضرِ حليبًا فيه قِوَامٌ<sup>(٥)</sup> غذائنا لَمَا استطاعوا، أليستِ البقرةُ معجزةً؟ أليستِ هذه الدجاجةُ معجزةً؟ أليس خَلْقُ الإنسانِ معجزةً؟ أليس إنباتُ النباتِ معجزةً؟

١. مائعٌ: سائل.

٢. دَرَكًا: تابعًا يلحقُ بكم.

٣. السببُ: ما يتوصل به إلى غيره من غير تأثير فيه.

٤. الشركُ: الاعتقاد بتعدد الآلهة.

٥. قِوَامٌ: عماد وأساس النظام، وما يقوم به الإنسان.

أليس هطول الأمطار معجزة؟ أنت محاطٌ بملايينِ ملايينِ المعجزاتِ، وأنت لا تدري، أليس الكونُ مُعْجِزَةً؟

الكونُ معجزةٌ، هذا الطفلُ الصغيرُ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ<sup>(١)</sup>، من نطفةٍ صغيرةٍ، هذه النطفةُ لا تُرى بالعينِ، أربع مئة مليونٍ من النطافِ تنطلقُ مِنَ الرَّجُلِ، وكلُّ نطفةٍ لها رأسٌ، ولها عُنُقٌ، ولها ذيلٌ، وهي تَسْبُحُ، وفي رأسها مادةٌ مُعْطَاةٌ بِغِشَاءٍ رقيقٍ، إذا اصطدمتُ بالبُويضة<sup>(٢)</sup> تَمَزَّقَ الغِشَاءُ<sup>(٣)</sup> بالبُويضة، وساهمتُ هذه المادةُ في إذابةِ جدارِ البُويضة، والدخولِ إليها، دَخَلَتِ النطفةُ إلى البُويضة، فانقسمتُ إلى عددٍ كبيرٍ، وهي في طريقها إلى الرَّحِمِ، دونَ أن يزدادَ حجمُها، فَخَلَقَ الإنسانُ معجزةً.

بعد أن يُولَدَ الإنسانُ يكونُ في دماغه مئةٌ وأربعون مليارَ خليةٍ، ويكون فيه أيضًا أعصابٌ، وعظامٌ، وقلبٌ، وشرابينٌ، ورتتان، ومعدةٌ، وأمعاء، وسمعٌ، وبصرٌ، وشفتان، ولسان، وعضلاتٌ، وأعضاءٌ، وشعرٌ، وجلدٌ، ومَسَامٌ، وغددٌ دهنية، وغدد عرقية، هذا المخلوقُ الصغيرُ معجزةٌ، فَخَلَقَ هذا الطفلُ من نطفةٍ، ومن بُوَيْضَةٍ معجزةً من أعظم المعجزاتِ.

النباتُ، هذه الورقةُ لا يرقى إلى مستواها أعظمُ معملٍ صَنَعَهُ الإنسانُ على وجهِ الأرضِ، إنها معملٌ صامتٌ، يأخذُ مِنَ التربةِ الماءَ والمعادنَ، ويضخُّ هذا الماءَ إلى أعاليِ الشجرةِ، هذه الورقةُ فيها اليخضورُ<sup>(٤)</sup>، تأخذُ مِنَ الهوائِ ثانيَ أكسيدِ الكربونِ، وتأخذُ مِنَ الشمسِ «الفوتونَ»، وتأخذُ مِنَ أملاحِ الحديدِ

١. ماءٌ مهينٌ: سائلٌ وهو مني ضعيفٌ حقيرٌ.

٢. البُويضة: ما يطلقه مبيض المرأة من بويضة واحدة شهرياً، إما أن تخصب بمني الرجل ليحصل الحمل، أو تترد خارج الرحم.

٣. الغشاء: الغلاف

٤. اليخضور: الكلوروفيل، وهو خضاب أخضر يتواجد في النباتات ويقوم بدور أساسي في عملية التركيب الضوئي في الأرض.

خَوَاصُّهُ الْوَسْطِيَّةَ، وَتَصْنَعُ النَّسْغَ<sup>(١)</sup> النَّازِلَةَ، هَذَا النَّسْغُ النَّازِلُ هُوَ الَّذِي يَصْنَعُ الْجَذَعَ، وَالْأَغْصَانَ، وَالْفُرُوعَ، وَالْجَذَرَ، وَالشَّمَارَ، وَالْفَوَاكِهِ.

مَنْ عَلَّمَ هَذَا؟ كَيْفَ أَوْدَعَ اللَّهُ كُلَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي الْبِذْرَةِ؟ الْبِنَاتُ مَعْجِزَةٌ، الْحَيَوَانَ مَعْجِزَةٌ، مِلْيُونُ نَوْعٍ مِنَ السَّمَكِ فِي الْبَحَارِ، أَحَدُ رَقَمِ فِي وَزْنِ الْحَوْتِ مِئَةٌ وَثَمَانُونَ طَنًا، رَضَعْتُهُ الْوَاحِدَةَ ثَلَاثِمِئَةَ كِيلُو غَرَامٍ، ثَلَاثُ رَضَعَاتٍ تَسَاوِي طَنًا كُلَّ يَوْمٍ، هَذَا بَعْضُ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ عَنِ الْحَوْتِ.

أَمَّا الْبِعُوضَةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]، ففِيهَا جِهَازٌ رَادَارٍ، وَجِهَازٌ تَمْيِيعٌ لِلدَّمِ، وَجِهَازٌ تَخْدِيرٍ، وَجِهَازٌ تَحْلِيلٍ، أَرْبَعَةٌ أَجْهَازَةٌ، وَهَذِهِ الْبِعُوضَةُ يَرِفُ جَنَاحَاهَا مِائَاتِ الْمَرَاتِ فِي الثَّانِيَةِ الْوَاحِدَةِ، وَلَهَا ثَلَاثَةُ قُلُوبٍ، قَلْبٌ مَرْكَزِيٌّ، وَقَلْبٌ لِكُلِّ جَنَاحٍ، وَلَا رُجُلَ لَهَا مَحَاجِمٌ<sup>(٢)</sup> لِتَقْفَ عَلَى السُّطُوحِ الْمَلْسَاءِ، وَمَخَالِبٌ<sup>(٣)</sup> لِتَقْفَ عَلَى السُّطُوحِ الْخَشْنَةِ.

فَالْبِعُوضَةُ مَعْجِزَةٌ، وَأَيَّةٌ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْكُونِ، وَالْخُرُوفُ مَعْجِزَةٌ، وَالْبَقْرَةُ مَعْجِزَةٌ، وَالِدِجَاجَةٌ مَعْجِزَةٌ، وَخَلْقُ الْإِنْسَانِ مَعْجِزَةٌ، وَأَنْوَاعُ الْفَوَاكِهِ وَالشَّمَارِ مَعْجِزَةٌ، وَالشَّمْسُ مَعْجِزَةٌ، فَهِيَ تَبْعُدُ عَنَّا مِئَةً وَسِتَّةَ وَخَمْسِينَ مِلْيُونِ كِيلُو مِتْرٍ، وَمَعَ ذَلِكَ نَسْتَدْفِئُ بِحَرَارَتِهَا، وَنَسْتَضِيءُ بِضَوْئِهَا، وَلَوْ أَلْقَيْتِ الْأَرْضَ فِي جَوْفِهَا لَتَبَخَّرَتْ فِي ثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ.

الْكُونُ كُلُّهُ مَعْجِزَةٌ، أَفَيْصَعُبُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْقَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيُلْغِي بَعْدَ<sup>(٤)</sup> الْمَكَانِ، وَبُعْدَ الزَّمَانِ؟ أَنْ يَنْقَلَهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ

١. النَّسْغُ النَّازِلَةُ: سَائِلٌ يَكُونُ فِي الْخَلِيَّةِ يَجْرِي فِي أَنْسِجَةِ النَّبَاتِ لِتَغْذِيَّتِهِ.

٢. مَحَاجِمٌ: جَمْعُ مَحْجَمٍ، وَهُوَ أَدَاةٌ لِامْتِصَاصِ الدَّمِ.

٣. مَخَالِبٌ: جَمْعُ مَخْلَبٍ، وَهُوَ وَظْفَرٌ لِلطَّائِرِ، وَهُوَ كَالْمَنْجَلِ، وَكَذَلِكَ لِحْيَوَانَاتٍ أُخْرَى.

٤. بَعْدُ: اتِّسَاعُ الْمَدَى وَالْمَسَافَةِ.

المقدس، وأن يعرج به إلى السماء، لو تعمقتُم في الكون لرأيتُم أن الأشياء المألوفة<sup>(١)</sup>، وغير المألوفة هي في قدرة الله سواء، ولرأيتُم أن الأشياء المألوفة وغير المألوفة، هي في الأصل كلها معجزة (وهي آيات الله في الكون).

---

١. الأشياء المألوفة: الأشياء المعتادة والمتفق عليها عرفاً.





## [٢] الإعجاز العلمي أو الإشارات الإعجازية في القرآن الكريم (بين مؤيدٍ ومعارضٍ)

تمهيد:

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو موضوع يتناول ما ورد في القرآن من موضوعات علمية تتعلق بالحقائق الكونية التي لم تكن مُدْرَكَةً<sup>(١)</sup> للبشر في زمن نزول القرآن، ثم أثبتتها العلم لاحقاً، حيث يؤمن المسلمون والكثير من الباحثين الإسلاميين وعدد من علماء الشريعة المختصين أيضاً بمجالات علمية متنوعة أن القرآن يشير إلى معلومات علمية كثيرة في عدد من الآيات الكونية والتكوينية التي تحتويه، وبأن القرآن الكريم بكل المقاييس معجزة، وأنه دليل على نبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

بالمقابل انتقد بعض العلماء والباحثين الغربيين والمستشرقين وبعض العرب، نصوص القرآن حول خلق الكون والأرض، وأصول الحياة البشرية، وعلم الأحياء، وعلوم الأرض، باعتبارها تحتوي على مغالطات<sup>(٢)</sup> غير علمية، كما انتقد بعض العلماء المسلمون أيضاً تفسير بعض آيات القرآن الكونية تفسيراً يشابه القوانين المكتشفة حديثاً؛ حيث إنه من المحتمل أن تتناقض مع نظريات علمية متطورة؛ لأن القرآن في الأساس هو كتاب هداية وتشريع.

١. مدرّكة: معروفة ومفهومة في ذلك الوقت.

٢. مغالطات: استخدام الاستدلال غير الصحيح في التضييل وبناء الحجج.

كما وقف بعض العلماء والمفسرين المسلمين والعلماء المدنيين العرب والغربيين موقفًا محايدًا، ووضعوا شروطًا لتحقيق ما يسمى بـ (الإعجاز العلمي) لآيات القرآن الكريم.

وهذا الجدل حول الإعجاز العلمي في الإسلام ليس حديثًا، فهذه القضية هيمنت<sup>(١)</sup> على عقول العديد من الباحثين المسلمين وغير المسلمين منذ قرون عديدة.

#### أ. خلفية عقائدية:

يؤمن المسلمون كافة أن القرآن معجزة النبي محمد ﷺ للعالمين، وأن آياته تتحدى العالمين بأن يأتوا بمثله أو بسورة مثله، أو بآية من مثله، كما يعدونه دليلًا على نبوته صلى الله عليه وسلم، ويقول بعض الباحثين وعدد من علماء الشريعة المختصين أيضًا في مجالات علمية متنوعة: إن القرآن يشير إلى معلومات علمية كثيرة في عدد من الآيات، وهو ما يسمى بالإعجاز العلمي في القرآن، وإن هذا يُشكل الدليل القاطع على أن مصدره الله العليم بكل شيء، وقد انتشر الاعتقاد في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بأن القرآن بين عدة نظريات علمية معروفة، قبل اكتشافها بمئات السنين، وقد لا يتفقون حول ماهية<sup>(٢)</sup> بعضها، فالإعجاز يعني - ضمناً - التحدي مع عجز الجهة التي تحداها، وهذا ما يعدُّه البعض خاصًا ببلاغة القرآن وأسلوبه، ولكن آخرين يؤمنون بشمولية<sup>(٣)</sup> الإعجاز في القرآن للعلوم بشكل مطلق، فيؤمن المسلمون أن الله هو خالق الكون، وبما أن القرآن هو كلامه فإنه من المستحيل أن يتعارض<sup>(٤)</sup> مع الحقائق العلمية التي اكتشفت بعد نزول القرآن؛ ولهذا فإن

١. هيمنت: سيطرت، استولت.

٢. ماهية: حقيقة، وطبيعة وصفات الأشياء.

٣. شمولية: احتواء.

٤. يتعارض: يُضادُّ أو يقابل.

الإعجاز العلمي يعني توافق النص القرآني مع مقتضيات<sup>(١)</sup> العلم الحديث، أو وجود إلماحات<sup>(٢)</sup> أو تصريحات ضمنه تؤكد حقائق علمية عرفت أو ستعرف لاحقاً، وقد تم نشر العديد من الكتب والمواد التي توضح توافق<sup>(٣)</sup> القرآن مع مقتضيات العلم الحديث بشتى أنواعه، أو وجود إلماحات أو تصريحات ضمنه تؤكد حقائق علمية عرفت لاحقاً.

### ب. أشهر المدافعين:

برز عددٌ من الدعاة والعلماء المسلمين ليؤكدوا الإعجاز العلمي في القرآن، ووضعوا الكثير من الشروط لتفسير وتأويل<sup>(٤)</sup> ما يُسمّى بالإعجاز العلمي، ووضعوا منهجاً لذلك، ومن أشهرهم:

١. «الدكتور زغلول النجار»، الذي ربط في عدة كتب ومحاضرات جامعية وتلفازية بين ما جاء في بعض الآيات وما أقرته<sup>(٥)</sup> نظريات علمية في القرن العشرين وما سبقه، وقال: «وخير ما تقدمه في ذلك المضمار<sup>(٦)</sup> مما يتناسب مع طبيعة العصر ولغته وهو الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة الشريفة، ومن أبرز ما قيل في هذا المجال على سبيل المثال، أن قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾<sup>(٧)</sup> **وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴿٦٧﴾، تشير إلى أن ما ورد في القرآن من معلومات علمية سوف يُكتشف مع مرور الزمن، مثل الآيات التي تشير بوضوح على أن:

١. مقتضيات: متطلبات، مستلزمات.

٢. إلماحات: إشارات من غير تصريح مباشر.

٣. توافق: تطابق.

٤. تأويل: بيان أحد احتمالات اللفظ على وجه التقدير والظن.

٥. أقرته: اعترفت به.

٦. المضمار: المجال، الميدان.

٧. نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ: لكل خبر سيعرف لاحقاً، أو لكل وقت يستقر منه، وزمان لا يتقدم منه ولا يتأخر.

- الكون خُلِقَ فعلاً من انفجار عظيم - وأنه في توسُّع دائم -.

- أدنى نقطة على سطح الأرض هي البحر الميت.

- الجنين يُخلق في أطوار<sup>(١)</sup>، وغير ذلك من الأمور.

- أن القرآن تنبأ<sup>(٢)</sup> ببعض الحوادث التي ستقع مستقبلاً، من أشهرها هزيمة الفرس على يد الروم البيزنطيين خلال عقد العشرينيات من القرن السابع، بعد أن كان الفرس قد هزموا الروم قبلاً وفتحوا قسماً من إمبراطوريتهم.

بالإضافة إلى الكثير من المواضيع والمعلومات العلمية وتطابقها مع آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة).

٢. «الدكتور عبد المجيد الزنداني<sup>(٣)</sup>»، قال: إذا كان المعاصرون لرسول

الله ﷺ قد شاهدوا بأعينهم كثيراً من المعجزات، فإن الله تعالى أرى أهل هذا العصر معجزات لرسوله ﷺ تتناسب مع عصرهم، وتبيّن لهم بها أن القرآن حق، وتلك البيّنة<sup>(٤)</sup> المعجزة هي بيّنة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وأهل عصرنا لا يُدعون<sup>(٥)</sup> لشيء إذعانهم للعلم وبيّناته ودلالاته<sup>(٦)</sup> على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وأديانهم.

٣. الطيب الفرنسي «موريس بوكاي»، وهو عالم البصريّات<sup>(٧)</sup> المعروف، وهو أشهر مَنْ عمل بطريقة منهجية على توضيح الإعجاز العلمي،

١. أطوار: جمع طَوْر، أي: مراحل.

٢. تنبأ: أخبر بالخبر قبل وقته.

٣. د. عبد المجيد بن عزيز الزنداني: هو سياسي وداعية يمني، وهو المؤسس لجامعة الإيمان باليمن، ومؤسس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مكة المكرمة، ورئيس مجلس شورى حزب التجمع اليمني للإصلاح، وحاوّر الكثير من العلماء الغربيين المتخصصين في العلوم التطبيقية، وله عدّة مؤلفات ومحاضرات في العلوم الإسلامية، أهمها التأصيل العلمي في القرآن والسنة.

٤. البيّنة: الحجّة الواضحة، الدليل.

٥. يدعون: ينقادون أو يخضعون أو يُقرّون.

٦. دلالاته: براهينه أو شواهد وبيانه.

٧. عالم البصريّات: أستاذ علم في فيزياء النور والنظر وقوانينها.

والذي صدر له كتابٌ اسمه «التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم»، وهو أهمُّ كتاب في دراسة القرآن والكتاب المقدس من زاوية علمية.

وقد قدّم د. موريس بوكاي في كتاباته بعض التفسيرات من الآيات القرآنية التي تتفق مع العلم الحديث، والتي لم تكن تُعرف في الماضي، فالعلم والدين في الإسلام شقيقان توأمان. ولقد ألف في نهاية تجربته كتابه المشهور هذا الذي تُرجم إلى سبع عشرة لغة، وقد تعرّض هذا الكتاب للنقد من المنصّر الأمريكي «د. وليام كامبل»، ولكن ردّ عليه «د. سامي عامري» وبين أخطائه التي تبين أنها مقصودة في بعض الأحيان، وعن جهل في أحيان كثيرة، وقد ذكرنا بعضاً منها في بحثه في موضوع الإعجاز العلمي في القرآن لاحقاً.

٤. «الدكتور محمد راتب النابلسي» (الداعية الإسلامي المعروف)، وقد ذكر في كتابه: «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة وآيات الله في الآفاق»: الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي<sup>(١)</sup>، وثبت عدم إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، مما يُظهر ويؤكد صدقه في ما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى في القرآن في كل مجالاته بما تتضمن من حقائق علمية وإعجازية، وهو دليل على عالمية الرسالة الإسلامية.

٥. «الدكتور عبد الله المصلح<sup>(٢)</sup>» (الرئيس السابق لهيئة الإعجاز العلمي للقرآن)، وقد قال: إن الكتابة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن

١. العلم التجريبي: العلوم التي تستنتج من التجريب والتطبيق، وتحدّد قوانينها وفائدتها.

٢. د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح: هو عالم دين مسلم، سعودي، ولد ونشأ في الرياض، التحق بمعهد إمام الدعوة بالرياض، ومنه نال الشهادة الثانوية، ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرج فيها عام ١٣٩١ هـ، وفي نفس العام عُين معيداً بكلية الشريعة، ثم أكمل الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود، ونال منها شهادة الماجستير والدكتوراه، ثم عمل عميداً لكلية الشريعة واللغة العربية في أباها عام ١٣٩٦ هـ، وتولّى رئاسة هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في مكة المكرمة.

والسنة غَدَت<sup>(١)</sup> ضرورةً مُلِحَّةً؛ حيث أمرنا الله سبحانه وتعالى بمخاطبة الناس بلسانهم<sup>(٢)</sup> وباللغة التي يفهمونها.

٦. «الدكتور سامي عامري»، وهو أكاديمي تونسي معروف، ومحاضر وباحث في الأديان المقارنة<sup>(٣)</sup> والمذاهب المعاصرة، وقد ذكر في كتابه: «العلم وحقائقه بين سلام القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل»، أن القول بإعجاز القرآن لخلُوه<sup>(٤)</sup> من الخطأ العلمي حقٌّ؛ لاقتضاء ظهور هذا الكتاب (القرآن) في عصر الجهل، وحديثه عن كثير من مظاهر الكون يعكس بعض جهالات<sup>(٥)</sup> الأمم الماضية في خبر الطبيعة، وقال أيضًا: إن الإعجاز العلمي أوسع من السبق العلمي، والاقتصار على السبق العلمي<sup>(٦)</sup> المحض<sup>(٧)</sup> في تعريف الإعجاز القرآني إجحاف<sup>(٨)</sup> في حق الخارقة العلمية في القرآن.

٧. «الدكتور محمد دودح<sup>(٩)</sup>» -رحمه الله-، وهو طبيب وباحث علمي في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، قال: لقد ادَّخَرَ<sup>(١٠)</sup> القرآن كثيرًا من الآيات

١. غدت: صارت.

٢. لسانهم: لغتهم وفهمهم.

٣. الأديان المقارنة: دراسة الشرائع السماوية، والنظر في التماثل والاختلافات.

٤. خلوه: عدم احتوائه أو فراغه.

٥. جهالات: من الجهل، وهو عدم المعرفة.

٦. السبق العلمي: إحراز الفضل في الإخبار بالحدث العلمي قبل الغير.

٧. المحض: الخالص الذي لا يخالطه شيء.

٨. إجحاف: إضرار بحقّه.

٩. الدكتور محمد إبراهيم دودح: طبيب أخصائي أمراض جلدية وتناسلية وعقم -زمالة دولية في العلاج بالليزر موسكو ١٩٩٣-، الباحث العلمي في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة، مُحاضِر في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في منطقة مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية، قدم العديد من الدراسات في موضوع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

١٠. ادخَرَ: احتفظ به لوقت الحاجة إليه.

للأجيال القادمة في عبارات معلومة الألفاظ، لكن الكيفيات<sup>(١)</sup> والحقائق لا تتجلى<sup>(٢)</sup> إلا حينها؛ إذ يقول الله في سورة ص: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٨٧)</sup> و﴿لَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾<sup>(٨٨)</sup>، فلكل نبي في القرآن زمنٌ يتحقق فيه، فإذا تجلى الحدث ماثلاً للعيان<sup>(٣)</sup> أشرقت المعاني، وتطابقت دلالات الألفاظ والتراكيب<sup>(٤)</sup> مع الحقائق، وهكذا تتجدد معجزة القرآن على طول الزمان، وقال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾<sup>(٦١)</sup> لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ<sup>(٦٧)</sup>، وقد نقل ابن كثير عن ابن عباس تفسير المستقر بقوله: لكل نبي حقيقة، أي: لكل خبر وقوع ولو بعد حين.

وقد أجاز<sup>(٥)</sup> التفسير العلمي للآيات الإمامان الجليلان «أبو حامد الغزالي» و«السيوطي» رحمهما الله، وأنزلوه منزلة التفسير المحتمل وليس الإعجاز القطعي، و«الإمام محمد عبده» و«الشيخ رشيد رضا» و«د. مصطفى محمود الداعية المصري المعروف» -رحمهم الله-، وغيرهم الكثير من العلماء.

### ج. أشهر المعارضين:

هناك عدد من العلماء المسلمين الذين يُعارضون فكرة وجود إعجاز علمي في القرآن، قائلين إنه ليس بكتاب علوم، فالعلم دائماً يتغير، والنظريات دائماً تتبدل وتُدَحِّص، وقد تُوجَدُ عدَّةُ تفسيراتٍ علمية لظاهرة طبيعية واحدة، فلا يمكن القول بصحة إحداها طيلة الزمن، وبالتالي فإن هذا النوع من التفسير

١. الكيفيات: أحوال الأشياء وصفتها في الفعل والعمل.

٢. تتجلى: تنكشف وتتضح وتبدو.

٣. للعيان: للمشاهد الذي يُبصر بعينه.

٤. التراكيب: الترابط للكلمات والألفاظ والجمل، بحيث يمكن فهمه ومعناه.

٥. أجاز: أباح.

العلمي الإعجازي قد يشكك في القرآن الكريم وفي مصداقيته ككلام مُنزَلٍ  
وموحى<sup>(١)</sup> من الله تعالى.

كما أدرج<sup>(٢)</sup> عددٌ من العلماء والمجالات العلمية المختصة الإعجازَ  
العلمي في القرآن ضمن المنهج الديني وليس المنهج العلمي، وعُدَّ خارجَ  
نطاق البحث العلمي، حيث يعتبرونه منهجًا يخالف المنهجية العلمية.

لقد تعرضتُ حركةُ ربط الدين بالعلوم الحديثة - التي يتبعها عدد من كتّاب  
الإعجاز العلمي - لانتقادات واسعة من قِبَل علماء وباحثين غربيين، معتبرين هذه  
المنهجية غيرَ موضوعية وغيرَ علمية، كما تمَّ إنكارُ بعض المعجزات التي يعتبرها  
المسلمون إعجازًا علميًا، مثل «انشقاق القمر»! حيث أنكَرَ علماء الفضاء في وكالة  
الفضاء الأمريكية (ناسا) وجودَ دليل علمي على حدوث انشقاقٍ في القمر، كما  
اعترضوا على معرفة سرعة الضوء من خلال بعض آيات القرآن الكريم.

كما تعرض كتابٌ ومنهج «د. موريس بوكاي» لانتقادات واسعة هو  
الآخر من قِبَل علماء وباحثين غربيين، معتبرين أن الكتاب غيرَ موضوعيٍّ  
وغير علميٍّ، ويناقض النظريات العلمية، ويحتوي على مغالطات<sup>(٣)</sup> في  
مواقع عدَّة، على سبيل المثال وجد عددٌ من الناقدِين أمثال الباحث «تانر  
إديس» و «د. وليام كامبل» أن المراجع والآيات القرآنية التي استند إليها  
«د. موريس بوكاي» ليثبت فيها «علم الأجنة» و «توسع الكون» و «الأكوان  
المتوازية<sup>(٤)</sup>» و «الكون المنظور<sup>(٥)</sup>» هي خاطئة، بينما وجد غيرُهم من العلماء  
والباحثين أن الكون يتوسع باطرادٍ، وأن خَلَقَ الإنسانَ يمرُّ بالأطوار التي  
ذُكرت في القرآن الكريم، بالمقابل أدرجتُ «مجلة سكبتك» المختصة بتعليم

١. موحى: منزل وملهم من عند الله تعالى.

٢. أدرج: أدخل، أو أضاف.

٣. مغالطات: مراوغات في الجدال، أو الاستدلالات الزائفة.

٤. الأكوان المتوازية: نظرية افتراضية أن هناك أكوانًا متعدّدة غير الكون الذي نعيش فيه.

٥. الكون المنظور: أي الكون المُشاهد، الذي يمكن رصْدُ نجومه.

العلوم، ومجالاتٌ علميةٌ أُخرى ما يتعلق بالإعجاز والمعجزات المنصوصِ عليها في المعتقدات أنها تخالف المنهجية العلمية، وقال آخرون من العلماء الغربيين إن القرآن الكريم يفتقر<sup>(١)</sup> إلى الوضوح.

كما رفض بعضُ العِلْمِيِّين فكرةَ الربط بين العلوم المجردة<sup>(٢)</sup> وبين ما قد يوجد في النصوص القرآنية، ومن الأمثلة التي يفسرها باحثو الإعجاز العلمي تفسيراً غير مُقنع: قصة الخلق في ستة أيام، والعرش على الماء... إلخ. حيث لا تتفق الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذه القصص بتاتاً مع النظريات العلمية الحديثة، وكذلك مع ما ذُكر في نفس الموضوع في آيات أُخرى، والتي حاول فقهاء الإعجاز العلمي الاستدلال<sup>(٣)</sup> بسبق القرآن لها، على سبيل المثال يقول القرآن في سورة هود: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾<sup>(٧)</sup>، ويقول القرآن في سورة فصلت: ﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۗ ﴾<sup>(٩)</sup> وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ۗ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۗ ﴾<sup>(١١)</sup> فَفَضَّضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۗ ﴾<sup>(١٢)</sup> فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۗ ﴾<sup>(١٣)</sup>.

ويقول المعارضون: إن القرآن (والكتب السماوية) تتحدث عن الفترة التي مرت بها عملية الخلق مُقدَّرةً بالأيام، وإذا ما حاول المفسرون نسبتهَا إلى اليوم الأرضيِّ فَمِنَ المعلوم أن الأرض لم تكن قد خلقت بعد لتكون مقياسًا

١. يفتقر: ينقصه.

٢. العلوم المجردة: هي العلوم التي تحاول فهم وصف المكونات الأساسية والقوى التي تحكم عالمنا، مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء.

٣. الاستدلال: هو عملية استخراج جواب أو نتيجة بناءً على معلومات معروفة مُسبقًا، وقد تكون صحيحة أو خاطئة.

زمنياً، وإذا حاول المفسرون اعتماد نُظْم القياس الحديثة - والتي تمّ بواسطتها تقييمُ عُمر الكون - فسيلاحظون أيضاً اختلافاً كبيراً؛ حيث إن الكون استغرق أكثر من ١٣ مليار سنة للوصول إلى ما وصل إليه حالياً، كما أن الماء والعرش<sup>(١)</sup> أيضاً - كما هو مُستَشَفُّ<sup>(٢)</sup> من الآية القرآنية (السالفة الذكر) - كانا موجودين قبل الخلق، وهذا يناقض تماماً التفسير العلمي لوجود الماء كمركب كيميائي نشأ بعد ملايين السنوات من بداية الانفجار الكبير<sup>(٣)</sup>.

ويتفق البعض الآخر من العلماء (وبعض رجال الدين من أهل الكتاب) وبعض المسلمين العلمانيين على أن السبب وراء بروز هذا المجال من التفسير يرجع إلى اكتشاف العالم الإسلامي الهُوَّة الساحقة<sup>(٤)</sup> بينه وبين الغرب في مجال العلوم خصوصاً، فتمت العودة إلى القرآن كوسيلة لاستعادة الثقة بالذات، والتعويض عن التأخر العلمي لدى المسلمين.

وقد رفض أيضاً الكثير من علماء التفسير المسلمين الكبار والثقات تقبل هذا النوع من العلوم رفضاً قاطعاً، ويرون أن الكثير من أساليب البحث في الإعجاز العلمي في القرآن ليس سوى نوعٍ من الترويج<sup>(٥)</sup> الديني إبان الحضارة الإسلامية، ومنهم:

١. «أبو الريحان البيروني<sup>(٦)</sup>» - رحمه الله - الذي وضع القرآن في تصنيف خاصّ به وحده، وقال إنه «لا يتدخل في شأن العلم، ولا

١. العرش: المقصود عرش الرحمن سبحانه، وهو غيب.

٢. مستشف: يفهم من تأمله، والإمعان به.

٣. الانفجار الكبير: وهذه نظرية سائدة لتفسير نشأة الكون، وأنه كان في الماضي حالة حارة شديدة الكثافة، فتمدد وانفجر، ثم تجمعت سحب عملاقة شكّلت المجرات.

٤. الهُوَّة الساحقة: يقصد بها البعد الشديد بين الثقافات العليا والدنيا.

٥. الترويج: نوع من التجميل للتسويق.

٦. أبو الرِّيحان مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ البِرونيّ: هو باحث مسلم كان رحّالة وفيلسوفاً وفلكياً وجغرافياً وجيولوجياً ورياضياتياً وكيميائياً وصيدلانياً ومؤرخاً ومترجماً. وصف بأنه من بين أعظم العقول التي عرفتها الثقافة الإسلامية، وقد قال بدوران الأرض حول محورها في كتابه: مفتاح علم الفلك، كما صنف كتباً تربو عن المائة والعشرين، (ت: ١٠٤٨ م).

يُخالطه<sup>(١)</sup>، ومن الأسباب التي جعلت البيروني وغيره من علماء عصره، ومن تَلاَهُم، يقولون بَعْدَم وجود إعجازِ علمي في القرآن، وهو وجود عدة تفسيرات علمية لظاهرة طبيعية واحدة، فالعلم دائماً يتغير، والنظريات دائماً تتبدل، واعتبر العديد من الباحثين والعلماء الإعجازَ العلمي ما هو إلا إعجازٌ لغويٌّ لا صلة له بالعلوم التطبيقية.

٢. «الدكتور مساعد الطيار<sup>(٢)</sup>»، حيث يقول: لو توصلنا إلى ظاهرة كونية على أنها حقيقة ثابتة، فإن ربطناها بالقرآن، وجعلنا لها تفسيراً من الآيات، فإن هذا جهد ظني<sup>(٣)</sup> بشري احتمالي، وهو كأي تفسير اجتهادي آخر، ومن ادَّعى أن قوله هو (إعجاز علمي) فقوله يدل على خطأ علمي في فهم التفسير.

٣. «البروفسور برويز أمير هودبوي»، وهو أستاذ الفيزياء في جامعة كاديدي عظم الباكستانية في إسلام آباد، حيث قال: إن أحد أهم أسباب تراجع مساهمة العالم الإسلامي في الإنجازات العلمية تمثل في تركيز علماء المسلمين على البحث في الدين والعبادة والصلاة والشريعة، والابتعاد عن البحث في العلوم الحديثة، ويقول البروفسور في كتابه «الإسلام والعلوم، أرثوذكسية دينية، ومعركة عقلانية»: إنه ينبغي على المسلمين تفهّم الحقيقة القائلة بأن القرآن الكريم هو منهجٌ دينيٌ وليس منهجاً علمياً، ويبيّن كيف أن الدولة والقائمين عليها

١. يُخالطه: يدخل فيه، بحيث لا يتمايز عنه.

٢. د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: ولد الشيخ عام ١٣٨٤هـ الموافق ١٩٦٥ ميلادي في محافظة الزلفي التابعة لمنطقة الرياض، وهو من العلماء المعاصرين وأستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود وكلية المعلمين بالرياض، وله العديد من المحاضرات والكتب في مجالات العقيدة ودراسات القرآن الكريم.

٣. جهد ظني: اجتهاد يحتمل الخطأ أو الصواب.

قد يشاركون في الترويح<sup>(١)</sup> - بحسن نية - لما قد يُدعى بالإعجاز العلمي في القرآن، مُشوّهين<sup>(٢)</sup> بذلك عَظَمَتَه.

٤. «الشيخ عبد الله بن جبرين<sup>(٣)</sup>»، حيث قال: اعلم أن هذه الأقوال [يقصد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم] هي تخرّصات<sup>(٤)</sup> ووهميات وقول في القرآن بغير علم، قال النبي ﷺ: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ<sup>(٥)</sup> مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار» (رواه الترمذي وأحمد)، وقال أيضاً: من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ، ولأجل ذلك كان السلف يتوقفون في ما لا يعلمون؛ لأن القول بلا علم ذنب كبير، عقوبته أغلظ<sup>(٦)</sup> من الشرك، فالقرآن أنزل لتلاوته والعمل به، لا لتطبّق عليه العمليات الحسابية، ولا لتعرّف به الحوادث المستقبلية، فالغيب لا يعلمه إلا الله.

٥. «الشيخ صالح الفوزان<sup>(٧)</sup>»، حيث قال: إن تفسير القرآن مُتَقَنٌّ ومضبوط، وله طُرُقٌ ذكرها أئمة التفسير لا يُفسَّرُ بغيرها، فالقرآن يفسر بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين<sup>(٨)</sup>، وباللغة التي نزل بها،

١. الترويح: التسويق بعد التجميل لتحفيز القبول.

٢. مشوّهين: تعمد لإلحاق ضرر أو جعل الأمر سيئاً.

٣. عبد الله بن حمد بن جبرين: من آل رشيد من قبيلة بني زيد، داعية سعودي وفقه إسلامي كبير، ومعروف، توفي بالرياض في ١٤٣٠هـ عن عمر يقارب ٧٧ سنة.

٤. تخرّصات: جمع تخرص، أي قال بالظن أو كذب، وهنا معناها تقديرات كاذبة.

٥. فليتبوأ: يأخذ مكانه، أو ينزل في مقام.

٦. أغلظ: أصعب وأشد.

٧. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان: فقيه وأستاذ جامعي سعودي، وهو عضو في هيئة كبار العلماء، وعضو في المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي، وعضو في لجنة الإشراف على الدعاة في الحج، إلى جانب عمله عضواً في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالملكة العربية السعودية، وأيضاً إمام وخطيب ومدرس في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود في العاصمة السعودية الرياض، كما أن له مشاركات منتظمة في المجالات العلمية على هيئة بحوث ودراسات ورسائل وفتاوى، جمع وطبع بعضها.

٨. التابعين: وهم من لاقوا الصحابة ولم يروا الرسول ﷺ.

هذه هي وجوه التفسير، أما من زاد على هذا فقد جاء بشيء لا أصل له، ولا يجوز تفسير القرآن بالرأي.

٦. «د. فيتالي غينزبورغ<sup>(١)</sup>» قال في كتابه: «About Science, Myself and Others» بالنسبة لي فإن الديانة التي تعتقد بـ «المعجزات» والعلم الزائف كـ «التنجيم<sup>(٢)</sup>»، متشابهان.

٧. ومن أبرز العلماء العرب والمسلمين المعاصرين الذين وقفوا ضد فكرة الإعجاز العلمي: شيخاً الأزهر، الشيخ «محمد حسين الذهبي<sup>(٣)</sup>»، والشيخ «محمود شتلوت<sup>(٤)</sup>»، وكذلك الدكتورة «عائشة عبد الرحمن<sup>(٥)</sup>»، والدكتور «شوقي ضيف الله<sup>(٦)</sup>» -رحمهم الله-، والباحث الدكتور «ألبرت حوراني<sup>(٧)</sup>»، وغيرهم من العلماء.

١. د. فيتالي لازريفيتش غينزبورغ: عالم فيزياء وفلكي روسي، كان عضواً في الأكاديمية الروسية للعلوم، ويعد أحد آباء القنبلة الهيدروجينية السوفيتية. حصل على دكتوراه في الفيزياء من جامعة موسكو سنة ١٩٤٢، عمل في مؤسسة لحل المشاكل الفيزيائية، وعضو في الأكاديمية الروسية للعلوم، نال العديد من الجوائز التقديرية العالمية، وجائزة نوبل في الفيزياء ٢٠٠٣ م (ت: ٢٠٠٩ م).

٢. التنجيم: سبق تفسيره، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية، وهو مبني على سحر وكهانة، ولا حقيقة له، وهو محرّم في الإسلام.

٣. د. محمد حسين الذهبي: وزير الأوقاف المصري الأسبق، ولد في مدينة مطوبس في محافظة كفر الشيخ، التحق بكلية الشريعة جامعة الأزهر وتخرج منها عام ١٩٣٩ م، وحصل على الدكتوراه بدرجة أستاذ في علوم القرآن عام ١٩٤٦ م، ودرس في الأزهر الشريف، وعمل أميناً لمجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٥ م، وله العديد من المؤلفات (قتل في ٧/٧/١٩٧٧ م).

٤. د. الشيخ محمود شتلوت: عالم إسلامي مصري جليل، نال إجازة العالمية سنة ١٩١٨ م، وعيّن مدرساً بالمعاهد، ثم بالقسم العالي، ثم مدرساً بأقسام التخصص، ثم وكيلاً لكلية الشريعة، ثم عضواً في جماعة كبار العلماء، ثم شيخاً للأزهر سنة ١٩٥٨ م، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦ م، وكان أول حامل للقب الإمام الأكبر، وله الكثير من المؤلفات (ت: ١٩٦٣ م).

٥. عائشة محمد علي عبد الرحمن: المعروفة ببنت الشاطي، مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهي أول امرأة تناهض الأزهر الشريف، ومن أوليات من اشتغلن بالصحافة في مصر وبالخصوص في جريدة الأهرام، وهي أول امرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل في الآداب والدراسات الإسلامية (ت: ١٩٩٨ م).

٦. أحمد شوقي عبد السلام ضيف: الشهير بشوقي ضيف، أديب وعالم لغوي مصري، والرئيس السابق لمجمع اللغة العربية المصري، ولد شوقي ضيف في يوم ١٣ يناير ١٩١٠ في قرية أولاد حمام في محافظة دمياط شمالي مصر، ويعد علامة من علامات الثقافة العربية، ألف عدداً من الكتب في مجالات الأدب العربي، وناقش قضاياها (ت: ٢٠٠٥ م).

٧. ألبرت حبيب حوراني: هو مؤرخ إنكليزي من أصل لبناني متخصص في تاريخ العرب والشرق الأوسط.

## د. أشهر المُحايدين:

المقصودُ الحيادُ الإيجابيُّ<sup>(١)</sup>، أي: إن هناك إعجازًا في القرآن الكريم؛ لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، ولكنهم لا يُقرُّون<sup>(٣)</sup> التنطُّع<sup>(٤)</sup> في التفسير والتأويل بغير علم في اللغة ومقاصد القرآن.

ويقف الكثير من علماء التفسير المسلمين وغير المسلمين موقفًا محايدًا، ولا يستطيعون الجزم<sup>(٥)</sup> بشرعية بعض علوم الإعجاز العلمي أو إنكار شرعيتها، أو بتأويل بعض الآيات على أنها من صور الإعجاز العلمي، إلا بدلائل علمية قاطعة، وتفسير للآيات القرآنية واضح أو قد يتضح في أوقات لاحقة، ومنهم:

١. «حمزة تزورتس<sup>(٥)</sup>» الداعية الإسلامي، حيث يقول: بأنه لا يجب فورًا ربط الآيات القرآنية بالمعلومات العلمية؛ لأن العلم متغيّر، وكتاب الله ثابت، لكن بنفس الوقت هو لا ينكر وصف الأجنة في القرآن، أو الأدلة التاريخية (الغيبية) فيه، ويتكلم فيه عن فلسفة الإسلام.

٢. الشيخ «مصطفى المراغي<sup>(٦)</sup>» شيخ الأزهر الأسبق -رحمه الله-، حيث يقول: يجب أن لا نَجُرَّ<sup>(٧)</sup> الآية على العلوم كي نفسرها، ولا

١. الحياد الإيجابي: هو حياد حقيقي دون انحياز لأي من الفريقين أو الفرق.

٢. يقرُّون: من الإقرار، وهو الموافقة والاعتراف.

٣. التنطُّع: التكلف.

٤. الجزم: القطع بأمر، والحسم والتأكيد بقوة.

٥. حمزة أندريس تزورتسيس: هو متحدث عام بريطاني وباحث في الإسلام من أصل يوناني، أسلم في عام ٢٠٠٢، ناظر ملحدين معروفين مثل لورنس كراوس، حاصل على ماجستير في الفلسفة.

٦. محمد مصطفى المراغي: عالم أزهري، وقاضٍ شرعي مصري، وله مؤلفات عديدة، شغل منصب شيخ الأزهر في الفترة من ١٩٢٨ حتى استقالته في ١٩٣٠ ثم تولى المشيخة مرة أخرى عام ١٩٣٥م، وحتى وفاته في ليلة ١٤ رمضان ١٣٦٤ هـ الموافق ٢٢ أغسطس ١٩٤٥.

٧. نجر: نسوق.

العلوم إلى الآية، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها.

٣. الشيخ «محمد متولي الشعراوي»<sup>(١)</sup> - رحمه الله -، حيث يقول في كتابه: «براءة التفسير والإعجاز العلمي في القرآن من الشكوك عليه»: إن محاولة ربط القرآن بالنظريات العلمية أخطر ما نواجهه؛ ذلك أن بعض العلماء في اندفاعهم في التفسير وفي محاولاتهم ربط القرآن بالتقدم العلمي، يندفعون<sup>(٢)</sup> في محاولة ربط كلام الله بنظريات علمية مكتشفة، يثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة، وهم في اندفاعهم هذا يتخذون خطوات متسرعة، ويحاولون إثبات القرآن بالعلم، والقرآن ليس في حاجة إلى العلم ليثبت، فالقرآن ليس كتاب علم طبيعة، ولكنه كتاب عبادة ومنهج بالدرجة الأولى، ولكن الله سبحانه وتعالى في علمه، علم أنه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب الكريم، سيأتي عدد من الناس، ويقولون انتهى عصر الإيمان، وبدأ عصر العلم؛ ولذلك وضع في قرآنه ما يعجز هؤلاء الناس ويثبت أن عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بينه القرآن في صورة كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرناً، ولم يكتشف العقل البشري معناها إلا في السنوات الماضية - خلال القرنين الأخيرين - مصداقاً للآية الكريمة في سورة فصلت: ﴿سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ٥٣﴾، ومن هنا فإن الله سبحانه قد أعلمنا أن هناك حقائق وآيات سيكشف<sup>(٣)</sup> عنها

١. محمد متولي الشعراوي: عالم دين ووزير أوقاف مصري سابق، ولد سنة ١٩١١م، يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث، وهو لغوي شهير، وله محاضرات وحلقات تلفزيونية شهيرة، وعضو بمجمع البحوث، عمل وزيراً للأوقاف المصرية ١٩٧٢-١٩٧٨م، ودرّس في جامعة الأزهر في مصر وجامعة أم القرى في مكة المكرمة، وجامعات الجزائر، وجامعة الملك عبدالعزيز في جدة، وله الكثير من المؤلفات، والرّد على المستشرقين، مُنح العديد من الجوائز، (ت: ١٩٩٨م).

٢. يندفعون: يقومون مهمة وهمية.

٣. سيكشف: سيرفع عنه ما يغطيه ويستره.

لكلِّ جِيلٍ<sup>(١)</sup>.. ولكن ليس معنى هذا أن نُحْمَل معاني القرآن أكثر مما يحتمل، وأن نتعامل معه على أساس أنه كتابٌ جاء يُنبئنا بعلوم الدنيا؛ فالقرآن لم يأت ليُعطينا أسرارَ علمِ الهندسة، أو علمِ الفلكِ، أو علمِ الفضاء.. إلى آخر هذا.

٤. الشيخ «محمد الغزالي»<sup>(٢)</sup> - رحمه الله-؛ حيث أكد أن القرآن يلفت النظر للكون ولمعارفه<sup>(٣)</sup>، لكنّه مع ذلك ليس كتاباً في العلوم الطبيعية، وأنَّ من المخاطرة ربُّطه بها، فقال: القرآن ليس كتاباً فنياً في علم من العلوم؛ فهو كتاب في هداية الإنسان - في المقام الأول -، ولكنَّ كلامه عن الكون والإنسان، يتفق مع العلم؛ لأن موضوع العلم هو الكون والإنسان. فوحدة الموضوع مُتَحَقِّقَةٌ<sup>(٤)</sup> بين القرآن والعلم.. أرى أنه يكفي القرآن إعجازاً علمياً، أنه وضع الإنسان في المناخ العلمي<sup>(٥)</sup>.. ولا أستطيع - مع هذا - أن أقول: إنَّ الكتابَ كتابٌ فنيٌّ وضعَ قوانين علمية؛ لأنه ليس هناك قوانين علمية إسلامية، وأخرى نصرانية... قوانين الكشْفِ العلميِّ واحدة؛ فلا يجوز التجاوز<sup>(٦)</sup> في التعبير، وليس لأحد أن يُورِّطَ الوحيَ الإلهيَّ في هذا.

١. جيل: هو مرحلة التعاقب الطبيعية من أب إلى ابن، ويعرف تقليدياً أنه متوسط الفترة الزمنية بين ولادة الأبناء والآباء، وتقدر مدته من ٢٠-٣٠ سنة، وقد تقصُر هذه المدّة مع العصر.

٢. معارف الكون: محتوياته بما فيه من مخلوقات.

٣. الشيخ محمد الغزالي: من أشهر المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث، وقد لد في محافظة البحيرة في مصر سنة ١٩١٧م، وقد ساه والده محمد الغزالي تيمناً بالإمام الفيلسوف الزاهد محمد الغزالي، تخرج من كلية أصول الدين في الأزهر ١٩٣٤م، ودرّس في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في الجزائر، وكذلك في قطر، والمملكة العربية السعودية، وقد حصل على الكثير من الجوائز تقديراً لجهوده العلمية وعلى جائزة الملك فيصل للعلوم الإسلامية، وله مؤلفات كثيرة في شتى المواضيع الإسلامية، لُقّب بأديب الدعوة، وكان من المدافعين عن اللغة العربية وتوفي عام ١٩٩٦م، ودفن في البقيع.

٤. متحققة: حاصلة.

٥. المناخ العلمي: الظروف والأحوال العلمية.

٦. التجاوز: التقدّم عليه، أو الخروج عنه.

٥. الدكتور «محمد سعيد البوطي»<sup>(١)</sup> - رحمه الله-، يقول في كتابه «روائع القرآن»: إذا رأيت مَنْ إذا تَلَا القرآنَ تأثَّرَ به قائلاً: إن هذا الكلام لا يمكن أن يصدرَ عن بشرٍ، فاعلم أنه يتفاعل<sup>(٢)</sup> مع هذا الوجه الأخير [ يريد به مظهر جلال الربوبية<sup>(٣)</sup> ]، ولا يتجلَّى الإعجازُ إلا لقلبٍ لم تخنقه أغشيةُ الكِبَرِ<sup>(٤)</sup> والعناد، والخصائص التي يهتدى من خلالها إلى أن القرآن كلامُ الله تعالى - كما أوردها وحيد الدين خان في كتابه «الإسلام يتحدَّى» - تؤكِّدُ عدمَ قَصْرِ وجوه الإعجاز في النظم والبيان، شريطة أن يكون المُنْطَلَقُ<sup>(٥)</sup> في كلِّ وجهٍ يحسب للإعجاز منطلقاً قرآنيّاً بَحْتًا، بحيث لا يضيف من خارج النص ما يسمح بالربط بما هو خارج النص من كشوف علمية حديثة وبين إشارات وتلميحات<sup>(٦)</sup> قرآنية.

٦. د. محمد باسل الطائي<sup>(٧)</sup>: يحرص الدكتور محمد باسل الطائي

١. د. محمد سعيد رمضان البوطي: عالم سوري متخصص في العلوم الإسلامية، ولد عام ١٩٢٨م، ومن المرجعيات الدينية الهامة على مستوى العالم الإسلامي، حظي باحترام كبير من قبل العديد من كبار العلماء في العالم الإسلامي، اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم في دورتها الثامنة عام ٢٠٠٤ ليكون «شخصية العالم الإسلامي»، باعتباره «شخصية جمعت تحقيق العلماء وشهرة الأعلام، وصاحب فكرٍ موسوعي»، واختاره المركز الإسلامي الملكي للدراسات الاستراتيجية في الأردن في المركز ٢٧ ضمن قائمة أكثر ٥٠٠ شخصية إسلامية تأثيراً في العالم لعام ٢٠١٢، ويُعتبر ممن يمثلون التوجه المحافظ على مذاهب أهل السنة الأربعة وعقيدة أهل السنة، وله الكثير من المحاضرات والبرامج التلفزيونية والمؤلفات، (ت ٢٠١٣م).

٢. يتفاعل: يتأثر بالحدث أو الأمر، فيصدر منه ردّ فعل ما.

٣. جلال الربوبية: أي: خُلُوُّ الرَّبِّ من الطبائع والصفات البشرية، وهو المتّصف سبحانه بصفات العظمة والوقار والكبرياء.

٤. أغشية الكِبَرِ: أغشية التكبّر، وهمم العظّمة.

٥. المنطلق: نقطة الانطلاق.

٦. تلميحات: إشارات.

٧. محمد باسل الطائي: ولد في الخامس من آذار عام ١٩٥٢م في الموصل بالعراق، وفيها تلقى تعليمه الأساسي والثانوي، ثم التحق عام ١٩٧٠م بجامعة الموصل.

حصل على بكالوريوس في الفيزياء عام ١٩٧٤م.

وحصل على الدبلوم العالي في الدراسات المتقدمة في الفيزياء النظرية، ببحث عنوانه (معادلة ديراك في الفضاء)، عام ١٩٧٥م، من جامعة مانشستر - المملكة المتحدة.

- وهو عالم فيزيائي عراقي معاصر - على اتباع المنهج العلمي في اتخاذ المواقف من ظواهر العالم ومن المجتمع ومشكلاته، وهو يحثُّ دومًا على ضرورة تجديد الفكر الإسلامي مبنياً على مصدره الأساسي وهو القرآن الذي نزل على الرسول محمد، مستعيناً بمعارف العلم الموثقة؛ لفهم الوحي ووضع تعاليمه موضع التطبيق.

وخصص الدكتور الطائي جزءاً من جهده لمتابعة أعمال العلماء والمفكرين العرب المسلمين ومساهماتهم في العلم والمعرفة، وجذبت اهتمامه على وجه الخصوص أعمال المتكلمين المسلمين في المسائل الطبيعية؛ حيث وجدهم قالوا بجملة من المبادئ الأساسية تتوافق تماماً مع منطلقات ومبادئ الفيزياء الحديثة المعاصرة، فصنف في هذه المبادئ كتاباً بعنوان (دقيق الكلام: الرؤية الإسلامية لفلسفة الطبيعة)، فوطاً لمشروع كبير هدف من خلاله بناء أرضية علمية وفلسفية للرؤية الإسلامية في الطبيعيات، لينتقل بعدها إلى النظر في أمور العقيدة، ويهذب علم الكلام القديم، ويضعه على أصول جديدة تتوافق مع تنزيه الله تعالى وجلال الوحي وحدود العقل.

وأشرف على رسالة دكتوراة نوعية بعنوان: (مدخل جديد لفلسفة العلوم الطبيعية من منظور إسلامي).

وألّف كتاباً عام ١٩٩٨م، اسمه «خلق الكون بين العلم والإيمان»، وهو سياحة في أرجاء الكون، تبتدى من الأرض لتعرج إلى أخواتها الكواكب الأخرى الدائرة حول الشمس الأم، والتي تؤوي بمجموعها المنظومة الشمسية، وبتبتدى بالتأسيس لمنهجية تُفهم بها آيات القرآن بإشاراتة العلمية، ثم يعرض صفات الأرض، والقمر، والشمس، والكواكب السيارة، والمجرات،

---

وحصل على دكتوراة في الفيزياء النسبية والكون، ببحث عنوانه (طاقة الفراغ وBEC في الكون أينشتاين)، عام ١٩٧٨م، من جامعة مانشستر - المملكة المتحدة، وناقش الكثير من رسائل الدكتوراة، وشغل مناصب كثيرة، آخرها: أستاذ في الفيزياء عام ٢٠٠٣م ونشر عددًا من الأبحاث العلمية في دوريات عالمية رصينة، وحاضر في جامعات وندوات عالمية، وله العديد من الفقرات التلفزيونية.

ويتطرق إلى مسألة خلق الكون في القرآن الكريم، ويقارنها بما توصلت إليه النظريات العلمية الحديثة.

وكذلك كتاب «دقيق الكلام الرؤية الإسلامية لفلسفة الطبيعة» في عام ٢٠١٠م حيث يعرض الكتاب المفاهيم الأساسية التي تداولها العلماء المسلمون، والمبادئ التي اتفقوا عليها في فهمهم للعالم الطبيعي، ويكشف عن أنهم أسسوا رؤيتهم على جملة مبادئ هي اليوم متفقتة إلى حد كبير مع مفاهيم الفيزياء الحديثة، ويرى أن هذه المبادئ تؤسس لفلسفة علم إسلامية جديدة متواصلة مع روح الفكر الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد عالج مسائل طبيعية معاصرة وفق منهج دقيق في كتاب صيرورة الكون (مدارج العلم، ومعارض الإيمان) في سنة ٢٠٠٩م، وبين أن هنالك ما يمكن أن تقدمه أمة الإسلام لخدمة الحضارة المعاصرة.

للدكتور الطائي اهتمام في أنشطة حوارات العلم والدين التي تقام عالمياً، فهو عضو في (المنتدى البريطاني للعلم والدين) Science and Religion Forum. . وقد أسهم في المؤتمرات السنوية التي عقدها هذا المنتدى، كما تم اختياره أكثر من مرة معقباً رئيسياً على عدد من أبحاث علماء رئيسيين مثل: كيث وارد وديفيد ولكنسون وروث غريغوري. كما أسهم في مؤتمرات جامعة أكسفورد التي عقدت حول هذا الموضوع. وقد نُشرت أبحاثه في هذه الأنشطة في كتب صدرت عن دور نشر مميزة.

ويختلف منهج الدكتور الطائي عن الأسلوب الذرائعي والوعظي السائد في وسط العاملين في هذا المجال، فهو يرى أن هنالك إشارات جديدة بالاهتمام تكشف عن دقة التعبير القرآني في ذكره للظواهر الطبيعية، لكن ليس بالضرورة أن يتفق القرآن مع المعروف من المعلوم الطبيعية دوماً؛ لأن هذه العلوم متغيرة والقرآن كلام الله الثابت، فالقرآن بالأساس كتاب هداية وشرعية وليس كتاباً في علم من العلوم المتخصصة.

وهو في ذلك لا يوافق الداعين إلى القطيعة التراثية، ولا يوافق المتأولين الذي يشتطون في تفسير الوحي، بل يرى أن في التراث مَعِينًا مُعِينًا مهمًّا للتواصل مع رسالة السماء؛ لكنه في الوقت نفسه يدعو إلى تجديد الطروحات التراثية من خلال عطاء جديد، فلا ينبغي التوقف عند حدود ما طرحه الغزالي أو ابن رشد أو الفخر الرازي أو ابن تيمية؛ إذ إن هؤلاء قدموا - مشكورين مأجورين - ما وسعهم وما تيسر لهم في عصورهم، أما الآن فبيننا وبينهم قرون مضت، تطورت خلالها معارفنا على نحو كبير، واتسعت معها رؤيتنا بما يمكننا من تقديم الجديد مع الاستئناس بالقديم والاستفادة منه حيثما أمكن.

وضمن هذا الإطار تأتي دعوته لتجديد علم الكلام؛ لأنه يجد أن منهجية الكلام التي تتخذ من تعاليم الوحي أساسًا لفهم العالم هي صائبة، على حين أن رؤى الكلاميين القديمة وحججهم - وخاصة في الأمور الإلهية - في أغلبها قد صارت قديمة، لا تصلح للتعامل معها اليوم.

ويؤكد الطائي على التعليم، وإشاعة الثقافة العلمية، وضرورة تعليم الأطفال طرائق التفكير العلمي المتقدم في جميع مناحي الحياة، وضرورة الفصل بين الإيمان الغيبي الذي هو تسليم أولًا وآخرًا، وبين الواقع العملي الذي يعتمد على العقل، مؤكدًا ضرورة تطوير إيماننا وفهمنا للغيب بالاستعانة بمعطيات العلم.

ويقول د. الطائي: إنه لا يمكننا مسابقة الغرب في هذا العصر بالعلوم الطبيعية والتكنولوجيا، فليس في جعبتنا مؤنة لذلك، لكن بإمكاننا أن نسهم في تطوير حياة الغرب والشرق من خلال تقويم رؤيتهم للقيم والعلاقة مع السماء؛ فإن الإسلام يمكننا من تقديم عطاء حضاري هائل في هذا الصدد، وفي جعبتنا الكثير من ميراث الإسلام وهداياته وتعاليمه السامية.

لكننا أولًا يجب أن نصلح حالنا وسلوكنا وفكرنا، ونتمسك بالقيم الإسلامية حقًّا التمسك شكلاً ومضمونًا، وأن لا نكتفي بأداء العبادات

فحسب، فتصوّر أن لزوم العبادة وحده يغني عن العمل! فالإيمان في الإسلام مقترن بالعمل، فإن فسد العمل بطل الإيمان، وأصبحنا في صنف الفاسقين المتخلفين .

#### ملاحظة:

جديرٌ بالذكر أنّ الدكتورة هند شلبي رحمها الله - وهي أستاذة مساعدة في كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين في تونس - في كتابها «التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات» صنّفت تحليلات العلماء في التفسير العلمي للقرآن إلى عدة مذاهب:

١. المعارضين مطلقاً، وهم ينقسمون إلى قسمين:

أ. مع عدم التحيز إلى العلم.

ب. مع التحيز إلى العلم.

٢. المؤيدين، وينقسمون إلى قسمين:

أ. المؤيدين مطلقاً.

ب. المؤيدين المحترزين.

٣. المعارضين المتحزبين.

٤. المثبتين المُستدلين.

وقد انتهت إلى الاستنتاج الذي ذكرناه في خاتمة هذا الكتاب.





## [٣] مقدرته

# عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة<sup>(١)</sup>:

تمهيد:

إن الكتابة في مجال الإعجاز العلمي (Science) في القرآن الكريم والسنة غدت<sup>(٢)</sup> ضرورةً مُلِحَّةً؛ حيث أمرنا الله سبحانه وتعالى بمخاطبة الناس بلسانهم، وباللغة التي يفهمونها.

ولا شك أن التطور العلمي الحديث قد ترك آثارًا على الفكر البشري لا تُنكر، وفرض نفسه على لغة التخاطب اليومية في مختلف أنحاء المعمورة<sup>(٣)</sup>. وحيث إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة وسيلة من وسائل الدعوة القوية والمؤثرة في هذا العصر، وأسلوب أخذ<sup>(٤)</sup> من أساليب التبليغ والبيان لدين الله عز وجل، لذا فقد أصبح أمرًا مهمًا جديرًا بالدراسة والبحث.

غير أن الكتابة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يجب أن تكون رصينة<sup>(٥)</sup> تخضع لضوابط معينة تقيها شرور الدُخلاء<sup>(٦)</sup> والمُلبِّسين<sup>(٧)</sup>

١. نقلت بتصريف عن كتاب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة وتاريخه وضوابطه، لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز المصلح، الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٢. غدت: أصبحت.

٣. المعمورة: الأرض التي نحيا عليها.

٤. أخذ: جذب.

٥. رصينة: محكمة ثابتة.

٦. الدُخلاء: الدُخيل: المنسوب إلى مجموعة وليس منها.

٧. الملبِّسين: الذين يخلطون الحق بالباطل.

من ذوي الأهواء والجهالة<sup>(١)</sup>، المُغَالِبِينَ في التفسير المادي لنصوص القرآن والسنة، أو المفتونين<sup>(٢)</sup> بمقولات الكفار وتصوّراتهم النظرية التي لا ترقى إلى المُسَلِّمَاتِ<sup>(٣)</sup> اليقينية، حتّى لا تخضع نصوص الكتاب والسنة للعلوم كي تُفسَّرَ بها، ولا تُجرَّ العلوم إلى النصوص<sup>(٤)</sup> لتحميلها ما لا تحتمله، ولكن إن اتَّفَقَ النصُّ مع حقيقة علمية ثابتة أظهرنا وجه الإعجاز وبيانه.

وبما أن كثيراً مما كُتِبَ عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة يُنْقِصُه التأصيل<sup>(٥)</sup> والالتزام بالقواعد والضوابط العلمية؛ فإن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - وهي هيئة متخصصة مركزها مكة المكرمة - تَضَعُ بين يدي الدارِسِينَ والباحثين هذا المَلَخَّصَ عن ضوابط الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهَّرة؛ حتى تكون الجهود المبذولة في البحث في هذا الجانب الحيوي المهمّ جهوداً مباركة، تقوم على أُسُسٍ علمية ومنهجية صحيحة، كما تقوم على تقوى الله في التعامل مع كتاب الله وآياته وسنة نبيه محمد ﷺ.

## أ. الإعجاز العلمي وتاريخه:

الحمد لله القائل في القرآن الكريم في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾<sup>(٦)</sup> ﴿٨٨﴾. فهو كتابٌ لا يأتيه الباطل<sup>(٧)</sup> من بين يديه ولا من خلفه<sup>(٨)</sup>،

١. الجهالة: عدم المعرفة.
٢. المفتونين: المعجبين بشدة دون فهم.
٣. المسلمات: المبادئ التي يُقرُّ الجميع بصدقها دون الحاجة إلى إثبات.
٤. النصوص: صيغ الكلام الأصلية وهي آيات القرآن الكريم.
٥. التأصيل: إرجاعه إلى أصله وأحكامه.
٦. ظهيراً: مُعيناً.
٧. الباطل: ما لا فائدة ولا ثبات له ولا خير فيه، والظلم والكذب والوهم...
٨. من بين يديه ولا من خلفه: لا يقدر أحد أن يزيد عليه أو أن ينقص منه.

أعجزَ البشرَ في بلاغته وأسلوبه وتشريعه وإخباره عن المُغيبات<sup>(١)</sup> الماضية والمستقبلية، وحقائقه العلمية التي أذعن<sup>(٢)</sup> لها العلماء، قال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾، وقال تعالى في سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ ﴿٣﴾ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾؛ لأن إعجاز القرآن الكريم وإقامته الحجة<sup>(٤)</sup> على الناس أمرٌ لا يحتاج إلى استدلال<sup>(٥)</sup>؛ لاعتراف الجميع به.

وقد تَبَّه المسلمون إلى أهمية الإعجاز في القرآن الكريم في وقتٍ مُبكرٍ، وأعطوه عنايتهم، وكانت بدايات تلك الاهتمامات مُنصَّبةً على الإعجاز البياني (البلاغي)؛ لأنه الأظهُر<sup>(٦)</sup> في إقامة الحجة زَمَن النبي صلى الله عليه وسلم، لِمَا كَانَ الْعَرَبُ يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ؛ ولذا كان القرآن الكريم في إقامته للحجة عليهم بمثابة الآيات الحسبية<sup>(٧)</sup> التي أعجزَ بها الأنبياء أقوامهم، يقول الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾، ويقول الرسول ﷺ - مبيِّنًا هذا المعنى - : «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ...» (رواه البخاري).

غير أن هذا الاهتمام (بالإعجاز القرآني) لم يكن في زمن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وإنما جاء بعد ذلك؛ لأسباب منها:

١. المغيبات: كل ما غاب وخصي عن الإنسان.
٢. أذعن: انقاد وخضع.
٣. الأفاق: جمع أفق، أي ما ظهر في السماء، وهنا أقطار السماوات والأرض.
٤. الحجة: الدليل والبرهان.
٥. استدلال: بحث عقلي منظم لبلوغ حقيقة مجهولة.
٦. الأظهر: الأوضح بيانًا وكشفًا.
٧. الآيات الحسبية: الآيات القرآنية التي تُتلى، والدلائل التي تُرى وتُسمع وتُحسُّ.

١. لمُشاهدتهم عَجَزَ الخصوم عن المعارضة<sup>(١)</sup>، وإذعانهم<sup>(٢)</sup> لتصديق القرآن الكريم، ثم انتهاء المعارضين بإسلام أهل الجزيرة العربية.

٢. لانشغالهم رضي الله عنهم بالدعوة والجهاد.

٣. لبُعدهم عن القضايا الجدليَّة الشائكة<sup>(٣)</sup> التي لا يبني عليها عملٌ.

ولمَّا وقعت الفتوحاتُ الإسلامية، ودخلت أُمَّمٌ جديدة في الإسلام، كالفُرس والرومان، وكانت لها حضاراتُها التي نَقَلُوا بعضَها إلى الثقافة الإسلامية، ثم تُوَسَّعَ في ذلك حتى تُرجمت كتبُهم إلى العربية، ودخلت مُصطلحاتهم إلى تراثنا الإسلامي، فتصدَّى<sup>(٤)</sup> لهذا الوافد<sup>(٥)</sup> الجديد بعضُ العلماء بالفرض وعدم القبول باديء الأمر.

إلا أن قوة هذا الاتجاه، ودَعَمَ السُّلْطَة، وظهور علماء مؤمنين به، مَكَّنَ له حتى أصبح فيما بعدُ اتجاهًا عامًّا.

يقول الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله - وهو فقيه وعالم موريتاني معروف، توفي في مكة عام ١٩٧٤ م - في هذا الصَّدَد: «في أيام المأمون - الخليفة العباسي - كانت جميعُ المؤلفات توجدُ فيها عباراتٌ واصطلاحاتٌ منطقيَّةٌ، لا يفهمها إلا مَنْ له إلمامٌ<sup>(٦)</sup> بها، ولا يفهم الردَّ على المنطقيين فيما جاؤوا به من الباطل إلا مَنْ له إلمامٌ بفنِّ المنطق...»، ثم قال: «ولا شكَّ أنَّ المنطق لو لم يُترجم إلى العربية، ولم يتعلمه المسلمون، لكان دينُهم وعقيدتهم في غنى عنه، كما استغنى عنه سَلَفُهُم الصالحُ، ولكنه لما تُرجم وتُعلِّم... كان

١. المعارضة: المخالفة.

٢. إذعانهم: انقيادهم وخضوعهم.

٣. الشائكة: العسيرة، الصعبة، المعقدة.

٤. تصدى: واجه ودافع.

٥. الوافد: القادم.

٦. إلمام: معرفة وفهم.

ينبغي لعلماء المسلمين أن يتمعنوا<sup>(١)</sup> وينظروا فيه؛ ليردوا حُجَجَ المُبْطِلِينَ<sup>(٢)</sup> بجنس ما استدلووا به». فلذلك قَبِلَ العلماء هذه المصطلحات، واستعملوها بَعْدَ أَنْ نَقَّحُوهَا<sup>(٣)</sup> مما يخالف المعتقدات الشرعية.

أما المصطلحات التي لم تكن معروفة من قَبْلُ - سواءً منها ما يتعلق بالعقائد والأصول<sup>(٤)</sup> أو التفسير أو النحو أو البلاغة... - فهي أَخْفُ من ذلك، بل عَدَتْ سِمَةً<sup>(٥)</sup> بارزة من سمات التجديد والإبداع الثقافي في حضارتنا الإسلامية الواقعية؛ وذلك لعدم مخالفتها أصول الشَّرْعِ ومقاصده ولُغَتَهُ العربية، ومن تلك المصطلحات الكثيرة المُسْتَجَدَّة مصطلح (الإعجاز).

ب. الألفاظ المرادفة<sup>(٦)</sup> لهذا المصطلح (الإعجاز):

رَغِمَ قُرْبِ مصطلح «الإعجاز» - الدَّالُّ على الأمر الخارقِ المَقْرُونِ<sup>(٧)</sup> بالتَّحْدِي، السالم عن المعارضة - إلى الذَّهْنِ، إلَّا أَنِّي لم أجد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ دالًّا على هذا المعنى، وما وجدته من مادة (عجز) في القرآن والسنة لم أر فيه ما يدلُّ على هذا المصطلح. أما الألفاظُ المستخدمة قرآنيًّا في الدلالة على هذا المعنى فهي: (الآية، البيِّنة، البرهان، السلطان)، وإليك بيانها مُرتَبَةً:

يقول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: «يقول تعالى إخبارًا عن المشركين:

١. يتمعنوا: يدققوا وينظروا فيه بدراسة وتمهل وتدبر.

٢. المبطلين: المفسدين.

٣. نقحوها: صححوها.

٤. الأصول: من الأصل، أي: المبدأ الأساس الذي يبني الشيء عليه.

٥. سمة: علامة.

٦. المرادفة: المطابقة لغيرها في المعنى.

٧. المقرون: المرتبط.

إنهم أقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم، أي: حلفوا أيمانًا مؤكدة<sup>(١)</sup> (لئن جاءتهم آية) أي: خارقة<sup>(٢)</sup> من خوارق الطبيعة (ليؤمنن بها)).

ويقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾<sup>(٥٩)</sup>، يقول ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى: وما منَعنا - يا محمد - أن نرسل بالآيات التي سألها قومك إلا أن كان من قبلهم من الأمم المُكذِّبة سألوا ذلك مثل سؤالهم، فلما أتاهم ما سألوا منه كذبوا رُسُلهم، فلم يصدّقوا - مع مجيء الآيات - فعوجّلوا بالعذاب، فلم نرسل إلى قومك بالآيات لأننا لو أرسلنا بها اليوم فكذبوا بها سلكنّا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلهم».

وكذلك الحال بالنسبة لـ «البيّنة» كما في قوله تعالى في سورة هود: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥٣)</sup>، حيث يقول ابن جرير في تفسيرها: «قال قوم عادٍ لسيدنا هود عليه السلام: يا هود، ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقوم فنسلم لك ونقرّ بأنك صادق فيما تدعوننا إليه من التوحيد والإقرار<sup>(٣)</sup> بنبوتك».

فلاحظ أنه فسرها بـ «البرهان»: كما في قوله تعالى مخاطبًا رسوله موسى عليه السلام في سورة القصص: ﴿أَسْأَلُكَ<sup>(٤)</sup> يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ<sup>(٥)</sup> فَذَنبَكَ بُرْهَانًا مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾<sup>(٣٢)</sup>، قال مجاهد والسُّدِّيُّ رحمهما الله: «هي إشارة إلى العصا واليد...»، ويقول ابن عطية في تفسيره: «حُجَّتَانِ وَمُعْجَزَتَانِ».

١. أيمانًا مؤكدة: الحلف بشيء عظيم.

٢. خارقة: كل ما خرج عن العادة وجاوز قدرة الإنسان أو طبيعة المخلوقات.

٣. الإقرار: الاعتراف والخضوع.

٤. اسلك: أدخل.

٥. الرهب: من الترهيب، أي: التخويف.

أما «السلطان» فقد جاء في قوله تعالى حاكياً عن الأمم السالفة قولها  
 لأنبيائها عليهم السلام في سورة إبراهيم: ﴿... قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا  
 تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾، يقول  
 القرطبي: «أي: بحجة ظاهرة، وكان هذا مُحالاً منهم، فإن الرسل ما دعوا إلا  
 ومعهم المعجزات».

الخلاصة: إن إطلاق «المعجزة والإعجاز» مصطلحٌ شائعٌ وصحيحٌ وفق  
 ما يأتي:

١. كان من الأولى أن يُوضَعَ لهذا المعنى واحدٌ من تلك الألفاظ الواردة  
 في القرآن كمصطلحٍ دالٍّ عليه.
٢. إن معجزة رسولِ الله ﷺ خالدةٌ ومتجددةٌ، بخلاف المعجزات السابقة  
 التي كانت تنتهي بانتقال أولئك الأنبياء عليهم السلام إلى جوار ربهم.
٣. إنَّ معنى هذا المصطلح الذي هو «الإعجاز» مُسَلَّمٌ اتفاقاً<sup>(١)</sup>، وهو  
 عجز العرب وغيرهم عن الإتيان بمثلِ سورةٍ من القرآن.
٤. صحة التعبير بهذا المصطلح من الناحية الشرعية واللغوية؛ لأصالته  
 وقوة دلالاته على المعنى المراد، بل إن أصل المادة «عجز» ورد في  
 القرآن الكريم في أكثر من موطن<sup>(٢)</sup>.

٥. استخدام علماء المسلمين عبّر التاريخ الإسلامي لهذا المصطلح  
 وأمثاله من المصطلحات الشائعة من غير تكبير<sup>(٣)</sup> أو مُشاحّة<sup>(٤)</sup>،  
 بل وتقديم تلك المصطلحات المتعارف عليها على غيرها عند

١. مسلم اتفاقاً: بديهي لا يحتاج إلى إقناع باتفاق جميع العلماء.

٢. موطن: بلد أو مكان.

٣. تكبير: جحود.

٤. مشاحّة: مناقشة أو جدل.

التعارض؛ لأنها أصبحت حقائق عُرْفِيَّةً، مع أنها لم تكن معروفةً في عصر الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

٦. أنه يلزم من نقض هذه المصطلحات وإعادة بنائها - على فَرَضِ تسليم إمكان ذلك - الوقوع في الحرج والفوضى؛ لاستقرار هذه المصطلحات في التراث الإسلامي وفي أذهان العلماء والمثقفين.

٧. إن علماءنا رحمهم الله كانوا واقعيين حيث وضعوا هذه المصطلحات لِمَا اسْتَجَدَّ<sup>(١)</sup> في الثقافة الإسلامية في زمنهم، ووضعوا لها شروطاً وضوابطاً لتدلّ على المراد منها من غير مُعَارَضَةٍ لأصلٍ آخر، فهل استطعنا أن نفعل ذلك لِمَا جَدَّ في حياتنا الثقافية اليوم رَغْمَ كثرة الجامعات والمَجَامِع اللغوية<sup>(٢)</sup> ومراكز البحوث واستخدامات الحاسب الآلي المتطورة؟ أم لا زلنا عاجزين عن ذلك؟! مما يجعل بعض المثقفين والدارسين يبحثون عن مصطلح يناسب بعض المصطلحات الأجنبية الوافدة فيَعَزَّ<sup>(٣)</sup> عليهم وُجُودُه؟ ولا شك أن لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية قادرةٌ على استيعاب ذلك، كما قال حافظ إبراهيم رحمه الله على لسان اللغة العربية:

وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً      وَمَا ضِيقَتْ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ  
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ      وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتٍ  
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدَّرُّ كَامِنٌ<sup>(٤)</sup>      فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَّ عَنْ صَدَفَاتِي

١. استجد: نشأ حديثاً جديداً.

٢. المجمع اللغوية: المؤسسات والمراجع التي تحافظ على اللغة وتواكب التطور اللغوي.

٣. يعز عليهم: يصعب ويشق عليهم.

٤. الدر كامن: اللؤلؤ والجواهر المختلفة الموجودة داخله.

٨. وأخيراً، فأيّما كان الحديثُ أو المتحدّثُ - من مثل ما سبق -، فإنّ هناك حقيقةً تحتفظ لنفسها بحقّ البقاء، ألا وهي: إن أيّ لفظةٍ لغوية - تحقّق المعنى الذي تؤدّيهِ في استعمالها - حقّ يسوغ<sup>(١)</sup> لأيّ إنسانٍ أن يستعملها في أيّ عصر وفي أيّ زمان، لا يضيّرُه<sup>(٢)</sup> ولا يضيّرُها أن يستوفي استعمالها سابقٌ ولا لاحقٌ، أو تخصص كرمز أو مصطلح عند صاحب فنٍّ أو صاحب علم، فكما كان اللفظُ حقّاً شائعاً مباحاً لهؤلاء وغيرهم، فإنه سيظلُّ مكتسباً<sup>(٣)</sup> مُتّسعاً لكلِّ طالبٍ أو راغب، بشرط أن يُؤدّي رسالته في إطار المعنى المراد، وإذا كانت بعضُ الألفاظ غير العربية وردت في القرآن في بعض آياته - وهو الكتاب العربي المبيّن - ألا يُعدُّ ذلك أصلاً دالّاً على أن تعريب الألفاظ واستخداماتها بوضوح في الدلالة على المراد منها يُكسِبُ الكلمة الفصاحة<sup>(٤)</sup> والبيان.. وهل يسوغ بعد هذا الاعتراض على استخدام مصطلح دالٍّ على معناه بوضع التخاطب<sup>(٥)</sup>! إن الأمر سهل ولا يحتاج إلى هذا التكلّف<sup>(٦)</sup> والله أعلم.

### ج. تعريف الحقيقة العلمية وشروطها:

الحقيقة: مفرد، وجمعها حقائق، نقول: حقّ الأمرُ حقّاً وحقوقاً إذا صار حقّاً ثابتاً. (النهاية في غريب الحديث)

والحقُّ: نقيضُ الباطل، والشيءُ المُتَحَقِّقُ وجوده، وأصله: المطابَقة.

(لسان العرب)

١. يسوغ: يجوز.

٢. لا يضيّره: لا يصبّيه ضرر منه.

٣. مكتسباً: ما اكتسب وحصل عن طريق العمل.

٤. الفصاحة: سلامة الألفاظ مع إجادة التكلّم والتأثير والإقناع.

٥. التخاطب: التحدّث.

٦. التكلّف: التصنُّع والتظاهر.

وعَرَّفَهَا الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِي بِقَوْلِهِ: الْحَقِيقَةُ تُسْتَعْمَلُ تَارَةً فِي الشَّيْءِ الَّذِي لَهُ ثَبَاتٌ وَوُجُودٌ. (المفردات، للراغب الأصفهاني)

أَوْ هِيَ الشَّيْءُ الثَّابِتُ قَطْعًا وَيَقِينًا. (لسان العرب)، والتاء فيها للتأنيث.  
أما العلمية: فهي صفة للحقيقة، والعلم نقيض الجهل. (التعريفات، للجرجاني)

وتعريف العلم في الاصطلاح: المفهوم الذي تجاوزَ المراحلَ الفرضيةَ والدراساتِ النظريةَ، حتى أصبح ثابتًا مُجمَعًا عليه من قِبَلِ كَافَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُخْتَصِّينَ، كَتَمَدُّدِ الْمَعَادِنِ بِالْحَرَارَةِ، وَأَنْكِمَاشِهَا بِالْبُرُودَةِ، وَتَبَخُّرِ الْمَاءِ عِنْدَ دَرَجَةِ مِئْوِيَةٍ تَحْتَ الضَّغْطِ الْجَوِيِّ الْعَادِيِّ، وَتَجَمُّدِهِ عِنْدَ دَرَجَةِ الصُّفْرِ الْمِئْوِيِّ.

#### د. تعريف الفرض والنظرية:

الفرض: هو تخمينٌ واستنتاجٌ ذكيٌّ، يَصُوغُهُ وَيَتَبَنَّاهُ الْبَاحِثُ مُؤَقَّتًا؛ لِشَرْحِ بَعْضِ مَا يَلَاحِظُهُ مِنَ الْحَقَائِقِ وَالظُّوَاهِرِ<sup>(١)</sup>.

والنظرية: توضيحُ علاقةِ الأثر<sup>(٢)</sup> والسبب<sup>(٣)</sup> بين المتغيّرات؛ وذلك لشرح ظواهرٍ مُعَيَّنَةٍ.

والنظرياتُ مراتبٌ بحسبِ قُرْبِهَا وَبُعْدِهَا مِنَ الْحَقَائِقِ، وَأَقْوَى النُّظَرِيَّاتِ هِيَ تِلْكَ الَّتِي تُقَدِّمُ شَرْحًا أَكْثَرَ مَنْطِقِيَّةً لِتِلْكَ الْمَلَاخِظَاتِ (أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر).

#### هـ. الضوابط الاسترشادية للباحثين لاستخراج وجه الإعجاز العلمي:

إِنَّ الْمَرَادَ بِهَذِهِ الضُّوَابِطِ تِلْكَ الْقَوَاعِدَ الَّتِي تُحَدِّدُ مَسَارَ بَحْوثِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ، وَفُقُ الْأَصُولِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَقْرُورَةِ، مَعَ الْإِلْتِمَازِ بِالْجَوَانِبِ الْفَنِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ الْمَطْلُوبَةِ.

١. الظواهر: الملاحظ للعيان الذي يمكن وصفه وإيضاحه على أساس علمي.

٢. الأثر: العلامة المتبقية من فعل أو عمل ما.

٣. السبب: ما يؤدي إلى حدوث أمر أو نتيجة، أو ما يتوصل به إلى غيره.

وتكْمُنُ أهميَّةُ هذه الضوابطِ في كونها منَاطٌ<sup>(١)</sup> استرشادٍ للباحثين في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وخصوصاً في هذا الوقت الذي كَثُرَ فيه إقبالُ الباحثين والكاتبين على هذه الموضوع لأهميته في الدعوة والإقناع؛ وذلك لِتَمَيُّزِ هذا العصر بالعلم ومُكْتَشَفَاتِهِ، حتى أصبح العلمُ سِمَةً<sup>(٢)</sup> من سِمَاتِهِ.

وهذا الاهتمامُ - دونَ سيرٍ على ضوابطٍ واضحةٍ - أوجَدَ مَزَالَقَ<sup>(٣)</sup> كثيرةً حتى عند بعض المخلصين!

وإسهامًا في علاج ذلك جاءت هذه الضوابط علَّها تكون مانعًا من الوقوع في تلك الأخطاء، وحافظًا للكتابة في هذا الموضوع الحيوي.

والتزامُ هذه الضوابط يساعد كذلك على إنهاء الخلاف الفكري بين المؤيدين لموضوع الإعجاز العلمي والمعارضين له؛ لأنَّ جَوْهَرَ الخلافِ بينهم يرجع سببُهُ إلى تلك المظاهر الارتجالية<sup>(٤)</sup> التي لا يَصْدُرُ أصحابُها عن منهج صحيح.

ونُلخِّصُ هذه الضوابطَ الاسترشادية للباحثين في الإعجاز العلمي كما يلي<sup>(٥)</sup>:

١. ثبوتُ النَّصِّ وصحَّتُهُ إن كان حديثًا، فالقرآن متواتر<sup>(٦)</sup>، فهو قطعيُّ الثبوت، أمَّا الحديث الشريف فبعض الأحاديث حُكِمَ عليها بالضعف.

١. مناط: موضع التعليق، أو علة الأمر.

٢. سمة: علامة يُعرَف بها.

٣. مزالق: مواضع لا تثبت فيها الأقدام.

٤. الارتجالية: تحدث شفويًا من الذاكرة دون تحضير أو تحقيق.

٥. الضوابط: ما ينظم من المبادئ أو القواعد التي تُحدد نظام معين.

٦. التواتر: رواية جمع عن جمع يؤمّن تواطؤهم على الكذب، والتواتر يفيد القطع.

٢. ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتاً قاطعاً، وتوثيق<sup>(١)</sup> ذلك توثيقاً علمياً، لتُصبح مُتجاوزة<sup>(٢)</sup> مرحلة الفرض والنظرية إلى القانون العلمي.
٣. وجود الإشارة الحقيقية العلمية في النص القرآني أو الحديثي<sup>(٣)</sup> بشكل واضح لا مَرِيَّة<sup>(٤)</sup> فيه.

فإذا تمَّ ذلك أمكَّنت دراسة القضية لاستخراج وجه الإعجاز:

ويجب في أثناء تلك الدراسة مراعاة الضوابط التالية:

١. جمع النصوص القرآنية أو الحديثية<sup>(٥)</sup> المتعلقة بالموضوع؛ لنخرج بنتيجة صحيحة لا يعارضها شيء من تلك النصوص.
٢. جمع القراءات<sup>(٦)</sup> الصحيحة المتعلقة بالموضوع إن وُجدت، وكذلك روايات الحديث بألفاظها المختلفة.
٣. معرفة ما يتعلق بالموضوع، من سبب نزول<sup>(٧)</sup>، ونسخ<sup>(٧)</sup>، وهل يوجد شيء من ذلك أو لا؟
٤. محاولة فهم النصِّ الواقع تحت الدراسة على وفق فهم<sup>(٨)</sup> العرب إبان نزول الوحي؛ وذلك لتغيُّر دلالات<sup>(٩)</sup> الألفاظ حسب مرور الوقت؛

١. توثيق: تسجيل المعلومات حسب طرق علمية متفق عليها.

٢. متجاوزة: متخطية، أي: لم يعد معمولاً بها، أو تخرج عن المؤلف.

٣. الحديثي: من أحاديث وكلام الرسول ﷺ.

٤. مرية: جدال أو شك.

٥. الحديثية: من نصوص أحاديث وكلام الرسول ﷺ.

٦. نسخ: إزالة لفظ أو كلام أو آية فيها حكم.

٧. القراءات: وهي جمع قراء، والمقصود بها اللهجات التي قرئ بها القرآن في عهد الرسول ﷺ.

٨. فهم: ما هو مستنبط ومفهوم ومُدرك من الكلام.

٩. دلالات: إشارات وعلامات واضحة، وهي تستخدم في العلم المختص بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والسياقات.

ولهذا يقتضي الأمرُ الإلمامَ بمسائل تُعِينُ على فهمِ النصِّ، والتمكُّن من تقديم معنَى على آخر، وهي كالتالي:

أ. إن النصَّ مُقدِّمٌ على الظاهر<sup>(١)</sup>، والظاهر مُقدِّمٌ على المؤول<sup>(٢)</sup>.

ب. إن المنطق<sup>(٣)</sup> مُقدِّمٌ على المفهوم<sup>(٤)</sup>، والمفاهيم بعضها مُقدِّمٌ على الآخر كذلك.

ج. أن يخضع في تناوله للنص لقاعدة: ( العام والخاص، والمُطلق والمقيّد، والمُجمل<sup>(٥)</sup> والمُبيّن )، وأن العموم مُقدِّمٌ على المخصوص، والإطلاق مُقدِّمٌ على التقيّد، والإفراد على الاشتراك<sup>(٦)</sup>، والتأصيل<sup>(٧)</sup> على الزيادة، والترتيب على التقديم، والتأخير والتأسيس<sup>(٨)</sup> على التأكيد<sup>(٩)</sup>، والبقاء على النسخ، والحقيقة الشرعية على العرفية<sup>(١٠)</sup>، والعرفية على اللغوية.

د. مراعاة السياق<sup>(١١)</sup>، وعدم اجتزاء النصِّ عما قبله وما بعده.

هـ. مراعاة قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب<sup>(١٢)</sup>.

١. الظاهر: كما يبدو للناظر أو القارئ.

٢. المؤول: المُفسَّر.

٣. المنطق: صور التفكير وطرق الاستدلال الصحيح التي تُبعدُ الذهنَ عن الخطأ.

٤. المفهوم: شيء يفهم من خلال العقل وليس بالحواس.

٥. المجمل: الموجز من الكلام.

٦. الاشتراك: لفظ يشترط بين معنيين.

٧. التأصيل: الصيغ اللغوية من أول نشأتها، مع تحديد تطوراتها لاحقاً.

٨. التأسيس: إقامة الشيء على أساس معقول.

٩. التأكيد: جعل الشيء مُتحققاً بعيداً عن الاحتمال والتأويل.

١٠. العرفية: ما اتفق عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم واستقرَّ من جيل إلى جيل.

١١. السياق: سرد الكلام.

١٢. السبب: ما يؤدي إلى حدوث أمر أو نتيجة أو علة حول أمور معينة.

- و. معرفة معاني الحروف، وخروج الحرف أو الجملة عن معناه.
- ز. مراعاة أوجه الإعراب، وعدم القول بتوجيه لا يسانده إعرابٌ صحيحٌ أو قرينة<sup>(١)</sup> أخرى.
- ح. إن المشترك<sup>(٢)</sup> اللفظي يُمكن حمله على واحد من معانيه دون نفي الآخر أو القطع بأن هذا الصواب وحده دون قرينة.
٥. إظهار وجه الإعجاز: فإذا تمَّ ذلك لم يبقَ على الباحث سوى أن يظهر الربط بين الحقيقة الشرعية والعلمية بأسلوب واضح مختصر.
٦. إن هناك أمورًا من قبيل المُتشابه<sup>(٣)</sup>، لا مجال لتناولها بالبحث.
٧. عدم البحث في الأمور الغيبية<sup>(٤)</sup>، كموعِد قيام الساعة، وبداية الخلق، والجنة والنار.
٨. عدم الاعتماد على ما يسمَّى الإسرائيليات<sup>(٥)</sup>، أو الروايات الضعيفة.
٩. الاعتماد على المصادر المعتبرة في ذلك دون غيرها، كأُمَمَاتِ التفسير والحديث وكتبِ غريب القرآن والسنة، مع الإشارة إلى جهود الدراسات السابقة إن وُجدت.
١٠. الابتعاد عن تسفيه<sup>(٦)</sup> آراء السلف من علماء التفسير والحديث، أو رميهم بالجهل؛ لأن القرآن والسنة خطابٌ للبشرية في كل عصر، والكل يفهم منها بقدر ما يفتح الله عليه، وبحسب ما يبذله من جهد،

١. قرينة: ما يرافق الكلام ويدل عليه.

٢. المشترك اللفظي: الألفاظ التي تشترك في بعض المعاني والتأويلات.

٣. المُتشابه: النص القرآني الذي يحتمل عدة معاني، ويقابله المحكم.

٤. الأمور الغيبية: الأمور التي تغيب وتحفى عن الإنسان.

٥. الإسرائيليات: الأحاديث المكذوبة التي وضعها بنو إسرائيل زورًا.

٦. تسفيه: الحكم على الأمر بأنه لا قيمة له.

وما هو متوفّرٌ لديه من وسائل، ولن يحيط بفهم الوحي أهل عصرٍ إلى قيام الساعة، فلا مجال للتسفيه والتجهيل<sup>(١)</sup>، وإنما هي الاستفادة والتكميل<sup>(٢)</sup> والدعاء لمن تقدّم منهم، قال تعالى في سورة الحشر:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا<sup>(٣)</sup> لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

بل الواجب اتباع واحترام فهم السلف رضي الله عنهم، وخصوصاً الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصّوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصالح، لا سيّما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، وعبد الله بن عباس، وابن مسعود... رضي الله عنهم، فهم العُدّة<sup>(٤)</sup> والعُدول<sup>(٥)</sup> بخبر الله تعالى، وعنهم أخذ التابعون، وعلى نهجهم ساروا، فمن عدل عن تفسيرهم إلى ما يخالفه كان مُخطئاً، بل ومُبتدعاً؛ لأنهم كانوا أعلم بتفسير كتاب الله من غيرهم، وأورع وأتقى.

١١. ينبغي أن تُحصّر الدراسة فيما تمكن القدرة عليه، فالأفراد يمكن أن يُصدروا وبحوثهم في ما يتعلق بالاكشافات في ما هو خاضع لتجاربهم المخبرية ليصلوا من خلال ذلك إلى الحق، وللجامعات والمراكز والدول مجالات أكثر وأكبر.

١٢. ينبغي أن يعلم الباحث في هذا المجال أن كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ صدق وحق، ولا يمكن بحال أن يخالف حقيقة

١. التجهيل: الحكم بالجهل.

٢. التكميل: إتمام الأجزاء.

٣. غلاً: حقداً كامناً.

٤. العدة: الجماعة المستعدة المتأهبة دائماً.

٥. العدول: جماعة مُتّصفون بالعدالة والأخلاق.

علمية؛ لأنَّ مُنَزَلَ القرآن هو الخالقُ العالمُ بأسرار الكائنات، قال تعالى في سورة الملك: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤).

ومعرفة ذلك تقتضي منَّا التريث<sup>(١)</sup> وعدم تحميل النِّصَّ ما لا يحتمله من أجل أن يوافق ما نظنُّه حقيقةً، فإذا لم يتيسر ذلك بشكل واضح فعلينا أن نتوقف دون نفي أو إثبات.

١٣. على الباحث أن يتحرَّى<sup>(٢)</sup> الصدق والصواب، وأن يُخْلِصَ نيته لله في تبين الحقِّ للناس من أجل هدايتهم، وأن يعلمَ خطورة ما يتناوله ويعبِّرُ عنه، فهو عندما يقول: هذا المعنى الذي يشير إليه قوله تعالى، فهو يفسِّرُ كلامَ ربِّ العالمين؛ لذا يجب عليه أن يتذكر دائماً قولَ النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بغيرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا<sup>(٣)</sup> مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». (رواه الترمذي)

١٤. ينبغي أن يتَّصفَ الباحثُ كذلك بالصبر، مع توفُّرِ الكفاءة العلمية المكتسبة<sup>(٤)</sup>، حتى يميز الحقَّ من الباطل، ويقبل الحقَّ، ويلتزم بالموضوعية، ومعناها هنا: حَصْرُ المعلومات ودراساتها من غير تحيُّزٍ<sup>(٥)</sup> لفكرةٍ أو رأيٍ سابق، مع التقيد بالمنهج العلمي في التوثيق<sup>(٦)</sup> والاقْتِباس<sup>(٧)</sup> والإحالات<sup>(٨)</sup>.

١. التريث: توقف مؤقت للحكم على الأمور بشكل دقيق.

٢. يتحرى: يبحث عن الحقيقة ويطلبها.

٣. يتبوأ: يتولى أو يستلم منصباً ما، ومعناها في الحديث أن النار تنتظره.

٤. المكتسبة: ما تم تعلمه بالممارسة والجهد.

٥. تحييز: الموافقة على رأيٍ ما بسبب غير منطقي، دون مراعاة الحق.

٦. التوثيق: تسجيل المعلومات حسب طرق علمية متفق عليها.

٧. الاقتباس: الأسلوب المنقول أو المستوى من مصدر أساس.

٨. الإحالات: الإرشاد والدلالة على مواطن أخرى للمعلومة.

و. التفسير العلمي وحكمه:

التفسير: في اللغة مشتق من الفسر، وهو الإبانة والكشف.

أما في الاصطلاح فله تعريفات، منها أنه: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.

وهذا التعريف شامل لأنواع التفسير كلها، سواء ما كانت عنايته ببيان الألفاظ والتراكيب، أو ما عني باستخراج الأحكام<sup>(١)</sup> والحكم<sup>(٢)</sup>، ومن هذا الأخير التفسير العلمي الذي يتناول العلوم الكونية والصنائع<sup>(٣)</sup> والمعارف، كعلم الهندسة، والحساب، والاقتصاد، والاجتماع، والطبيعة، والكيمياء، والحيوان، والنبات، وعلم طبقات الأرض... إلى ما هنالك.

التفسير العلمي: هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز القرآن يدل على صلاحيته لكل زمان ومكان.

وأجود منه وأعم تعريفه بأنه: الكشف عن معاني الآية أو الحديث الشريف في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية.

ز. أصول التفسير المتفق عليها عند علماء المسلمين:

ينبغي أن نعلم أن العلماء متفقون على منهج لفهم كتاب الله، فلا يمكن تجاهله أو تحطيه، بل لا بد من اتباعه، وهو - على وجه التفصيل -:

أولاً: أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فصل في موقع آخر، وما اختصر في موضع فقد بسط<sup>(٤)</sup> في موضع آخر.

١. الأحكام: القواعد الشرعية.

٢. الحكم: جمع حكمة، وهي الفهم والعلم واتخاذ القرار الصحيح في الوقت الصحيح.

٣. الصنائع: جمع صنعة، وهي الطريقة التي تتبع في عمل يدوي أو ذهني لمنتج ما.

٤. بسط: نشر وشرح شرحاً سهلاً.

ثانياً: أن يُفسَّر القرآنُ بالسنة الصحيحة، لقوله تعالى مخاطباً نبيّه ﷺ - كما ورد في سورة النحل -: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٤)، وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿... فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩).

ثالثاً: أن يُفسَّر القرآنُ بأقوال الصحابة الصحيحة المتفق عليها معني؛ فإنهم أدري بذلك؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم.

رابعاً: أن يفسر القرآن بأقوال التابعين الصحيحة المتفق عليها معني؛ لأنهم تلقوها من الصحابة.

خامساً: الأخذ بمطلق العربية؛ لأن القرآن الكريم نزل بلسانٍ عربيٍّ مُبين؛ ولذا قال الإمام مالك رحمه الله: لا أُوتى<sup>(١)</sup> برجلٍ غيرِ عالمٍ بلغةِ العربِ يفسرُ كتابَ الله إلا جعلته نكالا<sup>(٢)</sup>.

سادساً: التفسير بمقتضى الشرع دون الأخذ بمجرد الرأي<sup>(٣)</sup>. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مقدمة التفسير: «وقد تبين بذلك أن مَنْ فسَّر القرآنَ والحديثَ وتأوَّلَهُ على غيرِ التفسيرِ المعروفِ عن الصحابةِ والتابعين فهو مُفْتَرٍ على الله، مُلْحِدٌ في آياتِ الله، مُحَرِّفٌ للكلامِ عن مواضعه، وهذا فتحٌ لبابِ الزندقة<sup>(٤)</sup> والإلحاد، وهو معلومُ البطلانِ بالاطِّراد<sup>(٥)</sup> من دينِ الإسلام».

١. أوتى: يؤتى به إليّ.

٢. نكالا: عبرة للآخرين.

٣. الرأي: الحكم والتقدير المتأثر بالظروف والملايسات.

٤. الزندقة: إظهار الإيثار وإبطان الكفر.

٥. الاضطراد: التابع، وهو حكم مرفوض عند الأكثرين من العلماء.

وهو رحمه الله يقصد بهذا مَنْ يخالف ما هو ثابت، أو يتكلم بغير علم،  
بدليل قوله بعد: «الأثار الصحيحة وما شاكلها»<sup>(١)</sup> عن أئمة السلف محمولة  
على تخرجهم<sup>(٢)</sup> عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما  
يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه».

### ح. الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

الذي ظهر أنَّ التفسير العلمي - بحسب الإطلاق - أعمُّ من الإعجاز  
العلمي، فكلُّ إعجازٍ علميٍّ فهو من قبيل التفسير العلمي، دون العكس.

هذا من حيث العلاقة بينهما، أما من حيث وضعهما كمصطلحين فيمكن  
أن نفرق بينهما بما يأتي:

١. الإعجاز العلمي خاص بما يتعلق بالتوفيق بين الحقائق الشرعية  
التي عُرفت سابقاً قبل اكتشافها، والحقائق الكونية، والتفسير العلمي  
يتناول النظريات والإشارات الضمنية<sup>(٣)</sup>.

٢. إن الإعجاز العلمي متفقٌ عليه بين أهل التفسير، والتفسير العلمي  
مختلفٌ فيه، بل إن من العلماء مَنْ يُحرِّمه لأنه ظنيٌّ<sup>(٤)</sup>.

٣. إن التفسير العلمي - إذا لم تُراعَ ضوابطه وشروطه - يكون سبباً في  
وقوع الخطأ في فهم كتاب الله تعالى؛ لسعة مجاله<sup>(٥)</sup>؛ ولذا فإن كثيراً  
من الباحثين المعاصرين انحرفوا فيه عن الصواب فوقعوا في أخطاء  
شنيعة عندما حاولوا ربطَ فهو مهم<sup>(٦)</sup> للوحي بنظرياتٍ وفروض خاطئة.

١. شاكلها: ما كان على شكلها.

٢. تخرجهم: وقوعهم في الحرج.

٣. الإشارات الضمنية: العلامات أو الرموز غير المباشرة.

٤. ظني: الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل فيها الشك واليقين والعلم.

٥. مجاله: ميدانه ونطاق اهتمامه.

٦. فهو مهم: استنباطهم ومفهوماتهم وقد تكون صحيحة أو عكس ذلك.

أما الإعجازُ العلمي في القرآن والسنة فهو أوضح من ذلك وأبعد، والخطأ فيه أقل؛ إذ إنه غالباً ما يكون في عدم الربط بين الحقيقة الشرعية والكونية، إلا أن كثيراً من الباحثين لا يفرقون بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي، وهذا خطأ.

وبمراعاة ذلك يحصل الإعجاز ويظهر صدق الله وكتابه ورسوله ﷺ للناس جميعاً، وبذلك يتم الانسجام بين الآيات الشرعية والكونية، وفي ذلك دعوة إلى الإيمان، كما أن فيه إثبات صلاحية الكتاب والسنة لكل زمان ومكان.

وليس المراد من هذه الضوابط الحَجْرَ على الباحثين أو مَنَعَهُم من التدبر في كتاب الله، وإنما هو محاولة لضبط مسيرة<sup>(١)</sup> البحث وإرشاد الباحثين المسلمين إلى الطريق الصحيح لفهم كتاب الله تعالى في هذا الجانب المهم (الإعجاز العلمي، والتفسير العلمي)، ويمكن للباحث غير المتخصص أن يراجع أهل الاختصاص في ما يخفى<sup>(٢)</sup> عليه، أو يشترك مع متخصص من أجل الوصول إلى الحق، بعيداً عن تقليد الآخرين وترديد أقوالهم.

١. مسيرة: طريق أو نطاق يسير فيه الباحثون للتحقيق في أمر.

٢. يخفى عليه: يغيب عنه أو يستتر عليه ولا ينكشف.



## [٤] العلم وحقائقه في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>

تمهيد:

يكتسي<sup>(٢)</sup> الحوارُ العقديُّ<sup>(٣)</sup> في أيامنا رداءً من الجدَلِ قد حمي نسيجه<sup>(٤)</sup>، وهو ما أخرج الجدَل في مباحثه من مساحات النقاش العلمي الهادئ، إلى أطوارٍ من العنفِ والقسوة اللفظية البريئة في طلب الحق وتقصُّدِ الصواب، وليس الحوار الإسلامي النصراني، أو الإسلامي الإلحادي، بعيد عن ذلك، وذلك حالٌ قد يتلبَّسُ<sup>(٥)</sup> به صاحبُ المذهب الحقُّ عندما لا يُحسِنُ التعبيرَ عن مقالته، ولا يجد عرضها بعيداً عن شوائب التدلّيس<sup>(٦)</sup> أو البتر<sup>(٧)</sup>، وصاحبُ المقالة الباطلة أعظمُ وقوعاً في مخالفة الحق، والتعسُّ في الاستدلال لمذهبه، والمكابرة عندما تتعسَّرُ أمامه السُّبُلُ أثناء الجدَلِ.

وُعدُّ مباحثُ سلامة «القرآن الكريم» و«الكتاب المقدس النصراني» من الخطأ أو وضَحَ أبواب المشاكسة حين النقاش. وقد تَصَحَّحَت كتاباتُ النصارى والملاحدة في باب دعوى معارضة القرآن الكريم لصحيح العلم،

١. مقتبس من كتاب «العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل»، د. سامي العامري، بتصرُّف يسير.

٢. يكتسي: يلبس، يتغطى.

٣. العقدي: المتعلق بالعقيدة.

٤. نسيجه: أجزاءه ومحتواه.

٥. يتلبس: يختلط عليه، ولا يعرف حقيقته.

٦. التدلّيس: التضليل بطرق احتيالية.

٧. البتر: القص، أو الحذف.

حتى أصبحت مادة في جدلهم الهجومي على الإسلام وربانيته [أي: نسبته إلى الله تعالى]، فلا يخلو خطابُ مُنصِّرٍ من إحالةٍ إلى أمرِ الخبرِ العلميِّ في القرآن، وهو ما تلقَّفه<sup>(١)</sup> الملاحدة، وأطنبوا<sup>(٢)</sup> في تكراره، واستمروا<sup>(٣)</sup> إسراره وإعلانه.

وعادةُ المُعارضين لربانية القرآن في باب الخبر العلمي الإنكارُ على الدراسات الإسلامية لأنها [في نظرهم] تنحو بصورة كُليَّةٍ إلى السرد والتجميع، لا التحرير والتحقيق. ورغم أن البحث الإسلامي لا يخلو من نقصٍ، شأنه شأن أيِّ عملٍ بشريٍّ، إلا أن إزهاق<sup>(٤)</sup> عملية الخطاب الإسلامي كُليَّةً جوراً وتعسفاً، فالحديث في باب سلامة «النص القرآني» من «الخطأ العلمي»، أو «إعجازه» في الباب ذاته، حديثٌ كثيرٌ التفاصيل، تجتمع فيه مُتفرقاتٌ معرفية كثيرة في باب علوم القرآن، والمعارف التوراتية والإنجيلية، وتاريخ العلوم الطبيعية وحقائقها، والموارد المعرفية والخرافية...؛ ولذلك قد يكبو<sup>(٥)</sup> فرسُ المُصيبِ، فيسيءُ في مقام الانتصار للحق، تكلفاً أو تعسفاً<sup>(٦)</sup>، أو عجزاً عن أن يحيط بأطراف الموضوع.

وإذا كان الخطابُ التنصيري يعتمد على منهجٍ نشرِ الشبهات دون تحرير<sup>(٧)</sup> للمسائل على سنة الأصول العلمية، والفرار من مناقشة براءة الكتاب المقدس للكنيسة من مخالفة حقائق العلم الحديث، إشغالاً للمسلمين بدفع تهمة معارضة كتابهم (القرآن الكريم) لصحيح العلم، فإن وظيفتنا أن نقوم حركةً المسير، ونطرح الأمر على صورةٍ عادلة وموضوعية، بمناقشة الاعتراضات

١ . تلقفه: أخذه وتناوله بسرعة، كأنها فرصة.

٢ . أطنبوا: أكثروا فيها وبالغوا.

٣ . استمروا: استطابوا واستسهلوا.

٤ . إزهاق: إماتة.

٥ . يكبو: يتعثر

٦ . تعسفاً: ظلماً وجوراً واستبداداً.

٧ . تحرير: مراجعة نقدية وبحث من مصادر موثوقة لإزالة الخداع والأوهام.

العلمية على مُحَكَّمات القرآن الكريم، وما يؤخذ على الكتاب المقدس في الباب ذاته - بِنُصُوصِهِ الْحَالِيَّةِ - .

ولسنا مع ذلك نُنكر أنَّ الحديث في باب الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة قد عَرَفَ بعد صعودِ انِعْطَافَةٍ حادة، بالتوسُّع غيرِ الحَمِيد<sup>(١)</sup> من بعض أعلامه<sup>(٢)</sup>، ومن غير المقَدَّمين<sup>(٣)</sup> في بابهِ على السواء، في نسبة دعاوي إلى القرآن ليست فيه ولا منه.

وقد ازداد الأمرُ سوءاً بعد حملاتِ الإسقاط<sup>(٤)</sup> التي سُوِّرتْ ضِدَّ الخَطِّ الدَّعَوِي، وهو ما أُحْدِثَ عُرُوفاً<sup>(٥)</sup> شديداً عند عدد من الدعاة عن الاستدلال «بالإعجاز العلمي» عند الانتصار لربانية القرآن. وهي ردة فعل سلبية حادة حِدَّة مَنْ يتكلفون الحديث في هذا الإعجاز دون ضابط في الفريق المقابل (المُعَارِض).

وقد امتدت الانعطفة السلبية<sup>(٦)</sup> إلى مجامع المسلمين في الغرب، فقد كان الحديث في موافقة القرآنِ حقائق العلم برهاناً جذاباً للعقل المادي الغربي الذي يبحث عن الأدلة المباشرة، غير أن اللهجة الإلكترونية الفاحشة على أديبات الإعجاز العلمي في مواقع التواصل الاجتماعي (الإنترنت) العربية والأعجمية عامة، والإنجليزية خاصة، أحدثت انتكاسةً لدى عددٍ من المُهْتَدِينَ إلى الإسلام، بل إن بعض الذين كانوا متحمسين بغزارة للإعجاز العلمي انقلبوا متحمسين ضده، من غير تمهّل أو استفهام للمسائل المُثارة، فهي تَقْبَلُ بجزمٍ غيرِ متمهّل، وتَرْفُضُ بقطعٍ غيرِ مُتَأَنٍّ<sup>(٧)</sup>.

١. غير الحميد: الخبيث في التصرفات، والرديء والفاسد.

٢. أعلامه: الأشخاص المعروفين والمشهورين من العلماء فيه.

٣. المقدمين: المميزين.

٤. الإسقاط: التخلّي والتراجع.

٥. عزوفاً: انصرفاً.

٦. الانعطفية السلبية: التغير المفاجئ أو الانحراف الغير فعال المؤدي إلى الإخفاق أو الرفض.

٧. متأن: من (التأني)، وهو التمهّل.

ولعله من المهم بيان أن من أسباب الانحراف في الحديث عن «الإعجاز العلمي» في القرآن، رفعه إلى أعلى مراتب الأدلة على «ربانية القرآن»، رغم أن حقه أن يكون متأخرًا<sup>(١)</sup> عن الأدلة الأظهر، ك«الإعجاز البلاغي، أو الغيبي أو التشريعي».. والمغالاة كلها مقبوحة؛ لأنها خروج عن صراط الاعتدال.

الإعجاز العلمي في القرآن وجه إضافي لخارقية القرآن، وعدمه لا يعود على أصل إعجاز القرآن بنقص، ووجود معارضات له لا يُشكك في صدقه، فضلًا عن التشكيك في أصل إعجاز القرآن كليةً.

والكتاب [العلم وحقائقه بين سلامة القرآن وأخطاء التوراة والإنجيل] بذلك يعلنها صريحة: أننا نقبل التحدي الذي يعلنه المنصرون بتكرار لجوج<sup>(٢)</sup>، فسننظر في الأخبار العلمية للقرآن والكتاب المقدس بتأن، ونختبر صحة تفاصيلهما العلمية، في ضوء ما تطمئن الجماعة العلمية اليوم إلى صحته، ولن نخفي مستورًا، أو نُنكر ثابتًا مقطوعًا به.

وما نحن فيه الآن باب من الجدل، يقتضي الأمانة من كل فريق، وعميق الإخلاص في اقتفاء<sup>(٣)</sup> آثار الحقيقة؛ فإن نسبة كتاب إلى الوحي البريء من الخطأ [القرآن الكريم] لهُوَ من أعظم المباحث؛ لتعلق الأمر بإدراك خطاب الرب جلّ وعلا وهدايته، فإنه متى عُلِم الطريق إلى الله سبحانه، انقشعت غمامة الحيرة<sup>(٤)</sup> والتيه من أمام العين التائفة إلى الهداية والنجاة.

ويزعم صاحب هذا البحث [د. سامي عامري] أن هذه الصفحات التي بين يديك قد دُفعت<sup>(٥)</sup> إلى المطبعة لتحقيق فائدة جديدة للقارئ العربي، وهي

١. متأخرًا: بعدها.

٢. لجوج: كثير الإلحاح.

٣. اقتفاء: تتبّع.

٤. غمامة الحيرة: ما يمنع الرؤية ويدعو إلى التردد والاضطراب والارتباك.

٥. دفعت: أُسرع بها.

فتح مساحاتٍ أوسعَ من النظر في قضايا «صحيح العلم» و«صادق الوحي»؛ حتى تقومَ الحُجَّةُ على كلِّ مَنْ يزعمُ أنه يريد الحقَّ ويُذعن<sup>(١)</sup> للبرهان.

وليس هذا البحثُ أولَ دراسةٍ إسلاميةٍ في أمر العلم في القرآن الكريم، فقد سبقته مطبوعاتٌ كثيرة، وليست تقريراته كلها طريفةً بلا سلف<sup>(٢)</sup>، بل المؤلف قد أفاد من جهود مؤلِّفين كُثُر، من المسلمين وغير المسلمين، والبحث - مع ذلك - يسعى إلى إضافاتٍ جديدةٍ من خلال تجاوزِ بعضِ أوجه النقص في المُتاح من الكتابات، وأهمها:

- جمع الأخبار العلمية في القرآن الكريم والكتاب المقدس [التوراة والإنجيل] معًا في كتاب واحد، فإن عامة الكُتَّاب المسلمين قد اقتصروا على بحث المسائل العلمية في القرآن الكريم دون مقارنتها بما جاء عند أهل الكتاب.

- جمع أهم الاعتراضات العلمية المشهورة للنصارى والملاحدة على القرآن - ما كان منها في الكتب، وما ذاع منها على وسائل التواصل الاجتماعي - وجوابها.

- بيان بعض أوجه الإعجاز العلمي في القرآن، خاصة القضايا التي وقع فيها مؤلفو أصحاب الكتاب المقدس [المحرِّف] في أخطاء علمية.

- تجاوز ما قد يستدرك على الطبيب الفرنسي موريس بوكاي<sup>(٣)</sup> في كتابه

La Bible, le Coran at Science:les Ecritures Saintes examinees

١. يذعن: من الإذعان، وهو الخضوع والإقرار.

٢. بلا سلف: سابق من ذوي الفضل.

٣. موريس بوكاي (Maurice Bucaille) ١٩٢٠-١٩٩٨ طبيب باطني فرنسي مسلم من أسرة كاثوليكية عضو المؤسسة الفرنسية لعلم المصريات، ألف في المقارنة العلمية والتاريخية بين القرآن والكتاب المقدس أكثر من كتاب، يعتبر كتاب La Bible, le Coran at Science أكثر المؤلفات انتشارًا في المكتبة العربية في بابه.

a al lumiere des connaissances modernes الذي صدر أشهر تعريف له تحت عنوان (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، وهو أهم كتاب - بلا منازعة<sup>(١)</sup> - في تناول دراسة القرآن والكتاب المقدس من زاوية علمية<sup>(٢)</sup>.

- الرد على اعتراضات المنصّر الأمريكي د. وليام كامبل<sup>(٣)</sup>، في كتابه الشهير في الرد على كتاب موريس بوكاي سالف الذكر، فقد ظنّ نصارى الغرب أن كتاب د. كامبل قد حسم معركة الجدل مع كتاب د. بوكاي، خاصة في مبحث علم الأجنّة في القرآن.

الغاية التي يريد أن ينتهي إليها الكتاب تحقيق بإثبات:

١. خلوّ «القرآن» من الأخطاء العلمية، رغم اقتضاء<sup>(٤)</sup> بعض السياقات وقوعه في ذلك.

٢. تلبّس هذا «الكتاب المقدس» [الموجود بين أيدينا الآن] بمخالفة صحيح العلوم.

أما مباحث الإعجاز العلمي في القرآن - بمعناه الضيق - فهي من الزيادة على المطلوب، فلو خلا منها هذا البحث، فلن يضره ذلك في بلوغ هدف وإتمام رسالته.

١. بلا منازعة: من غير خصومة أو خلاف أو جدل.

٢. رغم أهمية كتاب بوكاي، وفرادته، إلا أنه يؤخذ عليه توسعه الشديد في المقدمات التعريفية على حساب مناقشة أصل الموضوع، وقلة المسائل العلمية التي درسها، وعدم اعتناؤه بدراسة تقارير الكتاب المقدس بلغته الأصلية، وضعف اهتمامه بأثر الحضارات القديمة في ظهور الخلط العلمي في الكتاب المقدس، وضعف تواصله مع تفاسير الأحبار والآباء والنقاد المعاصرين، لسنا بذلك نبخس حق الكتاب، فهو رائد في بابه وفيه جهد كبير محمود.

٣. ويليام ف. كامبل، William F. Campbell: طبيب ومنصّر أمريكي، سافر إلى البلاد العربية لتعلّم اللغة العربية، اشتهر بكتابه في الرد على بوكاي، ومناظرته للدكتور ذاكر نايك في موضوع العلم بين القرآن والكتاب المقدس - وقد أخفق في ذلك.

٤. اقتضاء: استلزام.

## أ- إشكاليات نظرية في الإعجاز العلمي:

يقوم الجدل الواسع اليوم حول شرعية الإعجاز العلمي - في جانب منه - على استشكال الاعتراف بهذا المبحث المعرفي برُمَّته؛ إذ يقول فريق من منكري الإعجاز العلمي: إن من طبيعة الوحي الديني أنه لا يوافق العلم في باب الأصل والمنهج؛ ولذلك فالانتصار للوحي بالعلم الطبيعي لا يستقيم! وتلك دعوى تَرَكْنُ إلى إجمالاتٍ تحتاج تفصيلاً وبيانا لمغالطاتها!!!

### أ- ١ بين مفهومي العلم والدين:

يقول عددٌ من أنصار العَلْمَوِيَّة<sup>(١)</sup> في العالم العربي، ودعاة المذهب الإيماني<sup>(٢)</sup> في الغرب: إن الاستدلال للإيمان الديني ببرهان الإعجاز العلمي، أو أيِّ برهانٍ آخر من أيِّ جنس، باطلٌ ضرورةً؛ فإن الإيمان الديني قائمٌ على التسليم لا البرهنة. كما أن الاستدلال بالوحي للعلم داعٍ لترك البحث العلمي، والركون<sup>(٣)</sup> إلى أخبار الأسفار المقدسة التي لم تنزل لصناعةٍ وعيٍ علمي.

الاعتراض السابق مبنيٌّ على مقدمة فاسدة، وهي أن الإيمان الديني قائم - ضرورةً - على التسليم، لا الاستدلال والبرهنة، وهي مقدمةٌ تعارضُ صريح القرآن في دعوته المخالفين إلى مُعْتَرَك<sup>(٤)</sup> البرهان، دلالة على أن البرهان هو الذي يفصل بين العقائد المُتَشَجَّرَة<sup>(٥)</sup> في أصول المسائل وفروعها، لقوله

١. العلموية: مصطلح، معناه: عدُّ العلم التجريبي الوسيلةَ الموضوعية الوحيدة التي يجب على المجتمع تحديدهُ القِيم المعيارية والمعرفية بواسطتها، ولكنها تعتبر غير قابلة للتطبيق في المنهج (العلمي) أو المعايير العلمية، وتستخدم عادة الشكل الازدرائي!

٢. الإيماني: وهو مذهب يعتقد أن الإيمان لا علاقة له بالسبب، أو أنها مُتضادان، ويصل إلى نتيجة مفادها أن هناك مواضع لا يمكن للعالم معرفتها عن طريق السببية، وي طرح سؤالاً: هل العالم أزليٌّ (أي: ليس له بداية) أم له مسبب؟

٣. الركون: السكون إلى الشيء بالحب له، نقيضه: النفور عنه.

٤. معترك: موضع القتال، وفيه تشبيه به.

٥. المتشجرة: المتشبكة والمتأصلة.

تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾، وفي سورة المؤمنین: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾، والقرآن هو من طلب من المخالفين أن يتفكروا طلباً للحق، فقال في سورة سبأ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرْدَى ثُمَّ تِنْفَكُوا ﴿٤٦﴾﴾، والإسلام هو الذي جعل البرهان الأوسع للتوحيد، بالنظر إلى المخلوقات ودقة صنعها، وغائية<sup>(١)</sup> تركيبها، لقوله تعالى في سورة الملك: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٣﴾ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ﴿٤﴾ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٥﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴿٦﴾ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا ﴿٧﴾ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٨﴾﴾ وفي سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾، لَمَّا نزلت هذه الآية تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن سول الله ﷺ بكى ليلته كله، فلما جاء بلال رضي الله عنه يُؤذِنُ بالصلاة رآه يبكي! قال: يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال ﷺ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ

١. غائية: نظرية بأن كل شيء في الطبيعة موجه لغاية معينة، ويمكن أن تعني: الأسباب المسبقة والعلاقة بينها.

٢. طباقاً: بعضها فوق بعض.

٣. تفاوت: اختلاف أو عدم تناسب.

٤. فطور: شقوق وصدوع، أو خلل.

٥. كرّتين: مرتين.

٦. خاسئاً: ذليلاً أو صاغراً عن أن يرى عيباً.

٧. حسير: متحسراً تعباً من كثرة التكرار بلا فائدة.

اللَّيْلَةَ آيَةً، وَيَلْ لَمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»  
(رواه ابن حبان).

والقرآن الكريم هو الذي جعل إعجازه برهاناً ربّانيته، لقوله تعالى في  
سورة يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ .

والقول: إِنَّ الإِيمَانَ الدِّينِي مُفَارِقٌ<sup>(١)</sup> كُلُّهُ للاستدلال والبرهان، أصله  
مذهب الإيمانيون الغربيين - بعد العصر الكانطي<sup>(٢)</sup> - والملاحدة. وهي  
تهمة تُرمى بها النصرانية دائماً، وذلك اتهامٌ جائرٌ حتى في حق النصرانية؛ فإن  
الكنيسة إيمانية في ما خالف العقل، كعقيدة التثليث، واستحالة الخبز إلى  
جسد الرب، لكنها في تاريخها القديم كانت تقدم دائماً براهين عقليةً على  
وجود الله ووحدانيته، كما في كتابات بعض علمائهم، ك«توما الأكويني»<sup>(٣)</sup>.

والتيار الدِّفاعي النصراني في الغرب اليوم له إصداراتٌ<sup>(٤)</sup> واسعة جداً في  
دلائل وجود الله، كما يستدل النصارى لألوهية المسيح بمعجزاته، وبقيامته  
- المزعومة - من الموت.

ونحن رغم قولنا إن معجزات المسيح لا تدلُّ على ألوهيته، إلا أن اعتقاد  
الكنيسة أنها برهان يدفع عنها تهمة أن النصرانية ترى الإيمان قائماً على  
التسليم الأعمى المحض دائماً في كل أمر.

١. مفارق: متباعد منفصل.

٢. العصر الكانطي: نسبة إلى الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط في القرن الثامن عشر، وكان من الفلاسفة  
المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة - عصر التنوير - وعن نظرية المعرفة، حيث هاجم الميتافيزيقية  
التقليدية، وكتب في محدوديات وبنية العقل البشري، ونقل العقل العلمي، الذي بحث فيه جانب  
الأخلاق والضمير الإنساني. وأن الله تعالى مصدر كل من نور العقل الطبيعي ونور الإيمان.

٣. توما الأكويني: هو كاهن إيطالي كاثوليكي، وفيلسوف في القرن الثالث عشر، وهو أبو مدرسة فكرية  
تشمل اللاهوت والفلسفة، وبتبنى فكر أرسطو، وقد أثر على الفكر الغربي.

٤. إصدارات: منشورات صادرة للعلوم، أو كتب او مقالات علمية متميزة.

وأما القول: إنَّ البحثَ في الإعجاز العلمي دعوةٌ إلى الكسل العلمي، وتركِ البحثِ المعلمي والرصدي، والانشغال بكتب التراث فهو اعتراضٌ عاطفيٌّ لا يوافق حقيقةَ الحال المنكرَ عليه هنا؛ إذ ليس في الحديث عن الإعجاز في أعداد محدودة من الآيات، دعوةٌ إلى تركِ البحثِ العلمي المادي في الظواهر الطبيعية، فالإعجاز العلمي لا يدعو - بصورة مطابقة أو تضمينية<sup>(١)</sup> أو التزامية<sup>(٢)</sup> - إلى الانكفاء على القرآن والسنة لمعرفة الكون حصراً، بل لو قال القائل عكس ذلك لكان أقرب إلى الصواب؛ إذ «الإعجاز العلمي» دعوةٌ إلى الكشف عن أسرار الطبيعة بالمناهج العلمية المعترف بصحتها عند أهل التخصص لتقوم الحجة على المخالف، بما يؤول<sup>(٣)</sup> إلى إثبات «إعجاز آيات قرآنية» لا تُدرَك دقتها إلا بالتعمُّق في البحث العلمي الذي يُسلِّط على هذه الآيات أنواراً تكشف أعماقها.

وإذا ادَّعى داع أن العلم بأدوية الأمراض البدنية - مثلاً - سبيله ما جاء في القرآن والسنة حصراً، فجوابه أن الرسول ﷺ كان يتداوى - ويدعو أصحابه إلى التداوي - بأدوية عصره، كقوله: «الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ» (رواه البخاري)، ودلَّ البحثُ التجريبي اليوم أن ماء الكمأة يمنع حدوث التليُّف في مرض التراكوما الذي يؤدي إلى زيادة غير طبيعية بالأوعية الدموية بالقرنية.

وقد اعتمد المسلمون التوجيه النبوي السابق في علاج أعينهم دون عون من ثقافة العصر، فشُفوا. ولم يكن القرآن والسنة مع ذلك مصدرين أساسيين للبحث في الأدوية البدنية، فإن للبحث الطبي - عند أعلام الطب في تاريخ الإسلام - سبيله التجريبي الخاص.

١. تضمينية: من ضمن كلامه أو دللته ومراميه.

٢. التزامية: مبدأ مبني على موقف معين وتبنيه بأضرار.

٣. يؤول: يرجع أو يقرر.

وقد بدأ المسلمون في تطوير العلوم المتعلقة بالأمراض بالنظر في أسبابها المادية، وحلولها العملية؛ ولذلك حصلت طفرة<sup>(١)</sup> معرفية كبرى على أيديهم في زمن وحيز، وترجمت مؤلفاتهم إلى اللاتينية وغيرها؛ لأنها تعتمد معايير مادية صرفة في فهم الأمراض وتطلب العلاج، فلا يجد من يستفيد منها حرجاً في قبولها وإن لم يكن مسلماً.

ولم يجعل المسلمون علمهم بوجود مسائل طبية قليلة في القرآن والسنة مانعاً دون البحث التجريبي المحض، بل دفعهم الحديث الشريف: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَ» (رواه أحمد) إلى البحث العلمي عن الدواء، بعدما أدركوا أن الله سبحانه قد جعل في عالم الطبيعة - بفضل - ما يرفع الداء.

#### ٢-١ بين الثابت والمتحول:

أبحاث الإعجاز العلمي مُدانةٌ عند خصومها بمحاكمة الثابت (الدين) إلى المتحوّل (العلم الطبيعي)، فالعلمُ تصحيحٌ متواصلٌ لأخطاء الماضي، والوحيُّ حقيقةٌ مُطلَقةٌ لا تتغير؛ فلا يلتقيان.

ولذلك، فالانتصار للثابت بالمتحول هو تعظيمٌ للمتحوّل، وتسييلٌ<sup>(٢)</sup> للثابت.

ويضيف أحدهم قائلاً: الاستشهادُ بالعلم لمصلحة الدين لا يخلو من خطورة؛ ذلك أنّ من المعروف أن العلم لا يستنكف<sup>(٣)</sup> من تصحيح ذاته، وهذا يقودنا إلى إمكانية أن يرفض العلم «حقيقةً» علمية كان قد أقرّها من قبل! أضف إلى ذلك أن العلم لا يكون علماً إلا بعد أن يكون خاضعاً لـ «مبدأ التزييف»<sup>(٤)</sup>، أما مفهوم «الدين» فيتعارض اصطلاحاً مع هذا المبدأ.

١. طفرة: فزة أو تغيير مفاجئ أو تطور كبير سريع.

٢. تسييل: تبيع وتقليل من شأنه.

٣. يستنكف: يمتنع باستكبار.

٤. مبدأ التزييف: هو نظرية افتراضية قابلة للدحض والتخطئة قابلة البرهنة بقابلية الدحض كمعايير للتمييز، وأول من قدم هذا المفهوم هو الفيلسوف كارل بوبر.

وتلك معارضةٌ لا يُسَلَّم لها؛ فإن القول: إن العلمَ متحوّل، متغيّر، غيرُ صحيح بهذا الإطلاق، ولا يقول به أحدٌ واقعياً، وإنما هو إطلاقٌ شائع عند التنظير في عصر النبوية، حيث القطع في أي شيء ضَرَبُ مستنكر من الدوغمائيّة<sup>(١)</sup>! والعبارات القاطعة بإثبات حقائق علمية للممارسين للبحث العلمي لا تخفى على مُطَّلِعٍ على أدبياتهم، ويزداد الأمر وضوحاً في إنكارهم العنيف على مخالفيهم، وصفهم للعالم الطبيعي عند الخلاف العلمي؛ فإنهم ينعنون<sup>(٢)</sup> خصومهم أنّهم أصحاب عقلية خرافية، ويرون أنّهم أعداء «للحقيقة، والتنوير».

وهذا فيلسوف العلوم الأشهر الأمريكي جون هورجان<sup>(٣)</sup> في القرن العشرين وحتى اليوم في نفي إمكان العلم بحقيقة علمية؛ بدعوى أن العلم قائم على هدم الفرضيات لا القطع بها، يعترف في لقاءه مع صاحب كتاب «نهاية العلم» إنه ينكر أن يكون العلم عاجزاً عن إدراك حقائق علمية قطعية، وصرح له أن هناك نظريات علمية صائبة بقطع اليوم، وإن لم يحددها عيناً<sup>(٤)</sup>.

وبعيداً عن ظاهرة الفصام<sup>(٥)</sup> البين بين الجانبين النظري والعملي عند الحديث عن الحقيقة العلمية النهائية، يتفق جميع الناس على الجزم بصحة عدد من التقريرات العلمية، بسبب أن أصل العلم بها يعود إلى واحد من الحواس الخمس، كعلمنا بصحة وصف ما نراه، أو طبيعة ما نلمسه من الظواهر المركبة في الطبيعة.

١ . الدوغمائيّة: حالة من التزمت والتعصب لفكرة معينة من دون نقاش أو إتيان بأي دليل يناقضها لأجل مناقشتها (وهي جهود فكري).

٢ . ينعنون : يصفون .

٣ . جون هوجان: كاتب أمريكي من مواليد ١٩٥٣م، نشر العديد من المقالات في عدة صحف شهيرة ويدير مركز كتابات العلوم في معهد ستيفنسونز التكنولوجية.

٤ . عيناً : نفساً .

٥ . الفصام : الانفصام أو الابتعاد .

ورغم أن العلم بالحواس قد ينتهي أحياناً إلى وهم، كظن مَنْ يرى منازل الشمس [مواقعها في السماء] أن الأرض ثابتة والشمس وحدها هي المتحركة، إلا أننا جميعاً نؤمن جزماً بصدق عامة ما تدركه حواسنا<sup>(١)</sup>، كعلمنا ببعد القمر عنا اليوم بعد الارتفاع في السماء، وكروية الأرض، وتفصيل علم الأجنة، والخلية، وتفاعل المركبات الكيميائية إلى ما هنالك..

كما أنه يتوصّل إلى اليقين العلمي بالحساب الرياضي، وتكاثر القرائن<sup>(٢)</sup> تكاثراً عظيماً. وكثيراً ما تسبق الحسابات الرياضية العلم الحسي في إثبات الظواهر الطبيعية، وقد كانت أهم الكشوف الفلكية متأخرة عن العلم بها رياضياً.

فالخبر العلمي - إذن - أوسع من المسائل التي يستشكلها العلماء، والتي تغمض عليهم بما يدفعهم إلى الاختلاف في أمرها بين عصر وعصر، أو في العصر ذاته، فوصف الماء أنه - كيميائياً -  $H_2O$  حقيقة يتعامل العلماء مع نتائجها كل دقيقة دون أدنى ارتياب، وتطرّد النتائج المستفادة من هذه الحقيقة دون اضطراب، على خلاف النظريات المركبة للظواهر الغامضة.

ومن الناحية التطبيقية في حديثنا عن الإعجاز العلمي في هذا البحث، يُعدُّ خبر أصل الكون ومآله الباب الوحيد الذي يقبل الجدل في يقينته، فالأول متعلق بالماضي، والثاني متعلق بالمستقبل، وعامة المباحث الأخرى مبصرة بالعين أو الرصد بالآلات، أو مدركة بالحساب الرياضي.

وحديثنا عن أصل الكون ليس أمره من الخفاء المطلق<sup>(٣)</sup>؛ وذاك لاجتماع المشاهدة البصرية فيه، ودقة الحساب الرياضي، وتكاثر صدق النبوءات التي توقعها العلماء بعد قولهم بالانفجار العظيم؛ ولذلك فالنزاع

١. حواسنا: الحواس لا تخطئ؛ لأنها لا تحكم. فالعقل يحكم بعد أن يتلقى المادة المعرفية الخامة من الحواس.

٢. القرائن: الدلائل والبراهين.

٣. الخفاء المطلق: الأسرار غير مقيدة بشروط أو غير مستثناة.

مع الملاحظة وعموم النصارى حول الإعجاز العلمي في هذا الباب مرَّدهُ إلى دلالة الآيات على مقولات<sup>(١)</sup> الكوسمولوجيا<sup>(٢)</sup> الحديثة، لا صدق هذه المقولات العلمية.

ثم إن جانب التحول في المعرفة العلمية لا يلزم منه القول بسيولة هذه المعرفة؛ فقد يتحول الناس من مذهب إلى آخر، مع قطعهم اليقيني بخطأ المذهب القديم وصحة القول الحادث<sup>(٣)</sup>، كانصرافهم عن مذهب (الأرض القرص) إلى كُرْوَيْتِهَا منذ قرون طويلة، من خلال القرائن المُمْتَنِعِ نَقْضُهَا، والتي تَأَكَّدُ صِدْقُهَا مع الرؤية المباشرة اليوم للأرض من السماء، وكذلك انتقاض وَهْمِ عدم مشاركة الرجل أو المرأة في نشأة الجنين بتطور علم الأجنة، وعلمنا أن النحل يصنع العسل في بطنه ولا يلتقطه من الزهور بفمه.. وغير ذلك كثير.

والحقيقة الكُبرى هي أنه لا تعارض بين كتاب الله المقروء (القرآن) وكتاب الله المَنْظُور (الطبيعة)، والحقُّ واحدٌ لا يتعدَّد ولا يتناقض.

وأما الاعتراض على الإعجاز العلمي بالقول إن الوحي - على خلاف العلم - غير قابل للتصحيح فجوابه تأكيدنا أن مُحَكِّمَ الوحي لا يمكن أن يخالف صحيح العلم، فلا يقع التعارض بين الدين الحق والعلم الطبيعي الحق، وإذا وقع تعارض لَزِمَ من ذلك سوء فهم النصِّ الديني، أو فساد الدعوى العلميَّة، وأما إذا حصل الخلاف الحقيقي بين العلم الحق والنصِّ المقدَّس، فلا شك أن النصَّ المقدس يكون عندها محرِّفاً أو مقطوعاً الصِّلة بالوحي.

١. مقولات: هي أنواع الدلات في القول، أو كلمات ترددت وتليت مرة بعد مرة.

٢. الكوسمولوجيا: هو علم الكونيات، ويعنى بعلوم وصف الكون ونشأته ومحتوياته وتطوره، ودراسة البنية الواسعة للفضاء بكل ما فيه من مادة وطاقة.

٣. الحادث: ضد القديم.

والقول إن العلم لا يستنكف من تصحيح ذاته، لا يلزم منه أن العلم يصحح نفسه دائماً، فقد أيقن الإنسان منذ قديم الزمان أنه لا يستغني عن الطعام والشراب ليملك القدرة على الحركة والمشى، وقد طوّر علمُ البيولوجيا<sup>(١)</sup> الحديثُ وَعَيْنًا بسبب ذلك، لكن لم يفكر أحدٌ بإمكان نقض حقيقة العلاقة السببية<sup>(٢)</sup> بين الأكل والشراب وطاقة القدرة على الحركة، فالعلم يصحح ما يحتاجُ إلى تصحيح، ولا يهتم بتصحيح كلِّ شيء، ولا يمكن البتة للعلم أن يقومَ على سُوقِهِ<sup>(٣)</sup> بدءًا دون مقدمات يقينية، فتراكمُ<sup>(٤)</sup> الظُّنون لا يُولّدُ علومًا.

إن العلم لا يستنكف عن تصحيح خطئه إذا بان الخطأ، ولا يسعى إلى نقض كلِّ معرفةٍ بشريةٍ مُكتَسَبة، وكثيرٌ من معارفنا العلمية الأولى لا تزال إلى اليوم قائمةً ثابتة، لوضوح جانب العلمية في فهم الظاهرة الطبيعية، وهي معارف وإن كانت بسيطةً، إلا أنها داخلةٌ ضرورةً في مفهوم المعرفة العلمية.

١. علم البيولوجيا: علم الأحياء، وهو علم طبيعي يُعنى بدراسة الحياة والكائنات الحية، ومن فروعها علم الكيمياء الحيوية، وعلم البيئة.

٢. السببية: الرابطة (بسبب كذا حصل كذا).

٣. سوقه: جمع (ساق)، وهو تعبير يراد به أنه لن تقوم له قائمة.

٤. تراكم: تكديس وتكاثر.

## ب. إشكاليات تطبيقية في الإعجاز العلمي:

إن المجادلة في الجانب التطبيقي لأبحاث الإعجاز العلمي خيارٌ عامّة المنصرين والملاحدة؛ لأنّ عامّتهم لا يُنكر إمكان قيام صفة «الخارقة العلمية» في الكتاب الديني، فقالوا: نحن نُجوّز<sup>(١)</sup> عقلاً وجودَ إعجازٍ علميٍّ في كتابٍ يُنسب إلى «الوحي»، لكننا ننكرُ أن يكون في القرآن الكريم شيءٌ من ذلك.

ونحن [علماء المسلمين] وإن كنا نُقرُّ أن الممارسة التطبيقية لإثبات الإعجاز العلمي في القرآن لا تخلو من غلطٍ وشططٍ<sup>(٢)</sup>، لكننا نُنكر أن يعود ذلك بالنقص<sup>(٣)</sup> على جميع الأوجه المستدلّ بها لإثبات الإعجاز، والاعتدال بين الإنكار والإسراف هو مذهب العدل<sup>(٤)</sup> في إثبات إعجاز الآيات القرآنية في باب الخبر العلمي.

كما ينكر فريقٌ من المعارضين لأبحاث الإعجاز العلمي جدية هذه الأبحاث وسلامتها من المغالطة<sup>(٥)</sup>، بقولهم إنهم يرفضونها لثلاثة أسباب:

**أولها:** أن المسلمين يسارعون تحت شعار (الإعجاز العلمي) إلى تبني النظريات الحديثة للقول بأن القرآن الكريم قد أخبر عنها سلفاً، ولا يستنبطون النظريات العلمية من القرآن الكريم قبل تأكيدها علمياً.

**ثانيها:** أن جميع الأمثلة المذكورة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم دلالاتها ظنية، وتحتلّ خلاف التفسير الإعجازي.

**ثالثها:** أن القرآن الكريم لم يأتِ بأيّ دَعْوَى علمية لم تكن معروفة وشائعة<sup>(٦)</sup> زمن البعثة.

١. نجوز: نقبل.

٢. شطط: بُعد عن الحق.

٣. النقص: الإبطال.

٤. العدل: الحكم بالحق.

٥. المغالطة: الاستدلال غير الصحيح.

٦. شائعة: منتشرة بين الناس.

والردُّ على المعارضة الأولى من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ليس من عادة النصِّ القرآني صدمة القارئ بالمعارف المخالفة لما يُدرکه حسًّا؛ لأنَّ جزاءَ التَّكذِيبِ بالقرآن « كُفْرًا »؛ ولذلك تحدَّث القرآن عن الشمس وحركتها الظاهرية<sup>(١)</sup> في النهار بما يوافق إجماع أهل الأرض على مدى تاريخ البشرية، وجاءت الإشارات إلى حركة الأرض إيماءً في قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾<sup>(٢٣)</sup>، ولم يفهم الناس حركة الأرض من الآية السابقة حتى وصل العلم إلى تلك الحقيقة الطبيعية التي كانت أكبر صدمة<sup>(٢)</sup> علمية في تاريخ الغرب في مِحْنَةِ غاليليو غاليلي<sup>(٣)</sup>.

الوجه الثاني: اللفَّات<sup>(٤)</sup> العلمية الإعجازية في القرآن قليلة؛ ولذلك لا يُتَوَقَّع أن تكون آياتُ القرآن العنصرَ الموجهَ لعامة الاختبارات العلمية في البحث العلمي الاجتهادي.

الوجه الثالث: كان النصُّ القرآني موجَّهاً علمياً للمسلمين في بعض الاختيارات العلمية القليلة المخالفة لثقافة العصر، ويظهر ذلك في موقف علماء الإسلام من الطب اليوناني المجمع على مشاركة دم الحيض في خلق الجنين كما سيأتي بيانه في حينه في هذا الكتاب، واتجاه اليهود في القرون الوسطى إلى القول بكروية الأرض، بعد أن أخذوا ذلك من المسلمين الذي استدلوا بالعلم والقرآن لصالح مذهبهم في شكل الأرض.

١. الظاهرية: البادية للنظر.

٢. صدمة: مفاجأة عنيفة.

٣. جاليليو غاليلي: هو عالم فلكي ولد عام (١٥٦٤م)، وفيلسوف وأستاذ جامعي، وفيزيائي إيطالي، ويوصف بالعلامة، وهو الذي نشر نظرية مركزية الشمس والتي جاء بها العالم كوبرنيكوس ودافع عنها بقوة على أسس فيزيائية، وقام بإثبات خطأ نظرية أرسطو حول الحركة، توفي عام ١٦٤٢م.

٤. اللفَّات: الأمور التي تستدعي الانتباه والنظر والبحث.

أما الاعتراضُ على الإعجازِ العلمي في القرآن والسنة بظنيّةٍ جميعِ أوجهِه، فجوابه: أنّ ذلك حَسْمٌ للقولِ عَجُولٌ<sup>(١)</sup>، وهذا الكتاب لا يُسَلِّمُ لهذه الدعوى في عامة الأمثلة التي يذكرها، كما أنّ موافقةَ المعنى الأظهر<sup>(٢)</sup> لآية قرآنيةٍ لحقيقةٍ علميةٍ ما - مع احتمالِ النصِّ معانٍ أُخرى أقلَّ ظهورًا - داخل في حديثنا عن الإعجازِ الصادق، إذا تكررت هذه الظاهرة.

ثم افترضُ أنّ آياتِ الإعجازِ كلّها تفيّد الظنَّ الغالب، أفلا يستدعي ذلك العجبَ أنّ تتكاثر هذه الدلالات اللغوية في كتابٍ بعيدٍ عن عصر العلم، وينسب كل ما فيه إلى ثقافة بيئةٍ متخلفةٍ معرفيًا<sup>(٣)</sup>، مع غياب هذه الظاهرة في «الكتاب المقدس»، رغم وفرة آياته الكونية؟!!

إن كثرة الآيات التي يغلب على الظنّ أنّها توافق حقائق العلم الحديث، ظاهرةٌ يجب ألاّ تمرّ دون استشارة<sup>(٤)</sup> انتباه القارئ؛ إذ إنّ طبيعة مضامين<sup>(٥)</sup> النص القرآني، وسعة اللسان<sup>(٦)</sup> البياني العربي، والثقافة العلمية الخرافية لعصر التنزيل، كلُّ ذلك حافزٌ للنفور<sup>(٧)</sup> من موافقة المعنى الأظهر للنص للحقيقة العلمية.

والاعتراض الثالث واقع - هو أيضًا - في المغالطة<sup>(٨)</sup>؛ فإن دعوى أنّ القرآن لم يأت بأيّ تقرير علمي غير شائع في عصر التنزيل، مُوهِّمٌ بغير حقيقة الحال، والرد عليه من أوجه:

١. عجول: يبادر بالشيء قبل أوانه.

٢. الأظهر: الأنسب والأقرب توافقًا.

٣. متخلفة معرفيًا: متأخرة علميًا عن مثيلاتها.

٤. استشارة: حالة انفعال الانتباه.

٥. مضامين: جمع مضمون، وهو ما يحتوي عليه الشيء.

٦. اللسان البياني العربي: اللغة البلاغية العربية.

٧. النفور: الكره والإعراض والتباعد.

٨. المغالطة: الاستدلالات الخاطئة.

**الوجه الأول:** هناك نصوص كثيرة تُقرر أمورًا في وصف الطبيعة لم تكن معروفةً في عصر التنزيل، ومنها الأصلُ الدخاني للكون، وترتيب الخلق [على غير ترتيب الكتاب المقدس، والموروث البابلي...]، والأمواج الداخلية، والإيماء إلى أن دم الحيض لا يشارك في نشأة الجنين...؛ ولذلك قال الشيخ محمد قطب<sup>(١)</sup> رحمه الله: «بعض هذه الإشارات كان جديدًا على أولئك المخاطبين<sup>(٢)</sup> بالقرآن أول مرة، لا يعرفون أسرارها، أو لا يعرفون تفاصيلها.. وقال لهم الله في كتابه المنزل في سورة فصلت: ﴿سَزِيهَمَّ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ﴾»، وكذلك في سورة النمل: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايَتُهُ فَنَعْرِفُونَهَا ۗ﴾، وفي سورة ص: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ۗ﴾، فأما الذين آمنوا فقد أخذوا هذه الإشارات بالتسليم<sup>(٣)</sup>، وإن كانوا لا يعرفون كل شيء عنها، ما دامت من عند ربهم الذي آمنوا به وصدقوه، كما جاء في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿يَقُولُونَ ءَأَمْتَابِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ﴾.

**الوجه الثاني:** ذكر القرآن أوصافًا لبعض ظواهر الطبيعة لم تكن معروفةً في مكة والمدينة وما جاورهما<sup>(٤)</sup>، مثل كروية الأرض التي قال بها اليونان ورفضها العربُ والنصارى السريان المتأخمين<sup>(٥)</sup> لهم، في ذلك الوقت.

١. محمد قطب: الشيخ محمد قطب ولد في ١٩١٩م في مصر، وهو أستاذ جامعي في اللغة الإنجليزية والأدب العربي، وكاتب إسلامي، وعلامة فكرية بارزة بالنسبة للحركة الإسلامية المعاصرة، وهو صاحب مؤلفات هامة في الفكر الإسلامي، مخالف لنظرية المعرفة الغربية، وهو يربط بين الفكر والواقع من منظور إسلامي، حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية، وله مؤلفات عديدة. وتوفي سنة ٢٠١٤م في مكة المكرمة.

٢. المخاطبين: الموجه إليهم الكلام.

٣. التسليم: الإقرار والموافقة والخضوع.

٤. جاورها: أقام قُربها.

٥. متأخم: الملاصق على الجوانب.

الوجه الثالث: في القرآن تفريراتٌ علمية صوّبتُ أخطاءَ الكتاب المقدس؛ ومن ذلك وصفُ القرآنِ الجبالِ أنها أوتادٌ مُنْغَرِزَةٌ<sup>(١)</sup> من أَعْلَى، لا أعمدةٌ قائمةٌ من تحت الأرض، كما تجانف<sup>(٢)</sup> القرآنُ عن وصف الأرض أنها قائمة على الماء، رغم أن ذلك مذهبُ العرب - كما يظهر من أشعارهم -، وقولُ اليهود والنصارى زمنَ البعثة، وذلك من أقوى دلالات مخالفة القرآن لثقافة ذلك العصر.

ولإعطاء موضوع العلم والقرآن حَقَّهُ، سوف نتناول في الأجزاء التالية علاقة القرآن بالعلم، بعيداً عن لغة الإسراف والقول على العلم بما ليس فيه، بحيث تكون حصيلة البحث فيها دلائل واضحة على إعجاز القرآن الكريم.

١. منغرة: نافذة فيه وثابتة.

٢. تجانف: ابتعد.

## أولاً: الإشارات الإعجازية العلمية في القرآن الكريم

تمهيد:

ومن هذه الإشارات القرآنية التي تُشكّل سَبَقًا - بل إعجازًا بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة كما سبقَ وَبَيَّنَّا -:

- نشأة الكون في بدايته، وشكّله، وتكوينه، ونهايته، بما فيه من أرضٍ وسماءٍ، وما فيهما من ظواهر طبيعية وجبال وأمطار... إلى ما هنالك.

- نشأة ومدة خَلْقِ الجنين وتطوره والإنسان وحواسه وتفكيره.

- الظواهر الطبيعية المتعلقة بتصرُّفات ومعيشة بعض الحيوانات والنباتات.

- خلق النباتات للتفكّر<sup>(١)</sup> في النعم التي لا تُحصَى ولا تُعدُّ، والتي أكرمَ بها المولى سبحانه وتعالى الإنسان.

وفي هذا الجزء سنجد تطابُّق العلم الحديث مع ما ذكر في القرآن الكريم، وهذا ما يدل - يقيناً - على إعجازه العلمي في هذا المجال.

أ. في الكون:

أ. ١. نشأة الكون:

لقد تحدّث القرآن الكريم عن قصة بدء الخلق ونشأته وتكوينه ونهايته في عدّة سُورٍ، وذكر تفاصيل كثيرة، لكنه تجاوز خطأ تراث الأولين<sup>(٢)</sup> [بما فيهم الكتاب المقدس] بصورة مثيرة - كما سنبيّن لاحقاً -، وذكر فوق ذلك تفاصيل علمية من خارج ثقافة العصر (عصر النزول) تُنبئ بأصله الرباني<sup>(٣)</sup>.

١. التفكّر: هو دراسة الأشياء وتحليلها، ثم ربطها بالحقائق الموضوعية بما يتناسب مع العقل والمنطق، وهي عبادة تُمارَس في القلب والعقل.

٢. تراث الأولين: الإنتاج المعرفي للعلماء السابقين للعلوم، ومنها الدينية كالتفسير والحديث والفقّه، ونحو ذلك.

٣. أصله الرباني: أي مصدره من عند الرّب الإله الواحد الأحد الفرد الصمد.

وحديثُ القرآنِ الكريمِ [والكتاب المقدَّس] عن الكون والظواهر الطبيعية المتعلقة بالأرض والسماء واسعٌ جدًّا، بالإضافة إلى عالم الأحياء التي تطورت فيها معارفنا منذ القرن التاسع عشر بصورة كبيرة، وغداً<sup>(١)</sup> القولُ فيها سهلاً مقارنةً بثقافة العصر القديم؛ حيث كانت آلاتُ النظر ومناهجُ البحثِ بسيطةً.

ولا يُعرف لأهل مكة في القرن السابع الميلادي اهتمامٌ خاصٌّ بأصول نشأة العالم، ولا يظهر ذلك في المحفوظ في شعرهم، ولا يُمثَلُ تراثهم مادةً مُغريةً للحديث عن نشأة الكون.

كذلك لم تكن بيئَةُ مكة والمدينة تعتنِي بالبحر وأخباره، فرغم أن مكة قريبةٌ من سواحل جدة، إلا أن أهلها ما كانوا يركبون البحر<sup>(٢)</sup>؛ لغياب ثقافة السفر البحري فيها، وكان أكثرُ اهتمامهم بالرحلة إلى البلاد التي تُركبُ إليها الإبل، كالشام واليمن.

كما كانت النظرةُ العربيَّةُ إلى المطر ودورته<sup>(٣)</sup> تكادُ تقتصر على العِلْمِ بدلالة السحب أو الريح على الغيث في بيئَةٍ مُجدبة<sup>(٤)</sup> عامَّة السَّنة، وما تجاوز العقلُ العربيُّ النظرةَ الظاهريةَ للدورة المائية، وآخر أمره أن يربط أمورَ الغيثِ والجذبِ بمزاج الأَصنام!

في ذلك الجوّ المُقْحَط<sup>(٥)</sup>، تحدث القرآنُ عن الكون ونشأته وتوسعته، وعن السماء والشمس والقمر والأرض، وعن المطر والرَّيِّ، والمياه الجوفية، وبعضِ المَظَاهِرِ البحريةِ؛ فكانت صفحاتٍ مفتوحةً للاختبار العلمي في بابي «الإعجاز والعجز العِلْمِيِّين».

١. غدا: صار.

٢. يركبون البحر: يبحرون ويركبون السفن في البحر.

٣. دورته: عملية تبخُّر المياه من سطوح المحيطات والبحيرات، ثم عودته إلى الأرض عن طريق الأمطار.

٤. مجدبة: الأراضي التي لا تُخصب وتصبح جرداء لا نبات فيها ولا حياة.

٥. المُقْحَط: احتباس المطر ويس الأرض وقلة النبات.

إن القرآن قد اختار مذهباً<sup>(١)</sup> مخالفاً للأسطورة القديمة، ويبيّن أن السماء كانت دخاناً، لقوله تعالى في سورة فصلت: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾، والدخان كما نعرفه اليوم هو الآتي من النار، وكذلك قال العرب زمن البعثة النبوية. وما جاء به القرآن هنا عجيبٌ! لا لأنّه يخالف ثقافة العصر في وقت نزوله فقط، وإنما لأنه يسير بصورة معاكسة تماماً لتلك الثقافة؛ إذ يجعل أصل الكون ناراً لا ماء!

والعلم الحديث يخبرنا أن «كُونْنَا» قد ظهر إلى الوجود بعد انفجارٍ عظيمٍ حامٍ<sup>(٢)</sup>، وهو المعروف علمياً بـ (الانفجار العظيم) -Big bang- أو بعبارة الفيزيائي فرانسيس ب. كسافييه، وهو أستاذ الفيزياء في الكلية لويولا في الهند: «يتفق جُلُّ الفيزيائيين والكوسمولوجيين<sup>(٣)</sup> اليوم أن الكون من المحتمل أنه قد تطور عن كرة نارية من المادة من انفجارٍ أولي، والكون منذ ذلك الحين في توسع».

وفي لقاء للبرفسور يوشيدي كوزان - مدير مرصد طوكيو - مع الشيخ عبد المجيد الزنداني، قال: «إن هذا القرآن يصف الكون من أعلى نقطة في الوجود، فكلُّ شيءٍ أمامه مكشوفٌ، إن الذي قال هذا القرآن يرى كلَّ شيءٍ في هذا الكون؛ فليس هناك شيءٍ قد خفيَ عليه».

ولقد تضافرت<sup>(٤)</sup> الأدلّة وحشدت<sup>(٥)</sup> وأصبحت الآن شيئاً مرئياً مُشاهداً، نرى الآن نجومًا في السماء تتكون من هذا الدخان الذي هو أصل الكون، كما في الصور التي حصل عليها العلماء أخيراً بعد أن أطلقوا سُفنَ الفضاء،

١. مذهباً: من المذهب، وهو الطريق أو السبيل، واصطلاحاً: هو المنهج أو العقيدة.

٢. حام: ساخن جداً.

٣. الكوسمولوجيا: علم الكون أو الكونيات، هو العلم الذي يدرس أصل ونشأة وتاريخ ومحتويات الكون وتطوره، ودراسة البنية الواسعة للفضاء بكل ما فيه من مادة وطاقة.

٤. تضافرت: تعاونت لتحقيق تقدّم علمي.

٥. حشدت: جمعت بقصد التعاون والعمل المشترك.

وهي تصوّر نجمًا من النجوم يتكون من الدخان، وتبين الأطراف الحمراء للدخان الذي في بدايته الالتهاب والتجمع وإلى الوسط الذي اشتدّت به المادة وتكدّست<sup>(١)</sup> فأصبح شيئًا مُضيئًا، وهكذا النجوم المضيئة كانت قبل ذلك دخانًا، وكان الكون كله دُخانًا، أما هذا الدخان الكوني ففيه شيء من الحرارة؛ لأن الدخان عبارة عن غازات تعلق فيها مواد صلبة، ويكون معتمًا.

فَقَبِلَ أن تتكون النجومُ كان الكونُ عبارة عن غازات تعلق فيها مواد صلبة وكان مُعتمًا، وكذلك كان حارًا، فلا يَصْدُق عليه وصفُ الضباب، بل أدقُّ وصف هو أن نقول: هو دخان.

إن محاكمة اللفظ القرآني يجب أن تكون أساسًا إلى العُرفِ اللُّغوي<sup>(٢)</sup> زمن التنزيل، فالتعبير القرآني صادق ضرورة ضمن المعجم اللغوي للقرن السابع، سواء تعلق بالانفجار الأول أو بانفجار النجوم لاحقًا.

حيث يُصوّر كثيرٌ من العلماء المادة التي تتكون منها الأجرام<sup>(٣)</sup> أنها (دخان) أو (Smoke) بالإنجليزية، تمييزًا لها عن الغبار، وفي ذلك يقول علماء الفلك العاملون في مشروع (مرصد هيرشل الفضائي): «يتكون الغبار الكوني من جزئيات صغيرة من المواد الصلبة التي تطفو في الفضاء بين النجوم، إنه ليس مثل الغبار الذي تجده في منزلك، وإنما هو أقرب إلى الدخان، والمتكوّن من جسيمات<sup>(٤)</sup> صغيرة تتنوع من مجموعات من جزئيات<sup>(٥)</sup> قليلة إلى حبيبات من ١, ٠ مم حجمًا».

١. تكدست: تراكمت وتجمّعت وكثرت وازدحمت.

٢. العرف اللغوي:: الطريقة المستعملة لعناصر لغة ما في الكلام المفيد الذي يعبر عن فكرة إنسانية في بيئة وزمان معينين.

٣. الأجرام: هي الكواكب والنجوم والأقمار، وأي أجسام أخرى في النظام الشمسي (في الكون).

٤. جسيمات: الأجسام الدقيقة -مُتناهية الصغر، مثل جسيمات التراب أو الرمل، ويعتبر الحجم على حسب المسألة.

٥. جزئيات: من جزيء، وهو أصغر وحدة في المادة الكيميائية النقية، فمثلاً جزيء ماء يحتوي على ذرة أوكسجين مرتبطة بذرتي هيدروجين.

وفي دراسة جديدة نُشرت مؤخرًا في مجلة (Nature)، اكتشف علماء من جامعة آرهوس ومعهد نيلز بور في جامعة كوبنهاغن كيف يتم إنشاء الغبار الكوني عندما تنفجر النجوم العملاقة على شكل سوبرنوفا<sup>(١)</sup>، مما يرسل موجات صدمة هائلة إلى طبقات من الغاز المضغوط. وذلك يربط ما بين الانفجار والحرارة من جهة، والغبار الكوني الذي يمنع الرؤية ويستحق - بجميع هذه الأوصاف - أن يكون دخانًا.

أما ما نقله العلماء السلف عن «الدخان» أنه «بخار الماء» فأصله «الإسرائيليات»<sup>(٢)</sup> التي فسّرها أمرُ الدخان؛ إذ لم يدرك الأولون مصدر الدخان في بدء الخلق، ولم يتصوروا أمر الانفجار الأول، ولو علموا أمر هذا الانفجار لأجمعوا على ترك القول بالبخار، وما يؤكد أصل الاستقاء<sup>(٣)</sup> من الإسرائيليات أن الخبر المروي عن الصحابة في إثبات البخار مشبع بالأخطاء التي نقتطع اليوم بفسادها وأصلها اليهودي.

أما ما أثبتته بعض النظريات العلمية الحديثة التي تبحث في موضوع نشأة الكون أن الأرض كانت جزءًا من المجموعة الشمسية، ثم انفصلت عنها، وكانت كرة ملتهبة، وبردت حتى أصبحت مكانًا صالحًا للعيش، بدليل وجود البراكين الملتهبة داخل الأرض وتحت المحيطات، فهذا التفسير يطابق قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ ۝٣٠﴾، ولا يتناقض مع التفسير السابق (انظر تفسير هذه الآية في موضوع خلق السماوات والأرض).

١. سوبرنوفا: هو عبارة عن انفجار نجمي مدّمر في الفضاء، يفوق تصوُّره خيلة الإنسان.
٢. الإسرائيليات: هي الأحاديث الموضوعية -الزائفة- وقد تكون لها قصص أو اقتباس من الكتاب المقدس اليهودي، وأغلبها محرّفة وغير صحيحة.
٣. الاستقاء: مصدر استقى، أي حصل عليها أو أخرجها أو أخذ منها.

## أ. ٢. توسُّع الكون:

لقد اهتدى العلماء في بداية القرن العشرين إلى توسُّع الكون بالحساب الرياضي<sup>(١)</sup>، تم تأكيده لاحقاً بالرؤية المرصادية<sup>(٢)</sup>، أولاً من طرف التليسكوب الفضائي هابل، ثم بقية المراصد، فما عاد هناك شكٌ معتبرٌ في هذا الشأن، فقد اعتضد<sup>(٣)</sup> البحثُ النظري بالكشف العلمي، حتى صرَّح الفيزيائي أندرو ليدل (وهو أستاذ الفيزياء الفلكية في كلية أدنبرة الملكية) بأن: كوننا يتمدد حالياً، قد تم تأكيده بلا شك، وتوسُّع الكون يبعُد على العقل القديم تصوُّره، فإن افتراض توسُّع سقف الأرض لا يكاد يدلُّ عليه معنى معقول أو متصوَّر، ورغم ذلك فمن السلف من فسَّر قولَ الله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾<sup>(٤٧)</sup>، بمدِّ السماء، كعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (توفي عام ١٨٢ هـ.)، وهو من أعلام المفسرين في زمن تابعي التابعين، وبنفس الدلالة قال أبو إسحاق الزجاج النحوي (متوفي ٣١١ هـ)، وقال ابن كثير (توفي ٧٧٤ هـ): ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: قد وسعنا أرجاءها، وفرعناها بغير عمَدٍ<sup>(٤)</sup> حتى استقلَّت كما هي.

وفي نهاية القرن العشرين كان العلماء يظنون أن الكون قد نشأ نتيجة الانفجار الكبير، وبقيت هذه النظرية لسنوات، ولكن في عام ٢٠١٤ م تبين أنه - وحسب أحدث صورة للكون - تكوَّن نتيجة توسع مفاجئ، حيث تشكلت خيوط من المجرات<sup>(٥)</sup> تشبه النسيج، وتتباعد مع مرور الزمن، قال ابن عباس

١. الحساب الرياضي: وهو من علم الحساب، ويختص بدراسة الأرقام والأعداد وخصائص العمليات الحسابية بما فيها الجمع والطرح والمعادلات الحسابية إلى جانب الجبر والهندسة والتحليل.

٢. المرصادية: أي ما يشاهد بالمرصاد، وهو تليسكوب يُضخَّم الصورة بغرض دراسة المشهد ومراقبته.

٣. اعتضد: قَوِيَ.

٤. عمد: أعمدة.

٥. خيوط من المجرات: تنظيم مرتبط من الكواكب والنجوم.

( ت ٦٨ هـ. )، ( بأيد ) أي: بقوة، ( وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ) أي: نتوسع في خلق السماء وقدرها، فالكون يتوسع ويتمدد ويتباعد مع مرور الزمن.

وقد تبين أن مجرتنا نفسها تدور وتسبح ضمن حشد مجري<sup>(١)</sup> (فضاء) يُدعى بالمجرات المحلية، وعدد المكتشف منها يتراوح إلى الآن بين ٤٠ إلى ٥٠ مجرة، وهذه المجرات مرتبطة بعضها ببعض فيزيائياً برباط الجاذبية المشتركة، أي إن كل مجرة تدور حول مركز ثقل المجموعة المشتركة.

وتدور وتسبح المجرات المحلية كجرم سماوي واحد في مجموعة كبيرة من الحشود المجرية، وتسبح هذه المجموعة في حشود مجرية أكبر لتسبح في دائرة مجموع الحشود العملاقة وتؤلف الكون المرئي، ويتألف الكون المرئي من أكثر من مليار حشد مجري، وكل حشد مجري يحوي معدل ما يقارب ١٠٠ مجرة، وكل مجرة تحوي ١٠٠-٢٠٠ مليار نجم، وكل هذه الأجرام تدور وتسبح في فلك<sup>(٢)</sup> إلى ما هنالك، أي: وهو في توسع دائم، فسبحان الله.

### أ. ٣. الحركة في الكون:

وُصفت الحركة الصاعدة<sup>(٣)</sup> إلى السماء في القرآن الكريم بلفظ دقيق، وهو (العروج)، وهو وصف يوافق طبيعة شكل البنية الكونية، جاء في «لسان العرب» في مادة (عرج): «عَرَجَ يَعْرُجُ، وعَرَجَ عَرَجَانًا: مشى مشية الأعرج فغمز من شيء أصابه<sup>(٤)</sup>، وعرج، لا غير: صار أعرج... وانعرج الشيء: مال يَمْنَةً وَيَسْرَةً».

١. حشد مجري: جمع كبير من المجرات، يمتاز بالكثافة العالية.

٢. الفلك: المدار الذي يسبح فيه الجرم أو الكوكب السماوي.

٣. الحركة الصاعدة: حركة الارتفاع إلى أعلى الشيء.

٤. غمز من شيء أصابه: إشارة إلى ميلان الرجل من شيء أصيبت به.

ويقول عالم الفيزياء الكونية العراقي د. باسل الطائي - المتخصص في نظرية المجال الكمي ونظرية النسبية العامة - في معنى العروج: «وهنا نقف على ملاحظة مهمة جداً في تنزيل العليم العزيز؛ إذ نلاحظ أن الله تعالى استخدم كلمة (عروج) و (معارج) عند الحديث عن الحركة في السماء، ولهذا الاستخدام دلالة العلمية الدقيقة، إذ يفهم من معاجم اللغة العربية أن الانعراج هو انحراف وميل في الحركة، وجاء استخدامها في القرآن الكريم في سورة المعارج فقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ۗ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي سورة الحديد قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۗ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۗ﴾<sup>(١٤)</sup>.

إن استخدام معراج ومعارج عند الحديث عن الحركة في السماء حصرًا لم يكن اعتباطاً<sup>(١)</sup>، بل لأن الحركة الكونية هي حركة في «الزماكان»<sup>(٢)</sup> المحدث<sup>(٣)</sup> بوجود قوى الجاذبية الكونية لمختلف الأجرام؛ لذا فإن جميع الحركات في السماء تكون منعطفة<sup>(٤)</sup>، ولا توجد حركة على خط مستقيم بالمفهوم التقليدي قطعاً، وحتى الضوء وجميع الإشارات الكهرومغناطيسية الواصلة إلينا من آفاق الكون البعيدة تتخذ مسارات منعرجة يمينية ويسرة بحسب تحذب المكان في الفضاء الكوني، وهذه المسارات تسمى الخطوط الجيوديسية<sup>(٥)</sup>

١. اعتباطاً: دون سبب أو علة.

٢. الزماكان: (Space time) أي الزمان - مكان، أو الزمان المكاني، وهو دمج لمفهومي الزمان والمكان، وهو الفضاء بأبعاده الأربعة، الأبعاد الثلاثة التي نعرفها: الطول، العرض، والارتفاع، يضاف إليها الزمن كبعد رابع، هذا الفضاء الرباعي يشكل نسيجاً أو شبكة تحمل كل شيء في هذا الكون، فكل جسم مهما كان حجمه، وكل حدث يخضع لها، فلا وجود للأشياء والأحداث خارج نطاق المكان والزمان.

٣. المحدث: المقوس، أي يلتوي ويميل عند ارتفاعه عن الأرض.

٤. منعطفة: النقطة التي ينعرج فيها، وينحرف منها عن الطريق المستقيم.

٥. الخطوط الجيوديسية: الجيوديسي، هو تعميم لمفهوم الخط المستقيم في الزمكان المنحني، أي الخط أو المسار للجسيم الغير معترض لأي قوة خارجية بخلاف الجاذبية، بعبارة أخرى يتحرك الجسم المتحرك أو الساقط بحرية دائماً على طول خط الجيوديسي، وهي مسارات منحنية معروفة ومحددة.

(Geodesic lines)، والأصح تسميتها (المعارج)، هكذا بكلمة واحدة عربية فصيحة قرآنية نعبر عن الخطوط الجيودسية فنقول معراج ومعارج.. ونفهم معناها الدقيق، ونفهم التنزيل الحكيم.

جاء تعريف «العروج» في المعاجم أنه «الارتقاء»، وذلك لا يذهب بإعجاز اللفظ القرآني، فإن القرآن ينتقي من الألفاظ في اللغة العربية، ما يكشف العلم دقته بصورة بالغة، فإن الصعود في السماء تكفيه عبارة (صعد) و (ارتقى)، غير أن القرآن لازم مراتٍ كثيرةً جذر (عرج) للدلالة على الصعود في السماء، فكان وصفه مفهومًا للعربي قديمًا على معنى الصعود، وللمعاصر على أنه «الصعود مع الانحناء»، ولا توجد عبارة في لغة العرب أدق من هذه العبارة، علمًا أن «التوراة» لا تستعمل عبارة تشير إلى الميل عند الصعود إلى السماء.

ومن دقة العرف اللفظي في القرآني بما يصف الحركة على معنى يوافق المعنى العام، بما يفهمه السابقون، والأخص بما دل عليه الكشف العلمي، وصف حركة الأجرام في السماء «بالسباحة»، فقد وصف القرآن الكريم حركة الأجرام وصفًا عجيبًا، وهو «السباحة» فشبه الحركة بحركة السابح، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(٢٣)</sup>، وقال تعالى في سورة يس: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(٤٠)</sup>.

ورغم أن استعارة<sup>(١)</sup> صفة السباحة لوصف حركة الأفلاك ليست صادمة لعقل عرب القرن السابع، إلا أن اللفظ أدق مما يتصوره صاحب القراءة العجيلة<sup>(٢)</sup>؛ فإن أهمَّ فعلٍ للسابح طبيعة حركته لا سرعته، فسرعة الجاري على الأرض أعظم من سرعة السابح. والناظر في حركة الكائنات البحرية سريعة

١. استعارة: الاستعارة في علم البلاغة: هو تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه (المشبه والمشبّه به).

٢. العجيلة: المستعجلة، السريعة.

الحركة يرى أن عامتها يسبح على واحد من وجهتين، إما بانثنائه يميناً وشمالاً، كما هي حركة سمك السلمون مثلاً، أو بالارتفاع والنزول كما هي حركة سباحة الدُّلّفين مثلاً، وبملاحظة حركة الأرض والقمر مثلاً في دورانهما حول الشمس - الدائرة هي أيضاً - نلاحظ أن هذا الدوران ليس حول جرم ثابت؛ إذ إن كل الأجرام في الكون تتحرك، وإنما الكواكب تسبح ملتفة يميناً وشمالاً، وصعوداً ونزولاً، وليست هي الحركة التي كانت تُبصرها العين المجردة في الليل في القرن السابع الميلادي عند نزول القرآن.

ومما يضاف هنا قولُ الشيخ محمود شكري الألوسي<sup>(١)</sup>: «واستنبط بعضهم من نسبة السباحة للكواكب أن ليس هناك حامل له يتحرك بحركته مطلقاً، بل هو متحرك بنفسه في الفلك تحرك السمكة في الماء، إذ لا يقال للجالس في صندوق أو على جذع<sup>(٢)</sup> يجري في الماء: إنه يسبح».

وما قرره القرآن بالنسبة لحركة الأجرام موافق للعلم، مخالف للتفكير البدائي الذي ظن أن الكواكب أو النجوم أشياء مثبتة في قبة السماء تتحرك بحركة هذه القبة الصلبة.

أ. ٤. ظلمة الكون:

وقد دل القرآن الكريم في أكثر من آية على ظلمة الكون:

- قال تعالى في سورة الحجر: ﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ** <sup>(١٤)</sup> **لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ** <sup>(١٥)</sup> ﴾، وفي تفسير (سُكَّرَتْ) - بتشديد الكاف - قال ابن عباس وقتادة: مُنِعَتْ عن

١. الشيخ محمود شكري الألوسي: وهو أديب ومؤرخ عراقي، وأحد علماء أهل السنة، ومن المتمسكين بمنهج السلف الصالح، وأحد الشخصيات البارزة في العالم العربي والإسلامي، ومن تخرّج على يديه الشاعر المعروف معروف الرصافي، وكذلك الكاتب واللغوي العراقي الأب أنستاس الكرمل (ت: ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م).

٢. جذع: ساق الشجر.

رؤية الحقيقة، من السُّكْر - بكسر السين -، وهو الشدُّ والحبس، وعن مجاهد: حُبِسْتُ، وعن الكلبي: عَمَيْتُ، وعن أبي عمرو: غُطِّيتُ، وعن قتادة أُخِذْتُ، وعن أبي عبيد: غُشِّيتُ..، فالصعود في السماء يعوقه كَفُّ البصر، فلا يرى شيئاً بسبب الظلام الكوني.

ومن المثير هنا أن القرآن قد ذكر أن العروج إلى السماء يكون نهاراً، فإن الآية تقول (فَطَلُّوا)، ولم تقل (أَمْسُوا) أو (باتوا)، والأصلُّ في عبارة (ظل) فعلُ الأمرِ نهاراً، وذلك برهانٌ أن قشرة الضياء على الأرض في النهار يعقبها<sup>(١)</sup> مباشرة ظلام ليلي.

- وقال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿يُعْشَىٰ آيَلُ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: إن الليل يغطي النهار ويلبسه، ففوق كلِّ نهارٍ ليلٌ يغطيه.

وقد ذكر الدكتور محمد راتب النابلسي في كتابه «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم»: كان عالم من علماء الفضاء في زيارة مركز إطلاق المراكب الفضائية في بعض الدول المتقدمة، وبينما هو في زيارة هذا المركز الذي كان على اتصال مستمر بمركبة فضائية كانت قد أُطلقت قبل ذلك بقليل، وكانت المركبة أُطلقت في وضوح النهار، وبعد وقت قليل تجاوزت<sup>(٣)</sup> الغلاف الجوي، ودخلت في منطقة لا هواء فيها، أصبح الجوُّ مظلمًا ظلامًا كليًا، فصاح رائد الفضاء: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، فما الذي حصل؟

الذي حصل أن أشعة الشمس إذا وصلت إلى الغلاف الجوي تناثر<sup>(٣)</sup> ضوءها وتشتت بين ذرات الهواء وذرات الغبار، وهذا ما يعبر عنه علماء الفيزياء بانتثار الضوء، أو بتشتت الضوء، تنعكس أشعة الشمس على ذرات

١. يعقبها: يتلوها، يجيء بعدها، يخلفها، وقيل عن المتعاقبان هما الليل والنهار.

٢. تجاوزت: تحطت، أو خرجت عن المسار.

٣. تناثر: تفرقت وتشتت وتوزع في كل مكان.

الهواء، وذرات الغبار فتجعلها متألقة، وهذا الذي يسمى في الدنيا: منطقة فيها أشعة الشمس، ومنطقة فيها ضوءٌ، ولا شمس فيها، كجو المسجد، فإنه يَرى فيه بعضنا بعضاً، هناك ضوء وليس فيه أشعةُ شمس لأن الضوء ينتشر، فلما غادرت هذه المركبة الغلاف الجوي انعدم تناثر الضوء، وأصبح الفضاء مظلمًا شديد الظلام، لا يُرى فيه شيء.

لو عدنا إلى كتاب الله الذي نزل قبل أربعة عشر قرنًا وزيادة، ووقتها ما عرف أهل الأرض الصعود إلى القمر، وما عرفوا غزو الفضاء بهذه العبارة الفجّة<sup>(١)</sup>، وما عرفوا تجاوز الغلاف الجوي، وما عرفوا كل ذلك، ولو عدنا إلى كتاب الله لوجدنا في هذه الآية إعجازًا علميًا.

هذا الذي قاله رائد الفضاء: لقد أصبحنا عُميًا، قد جاء به القرآن قبل أربعة عشر قرنًا، أليس هذا دليلًا قطعياً على أن هذا الكلام كلام خالق البشر؟ عُرِفَت هذه الحقيقة قبل عشرات السنوات فقط، حينما عرف الإنسان الغلاف الجوي واقتحمه<sup>(٢)</sup>، وألغى تناثر الضوء، ودخل في ظلام دامس، عرف كيف أن الفضاء الخارجي مظلم ظلامًا داكنًا، ولا يرى في الفضاء إلا كوكب متألّق من دون أن ينتثر الضوء.

أ. ٥. نهاية الكون:

تضمن القرآن عددًا من الآيات في الإخبار عن خاتمة<sup>(٣)</sup> الأجرام السماوية، وخاصة الشمس، وهي تتطابق مع ما انتهى إليه العلم في أمر طبيعة موت هذه الأجرام، فرغم أن الحديث القرآني متعلق بما يكون عند نهاية الزمان، إلا أنه متصل في نفس الحين بنهاية عمر هذه الأجرام إذا آلت<sup>(٤)</sup> إلى

١. الفجّة: السطحية، الفظة أو الغليظة أو الضيقة أو القاسية.

٢. اقتحمه: دخله عنوة، وعنفاً وقوة، وبشدّة وصعوبة.

٣. خاتمة: عاقبة وآخرة ونهاية.

٤. آلت: انتهت إلى، أو رجعت إلى.

الموت.. والملاحظ في مطابقة العلم الحديث الخبر القرآني، أمران: أولهما دقة الوصف القرآني، وثانيهما أن القرآن خالف الكتاب المقدس في جُلِّ (١) هذا الخبر؛ فتفرد بالسبق العلمي، مع عدم متابعتة الكتاب المقدس على باطله:

### المثال الأول: نهاية الشمس:

\* شكل الشمس عند أولى مراحل الموت: صور العلماء ما يُعرف بـ (سديم عين القطعة) (Cat's eye nebula) وهو سديم (٢) يتكون من نجم يُحتَضِر، وهو بذلك يقدم المرحلة النهائية لنجم شبيه بشمسنا، ويقول العلماء إنهم برؤيتهم خاتمة هذه النجوم، بإمكانهم توقُّع خاتمة شمسنا.

وقد شاهدوا صورة وردة، أو تحديداً «وردة حمراء»، وقد قال السلف في تفسير قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٣٧)، إنها وردة حمراء، قال قتادة السدوسي التابعي - وكان من علماء الناس بالقرآن والفقهاء، وكان من حفاظ أهل زمانه (ت: ١١٨ هـ) -: «هي اليوم خضراء، ولونها يومئذ الحمرة»، قال الطبري: «يقول تعالى في ذكره: فإذا انشقت السماء وتفتَّرت (٣)، وذلك يوم القيامة، فكان لونها لون الورد الأحمر»، قال الطبري: «واختلف أهل التأويل في معنى قوله: «كالدهان» فقال بعضهم: معناه كالدهن صافية الحمرة مشرقة، وقال آخرون: عني بذلك: فكانت وردة كالأديم، وقالوا: الدهان: جمع دهن». وكلا الوصفين ثابت في صورة سديم عين القط. وإذا تفجرت النجوم التي تملأ السماء، صار شكل السماء كأن غالبها ورود من دهان زيتية، حمراء.

١. جُلِّ: معظم، أو أكثر.

٢. سديم: ضباب يُرى في السماء ليلاً، أو أنوار باهتة من نجوم ضعيفة متراكمة، أو تجمُّع غازات مضيئة.

٣. تفتَّرت: تصدَّعت أو تشققت وتفرقت ما فيها من نجوم وكواكب.

\* اقتران الشمس والقمر: يقرر العلماء أن الشمس ستضخم لتتحول إلى العملاق الأحمر، (red giant) بسبب تحول أنوية<sup>(١)</sup> ذرات الهيدروجين إلى هيليوم بطريق الاندماج النووي، وعندها تقوم الشمس بابتلاع (عطارد) و (الزهرة)، ويرى العلماء أن هناك احتمالاً كبيراً أن تبتلع الشمس أيضاً القمر والأرض، وإذا صح ذلك؛ فسيكون التفسير الصريح قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۗ﴾، والله أعلم.

\* تقلص الشمس: ينتهي النجم بالتقزم<sup>(٢)</sup> في ما يُعرف بظاهرة (القزم الأبيض)، (white dwarf)؛ إذ ينكفي<sup>(٣)</sup> على نفسه، وهو ما يطابق حديث القرآن في سورة التكوير عن تكوير الأرض: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۙ﴾، يقول الطبري: «والتكوير في كلام العرب: جمعُ بعضِ الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفُّها على الرأس، وقيل معناها: جمع بعضها إلى بعض، ثم لُفَّت فرُمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها، والله أعلم».

\* ظلمة الشمس: يقرر القرآن الكريم - والعهد القديم - أن الشمس ستفقد إنارتها الذاتية ويُطمس ضوءها، كما في قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۙ﴾، وفي سورة المرسلات: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۙ﴾، وهذا ما يقرر العلم تحول الشمس إلى (قزم أسود) black dwarf بلا طاقة بعد تبرُّد (القزم الأبيض)، والله أعلم.

### المثال الثاني: نهاية النجوم:

كما أن القرآن الكريم الحافل أكثر من «التوراة والإنجيل» بذكر علامات

١. أنوية: من النواة، وهي جسيم حي جزء من الذرة التي تدور حوله الإلكترونات، ويحتوي على بروتونات ونيوترونات.

٢. التقزم: حالة ناتجة عن النمو البطيء، أو تصغير الحجم.

٣. ينكفي: ينصرف، يميل، يرجع إلى.

يوم القيامة، فإنه لم يذكر النجوم في الحديث عن علامات آخر الزمان ويوم  
القيامة سوى في آيتين:

- في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾. انْكَدَرَتْ: تهاوت  
وتساقطت وانتثرت وتفرقت.

- في سورة المرسلات: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾. طُمِسَتْ: انمحت  
واختفت.

وفي كلتا الحالتين يكفي القرآن بالحديث عن ذهاب ضوء النجوم، دون  
إشارة إلى سقوطها على الأرض.

أ. ٦. خلق السماوات والأرض:

لقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿أَوَلَمْ  
يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَهُمَا ﴿٣٠﴾﴾، فقد كانت  
السماوات والأرض كتلة واحدة، ووُجدتا أولًا، ثم تم فصلهما، بالفتق (هو  
الفصل)، والفتق ضد الوصل (الرتق)، فتميزت السماء عن الأرض، وهَيِّئَتْ  
الأرض للحياة.

قال ابن كثير: «كان الجميع متصلًا ببعضه ببعض، متلاصقًا متراكمًا بعضه  
فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السماوات سبعًا،  
والأرض سبعًا».

وقد جاء في تفسير الآية بفصل السماء عن الأرض عن التابعي الجليل  
المفسر قتادة السدوسي (توفي ١١٨ هـ)، والتابعي الجليل الحسن البصري  
(توفي ١١٠ هـ)، وقد فسر ابن زيد (توفي ١٨٢ هـ) من السلف هذه الآية  
قائلًا: «كانت السماوات رتقًا ولا ينزل منها مطر، وكانت الأرض رتقًا، أي:  
لا يخرج منها نبات، ففتقهما (فصلهما) الله تعالى، فأنزل مطر السماء، وشقَّ

الأرض فأخرج نباتها، وهو تفسيرٌ مقبول في ذلك الوقت، أما النظريات العلمية الحديثة التي تبحث في موضوع نشأة الكون أن الأرض كانت جزءاً لا يتجزأ من المجموعة الشمسية في بداية الخلق، ثم انفصلت عنها وبدأت تبرد وتتلاءم<sup>(١)</sup> في درجة حرارتها حتى أصبحت مكاناً صالحاً للسكن والعيش، ويستند أصحاب هذه النظرية على وجود البراكين والحمم<sup>(٢)</sup> في باطن الأرض، ويقولون: إن هذه الحمم في نواة الأرض إنما هي بقايا العهد القديم التي كانت فيه الأرض جزءاً من الشمس، فسبحان الله العظيم.

أ. ٧. شمس، لا شمس واحدة:

- قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ نَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝١١ ﴾. بُرُوجًا تعني - هنا - : النجوم الكبار والكواكب، وقيل: منازل الشمس والقمر.

- وقال تعالى في سورة النبأ: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ۝١٣ ﴾. وَهَاجًا: تعني هنا؛ ساطعًا، مضيئًا، منيرًا.

- وقال تعالى في سورة نوح: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ ﴾.

ولذلك فسّر العلماء - الذين قرؤوا: ﴿ سِرَاجًا ﴾ - السراج بالشمس في جميع آيات القرآن حيث جاءت الكلمة مفردة. وقال ابن منظور صاحب (لسان العرب): «والسراج: الشمس».

كان الناس حتى زمن قريب يعتقدون أن الكون ليس فيه غير شمسنا، ولما توسّع عمل المراصد الفلكية اكتشف العلماء أن الكون فيه بلايين النجوم؛

١. تتلاءم: تجتمع، وتتسق، وتنظم، ويعاد ترتيبها.

٢. الحمم: هي تدفقات لكتل معدنية وصخرية حارة ملتهبة مصهورة وسائلة، تخرج من البراكين وتنشأ من خلال الانفجارات الحادثة.

إذ إن جُلَّ طاقة الكون مصدرها هذه الشمس، وهي الحقيقة التي نبّه عليها القرآن بوضوح جليّ في آية (٦١) من سورة الفرقان في قراءة حمزة والكسائي، (وهما قراءتان من القراءات السبع المتواترة): (سُرْجًا) بالجمع.

ولما عجب المفسّرون من أمر هذا الجمع - لأن الشمس في ثقافتهم العلمية واحدة -، وكانت الآية ذكرت القمر، لم يجدوا مخرجًا غير القول إن السُرْج هنا هي النجوم، رغم علمهم أن كلمة سرج في العرف القرآني تعني الشمس.

والعجيب هنا أن المفسّرين أصابوا في قولهم دون قصد؛ إذ إن جُلَّ النجوم هي في حقيقتها شمس أيضًا، إذ النجم هو جُرم سماوي ينير إنارة ذاتية، ويتج طاقته النووية في نواته، فاعجب للدقة القرآنية التي ألزمت المفسرين أن يسبقوا عصرهم في هذا.

أ. ٨. القمر المضيء:

قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۚ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَكْدَ الدَّالِّسِينَ وَالْحَسَابِ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَّهُ تَفْصِيلًا ۗ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل».

وقد سئل سيدنا علي رضي الله عنه عن السواد الذي في القمر فقال: «ذاك آية الليل مُحيّت»، ويقول العلماء اليوم: إن المساحات التي تبدو لنا سوداء من القمر هي عبارة عن مناطق كانت ملتهبة، كانت طبقات من الحمم المتصلبة مع تبرد القمر، أي: إن القمر كان ملتهبًا مضيئًا كالشمس، ثم أذهب الله تعالى هذا

الضوء الناتج من هذا الالتهاب، وجعله هامدًا<sup>(١)</sup>؛ لذلك وصفه في هذه الآية «بالمحو» أي: أزاله، ولذلك فهو الآن لا يضيء، وما نراه هو انعكاس ضوء الشمس عند دوران الكرة الأرضية، والعلمُ بذلك يشهد لصواب تفسير سيدنا علي وسيدنا ابن عباس رضي الله عنهما الذي أخذوه - كما هو ظاهر - من الآية.

واليوم يتفق العلماء أن عُمرَ القمر هو نفس عمر الأرض ( ٥ , ٤ بليون سنة )، ويذهب عامَّةُ العلماء إلى أن القمر في بدايته كان مُلتَهَبَ السطح. ويقول عالم الجيولوجيا دوغ ماكدوغال (وهو أستاذ في جامعة كاليفورنيا، وله أبحاث ومؤلفات في الجيوكيمياء): «وإنَّ واحدًا من أهم الاكتشافات من دراسة الصخور التي جيء بها على يد علماء الفلك العاملين في برنامج (أبولو المركبة الفضائية الأمريكية التي هبطت على سطح القمر) هي أن كل الجزء الخارجي للقمر في بداية حياته كان مصهورًا، أو بعبارة حرفية: بحر من الصهارة (Magma) وهي كلمة لاتينية تعني (بحارًا)، والصخور التي من المناطق العليا في القمر، هي بقايا القشرة التي كوَّنت كمحيط صهاريٍّ مُتَبَرَّد ومبلور (crystallized)». فسبحان الله الخالق.

أ. ٩. قشرة الضياء:

قال تعالى في سورة يس: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧)، تثبت هذه الآية أمرين:

أولاً: الظلمة هي الأصل، وما ضوء النهار إلا شيء متحيزٌ فوق الأرض، قال المُفسِّر ابن عاشور<sup>(٢)</sup>: «والسَّلخ: إزالة الجلد عن حيوانه... فمفعول نسلخ

١. هامدًا: ساكنًا لا حراك فيه.

٢. ابن عاشور: واسمه محمد الطاهر بن عاشور، من تونس، ولد في سنة ١٨٧٩ م، وهو عالم وفقه، أسرته منحدرة من الأندلس، ترجع أصولها إلى أشراف المغرب الأدارسة، تعلم بجامعة الزيتونة، ثم أصبح من كبار أساتذته. وهو من أبرز مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث، وتولى القضاء، والإفتاء، واختير لمنصب شيخ الإسلام المالكي، وله كتابات ومؤلفات كثيرة في اللغة العربية والفقه والتفسير والشريعة الإسلامية، (ت: ١٩٧٣ م).

هنا هو النهار بلا ريب، وَعُدِّي السِّلْخِ إِلَى ضَمِيرِ اللَّيْلِ بـ (من)؛ فصار المعنى: الليل آية لهم في حال إزالة غشاء نور النهار عنه فيبقى عليهم بالليل، فشبه النهار بجلد الشاة ونحوها يَغْطِي ما تحته منها كما يغطي النهارُ ظلمة الليل في الصباح، وشبه كشف النهار وإزالته بسلخ الجلد عن نحو الشاة؛ فصار الليل بمنزلة جسم الحيوان المسلوخ منه جلده، وليس الليل بمقصودٍ بالتشبيه، وإنما المقصودُ تشبيهُ زوالِ (١) النهارِ عنه، فاستتبع (٢) ذلك أن الليل يبقى شبه الجسم المسلوخ عنه جلده، ووجه ذلك أن الظلمة هي الحالة السابقة للعوالم (٣) قبل خلق النور في الأجسام النيرة؛ لأن الظلمة عدمٌ، والنور وجودٌ، وكانت الموجودات في ظلمة قبل أن يخلق الله الكواكب النيرة (٤) ويوصل نورها إلى الأجسام التي تستقبلها كالأرض والقمر.

ثانياً: النهار قشرة رقيقة تغطي الأرض؛ ولذلك شبه بالجلد؛ إذ الجلد قشرة رقيقة من كيان ضخمة، والعلم يقول لنا اليوم - بعد الصعود إلى الفضاء -: إن النهار يشبه قشرة لطيفة تغطي جزءاً من الأرض بفعل مواجهتها للشمس، فهي لا تتجاوز ارتفاع ٣٠٠ كم عن سطح الأرض التي تمثل الغلاف الجوي للأرض، وهي مسافة رقيقة جداً في كونٍ تقاس فيه المسافات بالسنوات الضوئية؛ لقصور (٥) الكيلومترات عن تقديم أرقام قليلة الأصفار. سبحانه الله.

١. زوال: ذهاب.

٢. استتبع: اقتضى.

٣. العوالم: جمع عالم، ومنها الكون الذي نحن فيه.

٤. النيرة: المنيرة، أو المضيئة.

٥. قصور: هنا بمعنى: عدم القدرة على تقديم ما يكفي.

## أ. ١٠. كروية الأرض في القرآن:

ذهب جمهور علماء الإسلام<sup>(١)</sup> إلى القول بكروية الأرض، انطلاقاً مما جاء في القرآن الكريم، قال ابن حزم<sup>(٢)</sup> منذ عشرة قرون في موسوعته في العقائد والفرق: (الفصل في المَلَلِ والأهواءِ والنِحَلِ<sup>(٣)</sup>) تحت عنوان: (مطلب، بيان كروية الأرض): «قالوا: إن البراهين قد صممت بأن الأرض كروية، والعامّة تقول غير ذلك، وجوابنا - وبالله تعالى التوفيق - أن أحداً من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم، لم ينكروا تكوير الأرض، ولا يُحفظ لأحد منهم في دفعه<sup>(٤)</sup> كلمة، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها».

وقال ابن الجوزي<sup>(٥)</sup>: «أجمعوا على أن الأرض بجميع أجزامها مثل الكرة، ويدل عليه أن الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها على جميع مَنْ في نواحي الأرض في وقت واحد، بل على المشرق قبل المغرب».

وقال ابن تيمية<sup>(٦)</sup>: «وقال الإمام أبو الحسين، أحمد بن جعفر بن الشناوي

١. جمهور علماء الإسلام: أي معظم العلماء.

٢. ابن حزم: وهو أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، ولد في سنة ٣٨٤هـ - ٩٩٤م، ويعد من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفاً وتأليفاً بعد الطبري، وهو إمام حافظ، فقيه ظاهري، ومجدد ومتكلم وأديب وشاعر وعالم برجال الحديث وناقد ومحلل، ووصف بالفيلسوف، وكان من أوائل من قال بكروية الأرض، وكان وزيراً سياسياً لبني أمية، نبذ التقليد وكان من المتحررين (ت: ٤٥٦هـ - ١٠٦٤م).

٣. النحل: الفرق والطوائف والاعتقادات.

٤. دفعه: رده أو إنكاره.

٥. ابن الجوزي: هو أبو الفرج، عبد الرحمن القرشي، وهو فقيه حنبلي، محدث ومؤرخ ومتكلم، ولد في بغداد سنة ١١١٦هـ، حظي بشهرة واسعة ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون، (ت: ١٢٠٣م).

٦. ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم الحَرَّائِي المشهور باسم ابن تيمية، ولد في حران الشام سنة (٦٦١هـ - ١٢٦٣م)، هو فقيه ومحدث ومفسر وفيلسوف ومتكلم وعالم مسلم مجتهد من علماء أهل السنة والجماعة، وهو أحد أبرز العلماء المسلمين في عصره، نشأ ابن تيمية حنبلي المذهب فأخذ الفقه الحنبلي وأصوله عن أبيه وجدته، توفي في دمشق (٧٢٨هـ - ١٣٢٨م).

- من أعيان العلماء المشهورين بمعرفة الآثار والتصانيف في فنون العلوم الدينية من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد -: أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البرّ والبحر مثل الكرة. قال: ويدل عليه أن الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها على جميع نواحي الأرض في وقت واحد، بل على المشرق قبل المغرب».

ومما استُدلَّ به على كروية الأرض قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ<sup>(١)</sup> وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾﴾، قال الرازي<sup>(٢)</sup>: «قال أبو بكر الأصم: المد هو البسط إلى ما لا يُدرَكُ منتهاه، فقوله: وهو الذي مَدَّ الأرض، يشعر بأنه تعالى جعل حجم الأرض حجمًا عظيمًا لا يقع البصر على منتهاه؛ لأن الأرض لو كانت أصغر حجمًا مما هي الآن عليه لما كَمُلَ الانتفاعُ بها، ومعلوم أن الأرض لها نهاية عند المسلمين وغيرهم زَمَنَ التنزيل [وقت نزول القرآن الكريم]، والبَسْطُ الذي لا حَدَّ له - عندها - هو ما ياتيهي إلى حافة، أي: الدالُّ على الكروية».

وأهم النصوص الدالة على كروية الأرض قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿يُكْوَرُ أَيْلًا عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ أَيْلًا لَّيْلًا﴾.

قال الإمام ابن حزم - منذ أكثر من ألف سنة -: «وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض، مأخوذ من كَوَّرِ العمامة، وهو إدارتها، وهذا نص على تكوير الأرض».

وقال العلامة ابن عاشور: «والتكوير حقيقة: اللَّفُّ واللِّيُّ، يقال: كَوَّرَ

١. رَوَاسِيَ: جبال راسية ثابتة.

٢. الرازي: أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ).

العمامة على رأسه إذا لَوَّاهَا وَلَقَّهَهَا، ومُثِّلَتْ به هنا هيئة غشيان<sup>(١)</sup> الليل على النهار في جزء من سطح الأرض».

وهو تمثيل بديع قابل للتجزئة، بأن تشبَّه الأرضُ بالرأس، ويشبَّه تعاوُر<sup>(٢)</sup> الليل والنهار عليها بلفِّ طيَّات<sup>(٣)</sup> العمامة، ومما يزيد إبداعاً إيثار مادة التكوير الذي هو معجزة علمية من معجزات القرآن... فإن مادة التكوير جائية<sup>(٤)</sup> من اسم الكرة، وهي الجسم المستدير من جميع جهاته على التساوي، والأرض كروية الشكل في الواقع، وذلك كان يجهله العربُ وجمهورُ البشرِ يومئذ، فأوماً<sup>(٥)</sup> القرآن إليه بوصف العَرَضَيْنِ<sup>(٦)</sup> اللذين يَعْتَرِيَانِ الأَرْضَ على التعاقب، وهما النور والظلمة، أو الليل والنهار، إذ جعل تعاورهما تكويراً؛ لأن عرض الكرة يكون كروياً تبعاً لذاتها، فلما كان سياق هذه الآية للاستدلال على الإلهية الحق بإنشاء السماوات والأرض، اختيار للاستدلال على ما يتبع ذلك الإنشاء من خلق العرضين العظيمين للأرض مادة التكوير دون غيرها من نحو الغشيان الذي عبر به في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾<sup>(٧)</sup>؛ لأن تلك الآية مسوَّقةٌ للدلالة على سعة التصرف في المخلوقات؛ لأن أولها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...﴾<sup>(٨)</sup>، فكان تصوير ذلك بإغشاء الليل والنهار خاصة؛ لأنه دل على قوة التمكن من تغييره أعراض مخلوقاته؛ ولذلك اقتصر على تغيير أعظم عرض، وهو النور بتسليط<sup>(٧)</sup> الظلمة عليه، لتكون هذه الآية لمن يأتي من المسلمين الذين يطلعون على علم الهيئة، فتكون معجزة عندهم».

١. غشيان: تغطية.

٢. تعاور: تداول.

٣. طيات: لفات قطع القماش بعضه فوق بعض.

٤. جائية: قادمة، من المجيء.

٥. أوماً: أشار إشارة معبرة.

٦. العَرَضَيْنِ: المتبادلين.

٧. تسليط: إطلاق التركيز والقوة على الشيء.

وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾، فيه أنه لا يمكن أن يستمر الليل في ملاحقة النهار على أرض مسطحة؛ لأنه سينتهي عند طرف الأرض، وذاك يقتضي أنه ليس للأرض (اليابسة والبحر) أطراف، كما هو حال الكرة مثلاً.

قال صاحب تفسير المنار الشيخ محمد رشيد رضا<sup>(١)</sup> رحمه الله: «والمعنى هنا: أن الله تعالى قد جعل الليل - الذي هو الظلمة - يغشى النهار - وهو ضوء الشمس على الأرض -، أي: يتبعه ويغلب على المكان الذي كان فيه، ويستمره حالة كونه يطلبه حيثاً، من قولهم: ومضى حيثاً، أي: مسرعاً. والمعنى أنه يتعقبه سريعاً كالطالب له، لا يفصل بينهما شيء، وهذا الطلب السريع يظهر أكمل الظهور بما ثبت من كون الأرض كروية الشكل، تدور على محورها تحت الشمس، فيكون نصفها مضيئاً بنورها دائماً، والنصف الآخر مظلماً دائماً».

ودلّل ابن حزم على كروية الأرض - شرعاً - بقوله: «إن القرآن صريحٌ في أن الشمس والقمر في السماء. قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾﴾، والسماء هي: كل ما علا الأرض، ولو أن الأرض كانت مسطحة، لَلزِمَ أن يخرج القمر والشمس من السماء لنزولهما تحت الأرض، وذاك تكذيب لكتاب الله!»، وقال رحمه الله: «فلو كان على ما يظن أهل الجهل لكانت الشمس والقمر إذا دارا بالأرض، وصارا في ما يقابل صفحة الأرض التي لَسْنَا عليها، قد خرجا عن

١. الشيخ محمد رشيد رضا: وهو عالم لبناني من طرابلس وهو عالم عقيدة معروف، ويعتبر مفكر إسلامياً من رواد الإصلاح الإسلامي، وهو أحد تلامذة الشيخ حسن الجسر في لبنان، والشيخ محمد عبده في مصر، وقد أسس مجلة المنار الإسلامية، وقد توفي في مصر سنة ١٣٥٤هـ/١٩٥٣م.

السماء، وهذا تكذيب لله تعالى؛ فقد صح في القرآن أنه لا يجوز أن يفارق الشمس والقمر السماوات، ولا أن يخرج عنها؛ لأنهما كيف دارا فهما في السماوات، فصح - ضرورةً - أن السماوات مطابقة طبقاً<sup>(١)</sup> على الأرض، أي: إنه إذا كان الشمس والقمر في كل أحوالهما في السماء، والسماء فوق رؤوس الناس لزم أن الأرض كروية؛ لأن تسطحها يمنع بقاء الشمس والقمر فوق رؤوس الناس دائماً.

وقد تعرّض القرآن لذكر مباحث وإشاراتٍ من عاداتها أن تكشف انبساط الأرض بلا تكوُّر، غير أن الخبر جاء على صورة متجانفة<sup>(٢)</sup> عن الخطأ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة يونس: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا<sup>(٣)</sup> وَارْتَبَتْ وَظُرِبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا<sup>(٤)</sup>﴾، فالسياق يُخبر أن القيامة تأتي ليلاً أو نهاراً، ولم تقل الآية إنها تأتي في الليل، ولم تقل إنها تأتي في النهار، ولو اقتصر القرآن على واحد منهما لكان خطأ؛ لأن الأرض كروية يجتمع فيها الليل والنهار في الآن نفسه، فالمعنى هنا أن القيامة تقوم لأحد الناس - لا كلهم - في الليل أو النهار، مع التنبيه أن حرف (أو) يردُّ عند بعض الكوفيين وابن مالك بمعنى (و)، وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى في سورة النور: ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ<sup>(٥)</sup>﴾، وعلى ذلك فالآية تخبر أن القيامة تكون ليلاً ونهاراً في الأرض كلها.

وقد اندفع المسلمون بيقينهم في كروية الأرض إلى الاشتغال بما ينجم عن هذا التصور من قضايا علمية، غير مُبالين بما عليه النصارى من مذاهب في هذا الباب؛ ولذلك - كما يقول لوسيان جوباي، وهو كاتب وناشط يهودي -:

١. مطابقة طبقاً: الجمع بينهما على حذو واحد، أي بين الضدّين في كلام واحد كالليل والنهار، والسموات والأرض.

٢. متجانفة: مائلة عن الحق.

٣. زُخْرُفَهَا: هنا متاعها وزينتها ونعمها، من زروع وثمار وزهور نضرة مختلفة الألوان والأشكال والأكل.

«قاس المسلمون محيطَ دائرة الأرضِ قبلَ ٨٠٠ سنة من قَبول أوروبا لأول مرة أن الأرض ليست مسطحة».

وهنا:

- دَلَّ كُلُّ من القرآن الكريم والسنة النبوية على كروية الأرض، في ضوء شواهد اللغة العربية.

- نزل القرآن في بيئة تشهد أشعارها وخطبها المحفوظة على أن أهلها كانوا يرون الأرض مسطحة غير مكورة.

- جاء في التلمود البابلي الذي يمثل التراث الشفوي اليهودي الشائع زمن البعثة النبوية ما يدل على أن الأرض مسطحة.

- الراهب أفرام السرياني (ت: ٣٧٣م) - الذي يمثل أهم الآباء الذين عاشوا قريباً من البعثة النبوية في أقرب تجمع نصراني لمكة - كان يرى الأرض مسطحة.

- آباء الكنيسة - من غير السريان - ممن كان لهم حضور قوي في ثقافة الشام زمن البعثة، كانوا يرون أن الأرض مسطحة.

- اتفق جمهور علماء الإسلام منذ قرون مبكرة على كروية الأرض.

- مصدر القول بكروية الأرض، هو ما ثبت في الوحي أولاً.

وفي المقابل:

- ظهرت النصرانية في جوِّ فكريٍّ يشيع فيه تعظيم الفلاسفة اليونان الذين اشتهرت أقوالهم في مدارس الدولة الرومانية، وقد عُرف عن عدد من أعلام الفكر اليوناني القول بكروية الأرض باعتماد الاستدلال العلمي<sup>(١)</sup>.

١. الاستدلال العلمي: هو استنتاج منطقي، مبني على فرضية علمية صحيحة.

- كل مَنْ اعتمد الكتابَ المقدَّسَ مصدرًا لمعرفة شكل الأرض في القرون الأولى، توَصَّل إلى رفض الشكل الكروي.

- هناك شكٌّ جادٌ في أن يوجد عالمٌ واحد من أعلام النصارى قال بكروية الأرض قبل البعثة النبوية.

- القلة القليلة من أئمة النصارى - التي ينسب إليها القول بكروية الأرض - لا تستدل بالكتاب المقدس لصحة مذهبها.

وتفسيرًا لما صرح به القرآن بأن الأرض مسطَّحة بقوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾، وكذلك قوله تعالى في سورة نوح: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾.

### الجواب:

أولاً: الأرض التي نراها بأعيننا مسطحة ومبسوطة على الحقيقة؛ فكل مسافة واسعة من الأرض منبسطة، مع انبعاج خفيف لا يصرف عنها وصف البسط. وقد نقل المفسر أبو حيان الأندلسي (متوفى ٧٤٥هـ.) عن أبي عبد الله الداراني، قوله: «ثبت بالدليل أن الأرض كرة، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾؛ وذلك أن الأرض جسم عظيم، والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كلُّ قطعةٍ منها تُشاهدُ كالسطح».

ثانياً: وَجْهُ ذِكْرِ بَسْطِ الْأَرْضِ هُوَ التَّذْكِيرُ أَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَتْ حَادَةً الطَّبوغرافياً<sup>(١)</sup>؛ فَبَسْطُهَا - بِالنِّسْبَةِ لِلْعِيَانِ<sup>(٢)</sup> - مِنْ أَسْبَابِ إِمْكَانِ الْحَيَاةِ عَلَيْهَا.

١. الطبوغرافيا: علم تضاريس سطح الأرض.

٢. العيان: المشاهد.

ثالثاً: لا يمكن أن تكون الأرض مبسوطةً بصورة كُليّة حتى تكون كروية؛ فلولا بسطُها الدائم لكانت لها نهاياتٌ حادة غير منبسطة. قال الرازي في قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿وإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾<sup>(١)</sup>، سطحها يتمهيد وتوطئة<sup>(٢)</sup>، فهي مهاد<sup>(٣)</sup> للمتقلب عليها. ومن الناس من استدللّ بهذا على أن الأرض ليست بكرة! وهو ضعيف؛ لأن الكرة إذا كانت في غاية العظمة<sup>(٣)</sup> يكون كل قطعة منها كالسطح».

وردّاً على قول بعض المستشرقين: قال المسلمون بكروية الأرض؛ لأنهم ترجموا كتبَ اليونان بصورة مبكّرة، وهي كتبٌ تقول بكروية الأرض.

### الجواب:

أولاً: ترجم المسلمون كتبَ اليونان بصورة مبكّرة (بعد البعثة النبوية ٥٧١م بوقت طويل - حوالي ٧٥٠م)، لكنها لم تنافس ظواهر الأخبار العلمية في القرآن في علم الأجنة، والدورة المائية، والطب الوقائي...، وبقي المسلمون مخالفين لكثير من تراث أرسطو وأبقراط وجالينوس.

ثانياً: عامّة كتب اليونان التي تمت ترجمتها من اليونانية إلى العربية - في أواخر الفترة الأموية، وفي العصر العباسي الأول - تُرجمت عبر السريانية، لا من اليونانية مباشرة، ومع ذلك رفض النصارى السريان القول بكروية الأرض بصورة جازمة، فلم يلزم العلم بتراث اليونان النصارى على القول بكروية الأرض؛ لأن ألفاظ التسطّيح واضحة في أسفارهم المقدسة.

ثالثاً: جمهور العلماء المسلمين الذين قالوا بكروية الأرض بصورة مبكرة كانوا من الفقهاء وأهل الشريعة، لا دارسي علوم اليونان.

١. توطئة: تحضير وتقريب.

٢. مهاد: أرض مستوية.

٣. غاية العظمة: الضخمة والكبيرة جداً.

رابعاً: الخصومة في القرون الأولى بين علماء الشريعة والمعجبين بتراث اليونان كانت واسعة جداً.

خامساً: التراث التوراتي والتلمودي في البيئة الإسلامية الأولى كان أقوى بكثير من التراث اليوناني، وهو ما يظهر في بعض كتب تفسير القرآن والتاريخ... والتراث اليهودي ظاهرٌ في إنكار كروية الأرض.

سادساً: استمرت معارضة العوام للقول بكروية الأرض زمن جهر<sup>(١)</sup> علماء الشريعة والفلك بكرويتها، وهو ظاهر من كلام ابن حزم السابق: «البراهين قد صحّت بأن الأرض كروية، والعامّة تقول غير ذلك».

أ. ١١. السماء سقف مرفوع:

يقول القرآن في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٣٢)</sup>، وقال تعالى في سورة ق: ﴿أَفَأَمَرَ يُنظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾<sup>(٦)</sup>، وذاك يدلُّ أن القرآن يقرّر أيضاً أن سماءنا قبة<sup>(٢)</sup> صلبة؛ إذ هي مبنية، وكلُّ مبنٍ صلب!

ثم إن القرآن يذكر أن الله يمسك السماء حتى لا تقع على الأرض في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٦٥)</sup>، ومعلوم أن ما يعلونا تُمسكهُ قوانين مادية، كما أن إمكانية وقوع السماء على الأرض يقضي أن السماء فوقنا سقفٌ واحدٌ صلبٌ.

١. جهر: صوت عالٍ مُعلن.

٢. قبة: نصف كرة مجوّفة.

## والجواب:

أولاً: السماء في لغة العرب: كلُّ ما عَلَاكَ، وذاك يشمَلُ كلَّ ما عَلَانَا أو بَعْضَهُ.

وقال أبو إسحق الزجاج - وهو نحويٌّ من العصر العباسي (٢٤١هـ / ٨٥٥م - ٣١١هـ / ٩٢٣م) من أهل العلم بالأدب والدين -: «يُقَالُ لكلِّ ما ارتفع وعلا: قد سما يسمُو، وكلُّ سَقْفٍ فهو سَمَاءٌ، ومن هذا قيل للسحاب: السماء؛ لأنها عالية».

وقال ابن منظور صاحب (لسان العرب): «وكلُّ سَقْفٍ فهو سَمَاءٌ، ومن هذا قيل للسحاب: السماء؛ لأنها عالية، والسماء: كل ما عَلَاكَ فأظَلَّكَ، وقيل قيل لسقف البيت: سماء».

وقال ابن تيمية: «لفظ (السماء) يتناول كلَّ ما سَمَا، ويدخل فيه السماوات، والكرسي، والعرش، وما فوق ذلك... ولفظ (السماء) قد يُراد به: السحاب، ويراد به: الفَلَكُ، ويراد به: ما فوق العالم، ويُرادُ به: العُلُوُّ مُطلقاً».

فالسماء في العُرْفِ اللساني القرآني: كل ما علا الإنسان، فالنجوم والكواكب سماءً لنا، والقرآنُ قد أطلق مسمَى السماء على السحب، كما جاء في قوله تعالى في سورة نوح: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (١١)، مما يُظهِرُ أَنَّ السماء تُطلَقُ على كل ما يعلو الأرض، أو بعض ما يعلوها.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (٢٢): «إنما سُميت السماء سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكَّانها من خَلْقِهِ، وكلُّ شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تَحْتَهُ سماءً».

وقد أثبت العلم أن السماء ليست فراغاً تَسْبُحُ فيه الأجرام، وإنما هي بناء، يمتد من الغلاف الجوي إلى ما يعلوه، وكل ذلك طبقات من الطاقة أو المادة. فالسماء بناءٌ فيزيائي بلا أدنى ريب.

ثانيًا: قلنا: إن السماء اسمٌ يُطلق على كل ما يعلونا أو بعضه؛ ولذلك فالسُّحُبُ سماءٌ، ووصفُ السماء أنها سقف محفوظ<sup>(١)</sup> يعني أنها محفوظة من الشياطين. قال تعال في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ<sup>(٣)</sup>، والأظهر<sup>(٤)</sup> أن هذا الوصف متعلق بحفظ مَنْ هُمْ تحت السماء من البشر؛ إذ الوصف متعلق بالسقف، وهو ما يكون في الأعلى، وبذلك فالمعنى حفظ الأرض وأهلها بسقف يحفظه الربُّ سبحانه؛ ليكون وقاءً<sup>(٥)</sup> للناس من فوقهم.

ويشهد العلمُ اليومُ أن الغلاف الجوي سقف مبني من طبقات: الأكسوسفير، والستراتوسفير، والميزوسفير، وغيرها من الطبقات. وقدَّر العلماءُ الفلكيون ستة طبقاتٍ، وقد تكون سبغًا، والله أعلم، والسماء الدنيا (الطبقة الأخيرة) هي سقف محفوظ؛ لأنها بناء حقيقي يحفظ الأرض من ملايين الشُّهب<sup>(٤)</sup> التي تقصف أرضنا يوميًا، ومن كثيرٍ من الأشعة الضارة التي لو وصلت أرضنا لأعدمت<sup>(٥)</sup> فيها الحياة، وقد وُصفت هذه الطبقات بأنها: قشور من الهواء غير مرئية، تغطي الأرض.

وقد وصف العلماءُ الغلاف الجوي صراحة أنه (سقف ceiling)، ومن ذلك قولُ عالم الفلك كريستوفر دوبري (أستاذ الفلك في كلية أجنيس سكون) تحت عنوان: (أسقف الغلاف الجوي والأشعة السماوية): «الأرض مُحاطة بسقفٍ مخترق بأشعَّتَيْنِ سماويتين.. بالنسبة لبقية أنواع طيف الأشعة يعدُّ الغلاف الجوي غير شفاف، وسقفًا غير نافذ impenetrable ceiling، فالغلاف

١. محفوظ: مُصان من كل مكروه برعاية الله تعالى.

٢. الأظهر: الأشهر والأصوب.

٣. وقاءً: حماية.

٤. الشهب: الأجرام المضيئة التي تنقُص على الأرض من السماء، (الأجرام السماوية إذا دخلت في جو الأرض اشتعلت).

٥. أعدمت: أفقدت، وأنهت الحياة.

الجوي - الذي لا يسمح بنفاذ<sup>(١)</sup> هذه الموجات، وإنما هو شفاف للضوء المرئي وبعض الأشعة تحت الحمراء - سببٌ عظيم لاستمرار الحياة على الأرض». وهي شهادة تطابق التقرير القرآني في قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالسمااء في الشهادة القرآنية، وفي شهادة العلم:

١. سقف.

٢. يحفظ الناس، فالسمااء محفوظة لتؤدي غرضها بحفظ الناس.

٣. آية على رحمة الله يُعْرِض عنها كثيرٌ الناس.

كما وُصِفَت السَّمَاءُ - لحمايتها البَشَر - أنها درع (Shield)، ومن ذلك ما نشره الموقع العلمي Science Daily عن اكتشاف مجموعة من العلماء من جامعة (كولورادو) لغطاء طبيعي وُصِفَ بأنه (درع)، قالوا: «تم اكتشافُ درع (Shield) غيرِ مرئيٍّ على بُعد حوالي ٧٢٠٠ ميل فوق الأرض، يحجب ما يسمى بـ (الإلكترونات القاتلة) التي تتجول حول الكواكب بسرعة قريبة من سرعة الضوء، وقد عُرف عنها أنها تهدد روادَ الفضاء، وتفسد الأقمار الصناعية، وأنظمةَ الفضاء التي تتعطل خلال العواصف الشمسية الشديدة».

ثالثاً: إسناد الفعل إلى الله سبحانه وتعالى - في مسائل الخلق والتصوير والتقدير - لا يعني أن الأمر يتم بلا واسطة قوانين مادية (كونية)، إلا أن يكون وَصَفُ الفعلِ على أنه جنسُ الخوارق، حيث تتعطل السُّننُ الكونية..

وفي القرآن آيات كثيرة أن الله سبحانه هو الذي يُصَرِّفُ<sup>(٢)</sup> كلَّ الأمور، ويُعْطِي ويمنع، ولم يفهم المسلمون منذ عصر النبوة أن فعل الله سبحانه هنا

١. نفاذ: احتراق.

٢. يُصَرِّفُ: يُدَبِّرُ.

فَارِقٌ<sup>(١)</sup> لعمل القوانين الطبيعية، إلا أنه جل وعلا بكل بساطة خالقها ويصرفها كيف يشاء.

رابعاً: هناك تفسير آخر محتمل، وهو أن سقوط السماء على الأرض لا يدل ضرورةً على أن ما فوق رؤوسنا هو سقف مادي صلب؛ لأن السماء في لغة العرب تعني كل السماء أو بعضها، وسقوط السماء هنا قد يعني ارتطام<sup>(٢)</sup> بعض أجرام السماء بالأرض، فإن ارتطام القمر - مثلاً - بالأرض هو عند ساكن الأرض سقوط لبعض السماء على الأرض، والله أعلم.

أ. ١٢. صعوبة التنفس في الطبقات العُلا للسماء:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ<sup>ط</sup> وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ<sup>(٣)</sup> فِي السَّمَاءِ<sup>ع</sup> كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾، لَمَّا انفتح للبشرية بابٌ للصعود إلى السماء على الحقيقة، اكتشف الناس أن الإنسان يضيق تنفُّسه إذا ارتفع عن الأرض بين عشرة آلاف وستة عشر ألف قدم، ويتعسَّر<sup>(٤)</sup> سبيل التنفُّس العادي بسبب نقصان نِسَب الأوكسجين في الطبقات العليا للجو.

وقد روى الدكتور عبد الله المصلح - أمين عام الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - إسلامَ عالمةٍ فلَكِ روسية في مؤتمر الإعجاز العلمي في روسيا، وكانت مسؤولة عن تعليم رُوَاد الفضاء، بعد أن سمعت قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴿١٢٥﴾﴾، فقالت: الذي سمعته هو قَمَّةُ الرَّوْعَةِ، وهذا ما كنت أدرِّسه لرُوَاد الفضاء، وما

١. فَارِقٌ: مُبَيَّن.

٢. ارتطام: اصطدام.

٣. يَصَّعَّدُ: الشدة والمعاناة في الصعود.

٤. يتعسَّر: يصعب ويشتد، وهي عكس يتيسَّر.

عرفنا هذه الحقيقة العلمية إلا منذ حوالي مئة سنة، فيقيناً هذا القرآن ليس كلام محمد ﷺ، وإنما هو كلام خالق الكون الله سبحانه وتعالى.

ومن باب الأمانة العلمية أذكر أن من أهل العلم المسلمين المعاصرين من يرفض الإعجاز في هذه الآية، مثل د. مساعد الطيار في كتابه (الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي)، وقد أنكر ذلك د. مساعد؛ لأنه يرى أن الآية صريحة في تشبيه من لم يُقَدِّرْ اللهُ له الهداية بالشخص الذي يحاول الصعود إلى السماء، فإن صدره يضيق من نقص الأوكسجين بسبب صعوبة التنفس، والسؤال هنا كيف عُرِفَتْ صعوبة التنفس الطبيعي عند انخفاض الأوكسجين في طبقات الجو العليا؟! إذن، هو تشبيه بليغ، شُبِّهَتْ فيه الحالة المعنوية بحالة حيّة أدركت حقائقها وشوهدت كفيئتها اليقينية في زماننا هذا، ولم تكن معلومة للبشر وقت نزول القرآن الكريم، وفي هذا سبق علمي للقرآن الكريم، وهذا من مواطن الإعجاز.

أ. ١٣. الجبال أوتاد ورواسي:

قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣١)، وصف القرآن ما تحت القشرة الأرضية بأن من طبعه الميّد.

جاء في لسان العرب: «ماد الشيء، يميد، ميّداً: تحرّك ومال».

وقال تعالى في سورة الملك: ﴿ءَأَمِنُم مِّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضِ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦)، وذكر ابن منظور أن (المور): «مار الشيء، يمور، موراً: ترهياً، أي: تحرّك وجاء وذهب».

أولاً: رُسُو الجبال فوق قشرة ليّنة:

المادة التي تحت القشرة الأرضية crust ذات طبيعة ليّنة، فلو وُضِعَ عليها بناءً فإنه سيتحرّك ويضطرب ولن يستقر، والعلم قاطع اليوم في تصديق هذا

الوصف العلمي الدقيق؛ فإن طبقة الدثار<sup>(١)</sup> mantle التي تلي قشرة الأرض مباشرة من الأسفل، موصوفة بأنها أشبه بالسائل اللزج viscous fluid، لكنها لزوجة مرنة elastic، وبعيدة عن السيالان.

وفي المقابل، يُفهم من التوراة أن الأرض راسية على الماء، وتمنعها الأعمدة السفلية من الغرق، وهو ما يكذبه العلم! فالدثار ليس سائلاً، وليس هو ماءً ابتداءً، وكما وصفت موسوعة ناشيونال جيو جرافيك: «هو طبقة تبلغ ثخانتها ٢٨٨٦ كيلومتر، ويمثل ٨٤٪ من حجم الكرة الأرضية، ويقع تحت القشرة الأرضية التي لا يزيد نصف قطرها (سمكها) على حوالي ٦٠ كيلومتر، وتبلغ حرارة الجزء الملاصق للقشرة حدود ١٥٠٠ درجة، وهي الأقل بالنسبة لما تحتها، والدثار مرن<sup>(٢)</sup> ويتكون من الألوفين<sup>(٣)</sup> وأحجار مماثلة له، وهو بذلك أبعد شيء عن الماء».

ثانياً: ثبات الجبال بجذرها:

قال الله تعالى في سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْنًا ۖ (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ (٧)﴾، والوتد في اللغة العربية ما يُثبَّت نفسه بانغرازه في غيره، وأما تثبت غيره فليس لازماً له، فقد يثبَّت غيره بتثبت نفسه، كتثبت الوتد لنفسه في الأرض، وتثبته الخيمة بذلك، أو يثبَّت نفسه دون تثبت غيره، وبيان ذلك في النقاط التالية:

\* الوتد في «لسان العرب»: «ما رُزَّ<sup>(٤)</sup> في الحائط أو الأرض من الخشب»؛ فدل ذلك أن الوتد كلُّ ما عُرز في ثابت لتثبت نفسه أصالة؛

١. الدثار: الغطاء، أو الستار، أو الغشاء.

٢. مرن: لين، ويتكيّف حسب الظروف.

٣. الألوفين: وهو معدن مركب من سيليكات المغنيسيوم والحديد، وهو أحد المعادن الموجودة في القشرة الأرضية، كما يوجد في كثير من النيازك والشهب الساقطة على الأرض، ويوجد في القمر أيضاً.

٤. رُزَّ: دق وثبّت.

ولذلك تأتي كل المعاني الأخرى للواو والتاء والذال بمعنى محض<sup>(١)</sup> الثبات، لا محض التثبيت، قال ابن منظور: «وَوَتَدَ الْوَتْدُ وَتَدًا وَتِدَةً وَوَتَدَ كِلَاهِمَا: ثَبَتَ... والواِتِد: الثابت»، والعرب ما كانت تعتقد أن الوتد هو محض ما شدد الخيمة إلى الأرض، وإنما هو ما شدد إلى شيء ثابت؛ فسواء شدد غيره أو لم يشده، فهو وتد إذا كان مغروزًا في ثابت.

\* الوتد في العبرية له نفس معنى الوتد في العربية، إنه نفس المعنى الذي ذكره ابن منظور في «لسان العرب»، والمثال الأشهر في التوراة هو نفسه في العربية، وهو استعمال الوتد لتثبيت الخيمة.

الآيات القرآنية التي تصف الجبال أنها «رواسي» و «أوتاد»، دالة على معنى واحد، وهو أن الجبال راسية<sup>(٢)</sup> على الأرض كما ترسو السفينة على الماء، فينزل جزؤها العلوي تحت الماء ليحقق التوازن المطلوب للاستقرار، وهو عين<sup>(٣)</sup> كونها أوتادًا، فهي أوتاد منغرزة في الأرض، تثبت نفسها بانغراز جزئها الأسفل تحت سطح الأرض.

ويشهد العلم الحديث اليوم على دقة الوصف القرآني العجيب للجبال، والذي لم يُعرف إلا في الزمن المتأخر بعد دراسات جادة من العلماء المتخصصين؛ حتى قال الجيولوجي سيمون لامب<sup>(٤)</sup>: «كان اكتشاف أن للسلاسل الجبلية جذورًا عميقة [في الأرض] واحدًا من أكبر الاكتشافات الجيولوجية في القرن التاسع عشر وبداية العشرين».

١. محض: خالص لم يخالطه شيء.

٢. راسية: لا تترك مكانها، ولا يمكن تحريكها لعظمها وثقلها.

٣. عين: ذات الشيء.

٤. سيمون لامب: أستاذ فيزياء الأرض في جامعة فيكتوريا - ويلنغتون.

ويقول الجيولوجيان الأمريكيان إلدردج م. مورز<sup>(١)</sup> وروبرت ج. تويس<sup>(٢)</sup> في كتابهما «تكتونيات»، - تحت عنوان (تشكُّل جذور الأرض) -: «جذور الجبال هي مواضع أكبر من السماكة العادية للقشرة الأرضية التي تدعم كل أحزمة الجبال القاريَّة<sup>(٣)</sup> في العالم. في الحقيقة، الشكل المرتفع للجبال قائم لطبيعة السند<sup>(٤)</sup> الإيزوستاتي Isotactic Support المتاح بسماكة قشرة الأرض التي تطفو في دثار أكثر كثافة».

وقد تمَّ الكشفُ عن حقيقة جذور الجبال على يد الفلكي جورج إيرري<sup>(٥)</sup> الذي بيَّن أنَّ الجبال تطفو على القشرة العليا للأرض، وتثبتت نفسها بانغراز جذرها الطويل في طبقة الوشاح<sup>(٦)</sup> بصورة تتناسب طردياً<sup>(٧)</sup> [ضعف أو أكثر] مع علوِّها فوق قشرة الأرض، وهو ما يُعرف علمياً بـ isostasy.

#### تعقيب ١:

القرآن يقول في سورة النحل: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَزًا وَسِبْلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(١٥)</sup>، وذلك يعني أنَّ الجبال تثبتت الأرض كلها حتى لا تضطرب، والعلم لا يشهد اليوم للقول بأنَّ الجبال تثبتت قشرة القارات حتى لا تضطرب.

١. إلدردج م. مورز (١٩٣٨-٢٠١٨): جيولوجي من جامعة كاليفورنيا، له عناية خاصة بالقشرة القارية للولايات المتحدة، وجيولوجية اليونان وقبرص وباكستان.
٢. روبرت ج. تويس: جيولوجي من جامعة كاليفورنيا، له عناية خاصة بدراسة لزوجة دثار الأرض.
٣. الجبال القارية: عندما تصطدم طبقات القشرة التكتونية وتركب طبقة فوق طبقة أخرى، فإن الصفائح الأرضية تميل إلى الاشتباك والالتواء مما يؤدي إلى تكوين الجبال، وتشكُّل ما يسمَّى بالجبال القارية الكبرى التي يصاحبها تدافع وطيٌّ للأراضي وارتفاعات عشوائية.
٤. السند: الدعم.
٥. جورج بيدل إيرري (١٨٩٢-١٨٠١): عالم رياضيات وفلك وفيزياء بريطاني، شغل المنصب الرفيع في زمانه: «الفلكي الملكي Astronomer Royal»، طوّر عدّة نظريات علمية.
٦. طبقة الوشاح: وتسمى الدثار أو الغشاء أو الستار، وهي طبقة أرضية تحتية يبلغ سمكها ٢٨٨٥ كلم وتقع فوقها القشرة الأرضية التي نعيش عليها، والذي يبلغ سمكها بين ٣٠-٦٠ كلم.
٧. طردياً: وهي علاقة بين متغيرين التي ترمز كلما زاد أحدهما بمقدار معيّن يزيد الآخر بزيادة تتناسب مع زيادة الأول والعكس صحيح.

**الجواب:** الآية لا تتحدّث ضرورةً عن جميع الأرض، وإنما الأرجح أنها تتحدّث عن الأرض ذات الطابع الجبلي Mountainous Landscape<sup>(١)</sup>، والتي تُشكّل حوالي ربع مساحة الأرض (٢٤٪) كما ذكر في أطلس العالم، فلا يشمل حديثها الصحاري؛ حيث لا توجد جبال على مساحات واسعة من الأرض، وهذه المساحة الجبلية الواسعة التي يعيش عليها البشر راسية لطبيعتها الجبلية التي تُرسي نفسها وما تحتها بانغرازها في قشرة الأرض الخارجية.

يقول القرآن في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٢١)</sup>، قال الطبري: «وكان ابنُ عباس - في ما ذُكر عنه - يقول: إنما عنى بقوله (وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا): وجعلنا في الرواسي»، أي: وجعلنا في الأرض جبالاً ضخمة راسية على الأرض حتى لا تميد بالناس لو كانت بلا رُسُو، كما جعلنا في هذه الجبال فِجَاجًا، يعني: طُرُقًا يسير فيها الناس.

ومعنى ما سبق أنه في المساحات الجبلية الواسعة التي تُشكّل ربع الأرض، تقوم الارتفاعات التي تظهر أمام الرائي<sup>(٢)</sup> - والتي كان العرب زمن البعثة يسمونها جبالاً - بتثبيت الأرض التي تحتها؛ بفعل تمدد جزء من هذه المرتفعات في طبقة الدثار التي تلي قشرة الأرض مباشرة، يقول علماء الجيولوجيا أصحاب كتاب «فهم الأرض Understanding Earth»: «ينطبق قانون isostasy أيضًا على أشكال السلاسل الجبلية الكبيرة؛ فهي تغوص ببطء بسبب الجاذبية وتنحني القشرة إلى الأسفل، عندما يدخل القدر الكافي من الجذر في الدثار؛ يطفو الجبل»، ولولا هذه الجذور لمادت<sup>(٣)</sup> القشرة وما يعلوها من جبال.

١. الطابع الجبلي Mountainous Landscape: تُطلق «الأرض» في القرآن على مجموعة اليابسة أو بعضها، كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٢١)</sup>، ولم يته بنو إسرائيل في كامل الأرض وإنما في بعضها، وقال يوسف عليه السلام في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾<sup>(٥٥)</sup>، ولم يتجاوز سلطان يوسف بلاد مصر وما خضع لحكمها في زمانه.

٢. الرائي: الذي يشاهدها ويراها.

٣. ماد: اضطربت.

خلاصة الخلاف بين التصوّر القرآني للجبال والتصوّر التوراتي الشائع  
أيضاً في حضارات مجاورة للبلاد العربية:

موقف العلم الحديث	القرآن الكريم	موقف العلم الحديث	التوراة والإنجيل	
صحيح	مغروزة في الأرض من أعلى.	خطأ	تبدأ جذورها من الماء الذي تحت قشرة الأرض.	موقع الجبال؟
صحيح	تشكّلت بعد خلق الأرض.	خطأ	تشكّلت قبل خلق الأرض أو معها لأنها قواعد الأرض؛ فلا تستقرُّ الأرض دونها فوق الماء.	كيف نشأت؟
صحيح	باطن الأرض اللين والمضطرب	خطأ	لا شيء	ما الذي تحتها؟
صحيح	تثبيت الأرض الجبلية	خطأ	حمل الأرض والسماء	ما وظيفتها؟
صحيح	اضطراب باطن الأرض	خطأ	تحرك أساسات الأرض	سبب الزلازل
لا		نعم		هل هذا التصوّر مشهور عند الأمم البدائية الأسطورية؟

ومن المهم التنبيه هنا أنّ القرآن أدقُّ تعبيراً في وصف الجبال من الكتب المدرسية التي تُدرّس في أقسام علوم الأرض؛ إذ إنّ الجبال توصف أنها ارتفاعات لها جذور (roots)، في حين يتضمّن القرآن وصف شكل

الجبل ووظيفته في كلمة واحدة، وهي «وتد»؛ بما يتضمّن ثلاثة أوصاف دقيقة جدًّا:

١. للجبال امتدادات داخل قشرة الأرض.
٢. وظيفة الجبل تثبيت نفسه والأرض تحته من خلال عمقه الممتد في الأرض.
٣. الامتدادات داخل الجبال عميقة بقدر حاجة تثبيت الجبل حتى لا يميل، (جبال الهمالايا ارتفاعها عن سطح الأرض ٩ كم، وجدورها في أعماق القشرة ٧٥ كم).

ثالثًا: الجبال تُنصَّب وتُلْقَى:

من عجائب القرآن استعماله لكلمتين ليستا مترادفتين<sup>(١)</sup>، بل بينهما فارق واضح في الإيحاء التصويري<sup>(٢)</sup>، أولهما «نصب» وثانيهما «ألقي» عند الحديث عن نشأة الجبال:

قال تعالى في سورة الغاشية: ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١١﴾، وقال تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَزًا وَسْبَلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥﴾.

وعند النظر في ما يقرّره العلم نكتشف دقّة الاختيار القرآني للألفاظ؛ إذ الجبال - كما يقول علماء الجيولوجيا - أنواع تبعًا لطبيعة النشأة، فهي ثلاثة أنواع:

١. «الجبال الالتوائية (Fold mountains)».
٢. «الجبال الكتلية (Block mountains)».
٣. «الجبال البركانية (Volcanic mountains)».

١. مترادفتين: كلمتان بينهما تشابه في المعنى مع اختلافهما لفظًا.  
٢. الإيحاء التصويري: إبقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة للتأثير على سلوك أو اعتقاد أو تصوّر معيّن.

تتكون الجبال الالتوائية والكتلية بنصب الجبال، فيما تتكوّن الجبال البركانية بالإلقاء.

وأما الجبال التي تُنصب كما في سورة الغاشية الآية (١٩)، ففعل (نصب) في «لسان العرب»: «وضع الشيء ورفع»، وفي «معجم الصحاح»: «نصب الشيء: رفعه وأقامه»، وهذه الجبال التي رُفعت هي الجبال الالتوائية Fold mountains بفعل تصادم الصفائح<sup>(١)</sup>، والجبال الكتلية Block mountains الناتجة عن ارتفاع كتلة صدعية<sup>(٢)</sup>، وفي كلتا الحالتين ينتصب الجبل عاليًا مرتفعًا عن سطح الأرض بعدما كان دون ذلك، وتُمثل الجبال الالتوائية نسبةً عالية من مجموع الجبال، وقد أشار القرآن بعبارة لطيفة إلى طريقة تكوّنها في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾<sup>(٣)</sup>، فمدّ الأرض يؤوّل إلى ظهور الصفائح وتدفّعها.

الجبال الملقاة: قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَزًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، كلمة «ألقي» عجيبة، ومحركة للذهن؛ إذ الأصل أن تردّ عبارة مثل: (نصب) و (وضع) للدلالة على نشأة الجبال، والصورة الأولى العفوية التي يُلقونها فعل «ألقي» في الذهن بعيدة عن تصوّر الإنسان الذي عاش في القرون الماضية، كما أن الجمع بين نصب الجبال (رفعها) وإلقائها، مُجهّد للذهن، لكنّ عالم الجيولوجيا اليوم يرى في هذا الإشكال إعجازاً؛ لأنّ القرآن لو اقتصر على نصب الجبال لكان في الأمر قصور<sup>(٥)</sup> عن الإحاطة<sup>(٥)</sup> بأوجه نشأتها؛ إذ إن من الجبال ما لا يرتفع من الأرض، وإنما يُرفع

١. الصفائح: وتسمى الصفائح التكتونية، وتمثل الطبقة الصخرية الصلبة التي تحيط بالكرة الأرضية.  
٢. كتلة صدعية: هي كتل صخرية كبيرة يبلغ طولها مئات الكيلومترات، يتم إنشاؤها بواسطة الضغوط التكتونية والمحلية في القشرة الأرضية، ويتم تقسيم مساحات كبيرة إلى كتل بسبب تصدّع وتشقّق والناتج، وتسمى كتلة صدعية.

٣. رَوَاسِيَ: جبال ثابتة.

٤. قصور: تقصير، أي: تهاون.

٥. الإحاطة: الإلمام والتمكّن من الشيء.

بفعل ما تقذفه البراكين من باطن الأرض من حِمَمٍ؛ فينزل من الفوهة المرتفعة إلى الأرض المنحدرة حولها بما يكوّن طبقاتٍ جديدةً تزيد الأرض ارتفاعاً، وهي الجبال البركانية Volcanic mountains، وقد وصف د. ويليام كامبل تكوّن الجبال البركانية بقوله: «وهناك أنواع أخرى من الجبال تكوّنها البراكين؛ إذ تُلقى thrown up الحمم والرماد من داخل الأرض، فيتراكم ذلك حتى يتشكّل جبلٌ عالٍ»، ويتم بذلك الجمع بين الرفع والرمي بصورة لا يتصوّر لها عقل أهل مكة والمدينة، ولا حتى كلّ الناس إلى هذا الزمان إلّا أهل التخصص في الجيولوجيا ومن قرأ كتبهم.

أ- ١٤. الماء أصل كل شيء:

يخبرنا القرآن في سورة الأنبياء أنّ الماء أصل الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠)، وذلك ما انتهى العلم إلى حسمه<sup>(١)</sup>، حيث قال الفيزيائي اليهودي جيرالد شرويتز: «كل أنواع الحياة على الأرض قائمة على الماء، لا ماء.. إذن: لا حياة»، وبوجود الماء تكون الحياة ممكنة، كما قال البيولوجي الملحد ريتشارد داوكنز - هو عالم إنجليزي في سلوك الحيوان والبيولوجيا -: «لا يمكن لحياتنا أن تستمر دون ماء سائل، وفي الحقيقة، فإن العلماء المختصين في البحث عن دليل لوجود الحياة خارج الأرض يفتشون في السماء - بصورة عملية - عن علامات لوجود ماء».

لم يجعل القرآن الماء أصل الكون كما في الكتاب المقدس، وإنما قَصَرَ<sup>(٢)</sup> أمره على وجود (الحياة)؛ إذ إن وجود الماء قرينة<sup>(٣)</sup> وجود الحياة؛ فقد أكّدت البحوث العلمية أنّ الماء عنصرٌ أساسي لقيام الأعضاء بوظائفها؛ فهو إما وسط<sup>(٤)</sup>، أو عامل مساعد، أو داخل في التفاعلات، أو ناتج عنها.

١. حسمه: قطعه وبتّ فيه.

٢. قَصَرَ: خصصه.

٣. قرينة: ما يرافق الشيء، ويدل عليه.

٤. وسط: مجال الشيء، وبيئته.

والقرآن بتقريره أن الماء أصل الحياة يخالف طاليس<sup>(١)</sup> بقوله: «إن الماء أصل كل شيء بإطلاق»، كما يقول المفسر النصراني آدم كلارك<sup>(٢)</sup>: «كانت الأمم السابقة تعتقد أن الأرض مخلوقة من ماء أو رطوبة بدائية، وهو ما جاء في الرسالة الثانية للقديس بطرس<sup>(٣)</sup> ٥ / ٣: «السموات كانت من القديم، والأرض بكلمة الله قائمة من الماء بالماء»، وهو دليل من الأدلة التي تُثبت أن هذه الرسالة هي من صنع القديس بطرس، أي: من البشر، لا وحيًا من الله.

قال تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴿٣١﴾﴾، وقال تعالى في سورة ق: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾، وقد علم المسلمون أن رزق السماء (المطر)، ورزق الأرض (النبات والحيوان).. ومن غير المطر لا تنبت النباتات ولا يشرب الحيوان، ودونهما لا يستطيع الإنسان أن يعيش.

أ-١٥. الموج الداخلي للبحار:

قال تعالى في سورة النور: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾﴾، قال القرطبي المفسر: (يَغْشَاهُ مَوْجٌ)

١. طاليس: هو عالم فلك ورياضيات وفيلسوف يوناني (ولد حوالي سنة ٦٢٥ ق.م)، وهو أحد الحكماء السبعة (الذين سبقوا سقراط) عند اليونان، اكتشف عددًا من النظريات الهندسية، ورفض الأخذ بالخرافات والأساطير، (توفي ٥٤٠ ق.م).

٢. آدم كلارك: ولد في ١٧٦٠، وهو ثيولوجي (عالم عقيدة) بريطاني، اشتهر بالتعليق على الكتاب المقدس، استغرقت كتابته ٤٠ سنة، وكان من أهم المصادر للمفسرين النصرانيين لمدة قرنين من الزمن (توفي ١٨٣٢ م).

٣. القديس بطرس: يعدُّه النصارى أحد التلاميذ الاثني عشر للمسيح عليه السلام، ويقال إنه وُلد في صيدا، وقد عمل في الوعظ والتبشير، وكتب رسالتين في العهد الجديد (الإنجيل) لمجتمعات متفرقة في المسيحيين الجدد واليهود أو الوثنيين اليونانيين، وقد قُتل عند اضطهاد الإمبراطور نيرون للمسيحيين - وهذا غير مؤكد - في عام ٦٧ م.

أي: يَعْلُو ذلك البحر اللُّجِّيَّ موجٌ، (من فَوْقه موجٌ) أي: من فوق الموج موجٌ، ومن فوق هذا الموج الثاني سحابٌ، واللُّجِّيُّ: العميق الكثير الماء.

الوصفُ القرآنيُّ في غاية العجب! إذ إنه يخبر عن موج تحت الموج الظاهر للعين، وعن ظلمات متراكمة<sup>(١)</sup>: ظلمةٍ بسبب السحاب، وأخرى بسبب الموج على السطح، وأخرى بسبب الموج الداخلي في البحر.

وقد أثبت علمُ المحيطات الفيزيائي - اليوم - بيقين أن هناك في البحار أمواجًا داخلية تتحرك تحت موج السطح، وتكون في البحار العميقة، أو بعبارة القرآن: البحار اللُّجِّيَّة، وهي تُسمَّى علميًّا: (الأمواج الداخلية) (internal waves)، وبالإمكان رؤيتها بالأقمار الصناعية، ولا سبيل لرؤيتها - حتى اليوم - من الشاطئ، ولا من داخل البحر، وهذه الأمواج ضخمة؛ حتى إن بعضها يبلغ حجم الجبال ارتفاعًا؛ ولذلك سُمِّيت: (الأمواج الجبلية) (mountain waves).

يقول عالم البحار د. كيم مارتيني - في مؤسسة دراسات الأجواء والمحيطات في جامعة واشنطن / أمريكا - : «إذا كنتَ مثلَ أغلبِ الناس، أو حتى مثلَ أغلبِ علماءِ البحار، فمنَ المحتمل أنك لم تسمع بالأمواج الداخلية من قبل! أنا نفسي لم أكن أعلم بوجودها إلا بعدما التحقتُ بالدراسات العليا، هذه هي أكبر الأمواج في المحيط، ولا يمكن رؤيتها من الشاطئ. إنها توجد داخل المحيط... إنها واسعة، وبالإمكان رؤيتها من الفضاء».

ويوضِّح قانونُ انعكاسِ الضوء وانكساره عند مروره في الأوساط المختلفة معنى الظلمات في البحر اللُّجِّيِّ ذي الموجين<sup>(٢)</sup>؛ إذ إنه إذا سقطت حزمة من الأشعة الضوئية على سطح يفصل بين وسطين شفافين؛ ينقسم الضوء

١. متراكمة: مجموعة بعضها فوق بعض.

٢. ذي الموجين: الموجة الخارجية والموجة الداخلية للبحر العميق.

إلى حزمتين<sup>(١)</sup>، واحدة تنعكس، وأخرى تنفذ إلى الوسط الثاني، وتنكسر<sup>(٢)</sup> داخله، وتكرر الانعكاس والانكسار سبباً لخفوت<sup>(٣)</sup> ضوء الشمس ثم ذهابه بالكلية.

وتوجد عوامل أخرى تساعد على انعكاس الضوء وعدم نفوذه إلى أسفل:

- عدم استقامة الوسط الفاصل على سطح البحر بسبب التموج، فاتخاذة أشكالاً مختلفة يساعد على زيادة انعكاس الضوء.

- سماكة الوسط وكثافته، وهو أمر يزداد كلما نزلنا في البحر عميقاً، كما أن أمواج البحر الداخلي مرتفعة قد تبلغ عشرات الأمتار طولاً.

- حركة الماء وتموجه وتفاوت<sup>(٤)</sup> درجة حرارته، تُحدث وضعاً يشبه حال ألواح الزجاج الموضوعة بعضها فوق بعض.

ولخص د. أنتوني جوزيف - وهو عالم محيطات يعمل في المؤسسة الوطنية لعلم المحيطات في الهند، وساعد على دراسة ساحل المحيط الأطلسي - الأمر بقوله: «الأمواج الداخلية تزيد في تشتت ارتداد ضوء الشمس».

ويقول البروفسور درجا برساد - وهو أستاذ في علم جيولوجيا البحار دَرَسَ في جامعة الملك عبد العزيز بجدة - : «نعم، هذه الظلمات عَرَفَهَا العلماءُ الآن بعد أن استعملوا الغوّاصات، وتمكنوا من الغوص في أعماق البحار، لا يستطيع الإنسان أن يغوص - بدون آلة - أكثر من عشرين إلى ثلاثين متراً. فإذا غاص الإنسان إلى أعماق شديدة حيث يوجد الظلام على عمق

١. حزمتين: مدى من الترددات تشكّل أشعّتين.

٢. تنكسر: تحوّل اتجاه الأشعة عند انتقالها من وسط شفاف إلى وسط شفاف آخر.

٣. خفوت: ضعف.

٤. تفاوت: تباعد واختلاف وتباين.

٢٠٠ متر لا يمكن أبداً أن يبقى حياً، وهذه الآية تتحدث عن ظاهرة توجد في البحار العميقة؛ ولذلك قال تعالى في هذه الآية: (أو كظلمات في بحر لجي)، ليس في أي بحر وُصِفَتْ هذه الظلمات بأنها متراكمة<sup>(١)</sup> بعضها فوق بعض، والظلمات المتراكمة والتي تتراكم في البحار العميقة تنشأ بسبب، السببان يكونان نتيجة اختفاء الألوان في طبقة بعد طبقة، فالشعاع الضوئي مكون من سبعة ألوان، فإذا نزل الشعاع الضوئي إلى الماء توزع إلى الألوان السبعة، فالجزء الأعلى يمتص اللون الأحمر في عشرة الأمتار السطحية العليا، ولو أن غواصاً يغوص على عمق ثلاثين متراً وجرَّحَ جسمه وخرج الدم وأراد أن يراه فلا يرى اللون الأحمر؛ لأن الأشعة الحمراء غير موجودة، وبعده يمتص اللون البرتقالي، وعندما ينزل في أعماق الماء على مسافة ٥٠ متراً يبدأ امتصاص اللون الأصفر، وعلى عمق ١٠٠ متر يكون امتصاص اللون الأخضر، ونرى تحت مائتي متر الامتصاص للون الأزرق، فإذا نزلنا، ظلمة اللون الأخضر تكون تحت عند عمق ١٠٠ متر، وظلمة الأصفر تكون على عمق (٥٠) متراً، وقبلها ظلمة اللون البرتقالي وظلمة اللون الأحمر، فهي ظلمات بعضها فوق بعض.

وأما السبب الثاني فيكون بسبب الحواجز التي تحجب الضوء، فالشعاع الضوئي الذي نراه هنا ينزل من الشمس فتمتصُّ السُّحُبُ بعضه وتشتت<sup>(٢)</sup> بعضه، فتنشأ ظلمة تحت السحب، هذه الظلمة الأولى، فإذا نزل الشعاع الضوئي إلى سطح البحر المتموج انعكس على سطح الموج فأعطى لمعاناً؛ ولذلك نرى إذا حدث موج في البحر كان اللامعان شديداً على حسب ميل سطح الموج.

فالموج - إذن - يسبب عكساً للأشعة، أي: يسبب ظلمة، ثم ينزل الشعاع الضوئي إلى أسفل، ونجد البحر هنا ينقسم قسمين: بحر سطحي، وبحر

١. متراكمة: مجمعة بعضها على بعض.

٢. تشتت: تفرق.

عميق، أما السطحي فهو الذي يوجد فيه الظلام والبرودة، يختلف البحران في خصائصهما وصفاتهما، ولكن يوجد موجٌ فاصل بين البحر السطحي والبحر العميق، هذا الموج الداخلي لم يكتشف إلا عام (١٩٠٠م)، فتحت الموج الداخلي - الذي يفصل بين البحر العميق، ويبدأ الظلام، حتى إن الأسماك في هذه المناطق ترى بمصدر للضوء يصدر من جسمها في هذه الظلمات التي تراكمت بعضها فوق بعض، التي جاء ذكرها في قوله تعالى في سورة النور: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ...﴾، أي: من فوق هذا الموج موجٌ آخر، هو الذي يكون على سطح البحر ﴿... مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ...﴾، وفوقهم السحاب ﴿... ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾، هذه الظلمات هي التي داخل البحر، وهي ظلمات هذه الحواجز، وظلمات الألوان في طبقات بعضها فوق بعض، ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾<sup>(٤٠)</sup>، أي: إذا أخرج يده في هذه المناطق المظلمة ظلاماً شديداً، لا يرى شيئاً، والغواصات تنزل إلى هذه المسافات فلا ترى شيئاً، وتستخدم مصادر للضوء<sup>(١)</sup> والإضاءة حتى ترى طريقها. فمن أخبر محمداً ﷺ عن هذه الآيات؟! سبحان الله العظيم.

أ. ١٦. أصل المياه الجوفية:

قال تعالى في سورة الزمر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١١)</sup>، وفي سورة المؤمنون: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾<sup>(١٨)</sup> فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَازٍ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>(١٩)</sup>.

قال د. موريس بوكاي في كتابه «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» - عندما نظر في بيان القرآن لأمر أصل المياه الجوفية مقارنة بالثقافة العلمية

١. مصادر للضوء: منابع صدور وإنتاج الضوء.

السابقة للإسلام والمعاصرة له - : «تبدو الآيات القرآنية المتعلقة بدور المياه في حياة الإنسان - لدى قراءة بعضها تلَو البعض الآخر في هذه الأيام - تراها مُعبِّرةً عن أفكار واضحة جدًّا، وذلك ببساطة لأننا أصبحنا في عصرنا الآن نعرف - مع زيادة أو نقص في الدقة والتحقيق<sup>(١)</sup> - ماهية دور المياه في الطبيعة.

ولكننا إذا أخذنا بالاعتبار ما كانت عليه مختلف المفاهيم القديمة في هذا الموضوع، فإننا نستبين<sup>(٢)</sup> بأنه ليس في المعطيات القرآنية ما يدعم مفاهيم وثنية شائعة - في ذلك الوقت - كان نصيب النظرة الفلسفية فيها أكبر بكثير من نصيب التجربة والملاحظة، ولئن كانوا قد نجحوا في الماضي - تجريبيًّا - في الحصول على معارف علمية نافعة في مستوى محدود لتحسين ربيِّ الأراضى؛ فقد كان لهم بالمقابل في دور المياه على العموم، أفكارٌ قليلةٌ القبول في هذه الأيام».

ويبيِّن د. بوكاي أن التصوُّرات السائدة<sup>(٣)</sup> عن المياه الجوفية - منذ زمن ما قبل «أرسطو<sup>(٤)</sup>»، وحتى عصر ما بعد البعثة النبوية - فاسدة علميًّا؛ فقد ذهب «طاليس» إلى أن أصل المياه الجوفية دفع مياه المحيط وسقوطها بفعل الرياح على الأراضى إلى داخل القارَّات، ثم تسرُّبها إلى التربة، وذلك أيضًا مذهب «أفلاطون<sup>(٥)</sup>»، ولقد كان لهذه النظرية أنصارٌ كثيرٌ حتى القرن الثامن عشر،

١. التحقيق: الوقوف على حقيقة الأمر، أو الاستطلاع لإجلاء الحقيقة.

٢. نستبين: نستوضح ونتبين.

٣. التصورات السائدة: المفاهيم والأفكار التي انتشرت ونمت وشاعت، وليست - بالضرورة - حقيقية.

٤. أرسطو: ويقال عنه أيضًا «أرسطو طاليس»، وهو فيلسوف يوناني (ولد في ٣٨٤ ق.م)، وهو تلميذ أفلاطون، ومعلِّم الإسكندر الأكبر، وواحد من عظماء المفكرين، وكتب في مجالات عديدة في الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والمنطق والبلاغة والسياسة وعلم الأحياء وعلم الحيوان، وكان لفلسفته تأثير على العديد من أشكال المعرفة في الغرب، (توفي سنة ٣٢٢ ق.م).

٥. أفلاطون: هو أرسطوكليس، فيلسوف يوناني كلاسيكي (ولد في ٤٢٧ ق.م)، وهو عالم رياضيات، وكاتب ومؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في الغرب، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو، وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم، (توفي في ٣٤٧ ق.م).

ومنهم «ديكارت»<sup>(١)</sup>، فيما ذهب أرسطو ومن شايعوه<sup>(٢)</sup> إلى أن أصل المياه الجوفية تكثفُ بخار ماء الأرض في الفجوات<sup>(٣)</sup> الباردة في الجبال، ومن هناك ينتقل الماء إلى الينابيع، وقد اشتهر هذا المذهب، وكان له أنصاره حتى القرن التاسع عشر ميلادي.

وظهرت أول فكرة سليمة وواضحة عن أصل المياه الجوفية - برَدّها إلى تسرُّبات مياه المطر في التربة - على يد «برنارد باليسي»<sup>(٤)</sup> سنة (١٥٨٠ م).

وتتكون مياه الينابيع من الأمطار ومن مياه جوفية، حيث تتخلل مياه الأمطار الأرض الرملية إلى طبقات تحت الأرض، وتمرُّ على طبقات من الصخور المختلفة، وبذلك تتخزن وترشح وتخلو من الشوائب وتصبح صالحة للشرب، ويتم به أيضاً ريُّ الزروع، وذلك ما أخبر به القرآن قبل ذلك بتسعة قرون، كما جاء في الآيات السالفة الذكر.

وقد أضفنا بعض الآيات القرآنية المعجزة والخاصة بالكون عن موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

١. ديكارت: هو فيلسوف، وعالم رياضي وفيزيائي فرنسي (ولد في ١٥٩٦م)، يلقب بـ«أبو الفلسفة الحديثة»، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم، فقد اخترع نظاماً رياضياً سمي باسمه وهو (نظام الإحداثيات الديكارتية)، الذي شكل النواة الأولى لـ(مذهب العقلانية) و لـ(الهندسة التحليلية)، فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية، وهو صاحب المقولة المشهورة «أن أفكر فأنا موجود»، (توفي في ١٦٥١م)

٢. شايعوه: تبعوه في رأي أو أمر، وأيدوه ووافقوه.

٣. الفجوات: متسع من الفراغ بين شيئين أو أكثر.

٤. برنارد باليسي: خراف فرنسي ومهندس هيدروليكي وحرفي، واشتهر بكفاحه لمدة ستة عشر عاماً بعمله على تقليد الخزف الصيني، كما اشتهر بما يُعرف بـ«الأواني الريفية»، وهي أطباق بيضاوية كبيرة مزينة بشكل كبير تظهر فيها حيوانات صغيرة منتفخة بين النباتات، ويبدو أن الحيوانات غالباً ما يتم تشكيلها من قوالب مأخوذة من عينات ميتة وتكون في الطين والحجارة المستخرجة من الأرض.

أ. ١٧. البحر المسجور<sup>(١)</sup>:

قال تعالى في سورة الطور: ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾<sup>(٢)</sup>، وَالْمَسْجُورِ: تعني الممتلئ نارًا أو ماءً، ومعنى سُجِّرَتْ: أُوقِدَتْ.

أ. الحقائق العلمية: اكتشف علماء الجيولوجيا أن قيعان<sup>(٢)</sup> المحيطات جميعها متوقدة<sup>(٣)</sup> نارًا في مناطق الوديان العميقة في منتصف المحيطات Mid – Ocean Rifts، ويوجد الشق الأعظم في منتصف المحيط الأطلسي، وتبين أنها مناطق اللقاء بين الألواح القارية، وتحيط بها من الجانبين ارتفاعات جبلية شاهقة في قاع المحيط، لكن قَمَمَها دون سطح المحيط، وتفوق درجة الحرارة في تلك المناطق البركانية النشطة الألف درجة مئوية، ومع اندفاع الصهارة<sup>(٤)</sup> Magma على طول منتصف المحيط تتكون سلسلة الجبال تلك، ويتسع المحيط في كلا الجانبين والذي يعرف بظاهرة امتداد قاع المحيط Spreading Sea – Floor، وتندفع من هذه الصدوع<sup>(٥)</sup> في قيعان المحيطات الصهارة الصخرية، فلا الماء على كثرته يستطيع أن يطفئ جذوة<sup>(٦)</sup> الحرارة الملتهبة، ولا هذه الصهارة على ارتفاع درجة حرارتها (أكثر من ألف درجة مئوية) قادرة أن تبخر هذا الماء، وهذه الظاهرة أكثر ظواهر الأرض إبهارًا للعلماء، وقد قام الباحثون أنتول سجايفتيش ويوري بجدارانوف، ورونا كلنت بالغوص على بعد ١٧٥٠ كلم من شاطئ ميامي في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى عمق يزيد عن ٣ كلم من السطح، على متن الغواصة الحديثة

١. البحر المسجور: (اقتبست من منشورات الهيئة العالمية في القرآن والسنة - مكة المكرمة).

٢. قيعان: جمع قاع، وهو القعر أو عمق البحور والمحيطات.

٣. متوقدة: مشتعلة.

٤. الصهارة: وتسمى الماغما أو الماجما، وهو مزيج من المواد السيليكاتية الحارة الملتهبة اللزجة.

٥. الصدوع: الشقوق.

٦. جذوة: الجمرة الملتهبة، وهنا القطع النارية.

«ميرا»، فشاهدوا حِمَمَ<sup>(١)</sup> القاع، وسجلوا درجة حرارة خارج الكُوَّة<sup>(٢)</sup> ٢٣١ درجة مئوية، وكانت تتفجر من تحتهم الينابيع الملتهبة.

ب. وجه الإعجاز العلمي: ثبت علمياً - بعد بحوث متعددة ومُشاهدات في الأعماق بواسطة الغواصات المتطورة جداً - أنَّ أعماق المحيطات فيها براكين ملتهبة، وهي أكثر عدداً وأعنف نشاطاً من البراكين على سطح اليابسة؛ ولذلك فقيعان تلك البحار تبقى ملتهبة متأججةً بالنيران رغم وجود الماء، ولا يمكن للمتأمل لسطح البحر المحيط بالعين المجردة أن يتصور أن قاعه ملتهب يتأجج بالنيران، فالمعلوم أن الماء يطفى النار، ولم يتوصل العلم الحديث إلى هذه الحقيقة المدهشة إلا في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين؛ ولذا فإن سبق القرآن العظيم للإشارة إلى هذه الحقيقة المدهشة المدفونة في قيعان المحيطات خير دليل على صدق النبي الأُمي محمد ﷺ.

أ. ١٨. الأرض ذات الصدع<sup>(٣)</sup>:

قال تعالى في سورة الطارق: ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾<sup>(٤)</sup>. معنى الصدع: الشقُّ في الشيء الصلب، وقيل الفلق لعرق في طبقة الأرض.

أ. الحقيقة العلمية: لقد قام العلماء برحلات عديدة رصدوا فيها وجود قشور عميقة تفصل بين أجزاء القشرة الأرضية، فأطلقوا اسم «الألواح القارية» على تلك الأقسام، وتسمى تلك الشقوق بالصدوع، وترجع أصول تلك الصدوع إلى صدع أصلي واحد يسمى اليوم بـ «الصدع الأعظم» يقبع<sup>(٤)</sup> في منتصف المحيط الأطلسي، إذ تتسم قشرة الأرض بصدوع عميقة تقسمها إلى ألواح قارية، وتقع

١. حمم: هي صخور مذابة تصل إلى سطح الأرض عن طريق البراكين والتصدعات الأرضية.

٢. الكوة: هنا فتحة أو نافذة من فرن ملتهب.

٣. الأرض ذات الصدع: اقتبست من منشورات الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مكة المكرمة).

٤. يقبع: يدخل ويختفي ويذهب ويظهر، أو يتوارى عن الأنظار.

الصدوع الكبيرة غالباً في منتصف المحيطات، ولكن لم يُعرَف - إلا مع الثورة العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة - أن أرضنا مُحاطة بشبكة هائلة من تلك الصدوع العملاقة التي تحيط بكامل القشرة الأرضية إحاطةً كاملة، وتمتد هذه الصدوع العملاقة لآلاف الكيلومترات في جميع الاتجاهات بأعماق تتراوح بين ٥٦ و ٧٠ كيلو متر تحت قيعان كل محيطات الأرض، وقيعان عددٍ من بحارها، وبين ١٥٠ إلى ١٠٠ كيلو متر تحت القارات، وهذه الصدوع العملاقة هي مراكز تتحرك عبرها ألواح الغلاف الصخري للأرض متباعدة أو مصطدمة، وهي تعمل على تسريب الحرارة المختزنة في الباطن نتيجة لتحلل العناصر المُشعَّة؛ وإلا انفجرت الأرض، وعبر هذه الصدوع العملاقة تندفع ملايين الأطنان من الصهارة الصخرية على هيئة طفوح بركانية<sup>(١)</sup> تُثري سطح الأرض بالعديد من الصخور والمعادن النافعة، وتجدد شباب التربة الزراعية، وتكون مراكز مهمة لاستغلال حرارة الباطن، وعبر هذه الصدوع العملاقة وما صاحبها من فوهات البراكين حيث انطلقت الغازات والأبخرة التي كَوَّنت غلاف الأرض المائي والغازي، وتشير الكثير من الشواهد إلى أن الغلاف الصخري الأول للأرض كان مكوَّنًا من صخور أولية نتيجة لاندفاع الصهارة، وأن الأرض كانت مغطاة بالمياه على هيئة محيط غامر<sup>(٢)</sup> واحد، وبواسطة النشاط البركاني فوق قاع هذا المحيط الغامر تكوَّنت أولى المرتفعات فوق قاعه على هيئة عدد من السلاسل الجبلية في وسطه ارتفعت قممها لتكوَّن عددًا من الجزر البركانية، ومع تحرك تلك الجزر البركانية تصادمت بعضها مع بعض، لتكوَّن نوى<sup>(٣)</sup> عدد من القارات التي نمت بتصادمها مع بعضها، لتكوَّن قارةً واحدة عرفت باسم القارة الأم التي ما لبثت أن تفتت بفعل ديناميكية الأرض، وصدوعها العملاقة إلى القارات السبع الحالية.

١. طفوح بركانية: يقال عنها اللافا أو الصهارة البركانية مثل الماجما التي تتعرَّض للهواء والضغط الجوي،

فتبرد وتتجمد فوق الأرض.

٢. غامر: كثير، فائض.

٣. نوى: من النواة، وهو الجزء المركزي الأساسي للشيء.

ب. وجه الإعجاز العلمي: توصل العلم الحديث في أواخر القرن الماضي (العشرين) إلى الحقائق التي سبق ذكرها، والمتمثلة بأن هذه الأرض التي نحيا عليها منقسمة إلى كتل هائلة تسمى «الألواح القارية»، وتفصل بينها شقوق عميقة كل منها يسمى الصدع، ولقد كانت هذه الحقيقة مما يستحيل معرفتها على البشر وقت التنزيل، فكان ذكر القرآن لها دلالة على أنه وحى من عند الله تعالى، وعلى صدق رسوله ﷺ.

أ. ١٩. مواقع النجوم<sup>(١)</sup>:

قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ۗ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۗ﴾ (٧٦).

أ. الحقيقة العلمية: أثبت علم الفلك حديثاً أن للنجوم حركة دائبة<sup>(٢)</sup> وأماكن تجري فيها بشكل منتظم، وهي محتفظة بعلاقاتها المحددة، فيما مواقع النجوم هي الأماكن التي تمر بها في جريها<sup>(٣)</sup> عبر السماء، وهي محتفظة بعلاقاتها المحددة مع غيرها من الأجرام في المجرة الواحدة، وبسرعات جريها ودورانها، وبالأبعاد الفاصلة بينها، وبقوى الجاذبية الرابطة بينها، هذه المسافات بين النجوم مذهلة للغاية لضخامة أبعادها، مذهلة للغاية وحركات النجوم عديدة وخاطفة<sup>(٤)</sup>، بحيث لا ترى إلا موقعها<sup>(٥)</sup> التي كانت بها صدور ضوئها؛ نظراً للأبعاد الشاسعة التي تفصل بروج السماء عن أرضنا، فإن الإنسان على هذه الأرض لا يرى النجوم أبداً، ولكنه يرى مواقع مرّت بها النجوم ثم غادرتها، وعلى ذلك فهذه المواقع كلها نسبية؛ لأن نجومًا

١. مواقع النجوم: اقتبست من منشورات الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مكة المكرمة).

٢. دائبة: مواظبة، مثابرة.

٣. جريها: اندفاعها بالمسير.

٤. خاطفة: مثيرة، فاتنة، تخطف البصر.

٥. مواقعها: مساقط وأماكن، مواضع التي كانت أو هي فيها.

قديمة قد حَبَّتْ<sup>(١)</sup> أو تلاشت<sup>(٢)</sup> منذ أزمنة بعيدة، وما زال الضوء الذي انبثق منها في عدد من المواقع التي مرت بها، لا يزال يتلألأ في ظلمة السماء في كل ليلة من ليالي الأرض إلى اليوم، كما أنه نظراً لانحناء الضوء في صفحة الكون<sup>(٣)</sup> - كما كشفت البحوث العلمية حديثاً - فإن النجوم تبدأ في مواقع ظاهرية غير مواقعها الحقيقية.

ب. وجه الإعجاز العلمي: هذا القسَم القرآني بمواقع النجوم يشير إلى سَبَقُ القرآن الكريم بالإشارة إلى «مواقع» النجوم، وليس إلى النجوم «ذاتها»؛ لأهمية دلالة هذه الإشارة؛ حيث استقرت لدى علماء الفلك كحقيقة علمية ثابتة أن النجوم تتحرك بشكل منتظم، وضمن أفلاك<sup>(٤)</sup> محددة، وتنظمها علاقات منسقة<sup>(٥)</sup>. ويحكمها نظام دقيق، وذلك من خلال البيان العلمي حديثاً تتفق مع دلالة النص، فَمَنْ أَخْبَرَ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ الْأَمِيَّ ﷺ بهذا ولم تكن لديه أثاره<sup>(٦)</sup> من علم في مجال علوم الفلك؟ بل لم يكن في زمان بعثته ﷺ أيُّ وجود لهذه المعرفة العلمية بهذه الحقيقة الفلكية الثابتة.

أ- ٢٠. الرياح مُبَشِّرَات:

قال تعالى في سورة الروم: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْنِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٤٦)</sup>.  
المبشرات: الأنباء السارة التي تُسعد السامع، وفي الرياح معناها: ما تسوقه الرياح من السحب الممطرة، والمطر خيرٌ وبركة، ويبشِّر بالسقيا للإنسان والحيوان والنبات.

١. حبت: سكنت وانطفأت وقل ضياؤها.

٢. تلاشت: اختفت.

٣. صفحة الكون: وجه ومساحة الكون.

٤. أفلاك: المدارات، فكل كوكب يدور في مساره.

٥. منسقة: مرتبة ومنتظمة وعلى سياق منسجم.

٦. أثاره: من أثر، أي ما بقي من الشيء، أو من أصوله.

أ. الحقيقة العلمية: قام العلماء حديثاً بتصنيف الرياح وفق شدتها وآثارها، وقاسوا قوتها وفق ما يُعرف بمقياس بيتفورت، وقسمت على النحو التالي:

درجة قوتها	النوع
صفر	الريح الساكنة
١	النسيم الخفيف
٢	النسيم اللطيف
٣	النسيم المعتدل
٤	النسيم النشط
٥	النسيم القوي الشديد
٦	العاصفة المعتدلة
٧	العاصفة الناهضة
٨	العاصفة الشديدة
٩	العاصفة الهوجاء
١٠	الزوبعة
١١	الإعصار

ب. وجه الإعجاز العلمي: ذكر القرآن الكريم أنواع الرياح بشكل يتطابق مع ما انتهى إليه علماء الأرصاد، وتقسيمها إلى أنواع حسب شدتها وآثارها، مع أن ما انتهوا إليه إنما كان في الأزمنة المتأخرة، حيث ذكر القرآن أنواع الرياح كما يلي:

١. الريح الساكنة<sup>(١)</sup>: قال تعالى في سورة الشورى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾<sup>(٣٣)</sup>، وتقابل الريح الساكنة.

٢. الرياح الرخاء أو اللطيفة قال تعالى في سورة ص: ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾<sup>(٣٦)</sup> وتقابل النسيم<sup>(٢)</sup> الخفيف.

٣. الريح الطيبة: قال تعالى في سورة يونس: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِحَمْلِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾<sup>(٣٢)</sup>، وتقابل نوعين: الأول: النسيم اللطيف، والثاني: النسيم المعتدل، حيث يشار الغبار، وترفرف<sup>(٣)</sup> الأعلام، وتكبر الأمواج الصغيرة.

٤. الرياح المبشرات اللواقح<sup>(٤)</sup>: قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾<sup>(٢٢)</sup>، وقوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾<sup>(٤٦)</sup>، تقابل النسيم النشيط، حيث تهتز الأشجار الصغيرة (وتتلقح الثمرات، وكذلك الأزهار) وتكبر الأمواج المعتدلة.

٥. الريح الشديدة: قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾<sup>(١٨)</sup>، وتقابل النسيم القوي الشديد، تتحرك أغصان الأشجار، وتشكل الأمواج الكبيرة.

٦. الريح القاصف<sup>(٥)</sup>: قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿فِيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾<sup>(٦١)</sup>، وتقابل الريح القاصف نوعين: الأول: العاصفة المعتدلة، والثاني: العاصفة الناهضة.

١. الساكنة: الهادئة، الراكدة.

٢. النسيم: الريح الخفيفة، التي لا تحرك شجراً، وهي الريح اللطيف.

٣. ترفرف: تتحرك وتتموج نتيجة شدة الهواء أو الرياح.

٤. اللواقح: الرياح التي تحمل الندى تدفعه في السحاب، وتحمل لقاح النباتات من مكان لآخر.

٥. القاصف: الشديد الذي يكسر ما يمرّ به.

٧. الريح العاصف<sup>(١)</sup>: قوله تعالى في سورة يونس: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ۖ﴾، وتقابل نوعين كذلك: الأول: العاصفة الشديدة، والثاني: العاصفة الهوجاء<sup>(٢)</sup>.

٨. الريح الصرصر العاتية<sup>(٣)</sup>: قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ﴾، وتقابل الزوبعة<sup>(٤)</sup>، حيث تُتْلَف مساحات شاسعة، وتتكون أمواج أكثر علوًا قد تخفي السفن الصغيرة عن النظر الأفقي نتيجة للزبد<sup>(٥)</sup> الشديد.

٩. الإعصار<sup>(٦)</sup>: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۖ﴾، وتقابل الإعصار، حيث يكون هياج البحر على أشده.

ومن المدهش حقًا هذا التوافق التام بين التقسيم المعاصر لقوى الرياح وبين أنواعها التي ذكرها القرآن الكريم باستيعاب تام لا يصدر إلا عن وحي، وبما أن البشر كانوا على جهالة تامة بتلك التقسيمات العلمية؛ فإن حصول التطابق بين وصفها في القرآن الكريم وتلك التقسيمات الحديثة يعدُّ دليلًا قاطعًا على صدق نبينا محمد ﷺ وأنه لا ينطق عن الهوى.

١. العاصف: الشديد الرياح والزمهير.... المكون للعواصف..

٢. الهوجاء: العنيفة، وهي الرياح الغربية وتسبب في سقوط أمطار غزيرة عنيفة متتابعة الهبوب، كأن فيها هوج.

٣. الصرصر العاتية: الشديدة الصوت والهبوب والبرد والعصف والغزارة.

٤. الزوبعة: الريح التي تثير الغبار وتديره في الأرض، ثم ترفعه إلى السماء وهي قوية، وبإمكانها اقتلاع الأشجار من أصولها، ويشبه الإعصار وتصاعد الرياح في السماء.

٥. الزبد: ما يعلو المياه من الرغوة، وقد تكون شديدة ومرتفعة.

٦. الإعصار: منطقة ضغط جوي منخفض تتحرك فيها الرياح بشدة حلزونياً نحو مركزها، وتكون عكس اتجاه عقارب الساعة والرياح فيها مرتفع قوي تثر التراب وتكون منها دوائر، وتشكل في البحر أمواجًا عالية.

## ب. عالم الأحياء:

تمهيد:

عالم الأحياء عظيمُ الحضور في القرآن الكريم؛ ففيه حديث عن الإنسان والحيوان والحشرات والنباتات، وذلك بابٌ زلَّت<sup>(١)</sup> فيه أقدامُ كثيرٍ من العلماء في الحضارات القديمة، فالإنسان كان دائماً في حاجة إلى أن يتعاطى مباشرة مع أمراض البشر، وطلب المأكَل والمشرب من لحوم وحيوانات ولبنها، وتطبَّب<sup>(٢)</sup> من النبات، ولما كانت العلوم في بداياتها، وأدواتُ البحث بدائية، وكانوا يأخذون ظاهر الأشياء، كان الغلط واسعاً في فهم عالم الأحياء.

وأهمُّ هذه المواضيع ما جاء في أمر علم الأجنَّة<sup>(٣)</sup> في القرآن والسنة، فقد كثر الجدلُ في هذه المسألة بين القائلين بإعجاز الوحي الإسلامي، ومن ينسبون<sup>(٤)</sup> تقريرات القرآن إلى أخطاء اليهود واليونان.

ولذلك ستناول أمر علم الأجنَّة في القرآن والسنة (مقارنة بالكتاب المقدَّس) بتفصيل يستوعب ما قيل فيه من المنصِّرين والملاحدة، مع وزن ذلك بميزان حقائق العلم والتاريخ كما ذكر الدكتور سامي عامري حفظه الله في كتابه (العلم وحقائقه)، بالإضافة إلى مواضيع أخرى نقلناها من كتاب (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للدكتور راتب النابلسي - حفظه الله-)، وكذلك من كتاب (التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق للدكتورة هدى شلبي - رحمها الله-).

١. زلَّت: أوقعت بالخطأ.

٢. تطبَّب: جعل منه دواء.

٣. علم الأجنَّة: وهو دراسة تنامي الجنين، وتشكُّل أعضائه، والآليات التي تتضمَّن عملية تناميه وتطوره وصحته.

٤. ينسبون: يُرجعون الخبرَ أو الفعل إلى مصدر ما.

كما سيتم الحديثُ عن عالم الحيوان؛ حيث لم تَرْتَقِ<sup>(١)</sup> بيئة الحجاز في القرن السابع فوق بيئة اليهود مع عالم الحيوان، فالهَمُّ اليومي في طلب النفع المباشر بالذبح والحلب للاغْتِذاء<sup>(٢)</sup> أو التَطْبُّب البسيط هو سائق العقل<sup>(٣)</sup> العربي لفهم عالم الحيوان. ولم يبدأ النظر العلمي الجادُ إلا عند العصر الإسلامي مع كتاب (الحيوان) للجاحظ، والمتضمن لمعلومات غزيرة عن الحيوانات، ومقدمات نظر تحولت لاحقاً بعد قرون إلى نظريات علمية متكاملة، وقد ذكرنا أيضاً بعض الآيات الإعجازية عن الحيوان والنبات نقلاً عن كتاب الدكتور زغلول النجار في (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم).

أما النبات فقد اهتم به الإنسان منذ طلب الإنسان الكلاً<sup>(٤)</sup> للعيش، وقد كان التواصل الأول مع المملكة النباتية سطحياً، قائماً على طلب المنفعة، دون دراسة منهجية تصنيفية عميقة لكل ما تنبت الأرض.

تَزَخَّر<sup>(٥)</sup> نصوص القرآن بالأرض وما تُخْرِجُه من نبات متعدّد نوعه وأكُلُه<sup>(٦)</sup>، ولم يكن علم النبات التوراتي من آثار الحضارات القديمة المتطورة، وكان مظهرًا للعقل العملي الذي لا يهتم بالدراسة النظرية أو النَّسَقِيَّة<sup>(٧)</sup> لعالم النبات، وكان في مكة والمدينة مقرونة بخرافات العقل الوثني والتطور الأسطوري لأثر النبات في رضا الآلهة.

١. ترتق: تتطوّر أو ترتفع أو تصعد.

٢. للاغْتِذاء: مصدر أغتذى، أي أخذ وتناول الطعام والشراب للتغذية.

٣. سائق العقل: هنا بمعنى مرشد، أو الذي يقود بالعقل.

٤. الكلاً: الأعشاب التي تكون طعاماً للحيوانات.

٥. يزخر: يتوفّر بكثرة.

٦. أكُلُه: ما يؤكل من ثمرة.

٧. النسقية: النظام الواحد المستوي الظهور، الحسن التركيب.

## والقرآن الكريم

وسنذكر هنا بعض الآيات القرآنية التي تدل على إعجاز الله تعالى في عالم الأحياء في الأرض.

ب- ١- الإنسان:

ب-١-١. نشأة الجنين في القرآن الكريم:

جاء خبر نشأة الجنين في عدد من الآيات: في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، وفي سورة السجدة: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي سورة القيامة: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾<sup>(٤)</sup> ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ<sup>(٥)</sup> ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾<sup>(٦)</sup>، وفي سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٧)</sup> ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ<sup>(٨)</sup> ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾، وفي سورة الحج: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾<sup>(٩)</sup>.

والنصوص السابقة تخالف منطوق<sup>(١)</sup> الكتاب المقدس النصراني ومفهومه، وتوافق آخر ما قرره العلم الحديث وثبت بالعين الباصرة<sup>(٢)</sup> بالمجاهر<sup>(٣)</sup>، ولنبدأ بتفصيل الأمر:

### المثال الأول: أصل الجنين:

يفهم من الآيات القرآنية السابقة أن الجنين ينشأ من اختلاط مني الرجل بماء المرأة (النطفة الأمشاج)، وليس لدم المرأة دور في التكوين أو الولادة،

١. منطوق: المتكلم به، والمفروض أن يطابق المفهوم.

٢. الباصرة: التي تبصر وتشاهد وتنظر.

٣. المجاهر: التيليسكوبات، وهي آلات تستعمل لتضخيم وتكبير الأجسام والصور.

والقرآن والسنة قاطعان<sup>(١)</sup> هنا في مخالفة التصور الأرسطي / التوراتي الذي لا يرى للمرأة مساهمة في تكوين الجنين<sup>(٢)</sup>.

### المثال الثاني: مستخلص ماء الرجل:

يفهم من الآيات القرآنية السابقة أن الجنين يتكون من جزء ضئيل من مني الرجل الذي يشارك بويضة المرأة عملية التكوين، فهو جزء صغير مُستخلص<sup>(٣)</sup> (سلالة) من ماء الرجل.

قال الشيخ المفسر ابن عاشور في قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿٨﴾: وسميت النطفة التي يتقوم منها تكوين الجنين سلالة كما في الآية لأنها تفصل عن الرجل، ف ﴿مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ بيان لـ ﴿سُلَالَةٍ﴾، و (من) بيانية<sup>(٦)</sup>، فالسلالة هي الماء المهين، هذا هو الظاهر المتعارف للناس، ولكن في الآية إيماء<sup>(٧)</sup> علمي لم يدركه الناس إلا في هذا العصر، وهو أن النطفة يتوقف تكوُّن الجنين عليها؛ لأنه يتكون من ذرات فيها تختلط مع سلالة من المرأة، وما زاد على ذلك يذهب فضلة<sup>(٨)</sup>، فالسلالة التي تنفرز<sup>(٩)</sup> من الماء المهين هي النسل، لا جميع الماء المهين، فتكون (من) في قوله: ﴿مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾

١. قاطعان: وهي مثنى من قاطع، ومعناه مؤكِّد فاصل ونافذ.

٢. تكوين الجنين: المساهمة في تركيب بنية الجنين.

٣. مستخلص: مستخرج.

٤. طين: تراب مختلط بالماء.

٥. مهين: هنا بمعنى: ضعيف حقير.

٦. بيانية: من البيان، وهو التعبير عن المعنى المقصود.

٧. إيماء: إشارة أو إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة.

٨. فضلة: ما بقي من الشيء، أو زاد عن الحاجة.

٩. تنفرز: تنزل.

للتبعيض<sup>(١)</sup> أو للابتداء<sup>(٢)</sup>، وهي معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس من كل الماء يكون الولد» (رواه مسلم)، وذلك من الإعجاز العلمي، كما أنه يردُّ على مَنْ زعم خطأ القرآن في تقريره أن الجنين ينشأ من جميع ماء الرجل الذي يقذفه.

ومن المفيد هنا بيان المعنى الواسع لكلمة (سلالة)، وانطباق هذا الطيف الدلالي<sup>(٣)</sup> الكبير على الحقيقة العلمية المتعلقة بنشأة الجنين، فبالإضافة إلى المعاني المعروفة (انتزاع الشيء وإخراجه في رفق) بما يوافق حال الحيوان المنوي، ويعني جَذْرُ<sup>(٤)</sup> سلل: (المُضِيَّ والخروج من مَضِيْق أو زحام)، ومعلوم أن الحيوان المنوي الأقوى والأسرع يكون في زحام وضيق بسبب منافسته بقية الحيوانات المنوية للوصول إلى البويضة، فلا يفوز بذلك غير واحد لا غير، علمًا أن مجموع الحيوانات المنوية في مليمتر واحد من الماء يقذفه الرجل يتراوح بين (٢٠ و ١٠٠) مليون فرد منها.

### المثال الثالث: أخلاط في المائين:

وصف القرآن خليط ماء الرجل والمرأة أنه (أمشاج) في صيغة الجمع، برهان أن مجموع ماءيهما مركب من أخلاط كثيرة، وقد كشف العلم في عصر المجهر أن كيان الحيوان المنوي وبويضة المرأة معقدٌ، كثير العضيات<sup>(٥)</sup>.

### المثال الرابع: مرحلة العلقة:

يفهَم من الآيات القرآنية أن أول مرحلة من مراحل تكون الجنين هي اختلاط نطفة الرجل ببويضة المرأة، ثم انتقالهما إلى مرحلة (العلق) التي

١. التبعض: مصدر بعض، ويقصد بها الدلالة على جزء من كل.
٢. الابتداء: الشروع بعد وقف، ولا يكون إلا اختياريًا، ويبتدئ بشكل مستقل غير مرتبط بما قبله، بخلاف الوقف.
٣. الطيف الدلالي: المقام الدليل على صحته، أي أثبتته بالدليل.
٤. جَذْرُ: أصل كل شيء، وفي اللغة هو الأصل الذي يتفرع عنه الكلمات.
٥. العضيات: هي الأجزاء أو الأجسام الحية الموجودة في سيتوبلازم الخلية، أو هيكل الخلية.

تعني: (١) قطعة الدم المتجمد، وهي أيضًا (٢) (علقة) لأنها تعلق في الرحم، كما أنها (٣) من ناحية الشكل تشبه دودة العلق.

١. قطعة الدم المتجمد: قال الإمام القرطبي: «**مِنْ عَلَقٍ**»، أي من دم، جمع علقه. والعلقة: الدم الجامد، وإذا جرى فهو المسفوح».

يتحول الجنين بعد اختلاط نطفة الرجل ببويضة المرأة إلى كيان ممتلئ دمًا. وللدّم هنا دور هام لطلب أسباب البقاء من جسد الأم. يقول صاحبها الكتاب المدرسي في البيولوجيا علم الأجنة: Embryology: An Illustrated Colour Text: «بسبب النمو السريع للجنين خلال الأسبوع الثاني، هناك حاجة إلى وسائل أكثر كفاءة للتبادل الغذائي والغازي، ويتحقق ذلك عندما تتلامس الأوعية الدموية الجنينية المشيمية<sup>(١)</sup> مع الأوعية الدموية للأم»، وقال المؤلّفان عن الأسبوع الثالث من عمر الجنين: «تبادل المغذيات والغازات التنفسية والنفايات بين دم الأم ودم الجنين، يكون عبر الغشاء المشيمي داخل الفراغات التبادلية، يدخل دم الأم هذه المساحات من الشرايين الحلزونية لفروع الشريان الرحمي، حالبًا المغذيات والأوكسجين للجنين عن مراحلته المختلفة».

ووصف أصل الإنسان أنه من دم متجمد، دقيق؛ فإن الدم في هذه المرحلة جامد لا يتحرك، وهو موزع في مناطق منفصلة بعضها عن بعض، وتنتهي مرحلة التجمد ببداية حركة الدم، وبالتالي خروجه عن مرحلة العلقه مع نهاية الأسبوع الرابع.

١. المشيمية: من المشيمة، وهو عضو ينمو من رحم المرأة خلال فترة الحمل، وتعمل على توفير الأوكسجين والعناصر المغذية للجنين، والتخلص من الفضلات الموجودة بدم الجنين، وتلتصق المشيمة عادة بأعلى الرحم أو بجانبه أو بالجزء الأمامي أو الخلفي منه.

## تعقيب (١):

لا يعرف العلم الطبيعي وصف بناء الجنين أنه (دم متجمد) (Clot of blood) قال د. ويليام كامبل: «لا توجد مرحلة الدم المتجمّد Clot أثناء تكوين الجنين، ولذلك فهذا الأمر يمثل مشكلة علمية كبيرة جدًّا».

## الجواب:

قال صاحب كتاب علم أمراض الجنين البشرية Pathology of the Human Embryo and Preivable Fetus: An Atlas الأُسبوع الثاني: من الممكن التعرّف على موقع الزرع<sup>(١)</sup> كمساحة صغيرة مرتفعة من بطانة الرحم مسام مركزي فيه دم متجلط (a blood clot).

٢. العلقوق: وصف الجنين «بالعلقوق» هنا دقيق، يقول د. محمد علي البار - هو طبيب يميني ومستشار قسم الطب الإسلامي بمركز الملك فهد للبحوث الطبية بجدة، المملكة العربية السعودية -: «هناك جملة تعلقات في هذه المرحلة، تعلق أولي بواسطة الحملات الدقيقة، ثم تعلق ثان بواسطة الخلايا الآكلة trophoblasts، ثم تعلق ثالث بواسطة الحملات المشيمية chorionic villi، ثم تعلق رابع يربط بين الجنين الحقيقي وبين الغشاء المشيمي بواسطة المعلاق».

## تعقيب (٢):

قال بعضهم: إن وصف مرحلة العلقوق الجنين بالرحم دعوى من مسلمي القرن العشرين لإثبات موافقة القرآن لمعارف العصر.

## الجواب:

من علماء الإسلام من ربط بين مرحلة العلقوق والرحم منذ قرون،

١. موقع الزرع: أي موقع العلقوة.

قبل أن تعرف البشرية المجهر، وقبل أن يكتشف أمر العلوق، ومن الشهادات في هذا الباب:

قال ابن فارس القزويني، وهو من الأهواز في إيران، وهو عالم وفقه لغوي ومؤرخ، والمتوفى سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م في معجمه (مقاييس اللغة): «والعلق الدم الجامد، وقياسه صحيح؛ لأنه يعلَقُ بالشيء»، وقال أيضاً: «قال الخليل: العلقُ أن يَنْشِبَ<sup>(١)</sup> الشيءُ بالشيء».

وقال الفقه وعالم التفسير العراقي الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م. في تفسيره للقرآن - النكت والعيون -: «﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾»، العلقة الدم الطري الذي خُلِقَ من النطفة، سمي علقة لأنه أول حال من أحوال العلوق».

وقال أبو الفرج الأصفهاني، وهو أديب وعالم في التاريخ والآثار واللغة، نشأ في بغداد، والمتوفى سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م في كتابه في شرح ألفاظ القرآن (المفردات في غريب القرآن): «﴿حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾»، وقال: «﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾» إلى قوله: «﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾»، والعلق: الشيء النفيس الذي يتعلق به صاحبه فلا يُفْرَجُ عنه».

وقال الفقيه والمؤرخ والمحدث وعالم التفسير العراقي ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ / ١٢٠١ م في تفسيره (زاد المسير): «فأما النطفة، فهي المني. والعلقة: دم عبيط جامد، وقيل: سميت علقة لرتوبتها وتعلقها بما تمرُّ به».

٣. دودة العلق: قال ابن عاشور: «ومن إعجاز القرآن العلمي تسمية هذا الكائن باسم «العلقة»؛ فإنه وضع بديعٌ لهذا الاسم؛ إذ قد ثبت في علم التشريح أن هذا الجزء الذي استحالت إليه النطفة هو كائن له

١. يَنْشِبُ: يَلْصِقُ.

قدرة امتصاص عناصر القوة<sup>(١)</sup> من دم الأم، بسبب التصاقه بعروق في الرحم تدفع إليه قوة الدم، والعلاقة: قطعة من دم عاقد<sup>(٢)</sup>».

فالعلق يصح إطلاقه على ما شابه دودة العلق شكلاً، ووظيفة؛ إذ تمتص دم غيرها.

### تعقيب (٣):

قال بعض العلماء الماديين: إن وصف الجنين في أولى مراحلها بما يشبه دودة العلق، لم يقل به أحدٌ من المسلمين قبل عصر المجهر، وقد تم افتعال هذا المعنى لاحقاً لإثبات الإعجاز القرآني.

الجواب: ليس ذلك من دعاوى متأخري علماء الإسلام؛ فقد شهد لمثله - قبل عصر المجهر - الإمام ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م في تفسيره، بقوله: «فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة».

الوصف القرآني إذن للجنين في ما بعد مرحلة النطفة = دقيقٌ من كل وجه:

- يتكون الجنين من جزء كبير من الدم.

- في هذه المرحلة يكتسب الجنين أول مرة الدم.

- يعلق الجنين لأول مرة بالرحم.

- يكون شكله شبيهاً بدودة العلق.

- يعيش كدودة العلق على الدم.

### تعقيب (٤):

وقال بعضهم: إن القرآن وافق «أرسطو» وغيره في أمر أن أصل الجنين دم المرأة، وبالتالي فإن هذا الخبر ليس مقصوداً على المسلمين.

١. امتصاص عناصر القوة: أي امتصاص عناصر البقاء على قيد الحياة، من تغذية وتنفس الأوكسجين.

٢. دم عاقد: دم محتبس غليظ وسميك.

## الجواب:

أ. أجمعت المصادر العلمية السابقة للإسلام كلها على التصريح بعبارات واضحة أن دم المرأة أصل الجنين، وليس في القرآن شيء من التصريح بذلك، رغم اقتضاء المقام<sup>(١)</sup> إعلانه، خاصة مع وجود تفصيل بيّن في القرآن والسنة لأمر نشأة الجنين وأطوارها.

ب. القرآن صريح في أن العلقة ليست دم الحيض، وإنما هي الطور التالي الذي تتحول إليه النطفة الأمشاج. قال تعالى في سورة المؤمنون:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴿١٤﴾﴾، فالعلقة تُخلَق من النطفة، وعند أرسطو النطفة مجرد دم مجمّد لمادة البناء<sup>(٢)</sup>، وهي دم الحيض.

ت. الحديث النبوي صريح في أن أصل الإنسان ماء الرجل وماء المرأة (معاً)، ولم يرد البتة<sup>(٣)</sup> حديث عن الحيض ودوره في بناء الجنين، والتفصيل الوارد في الأحاديث واضح جداً في تجاهله التام لدم الحيض.

## تعقيب (٥):

يقولون إن الجنين معلق بالرحم طول مكوثه<sup>(٤)</sup> فيه، فلا معنى لأن تُسمّى مرحلة بعد «النطفة الأمشاج» وحدها بمرحلة «العلقة».

## الجواب:

قال الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م في تفسيره: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾، العلقة: هي الدم الطري الذي خُلِق من النطفة، سُمّي علقَةً

١. اقتضاء المقام: وجهة الإثبات، بناءً على المقتضى عقلاً وعرفاً.

٢. مادة البناء: وهي مني الرجل وبويضة المرأة.

٣. البتة: قطعاً، أو أبداً.

٤. مكوثه: إقامته.

لأنه أول أحوال العلوق، فالجنين في مرحلة النطفة الأمشاج لا يعلق بالرحم، ويعلق بالرحم بدايةً من مرحلة العلوق؛ ولذلك سمي علقة، فوصفت هذه المرحلة بأبرز خصائصها التي ستبقى لاحقاً، ولكن ستظهر بعدها خصائص أخرى أكثر بياناً للأطوار الجديدة للجنين.

### المثال الخامس: مرحلة المَضْغَة:

تتحول علقة الدم إلى مضغ، والمضغ: القطعة من اللحم لمكان المضغ، جاء في كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م: «المضغ هي قطعة لحم، وقيل أيضاً: تكون المضغ غير اللحم».

والناظر في صورة الجنين في هذه المرحلة يلحظ أن الجنين:

- خرج عن وصف الدم، ولم تظهر فيه العظام، وظهرت فيه بعض الأنسجة، بما يجعله ليناً، قابلاً للمضغ؛ فالجنين يتكون في هذه المرحلة من أنسجة ميزانكيميائية mesenchymal؛ وهي تعينه على الانطواء<sup>(١)</sup> على نفسه وفي شكله المعروف.

- يكون الجنين في قدر المضغ حجماً، على خلاف العلقة في المرحلة السابقة والتي كانت أصغر من أن توصف في لغة العرب بالمضغ، قال ابن الجوزي: «قال ابن قتيبة: وسميت بذلك لأنه بقدر ما يُمضغ».

- يحمل الجنين شكل الأشياء الممضوغة، ففيها آثار الأسنان: (أ) إذا تظهر على الجنين الفلقات<sup>(٢)</sup> التي تشبه آثار الأسنان على الأشياء الممضوغة. (ب) كما أنه يكون منحنيًا انحناء ممضوغات الأسنان على الفك المنحني.

١. الانطواء: الانكماش على ذاته.

٢. الفلقات: القطع المجموعة بعضها على بعض.

- يبدأ التخليق<sup>(١)</sup> في مرحلة المضغعة. وهو ما قرّره القرآن في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ ۗ﴾، قال الرازي: «فيجب أن تحمل مخلقة وغير مخلقة على ما سيصير إنساناً».

أثبت القرآن أن مرحلة المضغعة، يكون فيها شيء من الجنين مخلقاً، وهذا على خلاف التلمود الذي يرى أن مرحلة التخليق تبدأ بعد الأربعين يوماً، علماً أن نسبة التخليق إلى الأربعين موجودة في كثير من كتب على الأجنة، قبل البعثة النبوية، بل وقبل بعثة المسيح عليه السلام، فقد ذكر أرسطو أنه قد فحص جنيناً أجهض، سنه ٤٠ يوماً، وكان في حجم النمل الكبير، وكانت كل أطرافه ظاهرة للعين، بما في ذلك العضو الذكري والعينان... وفي هذا يقول د. مارتن ستول - وهو أستاذ الكلاسيكيات واللغات السامية في جامعة ليدن، هولندا، وله عناية خاصة بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي في بابل القديمة -: «وفقاً لإحدى النظريات القديمة المؤثرة<sup>(٢)</sup> التي روج لها أرسطو، يصل الجنين إلى مرحلة جديدة في تطوره بعد اليوم الأربعين، وفي هذه المرحلة، يتمايز الذكور والإناث بشكل بيّن<sup>(٣)</sup>».

ويبدو أن تحديد مدة الأربعين يعود إلى العمل التشريحي الذي كشف عن تشكل الجنين في هذه المرحلة، وهو ما وافقته السنة النبوية.

المثال السادس: كسوة العظام لحمًا:

قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ<sup>(٤)</sup>﴾، تظهر العظام منذ الأسبوع الخامس والنصف على شكل غضروف<sup>(٥)</sup>،

١. التخليق: تفاعلات ينتج عنها كائن حيّ، وهنا مشيئة الله في الخلق.

٢. المؤثرة: الفعالة التي تترك أثراً خاصاً.

٣. بيّن: ظاهر واضح.

٤. أنشأناه: الخلق والإيجاد.

٥. غضروفي: من غضروف، نسيج مطاطي قابل للالتواء، وأقلّ صلابة من العظم، وتتكوّن فيه هياكل الأجنة.

ثم تُكسى<sup>(١)</sup> باللحم، وفي ذلك يقول الكتاب المدرسي في علم الأجنة The Fundamentals of Human Embryology: «بعد فترة وجيزة من إنشاء النماذج الغضروفية للعظام تتجمع الخلايا العضلية (myogenic) - التي أصبحت الآن خلايا مولدة للعضلات (myoblasts) - لتشكيل كتل العضلات على الجوانب البطنية والظهرية للأطراف».

فالألياف العضلية تظهر أولاً بصورة غير منتظمة، وتنظم على شكل حُزَم من الألياف العضلية، وبعد ذلك تنتقل لتغطي العظام الموجودة قبل ذلك في مكانها.

تعقيب (١):

يقولون: إن «العظم» يكون في أول أمره غضروفاً، ولذلك فلا يصح أن يُسمى عظماً!

الجواب:

١. الغضروف عند العرب زمن البعثة عَظْمٌ من العظام، وهو عَظْمٌ فيه لين<sup>(٢)</sup>:

- يقول كتاب لسان العرب لابن منظور: «الغضروف: كُلُّ عَظْمٍ رَخِصٍ لِينٍ، في أيِّ موضع كان».

- جاء في القاموس المحيط للفيروزي آبادي - وهو عالم الفتوى، وكاتب وشاعر وفقه سني ومفسر وقاضٍ، ولد في بلاد فارس سنة (٧٢٩هـ) وتوفي ٨١٧هـ / ١٤١٥م - : «الغضروف: كُلُّ عَظْمٍ رَخِصٍ يُوَكَّلُ».

- اللحم الأول نفسه يكون بدائياً - كما العظم -، ثم يتطور إلى بنية أُخرى، ومع ذلك فهو عندنا يسمّى (لحم).

١. تُكسى: تُلبس وتُغطى.

٢. لين: نعومة وقابلية للانثناء.

## تعقيب (٢):

يقولون: إن القرآن أخطأ، إذ اللحم والعظم ينشآن مع بعض، يقول د. ويليام كامبل تعليقا على الآية ١٤ من سورة المؤمنون المذكورة سابقا، وثم قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا<sup>(١)</sup> ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا<sup>(٢)</sup>﴾، توحى لنا هذه الآيات أن الهيكل العظمي يتكون أولا، ثم يكسى لحما، والدكتور بوكاي يعلم جيدا أن هذه الدعوى غير صحيحة، يبدأ تكون العضلات والغضروف سلف<sup>(٣)</sup> العظام من somite في نفس الوقت.

## الجواب:

لم يصرح القرآن أن العظم ينشأ قبل اللحم، والقول بخلاف ذلك خطأ شائع؛ لقد صرح القرآن بنشوء العظم، ثم صرح بعد ذلك بكسوة اللحم للعظم، وذاك هو منطوق<sup>(٣)</sup> القرآن في سورة المؤمنون: ﴿...فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا<sup>(٤)</sup>﴾، وقد أنكر د. كامبل على القرآن قوله بسبق خلق العظام كسوتها لحما، واستدل لذلك بخلق العظام والعضلات في نفس الآن، رغم أن موضوع الخلق غير موضوع الكسوة! والأمر أشبه بقول المرء: (لقد جبَلْتُ<sup>(٤)</sup> من الطين طيرا، صنعتُ جسده، ثم ألبسته رأسا).

الطير في حديثنا هذا مجبول<sup>(٥)</sup> كله من طين، كما أن الجنين كله مخلوق من المضغة، وقد تم تصوير<sup>(٦)</sup> الجسم كله، ثم تم وضع الرأس لاحقا، ولا يعني ذلك أن الرأس لم يكن مصورا مع تصوير الجسم؛ فالأمر محتمل أن

١. نُشِزُهَا: تركب بعضها على بعض.

٢. سلف: أي المرحلة التي تسبق نشوء.

٣. منطوق: المفهوم من الكلام المكتوب.

٤. جبَلْتُ: أي صنعت الشكل.

٥. مجبول: هنا بمعنى مطبوع على خلق من الله تعالى.

٦. تصوير: هنا بمعنى: خلق من الله تعالى.

الرأس كان مصورًا، ثم تم وضعه، كما يحتمل أنه قد تم تصوير الرأس بعد أن جبل عامة الجسم، وذكر خلق العظام من المضغة لا يعني أنه لم يبق منها شيء آخر ليكون منه اللحم؛ فإن العرب قد يطلقون الكلّ ويريدون به الجزء، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، فإن الناس لا يُدخلون كلّ أصابعهم في آذانهم عند سماع صوت الصواعق، وإنما يدخلون أطراف الأصابع، وليس في القرآن أن العلقة تتحول إلى شيء آخر مع المضغة؛ ولذلك فالمضغة أصل العظم واللحم معًا.

مفهوم (أي: المعنى المستفاد من اللفظ) الآية إذن يتسع لواحدٍ من معنيين:

- الخيار الأول: ينشأ اللحم بعد العظم عند إكساء العظم.
- الخيار الثاني: ينشأ اللحم مع العظم، لكنه لا يغادر مكانه ليكسو العظم إلا بعد أن يتخذ العظم مكانه.

ويتفق العلماء اليوم على أن القطع اللحمية تغادر إلى مكانها النهائي بعد ظهور العظم، وذلك أمر لا يجادل فيه خصوم الإسلام من نصارى وملاحدة؛ ولذلك فمفهوم الآية السائغ<sup>(١)</sup> أن نشأة اللحم تكون مع نشأة العظم لا يُعارض صحيح العلم، ولسنا بحاجة إلى بيان أن نشوء العظام يسبق نشوء اللحم؛ فإن معارضي القرآن يرفضون الأدلة العلمية الدالة على ذلك، ويكثرون من اللدد<sup>(٢)</sup> فيها، ولما عجز النصارى والملاحدة عن إثبات فساد صريح القرآن - وهو سبق خلق العظام لكسوته لحماً - امتنعت إقامة الحجة على خطأ القرآن في هذه الآية.

١. السائغ: الجائز والمقبول والمعروف.

٢. اللدد: الخصومة الشديدة.

### تعقيب (٣):

يقولون: إن اللحم ينشأ قبل العظم، فإن ظهور خلايا (البضعة العضلية - myotomes) يكون قبل تَعَظُّم<sup>(١)</sup> النموذج الغضروفي (ossification).

### الجواب:

هذه مغالطة علمية؛ إذ المخالف يقارن بين ظهور اللحم في شكله البدائي، والعظم في شكله النهائي بعد تصلُّبه ossification، خاصة أن نهاية مرحلة التَعَظُّم تكون مع وصول الإنسان إلى سن البلوغ! والصواب أن يقارن زمن ظهور العظم البدائي (sclerotome) واللحم البدائي (myotomes) - وهو ما ذكرناه سابقاً -؛ فخلايا العظام تهاجر أولاً وتتخذ موقعها في مكان بناء الهيكل العظمي، قبل أن تسافر خلايا العضلات لتكسو هذه العظام.

والترتيب كالاتي:

١. يبدأ ظهور الجسيدات (Somites) في الأسبوع الثالث من عمر الجنين، ومنها ينشأ الجسد لاحقاً.

٢. يحصل التمايز بين الخلايا التي سيتكون منها العظم (sclerotome)، والخلايا التي سيتكون منها اللحم والجلد (Dermatomyotome).

٣. يحصل لاحقاً التمايز بين الخلايا التي سيتكون منها اللحم (myotome) والأخرى التي سيتكون منها الجلد (Dermatomyotome).

فخلايا العظم تظهر قبل أن تنقسم (Dermatomyotome) إلى خلايا لحم وأخرى للجلد، وتهاجر إلى الموضع الذي سيكون عظاماً ليئة قبل مهاجرة خلايا العضلات التي ستحيط بها، وذلك حجة لمن يرى قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾<sup>(١)</sup> دالاً على خلق العظم قبل اللحم.

١. تَعَظُّم: أي يصير عظمًا.

## تعقيب (٤):

يقولون: إن اللحم ينشأ قبل العظم؛ إذ إن القلب يبدأ في النبض من اليوم الواحد والعشرين.

## الجواب:

حديث القرآن عن اللحم، خاصٌ باللحم الذي يكسو العظم، وليس القلب كذلك. كما أن القرآن قد تحدث عن تخليق بعض الأعضاء قبل ظهور العظم في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ ۗ﴾، والقلب مما هو مُخَلَّقٌ<sup>(١)</sup> في مرحلة المضغة.

## شهادات علمية للإعجاز في القرآن الكريم:

شهد لإعجاز آيات علم الأجنة في القرآن عددٌ من علماء الأجنة من غير المسلمين، ومن أهمهم د. كيث مور (وهو عالم أجنة وتشريح كندي شهير، عضو الجمعية الطبية الملكية بكندا، والأكاديمية الدولية لعلوم الخلايا، والاتحاد الأمريكي لأطباء التشريح)، الذي قدّم شهادته من منطلق الإقرار العلمي البحث<sup>(٢)</sup>، وصرّح بحقيقة الإعجاز القرآني في كتابه الأكاديمي الذي اعتمد كمقرّر في جامعات غربية تدرس الطب: (الإنسان المتطور) (The Developing Human) ١٩٨٨ م، حيث قال - بعد أن ذكر نظريات تطور الجنين عند الهندوس واليونان وفي التلمود -: «لقد كان تطور العلوم التطبيقية بطيئاً في القرون الوسطى، ونحن نعلم القليل عن بعض النقاط الهامة المسجلة حول دراسات علم الأجنة في تلك الفترة، ولقد ذُكر في القرآن [في القرن السابع الميلادي] - كتاب المسلمين المقدّس - أن الإنسان يخلق من

١. مُخَلَّقٌ: مستبين/ كامل الخلق، أو تام الخلق.

٢. الإقرار العلمي البحث: الاعتراف والموافقة بعد عمل البحث العلمي التجريبي اللازم فقط.

أمشاج إفرازي الذكر والأثني، وردت عدة إحالات<sup>(١)</sup> إلى خلق الإنسان من (نطفة)، كما قررت أن الخلايا الناتجة تستقر في الرحم كالبذرة لستة أيام بعد بداية تشكلها. تمت الإشارة أيضًا إلى أن شكل الجنين في الطور المبكر يشبه العلقه. وبعد ذلك ذكر بأن الجنين يشبه الممضوغ».

وكان قد كتب في مقدمة هذا الكتاب (طبعة ١٩٨٢م): «أذهلني دقة التقارير المسجلة في القرن السابع بعد الميلاد، وذلك قبل تأسيس علم الأجنة، ومع أنني كنت على وعي بتاريخ علماء المسلمين العظيم في القرن العاشر، وبعض ما قدموه لعلم الطب، لم أكن على علم ألبتة بالحقائق الدينية والمعتقدات الواردة في القرآن والسنة، ومن المهم أن يتعلم الطلبة المسلمون وغيرهم معاني العبارات القرآنية حول تطور نشوء الإنسان، بناء على المعرفة العلمية المعاصرة».

وصرح في المؤتمر الطبي الذي عقد في الدمام سنة ١٩٨١م: «إنه لشرف عظيم لي أن أساعد في شرح بعض تقارير القرآن حول تطوّر الخلق البشري، ومن الواضح لديّ بأن التقارير القرآنية قد بلغت - قطعاً - محمدًا ﷺ من الله؛ وذلك لأن كل تلك العلوم - تقريباً - لم يتم اكتشافها إلا بعد قرون عديدة بعد ذلك، وهذا يثبت لي أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو قطعاً رسولٌ من الله»، وأثناء فترة الأسئلة سئل د. مور: «هل يعني ذلك أنك تؤمن بأن القرآن كلام الله؟»، فأجاب: «لا أجد إشكالاً في قبول ذلك».

القرآن بين التلمود وجالينوس<sup>(٢)</sup>:

كشف البحث السابق عن أن المصدرين (التلمود وجالينوس) اللذين يقول خصوم الإسلام إنهما أصل الخبر القرآني والنبوي<sup>(٣)</sup> في علم الأجنة،

١. إحالات: جمع إحالة، وهي مصدر أحال، أي يجعلها منسوبة إلى.

٢. جالينوس: هو طبيب إغريقي يوناني شهير، ولد في سنة ١٢٩م، وكان أحد أعظم أطباء العصور القديمة، وعالج العديد من الأباطرة الرومان، توفي في سنة ٢١٦م.

٣. الخبر القرآني والنبوي: الكلمات والآيات القرآنية والنبوية التي لها صلة بالعلم.

يخلطان حقائق العلوم بكثير من الأفكار الفاسدة علمياً، وقد كان القرآن والسنة يوافقانها كلاً وافقاً الحق، ويخالفانها كلما خالفاه، دون أن يلتزما كامل اختيارات أحدهما، وهو ما يتضح في الجدول التالي الذي نعرض فيه أهم هذه النقاط العلمية، حيث نضع علامة (\*) على الاختيار الموافق للعلم و (x) عندما لا نعلم للمتحدث عنه قولاً:

المسألة العلمية	التلمود	جالينوس	القرآن الكريم
ماء الرّجل والمرأة هو أصل بُنية الجنين	*ماء الرّجل والمرأة	فقط ماء الرّجل	*ماء الرّجل والمرأة
دم الحيض يُساهم في بناء الجنين	نعم	نعم	*لا
الجنين ينشأ من جزء من الماء	من أطهر جزء	من كلّ الماء	*الجنين ينشأ من جزء من الماء
العظام تتكوّن قبل الكسوة باللحم	لا	*نعم	*نعم
جزء من الجنين يتخلق قبل مرحلة العظم	لا	*نعم	*نعم
يتخذ الجنين صورة بعد يوم الأربعين	*نعم	x	*نعم
تحول ماء الرّجل إلى أعضاء مخصوصة وكذلك ماء المرأة	نعم	نعم	*لا
يبدأ تشكّل الجنين من الرّأس أو السّرة	نعم	*لا	*لا
تظهر الآلة الجنسية بعد الأربعين	*نعم	لا	*نعم
ينشأ الذّكر في يمين الرّحم، في حين تنشأ الأنثى في شماله	*لا	نعم	*لا
يتشكّل الجنين الذّكر بصورة أسرع من الجنين الأنثى	*لا	نعم	*لا

ومن المفيد هنا التنبيه إلى الزعم بأن القرآن قد قدّم خلاصة تجمع بين علم الأجنّة التلمودي واليوناني لا يمكن تفسيره في ظلّ واقع اليهود زمن البعثة النبوية؛ إذ إنّ الأخبار الذين كتبوا التلمود لم يتأثروا بالثقافة اليونانية، فقد كتب الباحث اليهودي مؤرّخ الطبّ سليمان كاجان (وهو باحث من ليتوانيا من أسرة من الأخبار، نُصّبَ حبراً<sup>(١)</sup>) ثمّ ترك ذلك ليتّجه إلى دراسة الطبّ): «قرّر الدكتور ل. كرزلسون أنّ الطبّ اليوناني القديم لم يكن له تأثير على التفكير الطبيّ للتلموديين أثناء مراحل تطوّر التلمود، ولا يوجدُ تباعدٌ للمعرفة بينهما. فهل تفرّغ نبيّ الإسلام إلى صناعة هذه الخلاصة التوفيقية<sup>(٢)</sup>، في بيئة يرفض اليهود فيها أخبار اليونان؟ وما فائدة مخالفة اليهود هنا بعد موافقتهم في بعض الأمر في مسائل علمية بحثية؟!».

أما الفارق بين القرآن والكتاب المقدّس، فنجدّه في الجدول التالي:  
«موافقة العلم<sup>(٣)</sup>»

المسألة	القرآن	الكتاب المقدّس
ينشأ الجنين من ماء الرّجل والمرأة	*نعم	لا
ينشأ الجنين من حيض المرأة	*لا	نعم
دور مني الرّجل هو تخثير دم الحيض	*لا	نعم
اللّحم يسبقُ العظم	*لا	نعم

١. نُصّبَ حبراً: رُخّص وأُسند إليه منصبّ، والحبر هو لقب يُطلق على رجل الدين، وهنا بمعنى أسقفٍ نصراني.

٢. التوفيقية: التي لا تحصل بالطلب والاجتهاد، بل بتوفيق من الله تعالى.

٣. موافقة العلم: (اقتباس بتصرّف من كتاب «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» للدكتور محمد راتب النابلسي - حفظه الله).

## أَسْئَلَةُ لِلْمُنْصَرِّينَ وَالْمَلَا حِدَةَ:

يرى المنصرون والملاحدة أن نبي الإسلام ﷺ قد علم خبر اليهود وأعظم أطباء اليونان الذين لم تُعرب كتبهم حتى تُوفي ﷺ، وهنا أسألنا:

\* كيف اطلع نبي الإسلام ﷺ الأمي على كتب (١) لم تُعرب بعد (٢) وضخمة جداً (٣) وخبر علم الأجنة مُشتت<sup>(١)</sup> في صفحاتها؟!!

\* لماذا خالف نبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الأجنة التوراتي والتلمودي، رغم أن موافقة التوراة والتلمود في الأخبار التاريخية والعلمية حجة المستشرقين الكبرى والأساسية على الأصل البشري للقرآن.

\* لماذا وافق نبي الإسلام ﷺ في هذه القضية الحق في التراث التلمودي عند تعدد الآراء فيه؟

\* لماذا خالف نبي الإسلام ﷺ علوم العصر في مكة والمدينة، رغم أن خلافه مع أهل مكة وأهل الكتاب لا علاقة له بالجدل العلمي؟ إذا لم يكن هناك حافظ علمي لمخالفة أهل الأوثان وأهل الكتاب، فلم يخالفهم، وأصاب؟!!

\* لماذا جمع رسول الله محمد ﷺ خلاصة علمية من اليهود وجالينوس، ولم يكتب بأحدهما، خاصة أن قومه لا اطلاع لهم على علم الأجنة؟

\* لماذا خالف رسول الله محمد ﷺ التلمود ووافق جالينوس، رغم أن بيئته في المدينة لم تتأثر سوى بأقوال اليهود.

\* ما برهان تنازل الكنيسة السريانية عن علم الأجنة الأرسطي الموافق للتوراة لتبني اجتهادات جالينوس في ما خالف فيه أرسطو؟

١. مُشتت: متفرق وموزع.

\* لماذا أهمل رسول الله محمد ﷺ الثقافة اليهودية في مسائل محببة إلى الذوق الشعبي، كالسبيل لإنجاب الذكور، والتمييز بين مدة النفاس<sup>(١)</sup> بالذكور والإناث؟

\* لماذا خالف رسول الله محمد ﷺ الجميع في أمر الحيض، فلم يجعله مشاركاً في خلق الجنين، رغم أنها مسلمة علمية<sup>(٢)</sup> عند جميع أهل العصر؟

\* تنازع علماء العصر في أمر مشاركة المرأة في المادة الأصلية في نشأة الجنين ووافق القرآن المصيب منهم، كيف أصاب القرآن، رغم أن الأمر غير محسوم تجريبياً في زمانه؟

\* اختلف أهل العصر في نشأة الجنين، هل ينشأ أطواراً، أم ينشأ صغيراً ثم يكبر، فلماذا وافق القرآن الحق..؟

\* ذهب عامة علماء العصر إلى أن ماء الرجل يُشارك كُله في إنجاب الجنين، فلماذا خالف القرآن ذلك..؟

\* اختلف علماء العصر في نشأة الأعضاء (القلب، الكبد،..)، أولها وأوسطها وآخرها، وكل ذلك خطأً، فلماذا تجانف<sup>(٣)</sup> القرآن عن موافقة أي طرفٍ منهم..؟

\* ظاهر الكتاب المقدس سبق اللحم العظم، ولم يتابع القرآن الكتاب المقدس في ذلك.. بل لا يكاد يوافق القرآن الكتاب المقدس في شيء، رغم تكرار إعلان القرآن أن موافقته أخبار أهل الكتاب (في العموم)

١. النفاس: الفترة التي تلي الولادة، والتي يستعيد فيها جسم المرأة حالته الأصلية قبل الحمل.

٢. مسلمة علمية: هي المفاهيم أو المبادئ أو العبارات التي يقبل الجميع بها يقيناً بعد معرفتها، ودون الحاجة لوضع البراهين والإثباتات لها، كما أنها لا تقبل الدحض أو النفي لاحقاً.

٣. تجانف: عدل، ومال، وابتعد.

حُجَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ فِي الْقُرْآنِ - لِأَنَّ نَبِيَّ الْإِسْلَامِ ﷺ أُمِّي، لَمْ يَدْرُسْ عِنْدَ الْأَحْبَارِ أَوْ الرُّهْبَانِ - فَلِمَاذَا؟

ما جواب ما سبق، مع دليله التاريخي؟

ب. ١-٢. حُلُقُ الْإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ:

قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ: ﴿سَرُّهُمْ أَيْتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمَ يَكْفُرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾.

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ التِّينِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾. غَيْرُ مَمْنُونٍ: مَعْنَاهَا؛ دَائِمٌ، غَيْرُ مَقْطُوعٍ.

وَفِي أَنْفُسِنَا آيَاتٌ لَا تَنْتَهِي، لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ صَرَفَ عُمُرَهُ كُلَّهُ فِي التَّدْقِيقِ فِي أَجْهَازِهِ<sup>(١)</sup>، وَأَعْضَائِهِ، وَعَضَلَاتِهِ، وَأَعْصَابِهِ لِانْقِضَى<sup>(٢)</sup> الْعُمُرُ، وَلَمْ تَنْقُضِ هَذِهِ الْآيَاتُ الدَّلَالَةَ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ صَنَعَهُ، وَأَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَكَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْمَلِكِ: إِنَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ﴿٣﴾﴾، مِنْ حَيْثُ كَمَالَ الْخَلْقِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ خَصَّ اللَّهُ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى بِحُسْنِ التَّرْكِيبِ، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِنْفِطَارِ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾، وَبِحُسْنِ التَّقْوِيمِ فِي سُورَةِ التِّينِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾، وَبِحُسْنِ التَّعْدِيلِ<sup>(٤)</sup> فِي سُورَةِ الْإِنْفِطَارِ: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾.

١. أَجْهَازُهُ: الْأَدَاةُ الَّتِي تَوْدِي بِعَمَلٍ مَعْيَنَ طَبَقًا لِنِظَامٍ خَاصٍّ، وَالْمُرَادُ هُنَا جِسْمَ الْإِنْسَانِ وَأَعْضَاؤَهُ وَأَنْظِمَتَهُ كَالْقَلْبِ وَالْمَعْدَةَ وَغَيْرَهُمَا ...

٢. انْقَضَى: انْتَهَى وَوَلَّى.

٣. تَفَاوُتٌ: اخْتِلَافٌ فِي الشَّكْلِ وَالْمُضْمُونِ.

٤. التَّعْدِيلُ: مِنَ الْإِعْتِدَالِ، أَيُّ مُعْتَدِلًا مَقْوَمًا، مَعْدَلُ الْخَلْقِ كَامِلٌ.

وهذا فضلُ عنايةِ بهذا المخلوقِ المكرَّم، وإشارةٌ إلى أن لهذا الإنسانِ شأنًا عندَ اللهِ جلَّ جلالُه، وأنَّ له وزنًا في نظامِ الكونِ.

فهذا الإنسانُ الذي هو أعقدُ آلةٍ في الكونِ، في خِلاياه، وأنسجته، وفي أعضائه، وأجهزته من التعقيد، والدقة، والإتقان ما يعجزُ عن فهمِ بُنيتهَا، وطريقةِ عملِها حقَّ الفهمِ أعلمُ العلماءِ.

وفي هذا الإنسانِ نفسٌ تعتلجُ<sup>(١)</sup> فيها المشاعرُ والعواطفُ، وتصطرعُ<sup>(٢)</sup> فيها الشهواتُ والقيمُ والحاجاتُ والمبادئُ، حيث يعجزُ عن إدراكِ خصائصِها تمامَ الإدراكِ أعلمُ علماءِ النفسِ.

وفي هذا الإنسانِ عقلٌ، وفيه من المبادئِ والمسلّماتِ والقوى الإدراكيةِ والتحليليةِ والإبداعيةِ ما يؤهِّلهُ ليكونَ سيِّدَ المخلوقاتِ وأفضلَها، كما قالَ تعالى في سورةِ الإسراءِ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد خصَّ المولى جلَّ وعلا الإنسانَ بأجهزةِ دفاعٍ بالغةِ الدقة، وأولُ هذه الأجهزةِ الجلدُ، وهو درعٌ سابغةٌ<sup>(٣)</sup> على البدنِ، تُردُّ عنه الجراثيمَ، والأوبئةَ، وهو خطُّ الدفاعِ الأولُ، وخصَّ المولى جلَّ وعلا كلَّ عضوٍ في الإنسانِ، وكلَّ جهازٍ، وكلَّ حاسةٍ بجهازٍ دفاعٍ خاصٍّ به.

فالعينُ مثلاً خصَّتْ بالأهدابِ والأجفانِ والدَّمعِ، وهذه الأجهزةُ الخاصةُ هي خطُّ الدفاعِ الثاني.

وأما خطُّ الدفاعِ الثالثُ فهو الدَّمُ بجنودهِ مِنَ الكُرَيَّاتِ البيضاءِ، وعددُ هذه الكُرَيَّاتِ التي هي جنودُ خطِّ الدفاعِ الثالثِ خمسةٌ وعشرونَ مليونَ كُرَيَّةٍ

١. تعتلجُ: تتصارع.

٢. تصطرعُ: من الصراع، بحيث تستخدم وتتصادم.

٣. سابغةٌ: متممة، مكملّة لما تحتاج إليه.

في أَيَّامِ السَّلَامِ<sup>(١)</sup>، وَيَتَضَاعَفُ هَذَا الْعَدَدُ فِي حَالِ الْإِسْتِنْفَارِ<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ يَصُلُّ إِلَى مِائَاتِ الْمِائَاتِ فِي حَالِ الْقِتَالِ<sup>(٣)</sup>، فِي فِتْرَةٍ لَا تَتَجَاوَزُ السَّاعَاتِ أَوْ الْأَيَّامَ، وَلِهَذِهِ الْجُيُوشُ الْجَرَّارَةُ مِنَ الْكُرِّيَّاتِ الْبَيْضَاءِ سِلَاحٌ إِشَارَةٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ بَضْعِ مَوَادِّ كِيمَاوِيَّةٍ، يُعَدُّ وَسِيلَةَ الْإِتِّصَالِ وَالتَّفَاهِمِ فِي مَا بَيْنَهَا.

وَتَمَّةَ كُرِّيَّاتٍ مُهَمَّتُهَا أَخْذُ الشُّفْرَةِ<sup>(٤)</sup> الْكِيمَاوِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِهَذَا الْعَدُوِّ، وَالْإِحْتِفَاطُ بِهَا، ثُمَّ نَقْلُهَا إِلَى الْمَرَكَزِ اللَّمْفَاوِيَّةِ، حَيْثُ تَقُومُ الْخَلَايَا الْمَحْصَنَةُ بِتَفْكِيكِ رُمُوزِ هَذِهِ الشُّفْرَةِ تَمْهِيدًا لِصُنْعِ الْمَصْلِ الْمَضَادِّ<sup>(٥)</sup>.

وَبَعْدَ صُنْعِ الْمَصْلِ الْمَضَادِّ تَتَوَجَّهُ الْخَلَايَا الْمَقَاتِلَةُ حَامِلَةً هَذَا السَّلَاحَ، وَهُوَ الْمَصْلُ، لِتَهَاجِمَ بِهِ الْجِسْمَ الْغَرِيبَ، وَبَعْدَ أَنْ تَصَرَّعَهُ بِهَذَا السَّلَاحِ الْفِعَالِ تَأْتِي الْخَلَايَا اللَّاقِمَةُ لِتَنْظِيفِ سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ مِنْ بَقَايَا جُثَثِ الْأَعْدَاءِ، لِيَعُودَ الدَّمُ كَمَا كَانَ نَقِيًّا سَلِيمًا، وَهَذِهِ الْكُرِّيَّةُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي هِيَ الْعُنْصُرُ الْأَسَاسِيُّ فِي جِهَازِ الْمَنَاعَةِ؛ لَا يَزِيدُ قَطْرُهَا عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ مِيكْرُونًا.

وَهُنَاكَ فِرْقَةٌ فِي هَذَا الْجَيْشِ، اكْتُشِفَتْ حَدِيثًا، وَهِيَ فِرْقَةُ الْمَغَاوِيرِ<sup>(٦)</sup>، الَّتِي بِإِمْكَانِ عُنَاصِرِهَا اكْتِشَافُ الْخَلِيَّةِ السَّرَطَانِيَّةِ فِي وَقْتٍ مَبْكَرٍ جَدًّا، وَمِنْ ثَمَّ تَلْتَهُمُهَا.

رَبَّمَا كَانَ تَرْكِيزُ الْآيَاتِ عَلَى الْجَانِبِ الرُّوحِيِّ مِنَ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّهُ هُمِّيَّ<sup>(٧)</sup> - إِذَا عَرَفَ رَبَّهُ، وَسَارَ عَلَى مَنَهْجِهِ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ - لِأَنَّهُ يَبْلُغُ مِنْ

١. أَيَّامِ السَّلَامِ: الْمَقْصُودُ بِهَا؛ أَيَّامُ الصَّحَّةِ السَّلِيمَةِ.

٢. حَالِ الْإِسْتِنْفَارِ: عِنْدَ دُخُولِ فَيْرُوسَاتٍ أَوْ جِرَائِيمٍ مُضَرَّةٍ عَلَى جِسْمِ الْإِنْسَانِ، فَتَنْدَفِعُ الْكُرِّيَّاتُ الْبَيْضَاءُ فِي الدَّمِ لِلدَّفَاعِ.

٣. حَالِ الْقِتَالِ: الْمَقْصُودُ بِهَا؛ مَحَارِبَةُ الْجِرَائِيمِ وَالْأَوْبَةِ وَالْأَمْرَاضِ.

٤. الشُّفْرَةُ: أَرْقَامُ التَّرْمِيزِ بِالدُّخُولِ إِلَى أَصْلِ وَأَسَاسِ الشَّيْءِ.

٥. الْمَصْلُ الْمَضَادُّ: الْمَصْلُ؛ هُوَ مِنْ مَشْتَقَاتِ الدَّمِ أَوْ إِحْدَى سَوَائِلِهِ، وَتَسْتَعْمَلُ مِنْ قِبَلِ جِهَازِ الْمَنَاعَةِ لِتَعْرِفَ عَلَى الْأَجْسَامِ الْأَجْنَبِيَّةِ مِثْلَ الْبِكْتِيرِيَا وَالْفَيْرُوسَاتِ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهَا.

٦. فِرْقَةُ الْمَغَاوِيرِ: تَشْبِيهُهُ لِلْكُرِّيَّاتِ الْبَيْضِ بِعُنَاصِرِ ذَاتِ مَهْمَاتٍ خَاصَّةٍ لِتَفُوقِ عَلَى الْأَجْسَامِ الْغَرِيبَةِ عَنِ الْجِسْمِ.

٧. هُمِّيَّ: أُعِدَّ لِتَحْقِيقِ غَرَضٍ خَاصٍ.

الرَّفْعَةِ<sup>(١)</sup> مَا يَفُوقُ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ التِّينِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وَأَمَّا إِذَا أَعْرَضَ<sup>(٣)</sup> عَنْ رَبِّهِ سَبْحَانَهُ، وَنَفَلَتْ مِنْ مَنْهَجِهِ، وَأَسَاءَ إِلَى خَلْقِهِ، فَإِنَّهُ يَهْوِي إِلَى دَرَكَاتٍ<sup>(٤)</sup> لَا يَصِلُ إِلَيْهَا مَخْلُوقٌ قَطُّ، كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ التِّينِ نَفْسِهَا: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، حَيْثُ تُصْبِحُ الْبَهَائِمُ أَرْفَعَ مِنْهُ وَأَقْوَمَ، لَا اسْتِقَامَتِهَا عَلَى فِطْرَتِهَا، وَتَسْبِيحُهَا لِرَبِّهَا، وَحُسْنِ أَدَائِهَا لَوْطِفَتِهَا.

ب. ١. ٣. التَّوْازُنُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ<sup>(٤)</sup>:

قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجَرَاتِ: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(١٣)</sup>.

هَذَا مَوْضُوعٌ يَقْتَضِي التَّفَكُّرَ فِيهِ، إِنَّ نِسْبَةَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ فِي أَوْرُوبَا بَعْدَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ كَانَتْ (٢٥٪) ذُكُورًا، وَ(٧٥٪) إِنَاثًا، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ النِّسْبَةَ تَغَيَّرَتْ بَعْدَ سِنُوَاتٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَرْحَامَ كُلَّهَا صَارَتْ تُنْجِبُ ذُكُورًا إِلَى أَنْ عُدِّلَتِ النِّسْبَةُ لِأَحْقًا، فَحَسَبَ تَعْدَادِ الْأُمَّمِ الْمُتَّحِدَةِ لِسَنَةِ ٢٠١٩ م كَانَ التَّعْدَادُ الْعَالَمِيُّ حَوْلَى ٨, ٧ مِلْيَارَاتٍ شَخْصٍ، وَصَارَتْ النِّسْبَةُ الْآنَ حَوْلَى (٤٩, ٥٪) لِلْإِنَاثِ مُقَابِلَ (٥٠, ٥٪) لِلذُّكُورِ، وَقَدْ تَخْتَلَفُ النِّسْبُ بِبَعْضِ الشَّيْءِ مِنْ دَوْلَةٍ إِلَى دَوْلَةٍ حَسَبَ حَالَتِهَا وَانْغِمَاسِهَا فِي الْحُرُوبِ أَوْ الْمَجَاعَاتِ أَوْ إِلَى مَا هُنَاكَ، أَلَيْسَتْ هُنَاكَ قُدْرَةٌ إِلَهِيَّةٌ تَعْمَلُ فِي الْخَفَاءِ؟ أَلَيْسَ هُنَاكَ سِجَلَاتٌ دَقِيقَةٌ تَحْكُمُ هَذِهِ النِّسْبَ؟ أَلَيْسَتْ هُنَاكَ تَرْتِيبَاتٌ دَقِيقَةٌ؟ بَلَى، فَهَذِهِ الْآيَةُ مَبْدُولَةٌ<sup>(٥)</sup> بَيْنَ الْأَيْدِي وَظَاهِرَةٌ لِلْعِيَانِ، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ لِقْمَانَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

١. الرِّفْعَةُ: مِنَ الشَّرْفِ وَالْإِرْتِفَاعِ فِي الْقَدْرِ وَالْمَنْزَلَةِ وَالشَّرْفِ.

٢. أَعْرَضَ: غَيْرَ مُكْتَرِثٍ، أَوْ أَدَارَ ظَهْرَهُ لَهُ، أَوْ تَجَاهَلَهُ.

٣. دَرَكَاتٍ: وَهِيَ ضِدُّ الدَّرَجَاتِ، وَهِيَ مَنَازِلُ بَعْضِهَا تَحْتَ بَعْضٍ، وَهِيَ أَسْفَلُ السَّافِلِينَ فِي جِهَتِهِمْ.

٤. التَّوْازُنُ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ: (اِقْتَبَسْتُ بِتَصَرُّفٍ مِنْ كِتَابِ «مَوْسُوعَةُ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ

وَالسَّنَةِ» لِلدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ رَاتِبِ النَّابِلِسِيِّ)

٥. مَبْدُولَةٌ: مَقْدَمَةٌ وَمَعْرُوضَةٌ لِمَنْ أَرَادَ قِرَاءَتَهَا وَتَدْبِيرَهَا.

السَّاعَةِ<sup>(١)</sup> وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ<sup>(٢٤)</sup>، وقال تعالى في سورة الرِّعْدِ: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ<sup>(٨)</sup>﴾.

وقال تعالى في سورة الشُّورى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ<sup>(٤٩)</sup> أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ<sup>(٥٠)</sup>﴾.

وكما يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -: لو استجبنا لأهواء الناس في إتيان<sup>(٢)</sup> الذكور على الإناث، أو العسكر، وسخرنا الطبَّ لذلك سيهلك العالم على عجل أو مكث<sup>(٣)</sup>، وعلينا أن نفقه قوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ<sup>(٧١)</sup>﴾، وهنا تظهر حكمة الله تعالى في التوازن بين الذكور والإناث لقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ<sup>(٤)</sup>﴾<sup>(١٩)</sup> وجعلنا لكم فيها معيش ومن لئتمَّ لهم برزقين<sup>(٢٠)</sup>﴾.

ب. ١. ٤. وليس الذكر كالأنثى:

قال ربنا سبحانه وتعالى في قصة السيدة مريم - عليها السلام - في سورة آل عمران: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ<sup>(٣١)</sup>﴾.

يتفق علماء المسلمين على أن المرأة كالرجل تماماً في التكليف والتشريف والمسؤولية والحقوق، ولا يجعل أحد الجنسين أفضل أو أعلى من الآخر، قال تعالى في سورة النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا

١. علم السَّاعَةِ: معرفة وقت يوم القيامة.

٢. الإتيان: أي الإنجاب بكثرة.

٣. مكث: مهل، أو بعد مدة قصيرة.

٤. موزون: جرى على وزن أو مقدار معلوم.

فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿٣٤﴾ ، ومعناها أن كلاً منهما مُفَضَّلٌ على الآخر بأشياء، فالمرأة بصورة عامة تشارك مع الرجل في بعض الأشياء وتختلف عنه في أشياء أخرى، إذ لها خصائص في بنيتها الجسمية والبدنية، ولها خصائص في بنيتها النفسية، ولها خصائص في بنيتها الاجتماعية، ولها خصائص في قوة إدراكها وفي طبيعة إدراكها، فالذي عنده أولادٌ ذكورٌ أو إناثٌ، لو تتبع حركاتهم وألعابهم وأنماط تعلقاتهم<sup>(١)</sup> لرأى ذلك الاختلاف، فالبنت الصغيرة، وهي في سن مبكرة لها اهتمامات وميول وتطلعات ليست كالتى عند أخيها الصغير، مع أن علامات الذكورة والأنوثة لم تظهر بعد.

إن علماء النفس - ولا سيما علماء نفس الطفولة والمراهقة - يُقررون أن الأنثى لها خصائص غير الخصائص البيولوجية المادية عند الذكر، أضف إلى أن جسم الأنثى وجسم الذكر يختلفان اختلافاً بيناً.

يقول أحد العلماء الأطباء بعد دراسة طويلة أثبتتها في كتب مُعتمَدة: إن قامة المرأة في جميع الأجناس أقصر من قامة الرجل، بل إن مُعدّل الفرق عند تمام النمو عشرة سنتيمترات، وكذلك الوزن؛ فهيكُل المرأة العظمي أخف من هيكُل الرجل العظمي، وتركيب هيكُلها يجعلها أقل قدرة على الحركة والانتقال، وعضلاتها أضعف من عضلات الرجل بمقدار الثلث، لكنّها تفضّلُه<sup>(٢)</sup> بنسجها الخلوي الذي يحتوي على كثير من الأوعية الدموية، والأعصاب الحساسة، ونسجها الخلوي يسمح لها باختزان طبقة دهنية، وبفضل هذه الطبقة الدهنية تكون استدارة<sup>(٣)</sup> الشكل، كما أن الجوف الذي تشغله عظام الحوض في أسفل البطن عند المرأة أكبر بشكل واضح مما هو عليه عند الرجل، وذلك من أجل استيعاب الحمل وإتمام عملية الإنجاب.

١. أنماط تعلقاتهم: أساليب، وأشكال، وطرق صلتهم، ومحبتهم، أو قناعاتهم.

٢. تفضّلُه: تميّز عنه، وتفاضل عليه.

٣. استدارة: التفاف أو محيط أو تدوير.

إِنَّ مِخَّ الرَّجْلِ يَزِيدُ عَلَى مِخِّ الْمَرْأَةِ بِمِئَةِ غَرَامٍ، وَنِسْبَةُ مِخِّ الرَّجْلِ إِلَى جَسْمِهِ وَاحِدٌ مِنْ أَرْبَعِينَ، وَأَمَّا نِسْبَةُ مِخِّ الْمَرْأَةِ إِلَى جَسْمِهَا فَهِيَ وَاحِدٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ، مُحُّهَا أَقْلُ ثِنْيَاتٍ<sup>(١)</sup>، وَتَلَا فِيهَا<sup>(٢)</sup> أَقْلُ نِظَامًا، أَمَّا الْقِسْمُ السِّنْجَابِيُّ (الْقِسْمُ الْإِدْرَاكِيُّ فِي الْمِخِّ) فَهُوَ أَقْلُ مِسَاحَةً، لَكِنَّ مَرَاكِزَ الْأَحْسَاسِ، وَالْإِثَارَةِ، وَالتَّهْيِجِ أَشَدُّ فَاعِلِيَّةً بِكَثِيرٍ مِنْ مَرَاكِزِ الرَّجْلِ، وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الذَّكَرَ أَذْكَى مِنَ الْأُنْثَى! أَمَّا صَدْرُ الْمَرْأَةِ، وَرَتَّاهَا فَهُوَ أَقْلُ سَعَةً مِنْ صَدْرِ الرَّجْلِ وَرِثْيِهِ، لَكِنَّ تَنْفُسَهَا أَسْرَعُ مِنْ تَنْفُسِهِ، وَقَلْبُهَا أَصْغَرُ مِنْ قَلْبِهِ، لَكِنَّ نَبْضَهَا أَسْرَعُ مِنْ نَبْضِهِ.

هذه الفروق الدقيقة من حيث القلب والتنفس ومراكز الإحساس والدماغ، ومن حيث الهيكل العظمي، ومن حيث القامة، ومن حيث الوزن، تبين أن هناك خلقاً مُحْكَمًا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ لِهَذَا التَّكْوِينِ، وَلِلْمَرْأَةِ وَظَائِفُ لَا يُمْكِنُ لِلرَّجْلِ الْقِيَامُ بِهَا كَالْحَمَلِ وَالْوِلَادَةِ، فَهِيَ أَكْثَرُ قُدْرَةً عَلَى التَّحْمُلِ وَالصَّبْرِ، وَتَمَيَّزَ عَنْهُ بِالْحَنَانِ وَالْعَاطِفَةِ وَالْإِحْسَاسِ الْمَرْهَفِ الرَّقِيقِ، وَهِيَ أَقْدَرُ عَلَى تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ مِنَ الرَّجْلِ، وَهَذَا الَّذِي يَجْعَلُ الْمَرْأَةَ مُحَبَّبَةً إِلَى الرَّجْلِ، وَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ سَكَنًا<sup>(٣)</sup>، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الرَّؤْمِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١١)</sup>، كَمَا أَنَّ لِلرَّجُلِ مَقْدَرَةً بَدَنِيَّةً وَوِظَائِفَ خَاصَّةً لَا تَقْدِرُ الْمَرْأَةُ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا، كَمَا يَقُومُ بِهَا الرَّجَالُ كَالْقِتَالِ وَالِدِّفَاعِ وَالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ لِحَبْلِ مُسْتَلْزَمَاتِ الْمَعِيشَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾<sup>(٣٤)</sup>، فَهُوَ تَوْزِيعٌ لِلْمَسْئُولِيَّاتِ...

١. ثِنْيَاتٍ: طَيَّاتٍ وَأَعْمَاقٍ.

٢. تَلَا فِيهَا: مَا يَحِيطُ وَيَلْتَفُّ بِهِ مِنْ أُنْسِجَةٍ.

٣. سَكَنًا: مَأْوَىً، وَبَيْتًا.

ب. ١. ٥. البنانُ والبصماتُ في الإنسان<sup>(١)</sup>:

قال تعالى في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجَمَعَ عِظَامُهُ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد تعرّض الدكتور مصطفى محمود في كتابه «القرآنُ محاولة لفهم عصري» إلى قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجَمَعَ عِظَامُهُ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، فرأى في الآية معجزةً علميةً للقرآن الذي نبّه الناس قبل أكثر من ألف سنةٍ إلى خاصيةٍ تُوجدُ في بنانِ الإنسان لا يتفق فيها اثنان، وهي البصمة التي رُسمت عليها.

ويقول: «إن لكل إنسانٍ بصمةً خاصةً به رُسمت على بنانه لا يتفق اثنان في بصمةٍ واحدةٍ منذ أيام آدم حتى التوائم، وإن في إشارة الآية إلى قدرة الله تعالى على إعادة خلق البنان، وفي اختصاص البنان بالذكر للدلالة على صدق البعثِ حكمةً خفيةً تمّ الوقوف عليها أخيراً، ولم تكن معلومةً لدى من نزل بينهم القرآن».

ورفض الدكتور عاطف أحمد في كتابه «نقد الفهم العصري للقرآن»، وهو عالمٌ لا يرى أن في القرآن الكريم آياتٍ علميةً معجزةً. مثل هذا الذي ذهب إليه الدكتور مصطفى محمود معتقداً أن البنان لغوياً يعني أطراف الأصابع لا بصماتها، وارتضى في تفسير هذه الآية ما أدركه من فهم الطبري لها وهو: (تسوية أطراف الأصابع، فيصبح طول الأصابع متساوياً).

وقد بدا لنا أن ما ذهب إليه الدكتور عاطف أحمد من قصر<sup>(٣)</sup> البنان على أطراف الأصابع - ويفهم من عبارته أنه يقصدُ بها حدودها<sup>(٤)</sup> العليا حيث نهاية

١. البنان والبصمات في الإنسان: أطراف الأصابع، والبصمات هي آثار الأصابع أو نتوءات الجلد في الأصابع (هذه الفقرة مقتبسة من كتاب «التفسير العلمي بين النظريات والتطبيقات» للدكتورة هند شلبي - رحمها الله-).

٢. البنان: الأصابع بكل ما فيها.

٣. قصر: جعله محدوداً في معنى واحد.

٤. حدودها: نهاياتها.

الأظافر- لا يتماشى مع ما جاء في كتب اللُّغة عن البنان كما أن ما أدركه من كلام الطَّبْرِيِّ لا يتناسب مع مُرادِهِ، وهو يتوجَّه إلى نفي جانب الإعجاز العلمي من الآية، وهو يستبعد كل تفسير يقرب بين شقَّة<sup>(١)</sup> الدِّين وشقَّة العلم استنادًا إلى مُسَلِّمَتَيْنِ جزمَ بهما، وهما:

١. أن مضمون المفاهيم القرآنيَّة وعظي، وليس تعليميًّا؟..

٢. أن مضمون المفاهيم القرآنيَّة مُتناقض مع الحقائق العلميَّة؟؟.

وبالاعتماد على كتب اللُّغة وعلى ما جاء من أقوال المفسِّرين فيها سنرَفَعُ الإلتباس<sup>(٢)</sup> الذي وقع فيه الدكتور عاطف أحمد، ونُصِفُ الباحثين فنرى أنَّهُمَا أصابَ الحقَّ في تفسير آية سورة القيامة.

تشتمل الآية الرَّابِعة من سُورة القيامة على لفظتين تحتاجان إلى الشرح هما فعل «نُسُوِيٌّ» وكلمة «بَنَانُهُ»، إنَّ معرفة سبب نزول هذه الآية تُعين على ترجيح المعنى المناسب لها، والواضح أنَّ في هذه الآية دعوة إلى ملاحظة القُدرة الإلهيَّة على إعادة خلق الإنسان وبعثه للحساب، فقد جاء في «البحر المحيط» في سبب نزولها: «نزلت في أبي جهل، كان يقول: أيزعمُ محمَّدٌ أن يجمع الله هذه العظام بعد بلاها وتفرُّقها ويُعيدُها خلقًا جديدًا»، وقيل نزلت في عدي بن أبي ربيعة لتكذيبه بالبعث أيضًا، كما ذكر الواحدي في كتابه «الكشاف».

تحليل فعل «نُسُوِيٌّ»: جاء عند المفسِّرين القدامى أنَّ فعل «نُسُوِيٌّ» يُطلق في اللُّغة على معنيين:

١. جاء في «لسان العرب» سَوِيٌّ يعني ساوى وتساوى واستوى، ويدلُّ على التماثل بين الشَّيئين، وبهذا المعنى فسَّرَ الطَّبْرِيُّ خاصَّةً هذا

١. شقَّة: بُعد المسافة.

٢. الإلتباس: الاختلاط للأفكار، وعدم الوضوح، أو عدم التمييز بين الأشياء المختلفة.

الفعل في الآية راويًا ما قاله ابن عباسٍ وعِكرمةُ والحسنُ وقتادةُ  
والصَّحَّاحُ فيها.

يقولُ ابنُ عبَّاسٍ كما جاءَ في «جامع البيان»: «لو شاءَ لجعلهُ خِفًّا<sup>(١)</sup> أو حافرًا<sup>(٢)</sup>»، والمقصودُ لو شاءَ لجمعهُنَّ (يعني الأصابع)، فتصبِحُ شيئًا واحدًا.

فالتَّسويةُ في الآية تعني الجمعَ بين الأصابع، وتعني إصاقَ بعضها ببعضٍ وجعلها كحافرِ الدابة، ولا يُمكنُ ذلك إلا إذا تمَّ التَّماثُلُ الكلِّيُّ بينها، فيُضَمُّ بعضها إلى بعضٍ، ولذلك عبَّرَ الرَّازيُّ كما جاءَ في كتابِ «مفاتيح الغيب» عن هذا المعنى بلفظِ صفيحةٍ فقال: «أي نجعلها مع كفه صفيحةً مُستويةً لا تُشقوقُ فيها كخفِّ البعير». والصفيحةُ هي الشياءُ العريضةُ المنبسطةُ.

ومن خلالِ هذه المعاني تبيَّنَ خطأُ فهمِ الدكتورِ عاطفِ أحمد، إذ ظنَّ أنَّه يقصدُ بكلامه التَّوحيدَ بينَ الأصابعِ في الطُّولِ، وهو ما لا يتماشى مع العبارة، ولا مع الصُّورةِ الواردةِ في كلامِ الطُّبري.

والذين انتقدوا هذا المعنى لفعلِ «نُسوي» أعطوه في آيةِ القيامةِ معنىً ثانيًا مُستمدًا من المعنى اللُّغويِّ الثاني، وهو:

٢. جاءَ أيضًا في «لسان العرب» أنَّ كلمةَ «سوي» تعني حَسَنَ وبلغَ الغايةَ في تمامِ الخلقِ، وأوردَ هذا المعنى الزمخشريُّ والرَّازيُّ والشوكانيُّ والشيخُ ابنُ عاشورَ وغيرهم.

فيقولُ الزمخشريُّ<sup>(٣)</sup> في «الكشاف»: «نجمعُ العظامَ قادرينَ على تأليفِ جميعها وإعادتها إلى التَّركيبِ الأولِ، إلى أن نُسويَ بنانه؛ أي أصابعه التي هي

١. خفًا: باطن الرَّجلِ أو السَّاقِ للجملِ والبعيرِ ونحوه.

٢. حافرًا: باطن الرَّجلِ أو السَّاقِ للفرسِ ونحوه.

٣. الزمخشري: هو أبو القاسم بن عمر الخوارزمي، ولد في زمخشر في بلاد فارس سنة ٤٧٦هـ / ١٠٧٤م، وهو علامة ومن أئمة المعتزلة، درس في بخارى، وانتقل إلى بغداد، ثم إلى مكة المكرمة، وهو من أئمة اللغة العربية، والمعاني والبيان والنحو، ومن أشهر كتبه (الكشاف في تفسير القرآن).

أطرافه وأخر ما يتم خلقه، أو على أن نسوي بنائه ونضم سلامياته - أي عظام الأصابع - على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولاً من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف بكبار العظام».

وجاء في تفسير الرازي في «مفاتيح الغيب»: «نبه بالبنان على بقیة الأعضاء، أي نقدر على أن نسوي بنائه بعد صيرورته<sup>(١)</sup> تُراباً كما كان، وتحقيقه: أن من قدر على الشيء في الابتداء قدر أيضاً عليه في الإعادة».

ولعل عبارة الشيخ ابن عاشور<sup>(٢)</sup> في شرح هذا الفعل في كتاب «التحرير والتنوير» كانت أوضح، فقد قال في ذلك: «وأريد بالتسوية إعادة خلق البنان مقومة<sup>(٣)</sup> متقنة، فالتسوية كناية عن الخلق لأنها تستلزمه».

ولا يخفى أن السياق الذي وردت فيه الآية يترجح معه المعنى الثاني، بينما لا توجد مناسبة واضحة بينه وبين المعنى الأول، فالمقام كما رأينا مقام إثبات البعث، والذي يناسبه بيان القدرة الإلهية على إعادة الخلق على صورته الأولى، لا فرق في ذلك بين ما دق<sup>(٤)</sup> منه وما عظم<sup>(٥)</sup>، أما جعل اليد مجمرة<sup>(٦)</sup> كخف البعير، فلعل المقام الذي يناسبه يكون مقام الامتنان على الإنسان بأن خلقه في أحسن تقويم، ومن ذلك أنه فرّق بين أصابعه ولم يخلقها مجتمعة، لأن ذلك يحول دونه ودون تحصيل مصالحه.

فبالترام المعنى الحرفي لفعل «نسوي» أمكن فهم معناه على غير ما جاء عند الطبري (أي: الجمع بين الأصابع)، وعلى غير ما فهمه الدكتور عاطف

١. صيرورته: مصدر صار إليه.

٢. الشيخ ابن عاشور: واسمه محمد الطاهر بن عاشور، وهو عالم وفقه تونسي من أبرز مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث، ساهم في إصلاح مناهج التعليم في جامعة الزيتونة، وعرف بالشدة في الحق والجرأة على السلطان، وأثر عليه قوله: صدق الله وكذب بورقية، توفي في ١٩٧٣ م.

٣. مقومة: على خط مستوي، أو في اعتدال.

٤. دق: صغر، أو الشيء القليل.

٥. عظم: كبر.

٦. مجمرة: صلبة وشديدة، وتوصف لخف البعير.

أحمد خطأً من كلام الطبري (أي: جعل طول الأصابع مُتساوياً)، وتبين أن المعنى الذي ذكره الدكتور مصطفى محمود: (وهي بعث البنان على صورتها الأولى، هو المعنى الذي رجَّحه المفسرون في القديم وفي الحديث).

تحليل كلمة «بنان»: والبنان في اللغة كما جاء في «لسان العرب» جمع مفردة بنانة، ولهذه اللفظة مدلول قد يضيِّق، وقد يتسع، فهي تعني الأصابع، وأطراف الأصابع، كما يُرادُ بها الأيدي والأرجل، أي جميع أعضاء البدن. واستقرت آراء أغلب المفسرين على جعل المقصود من البنان في الآية الأصابع.

ومنهم من دقق أكثر فذكر أنها أصابع اليدين والرجلين كما جاء في كتب «فتح القدير» وفي «التحرير والتنوير»، كما جعل بعضهم المقصود بذلك أطراف الأصابع، يعني رؤوسها المشتملة على الخطوط والتجاويف التي تختلف مطلقاً باختلاف الأشخاص، كما ذكر الشيخ الصابوني<sup>(١)</sup> في موسوعته «صفوة التفاسير»، ولذلك وصفها الشيخ ابن عاشور بكونها: «أصغر الأعضاء الواقعة في نهاية الجسد»، ويقول الشيخ ابن عاشور: «والبنان: أصابع اليدين والرجلين أو أطراف تلك الأصابع».

أمَّا عبارة الشيخ الصابوني، فهي: «ونحن قادرون على أن نُعيد أطراف أصابعه التي هي أصغر أعضائه، وأدقها أجزاءً، وألطفها إلتماماً<sup>(٢)</sup>، فكيف بكبار العظام، وإنما ذكر الله تعالى البنان - وهي رؤوس الأصابع - لما فيها من غرابة الوضع ودقة الصنع».

١. الشيخ الصابوني: هو محمد علي الصابوني أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، وهو سوري الجنسية تخرج من كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة عام ١٩٥٢م، ومن المتخصصين في علم تفسير القرآن الكريم، وهو مؤلف كتاب (صفوة التفاسير، وله عدة كتب أخرى وحلقات تلفزيونية، وحاز على جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم في سنة ٢٠٠٧م، وعمل في الجامعات السعودية وفي الحرم المكي الشريف في توفى عام ٢٠٢١م.

٢. إلتماماً: التحام الجرح.

وسواءً فُسِّرَ لفظُ البَنانِ بالأصابعِ بما تشتملُ عليه من مفاصلٍ وأظفارٍ وعُرُوقٍ لِطَافٍ وَعِظامٍ دِقاقٍ<sup>(١)</sup>، أو بأطرافِ الأصابعِ وما فيها من غرابةِ الوضعِ ودقَّةِ الصُّنعِ، فإنَّ المعنى اللُّغوي للفظِ يُؤدِّي هذه المعاني كُلِّها على وجهِ الحقيقةِ لا المجازِ.

وبهذا يبطلُ ادِّعاءُ الدكتورِ عاطفِ أحمد الذي قَصَرَ البَنانَ في اللُّغةِ على أطرافِ الأصابعِ، ويعني بذلك كما رأينا قبلَ هذا الموضوعِ حُدودَها العُلَيَّا حيثَ نهايةُ الأظفارِ، ويتضحُ صوابُ ما اتَّجَهَ إليه الدكتورُ مصطفى محمود الذي جعلَ البصمةَ من مشمولاتِ البَنانِ.

## ٢- البصمةُ بين الاشتقاقِ والاصطلاحِ:

كانَ اختلافُ المفسِّرينَ في القديمِ حولَ آيةِ سورةِ القيامةِ مُتوجِّهًا إلى المقصودِ من فعلِ «نُسوي»، فمنهم من اعتبره يدلُّ على الجمعِ بينِ الأصابعِ وجعلها صفيحةً واحدةً، ومنهم من جعله يُشيرُ إلى حُسنِ الخَلقِ وتَسويتِهِ، فتُعَادُ بَنانُ الإنسانِ في البعثِ على حالتِها التي كانتَ عليها قبلَ الموتِ.

لقد ركَّزَ المفسِّرونَ والباحثونَ المعاصرونَ في فهمِ الآيةِ على لفظِ «البَنانِ» لا من حيثِ دلالتها اللُّغويةِ فإنَّهم مُتقاربونَ فيها كما رأينا بل مُتفقونَ (باستثناءِ الدكتورِ عاطفِ أحمد)، وإنَّما اتَّجَهوا إلى بيانِ الحكمةِ من ذِكْرِ إعادةِ خَلقِ البَنانِ في الآيةِ دونَ غيرها من أجزاءِ جِسمِ الإنسانِ كنايةً على صدقِ البعثِ، وإنَّ منِ اهتموا بهذا الموضوعِ أتوا بلفظةٍ لا نجدُها عندَ القدامى من المفسِّرينَ وهي البصمةُ أو البصماتُ، ومنهم من ذَكَرَ عبارةً: بصماتِ الأصابعِ أو بصمةِ البَنانِ.

والعائدُ بلفظةِ بصمةٍ إلى المصادرِ اللُّغويةِ يُلاحظُ عدمَ ورودِها فيها لفظًا ومعنى، ففي مادةِ بَصَمَ ذَكَرَ اللُّغويونَ لفظَ البصمِ كما وردَ في لسانِ الصِّرفِ،

١. دقاق: فُتات كل شيء، وتأتي بمعنى دقيق.

وهي قوت ما بين طرف الخنصر إلى طرف البنصر (ما بين الخنصر والبنصر) يعني المقدار الذي يفوت به أحدهما الآخر في الطول، مع ملاحظة اختلاف تسمية هذا المقدار باختلاف الأصابع، فهو «العتب» أو «الرتب» إذا كان بين الوسطى والسبابة، وهو «التتر» إذا كان بين السبابة والإبهام، وهو «الشبر» إذا كان ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر، كما ذكروا قولهم: ثوب له بصم إذا كان كثيفاً كثير الغزل.

إن لفظة «البصمات» تعني الأثر أو العلامة التي يتركها جسم ناتئ أو منخفض، ومعلوم أن الجلد الذي يكسو الأصابع والكفين والقدمين يتكون من خطوط حلیمیة بارزة، وخطوط أخدودية منخفضة، كما جاء في كتاب «الطب محراب الإيمان» للدكتور خالص جلي، فإذا لوثت بالحبر تركزت آثاراً منطبعة فسميت تلك الآثار بصمات، يعني آثاراً وعلامات تشبهها لها بالثواب الغليظ الكثير الغزل، والذي تتميز فيه خطوط النسيج فيكون فيها بروز وانخفاض.

إن ذلك كله يشير إلى أثر مرئي لشيء موجود لولاه ما ظهر ذلك الأثر، وأعني بذلك الجلد الذي يكسو الأصابع، والذي كنا أشرنا إلى تركيبه. فالبصمة لا تُفیدُ أي معنى إن لم تتعلق بشيء معين تكون له أثراً، أي العلامة التي تتركها الأصابع، لذلك لا يمكن أن نُعبّر عنها بما جاء عند الدكتور عاطف أحمد من كون البنان لا تعني بصمات الأصابع، لأنه لا وجود للبصمات دون البنان، وقد سبق في التحليل أن لفظة البنان تشمل الأصابع وأطرافها بل والكف جميعها.

إذا كانت معارضة الدكتور عاطف أحمد للدكتور مصطفى محمود في تفسير آية القيامة بسبب المفهوم اللغوي للفظ البنان ليست صحيحة، وبعد التحليل تبين أن ما ذهب إليه الدكتور مصطفى محمود هو الصواب الذي اتفق عليه أهل اللغة.

وقد سبق أن ذكرنا السبب الذي دعا الدكتور مصطفى محمود إلى التعرض إلى هذه الآية، وهو جانب الإعجاز الذي نبه إلى قدرة الله

تعالى على إعادة تسوية بنان الإنسان، وإنما كان ذلك أمراً معجزاً لما اكتشفه الباحثون والعلماء من خصائص فيزيولوجية تهم هذا الجزء من جسم الإنسان.

ونجد هذا الكلام أيضاً عند الصابوني مع إضافة قوله: «وإنما ذكر تعالى البنان -وهي رؤوس الأصابع- لما فيها من غرابة الوضع ودقة الصنع لأن الخطوط والتجاويف الدقيقة التي في أطراف أصابع إنسان لا تماثلها خطوط أخرى في أصابع شخص آخر على وجه الأرض، ولذلك يعتمدون على بصمات الأصابع في تحقيق شخصية الإنسان في هذا العصر»، وتعليل الشيخ الصابوني هو عينه الذي أتى به الدكتور مصطفى محمود.

ولا يمكن أن يدرك معنى هذه الإشارة إلا من ألف<sup>(١)</sup> الأسلوب العربي والأسلوب القرآني بصفة خاصة في تخير الألفاظ لتأدية المعاني، وانتقاء الصور الكفيلة بإيصالها إلى الأذهان، بالطريق الأوضح والأسلوب الأبلغ، وهو ما تولت الكشف عنه كتب البلاغة، فيما فصلت القول فيه من علوم المعاني والبيان والبدیع، ووضعت له القواعد التي يستند إليها كل مفسر للقرآن يريد أن يقف على حقائقه، والبلاغة كما حددتها التعريفات التي وضعت لها: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

وقد ذكر الدكتور محمد راتب النابلسي في كتابه موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة «آيات الله في الإنسان» الصادر سنة ٢٠١٤م: «لو أن توأمين تَخَلَّقَا من بويضة واحدة، (هناك توأمين يتخَلَّقَانِ من بويضتين، وهناك توأمين يتخَلَّقَانِ من بويضة واحدة)، فلو أن توأمين تَخَلَّقَا من بويضة واحدة، فإن بصمة الأول تختلف عن بصمة الثاني، إن الله سبحانه وتعالى يُشِيرُ في كتابه العزيز إلى هذه الحقيقة، فيقول في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجَمَعَ عِظَامُهُ﴾ (٣) ﴿بَلَىٰ قَدَرِينٌ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ (٤)».

١. أَلْفَ: من الألفة، وهنا تعود على الشيء، أو أنس به.

لقد استطاع العلماء أن يكتشفوا في هذه البصمة مئة علامة، فلو أن اثنتي عشرة علامة من مئة علامة توافقت<sup>(١)</sup> في بصمتين لكانتا لشخص واحد، وإن احتمال أن تتشابه البصمتان بواقع المصادفة واحد من أربعة وستين ملياراً، أي إذا كان في الأرض أربعة وستون مليار إنسان، فهناك احتمال واحد أن تأتي البصمتان مُتشابهتين، وعدد سكان العالم حوالى سبعة مليارات فقط.

شيء آخر.. البصمة لها شكل خاص؛ أقواس ومنحنيات ومنحدرات وزوايا وتفرعات وخطوط، وفي بعض معاهد الطب عُرِضت بصمة، وعُرِض تحتها خمسة عشر ألف بصمة، فلم تتشابه منها اثنتان، ولو في سبع نقاط.

تتكوّن البصمة والطفل في رحم أمّه، في الشهر السادس من الحمل، وتبقى حتى الموت، وإذا أُزيلت هذه القطعة من اللحم (الذي فيها البصمات) إزالة كلية نبت لحم جديد عليه البصمة التي أُزيلت، فلو أن عملية جراحية أُجريت لرجل، وأزيلت بصمته كلياً، وأزيل هذا الجلد، وأخذ جلد له من مكان آخر، وطعم<sup>(٢)</sup> هنا، ما هي إلا أشهر حتى تبدو ملامح البصمة مرة ثانية على هذا اللحم الجديد الذي أُخذ من مكان آخر.

فالبصمة سجل وهوية وتوقيع من صنع الله عز وجل، لا تستطيع قوى البشر أن تمحوه.

لقد أجرى بعض المجرمين عمليات جراحية على بصماتهم، وطعموها بجلد من مكان آخر، بعد أشهر ظهرت هذه البصمات ثانية، إنه توقيع رباني منحك إياه، لا تستطيع قوى البشر أن تمحوه.

١. توافقت: تشابهت تماماً.

٢. طعم: زرع لحماً آخر مكان اللحم الذي فيه البصمة.

حينما يبعثنا الله سبحانه وتعالى، فهذا التوقيع، وهذه الخطوط، وهذه الأخاديد<sup>(١)</sup>، وهذه الجُزر<sup>(٢)</sup>، وهذه التفرُّعات<sup>(٣)</sup>، وهذه التشجيرات<sup>(٤)</sup> تعود كما كانت.. ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِيَ بَنَانَهُ﴾.

هذه آيةٌ من آياتِ الله سبحانه وتعالى، كيف تُخَلِّقُ هذه البصمة، وأنت في رَحِمِ أُمِّكَ؟ وكيف يُعيدُ الله سبحانه وتعالى ملامحها حينما يبعثنا بعد الموتِ؟، سبحان الله العظيم.

وهذا يُبيِّنُ جانبَ الإعجازِ في القرآنِ في اختصاصِ «البَنَانِ» بالذكرِ.

١. الأخاديد: جمعُ أخدود، وهو الفتحة أو الشقُّ الغائر.

٢. الجزرُ: الرجوع إلى الوراء أو النقص.

٣. التفرُّعات: التشعبات والتداخلات.

٤. التشجيرات: كشكل أو جودة الشجرة، أو الاختلافات.

ب. ٢. في الحيوان<sup>(١)</sup>:

ب. ٢. ١. حوتٌ يونس:

قال تعالى في سورة الصافات: ﴿فَالْقَمَّةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾<sup>(١٤٤)</sup>، وصف لعملية التقاط الحوت لِنبيِّ الله (يونس) بتعبير قرآنيٍّ مُعْجِزٍ، وهو يُشيرُ إلى الحوتِ الأزرقِ أضخم حيوانٍ عُرِفَ على سطح الأرض، وهو عديمُ الأسنان، وله عددٌ من الألواحِ القرنيَّةِ<sup>(٢)</sup> تُعرفُ باسم «البانت» تتدلَّى من جانبيِّ فكِّه العلويِّ يصطادُ بها مختلفَ صورِ الحياةِ الهائمةِ<sup>(٣)</sup> والسَّابحة، حيثُ تدخلُ مع تيارِ الماءِ الواصلِ إلى فمِه ويُخرجه من جانبيِّ فكِّه بعد أن يُصفي ما فيه من مختلفِ صورِ الحياةِ الدَّقِيقة، وهو يتنفَّسُ الهواءَ برئتِه فيضطرُّ إلى الارتفاعِ برأسِه فوق سطحِ الماءِ مرَّةً كلَّ عشرةِ دقائق.

ولسعةٍ فمِه ومطاطيةٍ حلِقِه<sup>(٤)</sup>، ولضخامةٍ جسديِه فإنَّ لسانه يتسعُ لأكثرَ من خمسينَ رجلًا وقوفًا وفمُه مُعلَّقٌ، ولضيقِ بلاعيمِه<sup>(٥)</sup> فإنَّه لا يبلعُ إلاَّ الكائناتِ الدَّقِيقة الصَّغيرة، ومن هنا كانَ الإعجازُ القرآنيُّ في استخدامِ التعبيرِ الدَّقِيقِ (فالتقمه الحوت) أي أخذهُ لُقمةً في فمِه فلم يقضمه ولم يبلعه ولم يهضمه حتى أمرَ اللهُ تعالى له بالخروجِ فنبذه<sup>(٦)</sup> الحوتُ على الشاطئ، ومع أن الأصلَ في المعجزاتِ أنَّها لا تُعلَّلُ<sup>(٧)</sup>، ولكن يبقى هذا الوصفُ القرآنيُّ مُعْجِزًا، فسبحان الله العظيم.

١. الحيوان: (وقد اقتبست من مصادر مختلفة، وهذه الآيات تُبيِّنُ قُدرةَ الله، وإعجازه في خلقه سبحانه)

٢. الألواح القرنية: صفائح في الفم تُستخدم في تصفية الطعام من الماء.

٣. الهائمة: ما يطفو فوق سطح الماء من نباتات، أو طيور.

٤. حلِقِه: من الحلق، وهو الجزء الداخلي من الرقبة داخل الفم، ويحتوي على البلعوم والحنجرة.

٥. بلاعيمه: أي منطقة البلعوم، وهو أنبوب عضلي يمتدُّ خلف الأنف إلى أسفل الرقبة وأجزاء الحلق.

٦. نبذه: طرده، وألقاه خارجًا.

٧. تعلَّل: استدلال على المسبَّب بالسبب، أو من العلة على المعلول، وتعني أيضًا التبرير.

ب. ٢. ٢. الطيور:

قال تعالى في سورة الملك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَبَقِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

إنَّ القرآنَ وصفَ طرائقَ (١) طيرانِ الطُّيورِ بكُلِّ من الصَّفِّ والقبضِ، وهي من أسسِ هندسةِ الطَّيرانِ اليوم، ولم تكن معروفةً قبل قرنٍ واحدٍ من الزمانِ، وسبقَ القرآنُ بالإشارةِ إليها فهو من صورِ الإعجازِ العلميِّ فيه، فالصَّفُّ هو جعلُ جناحي الطَّائرِ مُنسطحين على خطِّ مُستوٍ دونَ تحريكِهما، والطَّائرُ يمضي في الهواءِ إلى أبعدِ المسافاتِ مُستفيدًا بالتياراتِ الهوائيةِ (٢) في أثناءِ سيره أو صعوده، وبالجاذبيَّةِ الأرضيَّةِ أثناءَ هبوطه البطيءِ، دونَ أن يُحرِّكَ الخفقَ (٣)، أو الرِّفرفةَ أي: الضربَ بالجناحينِ إلى أسفلٍ ثمَّ إلى أعلى، والحركةُ الأولى تدفعُ بالطَّائرَ إلى الأمامِ والثانيةُ تدفعُ به إلى أعلى، فسبحانَ اللهِ العظيمِ.

ب. ٣. ٢. هُدُّهُدُ سليمانَ:

قال تعالى في سورة النمل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يُقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أَذْهَبَ

١. طرائق: جمع طريق أو طريقة، ومعناها هنا أسلوب وكيفية.

٢. التيارات الهوائية: وهي مناطق تتميز بتدفق الهواء على شكل رياح بسبب فرق الضغط الجوي، وتعدُّ كبوصلة للطيور المهاجرة.

٣. الخفق: الرِّفرفة لجناح الطير، أو طيران الطير وحركته.

بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ نَوَّلَ عَنْهُمْ فَأَنْظَرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ، هذه الآيات قصة هُذْهُدِ سَيِّدِنَا سَلِيمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، وتروي لنا العجيبَ من خَبْرِهِ مع هذا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، وابتداءً لا بدَّ أن ندركَ أن هذا الهُذْهُدَ لم يكن هُذْهُدًا من عامَّةِ الْهَدَاهِدِ ، وإِنَّمَا هو هُذْهُدٌ مُعَيَّنٌ خَاصٌّ ، ويتجلَّى فيه الإعجازُ الْعِلْمِيُّ بعونٍ من الْقَادِرِ الْمُدَبِّرِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ فِي النِّوَاحِي التَّالِيَةِ :

### ١ - استخدام المقدمة المشوِّقة :

فَالْهُذْهُدُ أَحَاطَ ، أَي رَأَى وَشَاهَدَ وَسَمِعَ وَفَهِمَ وَحَلَّلَ ، فَهُوَ قَدْ أَحَاطَ الْمَوْقِفَ عِلْمًا ، وَلِذَلِكَ قَالَ : « أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ » ، وَهُوَ قَدْ تَحَرَّى وَدَقَّقَ وَبَحَثَ وَعَرَفَ أَنَّ الْمَدِينَةَ اسْمُهَا سَبَأٌ وَهِيَ فِي بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ مِنْهَا بِنَبَأٍ يُذَاعُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ عِنْدَ سَلِيمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، فَكَلِمَةُ « وَجِئْتُكَ » تَدُلُّ عَلَى إِحْضَارِ بَيِّنَاتٍ وَعِلْمٍ مِنْ مَكَانٍ خَارِجٍ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ الْآنَ .

### ٢ - التَّنَاسُبُ :

يُؤَكِّدُ خُبْرَاءُ الصَّحَافَةِ أَنَّ كُلَّ خَبِيرٍ صَحْفِيٍّ يَنْبَغِي أَنْ يَتَكُونَ مِنْ عُنْوَانٍ وَمُقَدِّمَةٍ وَجِسْمٍ لِلْخَبْرِ وَخَاتِمَةٍ ، وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى قِصَّةِ الْهُذْهُدِ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ سَلِيمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نَجِدُ أَنَّ الْهُذْهُدَ يَتَكَرَّرُ شَيْئًا جَدِيدًا فِي هَذَا الْمَجَالِ الْإِعْلَامِيِّ ، حَيْثُ قَسَمَ جِسْمَ الْخَبْرِ الْمَوْكَّدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ سَلِيمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى نَوْعَيْنِ :

٢-١ : مَعْلُومَاتٍ يَرَاهَا الْإِعْلَامِيُّ ، وَتَرْصُدُ حَوَاسِهُ عَنْ أَشْيَاءٍ مُعْلَنَةٍ يَرَاهَا بَعِينَهُ وَيَسْمَعُهَا بِأُذُنِهِ وَيُمْسِكُهَا بِيَدَيْهِ ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ :

- ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ ، عَرَفَ أَنَّهَا امْرَأَةٌ ، فَالْهُذْهُدُ قَدْ عَرَفَ الْفَرْقَ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى .

- ﴿تَمَلِكُهُمْ﴾ ، أدرك العلاقة الإدارية بينها وبين قومها، فهي لا ترأسهم ولا تقودهم ولا تؤمّمهم فحسب، وهي ليست ملكتهم وحسب، ولكنها تملكهم.

- ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ، ومعنى هذا أن الهدهد أطلع على ملكها وقيمه، كما أن لديه خبرة بالأشياء عرف بها كيف يُقيّم هذا المملك. (قيّم: قدر واستنتج وقرّر).

- ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ، هو يُقيّم عرشها ويُقدر أنه عظيم، فمن الذي علّمه هذا؟ ولا جدال أن هذه الأمور الأربعة كلها محسوسة ومُدركة بالحواس الخمس أو ببعضها، ولا شك أن من علّمه هو الله رب العالمين.

- ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، وأنت لا تستطيع من رؤيتك لقوم يسجدون أن تعرف أهم يسجدون لله أم للشمس أم نفاقاً؟ فذلك في نيتهم التي لا يمكن الاطلاع عليها من الظاهر، ولكن الهدهد عرف ما في عقولهم.

- ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ ، فهي أخبار لا تُدرك بالحواس، ولكن بالاطلاع عليها من مخبوء العقل. (مخبوء العقل: مخفي العقل ومستوره).

- ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾ ، وهذه معناها أن الهدهد يعرف الهدى من الضلال، وهكذا نرى أن الهدهد في قصته الخبرية استخدم الألفاظ المناسبة التي تدل على المعنى.

### ٣- انتقاء الأحداث:

وتتجلى لنا سمة انتقاء الأحداث، واستخدام أقل الكلمات للتعبير عن أكبر عدد من الأفكار في قول الهدهد: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُقِينِ﴾ ، قال سليمان - عليه السلام -: وما ذاك الخبر؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ ،

فقد تمَّ انتقاء<sup>(١)</sup> الحدث، فلم يُذكر لنا سؤالُ سليمان - عليه السَّلام - وجيءَ بجوابِ الهدُّهدِ مباشرةً، ولعلَّ تلكَ المميّزاتِ هي التي أهلتَهُ ليكونَ بتلكَ المنزلةِ والثقةِ التي أوليت<sup>(٢)</sup> له من قِبَل سيِّدنا سليمان - عليه السَّلام - بإيحاءٍ من ربِّ الكونِ سبحانه.

### السؤال:

لماذا اختارَ سيِّدنا سليمان - عليه السَّلام - الهدُّهدَ لتوصيلِ الرِّسالةِ إلى بلقيسَ؟ ولم يخترَ الحمامَ الزَّاجلَ، وهو المعروفُ في أعمالِ الملاحةِ الجويَّةِ وإيصالِ الرسائلِ، أو طائرَ الشاهينِ أو العقابِ للمسافاتِ الطويلةِ، فهما أسرعُ من الهدُّهدِ؟.

لقد بيَّنتِ الدراساتُ الحديثةُ أنَّ الهدُّهدَ أكفأً من الحمامِ في استخداماتِ النقلِ والاتصالِ، فهو أسرعُ طيراناً ولا يحتاجُ للجماعةِ في طيرانه، وقوةٌ دفاعيةٌ عن نفسه أكفأً، وتحمُّله للجوعِ والعطشِ أكثرُ، كما أنَّه يملكُ القدرةَ على رؤيةِ الماءِ من بُعدٍ ومعرفةِ أماكنها، ولو كانت تحت الأرضِ (وقد يحتاجُ إليه في طيرانه هذه المسافةَ البعيدةَ)، فضلاً عن ذكائه ومكره المشهورِ بهما، وهو محبوبٌ من الناسِ وصديقٌ للبيئةِ حتى الفلاحينِ يُحبُّونه لأنَّه يُنظِّفُ لهم الأراضي الزراعيَّةَ من الحشراتِ والديدانِ بخلافِ العقابِ أو الشاهينِ وغيرهما.. ولهذا السببِ لا يُحاولُ الناسُ اصطياده.

ب. ٢. ٤. العنكبوت:

قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ ابْتَدَتْ بِبَيْتٍ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١)، قبل التَّعرُّفِ على أوَّجه الإعجازِ

١. انتقاء: اختيار على حسب الكفاءة أو الخواص.

٢. أوليت: أعطيت له بمحبَّة واحترام.

العلمي في آية قرآنية كريمة يجب ربطها بما قبلها وما بعدها من آيات؛ حتى نفهم موضوعها في إطار السياق العام للسورة التي وردت فيها، كذلك يجب ربطها بكافة الآيات المتصلة معها في المعنى.

سبق هذه الآية آيات، وجاء في تفسير هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى شبه الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في اتخذت بيتاً ضعيفاً واهياً<sup>(١)</sup> لا يُجِيرُ<sup>(٢)</sup> أوياً<sup>(٣)</sup> ولا يُرِيحُ ثاوياً<sup>(٤)</sup>.

ومن لطائف التعبير القرآني أن المقصود بالوهن المذكور في الآية القرآنية الكريمة ربّما يكون مرجعه إلى ما كشف عنه العلماء من ضعف البنية الاجتماعية في بيوت الحياة للحيوانات الرّاقية، فلا تجد في عالم العنكبوت سوى الأنثى تُطِيحُ برأسِ زوجها، أو صغارها تهجر مواطن أهلها، إلى غير ذلك من مظاهر التفكك وعدم الترابط.

وقد اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة العنكب ووصف أنواعها وطبائعها، ودونوا نتائج دراساتهم في عدد من الكتب التراثية، مثل كتاب «الحيوان» للجاحظ، وكتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميري، وكتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزويني وغير ذلك، وتوصل العلم الحديث إلى وصف أكثر من (٣٥٠٠٠) نوع من العنكب المختلفة الأحجام والأشكال والألوان والطبائع والغرائز، ويُعتبر عنكبوت المنزل المعروف أقل هذه الأنواع ابتكاراً وتفناً في صنع نسيجه، ولا تزال الدراسات الميدانية والبحوث العلمية المتقدمة تكشف عن المزيد من أنواع العنكب.

١. واهياً: تافهاً لا قيمة له.

٢. يُجِيرُ: ينصر ويُغيث.

٣. أوياً: من يطلب اللجوء والمكان والنصرة.

٤. ثاوياً: من طلب داراً للإقامة.

ومن دراسة حياة العناكب لاحظ العلماء أن بيت العنكبوت له شكل هندسي خاص دقيق الصنع، ومقام<sup>(١)</sup> في مكانٍ مختارٍ له في الزوايا، أو بين عُصون الأشجار، وأن كل خيطٍ من الخيوط المبنى منها البيت مكونٌ من أربعة خيوطٍ أدق منه، ويخرج كل خيطٍ من الخيوط الأربعة من قناةٍ خاصّةٍ في جسم العنكبوت.

ولا يقتصر بيت العنكبوت على أنه مأوى يسكن فيه، بل هو في نفس الوقت مَصيدةٌ تقع في بعض حبالها اللزجة<sup>(٢)</sup> (خيوطها) الحشرات الطائرة مثل الذباب وغيرها.. لتكون فريسةً يتغذى عليها.

وتدلُّ الدِّراساتُ المستفيضةُ للحشرات على أن بعضها (العناكب) له حياة اجتماعية ذات نُظْمٍ ومبادئ وقوانين تلتزم بها في إعداد مساكنها، والحصول على أقواتها، والدِّفاع عن نفسها، والتعاون فيما بينها بصورةٍ تُدهش العقول، وذلك بإلهامٍ من خالقها الذي يجعلها تبدو وكأنها أمٌّ لها كيانٌ ونظامٌ وعمران.

وقد راقب الباحثون أنواعاً مختلفةً من العناكب فوجدوا أن لها قدراتٍ فائقةً في العمليات الإنشائية حين تُشيد بيوتها وتنسج غزلها، وكشف العلماء عن ثلاثة أزواج من المغازل الإنشائية حين تُشيد بيوتها وتنسج غزلها توجد في مؤخرة بطن العنكبوت تأتيها المادة الخام عن طريق سبعٍ عُددٍ على الأقل، وأحياناً يصل عدد هذه العُدد في بعض أنواع العناكب إلى (٦٠٠) عُدة، وخيوط العنكبوت حريريةٌ رفيعةٌ جداً، حتى أن سمك شعرة واحدة من رأس الإنسان يزيد عن سمك خيط نسيج العنكبوت بحوالي (٤٠٠) مرّة، وإذا كانت هذه الخيوط تبدو ضعيفةً واهيةً تمرقها هبةٌ ريح<sup>(٣)</sup>، إلا أن الدِّراسات أوضحت أنها على درجةٍ عاليةٍ من المتانة والشدّة والمرونة.

١. مقام: مبنى، أو مكان إقامة.

٢. حبالها اللزجة: مصائدُها التي فيها مادة سائلة، مثل الشمع لتعلق بها الأشياء.

٣. هبة ريح: حركة، أو ریحٌ خفيفة.

وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بَعَادَهُ أَنْ خَلَقَ الْعَنَاقِبَ، وَهِيَ الْمَخْلُوقَاتُ الَّتِي يَتَقَرَّزُ<sup>(١)</sup> مِنْهَا الْإِنْسَانُ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ فَوَائِدَ عَدِيدَةٍ، فَهِيَ تَلْتَهُمُ الْمَلَائِينَ مِنَ الْحَشْرَاتِ الصَّارَةِ بِالنباتاتِ أَوْ بِصِحَّةِ الْإِنْسَانِ، أَيْ أَنَّهَا تَعْمَلُ كَمُيِّدَاتٍ حَشْرِيَّةٍ حَيَّةٍ لدرجةٍ أَنْ أَحَدَ عُلَمَاءِ الْأَحْيَاءِ يُؤَكِّدُ أَنَّ نَهَايَةَ الْإِنْسَانِ تُصْبِحُ مُحَقَّقَةً<sup>(٢)</sup> عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ إِذَا مَا تَمَّ الْقَضَاءُ عَلَى الْعَنَاقِبِ.

وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى تُسْتَعْمَلُ الْعَنَاقِبُ فِي مَجَالَاتِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ لِتَجْرِيْبِ تَأْثِيرِ بَعْضِ الْمَوَادِّ الْمَخْدَّرَةِ عَلَيْهَا، كَمَا أَنَّ الْعَنَاقِبَ مِنْ أَوَائِلِ الْكَائِنَاتِ الَّتِي وُضِعَتْ فِي سُفْنِ الْفَضَاءِ لِمَلاحِظَةِ سُلُوكِهَا، وَهِيَ تَبْنِي شَبَاكَهَا تَحْتَ تَأْثِيرِ انْعِدَامِ الْجَازِبِيَّةِ فِي الْفَضَاءِ الْخَارِجِيِّ، وَتَجْرِي حَالِيًّا دَرَسَاتٍ عِلْمِيَّةً مُكثَّفَةً لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْ حَرِيرِ (خُيُوطِ) الْعَنَكِبُوتِ عَلَى النُّطَاقِ التِّجَارِيِّ عَلَى غَرَارِ مَا حَدَثَ بِالنِّسْبَةِ لِاسْتِخْدَامِ الْحَرِيرِ الْمَتَّجِ بِوِاسِطَةِ دُودَةِ الْقَرَزِ.

وَيَتَجَلَّى الْإِعْجَازُ الْعِلْمِيُّ فِي التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ عَنِ الْفِعْلِ بِصِيغَةِ الْمُؤَنَّثِ فِي كَلِمَةِ (اتَّخَذَتْ)، وَهِيَ إِشَارَةٌ فِي غَايَةِ الدَّقَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْأُنْثَى -وَلَيْسَ الذَّكَرُ- هِيَ الَّتِي تَقُومُ بِصُنْعِ نَسِيْجِ الْبَيْتِ، وَكَذَلِكَ الْإِشَارَةُ إِلَى ظَاهِرَةِ التَّفَكُّكِ الْأُسْرِيِّ<sup>(٣)</sup> فِي بَيْتِ الْعَنَكِبُوتِ فِي أَنَّ الْعَنَكِبُوتَ الْأُنْثَى تَقُومُ بِقَتْلِ زَوْجِهَا بَعْدَ التَّلْقِيْحِ مَبَاشَرَةً، وَكَذَلِكَ تَهْجُرُ صِغَارُ الْعَنَاقِبِ أَعْمَاشَهَا فِي سِنِّ مُبَكَّرَةٍ، وَهُوَ مَا كَشَفَ عَنْهُ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ بِالنِّسْبَةِ لِغَالِبِيَّةِ أَنْوَاعِ الْعَنَاقِبِ، وَمَا كَانَ لِأَحَدٍ قَطًّا أَنْ يَفْطَنَ<sup>(٤)</sup> إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَقْتَ نَزْوْلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ.

١. يتقرَّز: ما تنفر منه النفس، أو تعافه وتشمئز منه.

٢. مُحَقَّقَةٌ: مُثَبَّتَةٌ حَدَثًا، وَأَصْبَحَتْ وَاقِعًا.

٣. التَّفَكُّكُ الْأُسْرِيُّ: النَّاتِجُ عَنْ حَالَاتِ الْإِنْفِصَالِ وَالْهَجْرِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ، وَعَدَمِ ارْتِبَاطِهِمْ بِالْأَحَاسِيْسِ وَالْمَشَاعِرِ.

٤. يَفْطَنُ: يَنْتَبِهُ، أَوْ يُدْرِكُ، أَوْ يَفْهَمُ بِذَكَاءٍ وَعَمَقٍ.

ب. ٥. ٢. الجراد:

يقول الله عزَّ وجلَّ في سورة القمر: ﴿خَشَعًا أَبْصَارُهُمْ<sup>(١)</sup> يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ<sup>(٢)</sup>﴾

وتشبيه القرآن لخروج النَّاسِ من قُبُورِهِم (الأجداث) يومَ البعثِ بهيئةِ الجرادِ المنتشرِ<sup>(٢)</sup> هو تشبيهٌ مُعْجِزٌ، وذلك لأنَّهم يخرجونَ من القبورِ عرايا كما تخرجُ حورياتُ<sup>(٣)</sup> الجرادِ عاريةً بعد انسلاخها<sup>(٤)</sup> من جلدِها عدَّةَ مرَّاتٍ؛ لتصلَ إلى عشراتِ البلايينِ، ولو تخيلنا بعثَ بلايينِ البشرِ من عهدِ آدمَ إلى اليومِ، وكذلك بعثَ سلا لايتهم<sup>(٥)</sup> إلى قيامِ الساعةِ لكان التشبيهُ بالجرادِ المنتشرِ تشبيهاً مُعْجِزاً، حيث إنَّه لم يكن لأحدٍ من الخلقِ إمكانيةً تصوُّرِ ذلك في زمنِ الوحي، ولا بعد قُرُونٍ من هذا الزمنِ، فسبحان الله العظيم.

١. (خشعاً أبصارهم): ذليلةٌ أبصارهم خاشعةٌ، لا ضررَ بها.

٢. المنتشر: المستغرق، المشتت، أو يتحرك متندلاً.

٣. حوريات: جمع حورية وهي الحسناء، أمَّا هنا فمعناها حشرة في طور ما بعد البيضة، حشرة ناقصة التحوُّل وتختلف عن الحشرة البالغة في عدم وجود أجنحة وأعضاء تناسل فيها.

٤. انسلاخها: في علم الأحياء، هي العملية التي يطرح فيها حيوان ما قشرته الخارجية أو جزءاً من جسده في مرحلة ما من حياة الكائن.

٥. سلا لايتهم: أصلهم من نسلهم.



بالحركة بسرعة في اتجاهين متعاكسين فمن جهة ينفذ في الأرض على هيئة جذر، ومن جهة أخرى يستقيم فوق الأرض على هيئة ساق.

فالقوانين الدقيقة التي تسود هذه المرحلة من حياة النبات مدهشة حقاً، وتُعتبر دليلاً حياً على علم وقُدرة الخالق جلّ وعلا.

وبالتالي يُستفاد ويُؤخذ من مجموع ما ورد في هذه الآية القرآنية - حول خلق النباتات وخصائصها المختلفة - دليلٌ حيٌّ على وحدانية الربّ سبحانه وتعالى، ونفي كل أشكال الشرك.

ب. ٣. ٢ إثبات الحبّ المترابك والفواكه المُشابهة وغير المُشابهة:

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾

بدأت هذه الآية بالتعريف بالله من خلال الآيات المختلفة، فأشارت أولاً إلى نزول المطر من السماء، ثم قالت: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾.

وربما يكون التعبير بـ ﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ إشارة إلى أنواع النباتات المختلفة، حيث تُسقى بماءٍ واحدٍ، وتنمو على أرضٍ واحدةٍ، ومع هذا فهي تختلف في الشكل والطعم والخواص<sup>(١)</sup>، وأحياناً تتعارض في ذلك، وهذا من عجائب خلق الله تعالى.

أو أنّ المقصود هو النباتات التي تحتاجها الطيور والبهائم<sup>(٢)</sup> البرية والبحرية وكذا الإنسان، (ويمكن الجمع بين هذين المعنيين أيضاً).

١. الخواص: الصفات التي تُميّز النوع.

٢. البهائم: جمع بهيمة، وهي الحيوان والمواشي والأنعام.

ثُمَّ تَتَطَرَّقُ الْآيَةُ إِلَى ذِكْرِ مَسْأَلَةٍ أُخْرَى، فيقولُ تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾، وبهذا يُشيرُ إلى مادةِ (الكلوروفيل) الخضراءِ التي هي من أهمِّ وأنفعِ أجزاءِ النَّباتِ، فهذه الخَضْرَةُ التي تبعثُ الحَيَوِيَّةَ واللِّطَافَةَ والجَمَالَ وتَسْلُبُ القلوبَ، والتي تخرجُ من التُّرابِ الغامِقِ اللَّوْنِ والماءِ الرَّائِقِ الشَّفَافِ.

إِنَّ التَّعْبِيرَ بـ (خَضِرًا) بالرغمِ من إطلاقهِ، إِلَّا أَنَّهُ استنادًا إلى الجُمْلَةِ التَّالِيَةِ التي تقولُ: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾، فَإِنَّهُ يُشِيرُ بِالْأَسَاسِ إِلَى سِيْقَانِ وَسَنَابِلِ الحِنْطَةِ والشَّعِيرِ والذُّرَّةِ وما شابهَ ذلكَ، و(مُتَرَاكِبًا): الذي يَرَكُبُ بعضُهُ بعضًا، كما نرى في سنابلِ القمحِ وعناقيدِ الذُّرَّةِ.

ثُمَّ يَلْفِتُ النِّظَرَ إِلَى أشجارِ النخيلِ، فيقولُ: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾. (قِنَوَانٌ): جمعُ (قِنْوٍ)، وتعني الفُرُوعَ الرَّفِيعَةَ التي تخرجُ من الطَّلَعِ (١) بعد تَفْتُحِهِ، وهي التي تُكُونُ عُدُوقَ التَّمْرِ (٢) في ما بعدُ.

وقد يكونُ التَّعْبِيرُ بـ (دانية) إشارةً إلى قُرْبِ هذه العُدُوقِ من بعضها، أو انحنائِها نحوَ الأسفلِ بسببِ ثِقَلِ ثمارِ الرُّطْبِ.

وأشارَ في سياقِ هذه الآيةِ إلى بَسَاتينِ العِنَبِ والزَّيْتُونِ والرُّمَانِ: ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَعَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾.

يقولُ بعضُ المفسِّرينَ: إِنَّ هذه الثمارَ تتشابهُ في المنظرِ، إِلَّا أَنَّهَا تختلفُ في الطَّعْمِ، (كأنواعِ العِنَبِ والرُّمَانِ الحامضِ والحلوِ).

وقالَ بعضُ المفسِّرينَ: إِنَّ أوراقَ أشجارِها تتشابهُ أحيانًا، (كأوراقِ الزَّيْتُونِ والرُّمَانِ)، في حين أن ثمارَها مُختلفةٌ.

١. الطَّلَعُ: أولُ ما يُخْرَجُ من النَّباتِ، بداية الانفتاح.

٢. عُدُوقُ التَّمْرِ: غصونُ النخلةِ بها عليها من الرُّطْبِ والبلحِ والتَّمْرِ.

ولكنَّ المناسبَ إعطاءَ أوسعِ مفهومٍ لتوضيحِ الآية؛ وهو الإشارةُ إلى أنواعِ التَّشَابُهِ والتَّفَاوُتِ<sup>(١)</sup>.

واللَّطِيفُ أَنَّهُ يَدْعُو الْجَمِيعَ لِلتَّمَعُّنِ<sup>(٢)</sup> فِي الثَّمَارِ فَيَقُولُ: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾.

والحقيقةُ أَنَّهُ لَيْسَتْ آيَةٌ وَاحِدَةٌ (بمعنى دليلٍ أو عَمَلٍ مُعْجِزٍ)، بل فِيهَا آيَاتٌ جَمَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ تَكُونِ الثَّمَارِ كَوِلَادَةَ الصَّغَارِ فِي عَالَمِ الْحَيَوَانَاتِ، حَيْثُ تَتَقَلُّ حُبُوبُ لُقَاحِ الذُّكُورِ مِنَ الثَّمَارِ إِلَى الْأَقْسَامِ الْأَثْوِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الرِّيَّاحِ أَوْ الْحَشْرَاتِ، وَبَعْدَ إِنْجَازِ عَمَلِيَّةِ التَّلْقِيحِ وَالِاخْتِلَاطِ فِيمَا بَيْنَهُمَا يَتِمُّ تَشَكُّيلُ (البُويضةِ والنَّطفَةِ أَوْ لَا إِذَا جَازَ التَّعْبِيرُ)، ثُمَّ تَظْهَرُ فِي جَوَانِبِهَا خَلَايَا الثَّمَارِ وَالْأَلْيَافِ وَاللُّبِّ وَالْفُرُوعِ الْجَذَابِيَّةِ الَّتِي تُغْذِيهَا.

وَفِي دَاخِلِ هَذِهِ الثَّمَارِ تَكْمُنُ هُنَاكَ أَعْظَمُ الْمُخْتَبِرَاتِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ بِاسْتِمْرَارٍ فِي صِنَاعَةِ الْمُرَكَّبَاتِ الْحَدِيثَةِ بِمَزَايَا جَدِيدَةٍ، وَقَدْ يَكُونُ الثَّمَرُ بِلَا طَعْمٍ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ، ثُمَّ حَامِضِي الطَّعْمِ تَمَامًا، ثُمَّ يُصْبِحُ حُلُوءًا، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ يَحْدُثُ فِيهَا انْشِطَارٌ<sup>(٣)</sup> وَتَفَاعُلٌ جَدِيدٌ، كَمَا تَتَغَيَّرُ أَلْوَانُهَا بِاسْتِمْرَارٍ، وَهَذِهِ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ الَّتِي يَدْعُو الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ - لِاسِيَّمَا فِي الْآيَةِ الْآنِفَةِ الذِّكْرِ - الْإِنْسَانَ إِلَى التَّمَعُّنِ فِيهَا.

(لأنَّ فِي هَذَا آيَاتٍ وَبِرَاهِينٍ عَنْ عَظَمَةِ وَقُدْرَةِ وَحِكْمَةِ الْبَارِي تَعَالَى لِأَهْلِ الْإِيمَانِ) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ب. ٣ - ٣ إنبات الزرع المختلف أكله:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ

١. التَّفَاوُتِ: التَّبَايُنِ وَالتَّبَاعُدِ وَالِاخْتِلَافِ.

٢. التَّمَعُّنُ: النَّظْرُ إِلَى الشَّيْءِ مَلِيًّا، بِتَمَهُّلٍ وَتَفَكُّرٍ.

٣. انْشِطَارٌ: انْقِسَامٌ الْخَلَايَا أَوْ النُّوَاةِ.

مَشِيهِ كَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

أشارت هذه الآية إلى أن هناك تنوعاً آخر في عالم النباتات والأشجار الذي يُطرح كأحد أدلة التوحيد ومعرفة عظمة الله، إذ يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾. (معروش: من مادة (عَرَش) وتعني السَّرير المرتفع أو السَّقْف، وفي ما يعنيه هذا المفهوم في هذه الآية، هنالك خلافٌ بين المفسرين:

فقال بعضهم: إنَّ (المَعْرُوشَات) تعني النباتات التي تنساب على الأرض أو تسلق على الأبنية أو على هيكل من حديد أو خشب يُصنع لها، مثل الأعمام والخيار والبطيخ. و﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ ما قام على ساق، مثل النخل وسائر الأشجار، وقال البعض الآخر: المعروشات ما ارتفعت أشجارها وأصل التعريش الرفع، وقالوا أيضاً: المعروشات ما أثبتته ورفعته الناس - وأُحيط بسور-، وغير المعروشات ما خرج في البراري والجبال من الثمار.

والعجب أن بعض الأشجار كالسرو والصنوبر ترتفع في السماء برتابة<sup>(١)</sup> ولا تستطيع الرياح العاتية<sup>(٢)</sup> والعواصف من التأثير على قامتها، في حين أن البعض الآخر كأشجار الكروم<sup>(٣)</sup> لا تملك غصناً مستقيماً واحداً، وتهتز وتنحني باستمرار، وكلُّ منها له عالمه الخاص.

فأشجار العنب بعناقيدها الثقيلة لو كانت لها قامة كأشجار الصنوبر لانكسرت ولم تستمر يوماً واحداً، فضلاً عن ابتعادها عن مُتناول يد الإنسان، في حين أن طفلاً صغيراً باستطاعته اقتطاف جميع الثمار في بساتين العنب.

١. رتابة: طريقة نظامية أو روتينية.  
٢. العاتية: الشديدة الهبوب والظلمة.  
٣. الكروم: مزارع العنب التي تحتوي على عرائش منتظمة الغرس.

ثُمَّ تَذَكُرُ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الثَّمَارِ وَالزَّرْعِ: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُمْ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا﴾، لا بَدَّ مِنَ الْإِنْتِبَاهِ إِلَى أَنْ (جَنَاتٍ) جَمْعُ (جَنَّةٍ) تُطَلَّقُ عَلَى الْبُسْتَانِ، وَعَلَى الْأَرْضِي الَّتِي يُغَطِّيهَا الزَّرْعُ، وَ(أَكُلَ) مِنْ (أَكَلَ) وَتُطَلَّقُ عَلَى جَمِيعِ الْمَأْكُولَاتِ.

وَعَلَى آيَةٍ حَالٍ، فَالْأَشْجَارُ وَالزَّرْعُ وَالنَّبَاتَاتُ لَا تَخْتَلِفُ كَثِيرًا مِنْ نَاحِيَةِ الظَّاهِرِ فَقَطْ، بَلْ إِنَّ ثَمَارَهَا وَمَحَاصِيلَهَا تَتَفَاوَتُ لِلغَايَةِ (أَيِ الْمَقْصُودِ مِنْهَا) أَيْضًا، مِنْ حَيْثُ اللَّوْنُ وَالطَّعْمُ وَالشَّكْلُ الظَّاهِرِيُّ، وَكَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ مَا فِيهَا مِنْ مَوَادِّ غِذَائِيَّةٍ وَخِصَائِصٍ مُتَنَوِّعَةٍ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ مِنْهَا الْمَرْغُوبُ وَالْمَتَوَسِّطُ، وَهَذَا بَيَانٌ لِقُدْرَةِ الْخَالِقِ جَلِّ وَعَلَا الَّذِي أَوْجَدَ مِثْلَ هَذَا التَّنَوُّعِ الْعَظِيمِ الْوَاسِعِ فِي عَالَمِ النَّبَاتَاتِ، وَكُلُّ نَوْعٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَثَنَائِهِ.

وَفِي نِهَآيَةِ الْآيَةِ يُصَدِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْامِرَهُ، فَيَقُولُ: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٤١).

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ بِ(كُلُوا) دَلِيلٌ عَلَى حِلِّيَّتِهَا الْكَامِلَةِ، وَلَكِنْ بَشْرَطَيْنِ: الْإِيْفَاءَ<sup>(١)</sup> بِحَقُوقِ الْمُحْتَاجِينَ، وَعَدَمَ الْإِسْرَافِ.

وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ الْمَفْسِّرِينَ قَالُوا: أَنَّ الْمَقْصُودَ بِ(حَقِّ) هُنَا هُوَ الزَّكَاةُ، إِلَّا أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ قَالُوا: أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذَا الْحَقِّ لَيْسَ الزَّكَاةُ بَلِ الصَّدَقَةُ.

بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ لَا بَدَّ أَنْ يُخَصِّصَ أَصْحَابُ الْمَزَارِعِ وَالْبَسَاتِينِ نَصِيبًا<sup>(٢)</sup> لِلْمُحْتَاجِينَ أثنَاءَ قَطْفِ الثَّمَارِ، وَحِصَادِ الْمَحَاصِيلِ كَحُكْمِ الْهَيِّ، وَهَذَا النَّصِيبُ لَيْسَ لَهُ (مَقَادِيرٌ وَحُدُودٌ مُعَيَّنَةٌ) فِي الشَّرْعِ، بَلْ يَتَعَلَّقُ بِهَمَّةِ الْمَالِكِينَ وَكَرَمِهِمْ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ آخِرَ الْآيَةِ يَتَحَدَّثُ عَنْ حُكْمِ أَخْلَاقِيٍّ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى

١. الإيفاء: أتم وأدى ما عليه، ولبي الحاجة.

٢. نصيبًا: جزء، أو حظاً من شيء، أو قسم منه.

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، وَأُولَئِكَ يَشْتَمِلُ عَلَى دُورِسٍ تَوْحِيدِيَّةٍ (وهو الذي أنشأ)،  
والله تعالى أعلم.

ب. ٣-٤ السقاية بماء واحد للحدائق المتجاورة والطعوم المختلفة للزرع:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ  
صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضِلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

ابتدأت هذه الآية من البحث في باديء الأمر إلى قطع الأرض المختلفة  
التي تملك قابليات<sup>(١)</sup> متفاوتة<sup>(٢)</sup> لنبات أنواع الأشجار والنباتات وغيرها، إذ  
يقول: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَاتٌ﴾ مع أن هذه القطع يلتصق بعضها ببعض  
الآخر، فبعضها خصب ومستعد لأي شكل من الزراعة، وبعضها مالح لا تنبت  
فيه سنبلة أبداً، وقد يناسب بعض هذه القطع زراعة الأشجار أو نوع خاص  
منها فقط، ويناسب البعض الآخر نوعاً خاصاً من الزراعة، وهذا عجيب حيث  
تفاوت الأراضي المترابطة<sup>(٣)</sup> بشكل تستعد للقيام بواجبات مختلفة.

وبعد ذكر هذه المقدمة أشار سبحانه إلى أنواع الأشجار والزراعات،  
فأضاف قائلاً: ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾،  
(أعنا ب): جمع عنب وتعني الكرم، و(نخيل) جمع (نخل) و(نخيلة) وتعني  
شجرة التمر، وذكرهما بصيغة الجمع يُحتمل أن يكون إشارة إلى الأنواع  
المختلفة للعنب والتمر، لأن لهاتين الفاكهتين آلاف الأنواع المختلفة.

والتعبير بـ (صنوان وغير صنوان) بالالتفات إلى أن (صنوان) جمع  
(صنو) وتعني الفرع الذي يخرج من البدن الأصلي للشجرة) من الممكن

١. قابليات: استعدادات للقبول.

٢. متفاوتة: لها درجات مختلفة، متباينة.

٣. المترابطة: التي ترتبط ببعضها، المتناسقة والتي لها علاقة ببعضها.

أن يكون إشارةً إلى قابليَّةِ الشَّجَرَةِ على تغذية الثَّمَارِ المُخْتَلِفَةِ عن طريق التَّطْعِيمِ، وهي تتمُّ بنقلِ جزءٍ من نباتٍ إلى نباتٍ آخرَ لينمو الأوَّلُ على الثاني، لهذا تظهَرُ على أغصانِ شجرةٍ واحدةٍ لها ساقٌ واحدٌ وجذرٌ واحدٌ وتتغذى من ماءٍ وأرضٍ واحدةٍ = أنواعٌ مختلفةٌ من الثَّمَارِ، وهذا من عجائبِ الخلقِ.

ومن الممكن أن يكونَ هذا التَّفَاوُتُ إشارةً إلى تَفَاوُتِ الأغصانِ التي تنمو على أصلٍ واحدٍ، وتتفاوتُ من حيث شكلُ وطعمُ الثَّمَارِ الطبيعيَّةِ.

ثمَّ يُصرِّحُ سبحانه بأنَّ هذه الأشجارَ معَ هذا الاختلافِ فإنَّها تُسقى بماءٍ واحدٍ: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾، وفي نفسِ الوقتِ فإنَّنا نُفضِّلُ بعضها على البعضِ الآخرِ من حيث الثَّمَرُ ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾.

ومن المُسلِّمِ به أنَّ في هذا الأمرِ آياتٍ وبراهينَ للمتفكِّرينَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

حقًّا إنَّه مُدهشٌ، فالماءُ واحدٌ، والتُّرابُ واحدٌ أيضًا، وأمَّا الاختلافُ بين الثَّمَارِ فكثيرٌ، بحيث إنَّ أحدها حُلُوٌّ والآخرُ حامضٌ تمامًا (ففي الكثيرِ من المناطقِ تنمو أشجارُ اللَّيْمُونِ الحامضِ إلى جانبِ أشجارِ النخيلِ) أو تنمو المحاصيلُ الرِّبِّيَّةُ والمحاصيلُ النَّشويَّةُ وغيرها في مزرعةٍ واحدةٍ، وتتفاوتُ تمامًا، حتى أنَّ لهذه الفواكِه والمحاصيلِ أنواعًا مُختلفةً بالكاملِ.

ما هذا الجهازُ العجيبُ المَكْنُونُ<sup>(١)</sup> في أغصانِ الأشجارِ وجذورها الذي لديه القُدرةُ على صُنْعِ الموادِ الكيميائيَّةِ مُختلفةِ الخواصِّ من خلالِ استغلالِ نوعٍ واحدٍ من الموادِ (من الماءِ والتُّرابِ والشمسِ والهواءِ)؟! فلو لم يكن هنالك دليلٌ على علمٍ وحِكْمَةٍ خالقِ الكونِ سوى هذه المسألةِ لكانت كافيةً لمعرفةِ هذا الخالقِ العظيمِ جَلٍّ وعلا سبحانه.

١. المكنون: المستور، والبعيد عن العين.

ب. ٣-٥ الإنبات في الأرض موزون بدقة:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمْ رَبْرَزِينَ ﴿٢٠﴾ [الحجر: ١٩-٢٠].

أشارت هذه الآيات إلى موضوع آخر من عجائب عالم النباتات والأشجار، فيقول بعد ذكر مسألة بسط<sup>(١)</sup> الأرض وتكوّن الجبال: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾.

بالرغم من أن (موزون) من مادة (وَزَنَ)، إلا أنها هنا إشارة إلى النظام الدقيق والمحدّد، والتّقديرات المتلائمة<sup>(٢)</sup> والمتناسقة التي تحكّم جميع ذرّات النباتات، إضافةً إلى أن (وَزَنَ) كما أوردّها الرّاعِبُ في «المفردات» تعني في الأصل معرفة قدر الشيء.

وقال بعض المفسّرين أيضاً: إنّ المراد من هذا التعبير هو أنّ الله خلّق من كلّ نبات بقدر حاجة الإنسان.

كما قالوا إنّ المراد من (موزون) هو وجوب تظافر كمّيّات مُقدّرة ومُحدّدة من الماء والهواء والتراب وضوء الشّمس كي تنمو النباتات.

واحتمل بعض المفسّرين أنّ التّعبير بـ (كُلُّ شَيْءٍ) يشتمل على المعادن أيضاً، ولكن من خلال الفهم بأنّ عبارة (أَنْبَتْنَا) لا تتناسب كثيراً مع المعادن، فإنّ هذا التّفسير يبدو بعيداً، وأنّ الجمع بين التّفسيرين ممكن، وورد في بعض الروايات إشارة إلى التّفسير الثاني أيضاً.

ويتبعها الإشارة إلى توفير الوسائل المعاشيّة والحياتيّة للناس ولحيواناتهم ولأولئك الذين يرتزقون على مائدة الخالق الواسعة فيقول: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا

١. بسط: مد، وعرض وكشف عن فرش.

٢. المتلائمة: المتوافقة والمرتبّة.

**مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ ﴿١٠﴾** ، (مَعَايِشَ): جمع (مَعِيشَةٍ) ولها معنى واسعٌ جداً، فشمل كلَّ شيءٍ يعدُّ من وسائلِ حياةِ الناسِ، وجملةٌ ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ﴾ إشارةٌ إلى الحيواناتِ والكائناتِ الحيَّةِ التي ليس بمقدورِ الإنسانِ أن يُطعمَها، بل اللهُ تعالى هو الرِّزاقُ، فوضعَ الباري تعالى الطَّعامَ المناسبَ لكلِّ منها في اختيارِها على أساسِ النظامِ الخاصِّ الذي يسودُّ العالمَ، ولو فتحنَّا أعيننا وتأمَّلنا طريقةَ تغذيةِ كلِّ من أنواعِ الحيواناتِ من أنواعِ النباتاتِ، لوجدنا فيه عالماً من أدلِّةِ معرفةِ الله.

فبعضُها يستفيدُ من الثَّمارِ، وبعضُها من الحُبوبِ، وبعضُها من مجموعةٍ من أوراقِ الأشجارِ، وطائفةٌ من السِّيقانِ، وأخرى من القُشورِ، والبعضُ من رحيقِ الأزهارِ، وقِسْمٌ آخرُ يأكلُ الحشائشَ، وآخرُ يأكلُ الجذَرَ فقط، فسبحانَ الله العظيم.

ب. ٣ - ٦ المطر للشرب والرعاية:

قال اللهُ تعالى في سورةِ النَّحْلِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمَنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

تتطرَّقت هذه الآياتُ إلى شرحِ أدلِّةِ التَّوْحِيدِ ومعرفةِ اللهِ بقريئةٍ<sup>(١)</sup> بدايتها ونهايتها، فيقولُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

فليس كلُّ ماءٍ صالحاً لشربِ الإنسانِ، ولا كلُّ ماءٍ صالحاً لنموِ النباتِ والشَّجَرِ، إلاَّ أنَّ هذا الماءَ السَّماويَّ مُفيدٌ لكلِّ وأساسٌ لحياةِ كلِّ شيءٍ.

١. قريئة: دليل، وما يرافق الكلام ويدل عليه.

(شَجَر): كما قلنا له معنى شاملٌ في اللُّغة، حيث يشملُ أنواعَ النَّباتاتِ سواءً كانت ذاتَ سيقانٍ أم لا، و(تُسَيِّمُونَ) من (إِسَامَة) وهي من مادةٍ (سَوَم) وتعني رعيَ الحيواناتِ، و(تُسَيِّمُونَ) تعني ترعونَ، وحيث إنَّ الحيواناتِ تتناولُ كُلاً من الأعشابِ وأوراقِ الأشجارِ عندَ رعيها، فالتَّعبيرُ ب (شَجَر) يبدو مُناسباً جداً لاشتمالِهِ على كليهما.

ثُمَّ يُضِيفُ: (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ).

واللَّطِيفُ أَنَّ الآيَةَ أَعْلَاهُ مَعَ أَنَّهَا تَتَحَدَّثُ عَنِ كَافَةِ الثَّمَارِ وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْمَحَاصِيلِ الزَّارِعِيَّةِ بِمَا فِيهَا الْحُبُوبُ، فَهِيَ تَسْتِنِدُ خَاصَّةً إِلَى ثَلَاثَةِ ثَمَارٍ، وَهِيَ: الزَّيْتُونُ، وَالثَّمَرُ، وَالْعِنْبُ.

وهذا يعودُ للأهميَّةِ الفائقةِ لهذهِ الثَّمَارِ مِنْ حَيْثُ الْمَوَادُّ الْغِذَائِيَّةِ، وَأَنْوَاعِ الْفِيْتَامِينَاتِ وَالْمِيْزَاتِ الدَّوَائِيَّةِ الَّتِي تَمَّتْ مَعْرِفَتُهَا مَعَ تَطَوُّرِ الْعِلْمِ الْغِذَائِيَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ.

لهذا يعودُ ويؤكدُ لنا القرآنُ في نهايةِ الآيَةِ بَأَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ بُرْهَانًا وَاضِحًا عَنِ حِكْمَةِ وَقُدْرَةِ وَعَظْمَةِ اللَّهِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ فِي هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ كَيْفَ تُنْشَأُ، وَكَيْفَ تُسْتَعْمَلُ...؟: لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

ب. ٣-٧ إنبات الحدائق مختلفة الألوان بماء واحد:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّمْلِ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمْنَوتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَعْلَمِ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾

أشارت هذه الآية إلى إثبات (وحدانية المعبود)، حيث يدعو الناس إلى تفحص<sup>(١)</sup> أسرار خلق السماوات والأرض ثم نزول المطر، ثم يقول سبحانه: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ حَادِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾، وليس في إمكانكم أبداً أن تُنبتوا أشجار هذا البستان الجميلة: ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾، ومع هذا تقولون هناك إله مع الله؟!، لقوله تعالى: ﴿أَيُّ لَهٍ مَعَ اللَّهِ﴾.

إلا أن هؤلاء أفراداً يجهلون حيث يعدلون عن الخالق العظيم الذي أبدع كل هذه العجائب والغرائب ويجعلون الموجودات التي لا حول لها ولا قوة نداً<sup>(٢)</sup> لله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

التعبير (يعدلون)، بمعنى عدولهم عن الله الواحد المنفرد، أو اختلاق مثيل ونظير له.

فعمل الإنسان نُثر البذور والرِّي<sup>(٣)</sup> وأمثال ذلك، والله وحده الذي خلق الروح في جنين هذه البذرة الصغيرة، وأعطاه القدرة على أن تتحول إلى شجرة عملاقة مثمرة مزدهرة نضرة حيث يبعث منظرها في البساتين الفرح والسُرور في نفس الإنسان، ولو وضع الإنسان قدمه وسط أحد هذه البساتين المزدهرة النضرة في أحد أيام الربيع، وفتح بصيرته<sup>(٤)</sup> إلى جانب بصره الظاهري، ليرى كل هذا التنوع والعجائب والمناظر الخلابة والأزهار الملونة والأوراق والثمار المختلفة، لاستنشق<sup>(٥)</sup> عطر التوحيد وارتوى<sup>(٦)</sup> من كأس العبودية وأصبح مُنشرِحاً مفتوناً، بنحو يجعله يترنم<sup>(٧)</sup> بلحن التوحيد ويعترف بهذه الحقيقة.

١. تفحص: دقق النظر فيه ليعلم ويتعرف أحواله وماهيته.

٢. نداً: المثل أو النظير.

٣. الرِّي: السقاية.

٤. بصيرته: قوة الإدراك والفتنة والعلم والخبرة.

٥. استنشق: شم.

٦. ارتوى: شرب كفاية، وأزال العطش.

٧. يترنم: يستمع في طرب.

ب. ٣- ٨ زوجية الإنبات في الأرض:

قال الله تعالى في سورة لقمان: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾

وفي سورة الشعراء: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾

تعرّضت هذه الآيات لخمسَةِ أقسامٍ من براهين توحيد الخالقِ جَلَّ وعلا وآياتِ الأفاقِ (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، وَخَلَقَ الْجِبَالَ -الرَّوَّاسِي-، وَخَلَقَ الدَّوَابَّ وَالْحَيَوَانَاتِ، وَخَلَقَ الْمَطَرَ، وَخَلَقَ النَّبَاتَاتِ).

والتَّعبيرُ بـ ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾، تتحدّثُ عن التنوعِ الضروريِّ جدًّا للنباتاتِ، وعن الزوجيةِ في عالمها، ويُشعرُ سالكي<sup>(١)</sup> طريقِ التَّوحيدِ بأهميَّةِ هذا الموضوعِ.

وخاطبَ اللهُ تعالى المشركينَ قائلاً: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.

فكيف يُمكنُ لِمَن يملكُ بصراً ويرى آثارَ قُدرةِ وَحِكمةِ وَعظَمَةِ الخالقِ في عَرَضِ عَالَمِ الوجودِ، ثُمَّ يَخضعُ تعظيماً لغيره؟!!

لا يخفى أن عبارة (فأروني) -في الواقع- جاءت على لسانِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلّم، وبتعبيرٍ آخر:

أنَّهُ مَكَلَّفٌ بَأَنَّ يَقُولَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ لِلْمَشْرِكِينَ.

١. سالكي: الذين يمشون في طريق من غير حواجز أو عوائق.

ولفظه (ظلم) لها معنى واسع، حيث يشمل وضع أي شيء في غير محله، وحيث كان المشركون يعتبرون تدبير الكون بما فيه من مخلوقات بيد الأصنام، أو تصورونها واسطة بين المخلوق والخالق ويسجدون لها، فقد ضلُّوا وارتكبوا ظلماً عظيماً، ولهذا جاءت هذه الكلمة في الآية أعلاه بمعنى الشرك، أو بمعنى واسع؛ حيث إنَّ الشُّركَ مُصداقٌ واضحٌ له.

كما أشارت هذه الآيات (٧-٨) التي وردت في سورة الشعراء إلى المشركين أو الجاحدين، فقال: ﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبأنا فيها من كل زوج كريم﴾، ثم في قوله: ﴿إن في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

أجل... فلو تمعَّن<sup>(١)</sup> هؤلاء في هذه النباتات الملوَّنة والأزهار والثمار والأشجار والخضار والسَّنابل وأنواع الزروع الأخرى سيرون آيات الله فيها بكلِّ جلاء، فهؤلاء لا يريدون أن يؤمنوا وينظروا إلى الله تعالى ببصيرة القلوب، وإلا فإنَّ جمال خلقه لا يخفى على أحد، نعم فهؤلاء المشركين ليست لديهم آذان للاستماع إلى آيات الله التشريعية، ولا أبصاراً لمشاهدة آياته التكوينية.

إنَّ تنوع النباتات كثيرٌ إلى الحدِّ الذي يقول بعض العلماء: إنَّ (النخل) أكثر من ثلاثة آلاف نوع، ول (الطحالب) أربعة آلاف نوع، ول (التفاح) سبعة آلاف نوع، وذكر وال (الحنطة) خمسة وثلاثين ألف نوعاً!

والمقصود من (زوج) كما جاء عن المفسرين أنه بمعنى النوع والصنف، واعتبروه إشارةً إلى تنوع وتشعب النباتات، حيث إنَّ عددها غير محدودٍ ولا يمكنُ حصره، وكلُّ منها يُعتبرُ آيةً من آياتِ الباري عزَّ وجلَّ.

في حين احتمالها البعض إشارةً إلى (الزوجية) (أي الذكر والأنثى) الموجودة في عالم النباتات، وهذه الحقيقة اكتشفت لأول مرة على نطاق واسع على يد عالم النبات السويدي المعروف (لينه) أواسط القرن الثامن

١. تمعَّن: تعمَّق النظر ملياً وفكَّر.

عشرَ الميلادي، حيث إنَّ النَّبَاتِ - على الأغلِبِ - تَحْمِلُ وَتُثْمِرُ كَالْحَيَوَانَاتِ  
عن طريقِ تَلَاقِحٍ<sup>(١)</sup> الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، في الوَقْتِ الَّذِي وردت هذه الحَقِيقَةُ في  
القرآنِ الكَرِيمِ قَبْلَ قُرُونٍ عَدِيدَةٍ.

ومن هنا لا تعارُضُ بين هذين المعنيين، فيمكنُ أن تكونَ إشارةً  
إليهما معاً.

إنَّ وصفَ (الرَّوْجِ) بـ (الكريمِ) تعني الموجودَ الثَّمِينِ، وفيه إشارةٌ إلى  
أهميَّةِ أنواعِ النَّبَاتِ وقيمتها الفائقَةِ.

حقاً... كم هو عَجِيبُ عالمِ النَّبَاتِ الفَسِيحِ بِكُلِّ هذا التَّنوعِ؟ وكم هو  
عَظِيمٌ خَالِقُهُ ومدبِّرُهُ!

ب ٣-٩ إحياء الأرض الميتة الجرداء وإنبات النبات:

قالَ اللهُ تعالى في سورة يس: ﴿وَأَيُّهُمُ الَّذِي أَحْيَا مِيتَةَ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَتْ خَالَةً فَغَدَا عَلَيْهَا حَاشَاتٌ مِّنْ دُونِهَا وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا  
مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ  
الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

أشارت هذه الآياتُ إلى حَقِيقَةِ أَنَّ مسألةَ الحَيَاةِ من أهمِّ أدلَّةِ التَّوْحِيدِ،  
سواءً كانت في عالمِ النَّبَاتِ، أم الحَيَوَانَاتِ، أم البَشَرِ، إنَّها المسألةُ الغنيَّةُ  
بالأسرارِ والمدهشةُ التي حيرت عقولَ كبارِ العلماءِ، ومع كلِّ النجَاحاتِ التي  
حقَّقها الإنسانُ في مُختلفِ الحقولِ العلميَّةِ لم يُفلحِ أيُّ شخصٍ في حلِّ لغزِ  
الحَيَاةِ حتى الآنَ، ولا عِلْمٌ لأيِّ أحدٍ كيفَ وتحتَ تأثيرِ أيَّةِ عواملٍ تبدَّلتَ<sup>(٢)</sup>  
الجماداتُ إلى كائناتٍ حيَّةٍ؟! (أو حاضِنَةٍ<sup>(٣)</sup> لهم).

١. تلاقح: وضع طلع الذكور في الإناث.

٢. تبدَّلت: تغيَّرت صورتها، أو جُعِلَ آخر بدلاً منها.

٣. حاضنة: التي تقوم المقام في التربية، أو المساعدة، أو التبنّي للنهوض.

ثم أشار خلال بيان مسألة إحياء الأرض الميتة إلى إنماء المحاصيل الغذائية (كالحنطة والشعير والذرة وغيرها)، وبساتين العنب والتخيل النضرة، وتكوين ينابيع الماء الصافي، وقال في الختام: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

إن عبارة (ما عملته أيديهم) إشارة لطيفة إلى أن هذه الثمار الطازجة، غذاء كامل مهيأ للأكل دون الحاجة إلى طبخه وإضافة المواد الأخرى إليه، فليس للإنسان تدخل في أصل وجودها، ولا في إعدادها للأكل، فعمل الإنسان لا يتعدى نثر البذور وسقي الأشجار فحسب.

لم يكن الهدف من خلق كل هذه النعم المختلفة انهماك<sup>(١)</sup> الإنسان بالأكل كالحيوانات، وأن يقضي عمره على هذه الحال، ثم يموت ويصبح تراباً، كلا، فالهدف ليس هذا، بل إن الهدف هو أن يرى ذلك ويعيش في ذاته الشعور بالشكر، ومن خلال (شكر المنعم) يصل إلى معرفة واهب النعم حيث ينال أسمى المواهب وأرفع مراحل تكامل الإنسان.

والمسألة الجديرة بالاهتمام في الآيات أعلاه هي أنها تضع الزوجية في عالم النباتات إلى جانب الزوجية في عالم الإنسان فتقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

فهذا التعبير دليل على أن الزوجية هنا تعني جنس الذكر والأنثى، ووجودها على نطاق واسع في عالم النباتات، وهذا من الإعجازات العلمية للقرآن الكريم، لأن هذا المعنى لم يكن آنذاك واضحاً لدى الإنسان بأن هنالك وجوداً لقوام<sup>(٢)</sup> الذكر والأجزاء الأنثوية في عالم النباتات، وتنطلق الخلايا التي هي نطف الذكور لتستقر في الأجزاء الأنثوية وتتلاقح معها وتنعقد نطفة النبات.

١. انهماك: انشغال برغبة واهتمام.

٢. قوام: حسن طوله وشكله.

ويمكن أن تكون عبارة ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ إشارة إلى أن مسألة الزوجية لها نطاق واسع، وما أكثر الموجودات التي يجهلون وجود الزوجية فيها، وسيزيل تطور العلم النقب<sup>(١)</sup> عنها (كما ثبتت هذه المسألة في الذرات حيث تتركب من قسمين مختلفين يكمل أحدهما الآخر كالزوجين: فـ (الإلكترونات) تحمل الشحنات السالبة، و(البروتونات) تحمل الشحنات الموجبة)، ومواضيع أخرى لم يتوصل إليها العلم البشري حتى الآن، فسبحان الله العظيم.

ب ٣- ١٠ إطعام الإنسان والحيوان المختلف من الأرض الواحدة بزروع مختلفة:

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(٢٤)</sup> ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾<sup>(٢٥)</sup> ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾<sup>(٢٦)</sup> ﴿فَأَبْتَأْنَا فِيهَا حَبًّا﴾<sup>(٢٧)</sup> ﴿وَعِنْبًا وَقَضْبًا﴾<sup>(٢٨)</sup> ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾<sup>(٢٩)</sup> ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾<sup>(٣٠)</sup> ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾<sup>(٣١)</sup> ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِيَنْعَمَكُمُ﴾<sup>(٣٢)</sup>

هذه الآيات في قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾، فيها امتنان<sup>(٢)</sup> وفيه استدلال<sup>(٣)</sup> على إحياء النبات من الأرض الهامدة<sup>(٤)</sup>، ثم أرشده تعالى إلى النظر والتفكير في طعامه الذي جعله سبباً لحياته، وكيف وصل إليه بعدما تكررت<sup>(٥)</sup> على طبقات عديدة، ويسره له، و﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾، أي: أنزلناه بكثرة من السماء على الأرض، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾، أي: أسكنا النبات في الأرض بسبب نزول المطر، فدخل في تخومها<sup>(٦)</sup> وتخلل في أجزاء الحَبِّ المودع فيه، فنبت وارتفع ارتفاعاً بديعاً، ﴿فَأَبْتَأْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ فالحبُّ: كلُّ ما يُذكر من أصناف الحبوب والأقوات الشهية التي نتغذى بها، ﴿وَعِنْبًا وَقَضْبًا﴾ العنبُ

١. النقب: القناع، أو الستار.

٢. امتنان: شكر وفضل وعرfan.

٣. استدلال: استنتاج قضية من قضية أخرى، أو بحث عقلي منظم لبلوغ حقيقة مجهولة انطلاقاً من حقيقة معلومة.

٤. الهامدة: اليابسة المجردة الخاملة.

٥. تكررت: هنا من التكرير، أي التصفية والتنقية.

٦. تخومها: حدودها الفاصلة.

معروف، القصب: هو القَتُّ الرَّطْبُ الَّذِي تُعَلَّفُ بِهِ الدَّوَابُّ، ﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهو معروف، وهو أدم، وعصيره أدم<sup>(١)</sup> ويستصبح به<sup>(٢)</sup> ويدهنُ به، ﴿وَنَخْلًا﴾ وخصَّ هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها، ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ أي: بساتين، فهذا الشجرُ وكلُّ ما التفتَّ واجتمع ﴿غُلْبًا﴾، شجرٌ مُرتَفِعٌ كالنَّخْلِ الطُّوَالِ الكِرَامِ، ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ والفاكهة: وهو ما يتفكَّه به الإنسان من الثمار من تينٍ وعنبٍ وخوخٍ ورُمانٍ، والأبُّ: هو كلُّ ما أُكِلَ رَطْبًا ولا يأكلُهُ النَّاسُ وهو الحشيشُ للبهائم، وقيل الكلاً الذي تأكلُهُ الأنعام، ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ أي: عيشةً لكم ولأنعامكم التي خلقها الله وسخَّرَهَا لكم في هذه الدَّارِ إلى يومِ القيامة، فمنَ نَظَرَ في هذه النِّعمِ وَجَبَ عليه شُكْرُ رَبِّه عليها، وبذُلُ الجهدِ في الإِنَابَةِ إليه، والإِقْبَالِ على طاعته، والتَّصَدِيقِ بأخباره، فالحمدُ لله والشُّكْرُ لله ربَّ العالمين.

ب ٣ - ١١ النار من الشجر الأخضر:

قال الله تعالى في سورة يس: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مُوقِدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكلمة ﴿الْأَخْضَرِ﴾ تُفيدُ اليخضور؛ لأنَّ هذه الورقة في كلِّ شجرةٍ معملٌ عظيمٌ، يؤدِّي عملاً جبَّاراً لا يستطيع الإنسان تصوُّره.

يقال: إنَّ أعظمَ معملٍ صنَّعه الإنسان لا يرقى إلى ما يجري داخلَ الورقة الخضراءِ، فماذا في الورقة؟

إنَّ في الورقة مادةً اسمُها اليخضور، إذا تعرَّضتْ هذه المادةُ لأشعةِ الشمسِ تحوَّلتْ جزيئاتُ اليخضورِ إلى مُفاعلٍ حراريٍّ<sup>(٤)</sup> جبَّارٍ، يقومُ بشرطِ

١. أدم: عصير سائل فيه دهن ونحوه يطيبه.

٢. يستصبح به: يوقد المصباح به.

٣. مُوقِدُونَ: تشعلون منها النار.

٤. مُفاعلٍ حراريٍّ: جهاز تتحوَّل فيه المادة إلى طاقة حرارية.

جُزَيْتَاتِ الْمَاءِ الَّتِي فِي الْوَرَقَةِ، وَإِذَا انشَطَرَتْ<sup>(١)</sup> جُزَيْتَاتِ الْمَاءِ الَّتِي فِي الْوَرَقَةِ تَحَلَّلَتْ إِلَى أوكسجين، وإلى هيدروجين.

وبالمناسبة، لو أَرَدْنَا أَنْ نَشْطِرَ نَحْنُ بِالْوَسَائِلِ الْمَادِيَّةِ جُزَيْتًا مِنَ الْمَاءِ إِلَى هيدروجين وأوكسجين لاحتجنا إلى طاقةٍ تساوي تسخين الماء ألفين وخمس مائة درجة، وإنَّ الإنسانَ يتنفسُ الأوكسجين باستمرارٍ، وكذلك النَّبَاتُ، والحيوانُ، فكيف تبقى النسبةُ ثابتةً؟

تقولُ بعضُ الإحصائياتِ العلميَّةِ: إنَّ المجموعَ الخضري في الأرضِ يُحوَّلُ مئةَ بليونِ طنٍّ من الفحمِ مع خمسةٍ وعشرينَ بليونَ طنٍّ من الهيدروجين إلى موادَّ غذائيَّةٍ، وإلى مئةَ بليونِ طنٍّ من الأوكسجين، من أجلِ أَنْ يبقى الهواءُ ذا نِسَبٍ نظاميَّةٍ<sup>(٢)</sup> من حيثِ الأوكسجين والآزوتُ وغازُ الفحمِ.

من الثابتِ أَنَّ الطَّاقَةَ الَّتِي تُنتِجُهَا عملياتُ التحليلِ اليخضوريِّ تُساوي عشرةَ أضعافِ الطَّاقَةِ الَّتِي يستهلكُها الإنسانُ في العالمِ كُلِّ عامٍ، فأوراقُ شجرةٍ واحدةٍ متوسطةِ العُمُرِ تصنعُ في السَّاعَةِ الواحدةِ كيلو غرامًا من الموادِ الغذائيَّةِ، ويتحوَّلُ هذا الناتجُ الغذائيُّ في أثناءِ الليلِ إلى سكرٍ يغذي النباتَ، أو يُخزَّنُ على شكلِ نشاءٍ احتياطيٍّ في النباتِ.

ليس منا أحدٌ إلا ورأى الأرضَ في فصلِ الرَّبيعِ، وقد ازدانت، وازتدت حلَّةً قشبيَّةً<sup>(٣)</sup>، حيثُ الأشجارُ مُزهرةٌ مُثمرةٌ، وبعضُها قد أورقَ، والأرضُ بساطٌ أخضرٌ.

فهذا الذي يذهبُ إلى نزهةٍ، ولا يعنيه إلا أن يستمتعَ بالمناظرِ الجميلةِ، دونَ أن يسبِّحَ اللهَ عزَّ وجلَّ، ودونَ أن يرى في هذا الفصلِ آيةً كبرى دالةً على عَظَمَتِهِ عزَّ وجلَّ فهو إنسانٌ غافلٌ<sup>(٤)</sup> عن القرآنِ الكريمِ.

١. انشطرت: انقسمت إلى أقسام (الجزء أو النواة وغيرهما).

٢. نِسَبٍ نظاميَّةٍ: مقدار منسوب معلوم ومقتن.

٣. حلَّةٌ قشبيَّةٌ: ثوب جميل وجديد.

٤. غافلٌ: ساهٍ، وغير متيقظ.

قد يسأل سائل: هذا الشجر الأخضر لا يحترق إلا إذا كان يابسًا، فكيف يقول الله تعالى ذلك، إن الشجر الأخضر لا يحترق! ولكن الشجر اليابس هو الذي يحترق، لكن هذا إشارة إلى أن هذا الشجر ما كان له أن يكون شجرًا لولا أن الله سبحانه وتعالى زوّده بهذه المعامل التي لا تُعد ولا تُحصى، وإن كل خلية في كل ورقة معملٌ يُنتج المواد العضوية التي تُسهّم<sup>(١)</sup> في نموّ النبات، وفي ازدياد حجمه، هذه آية من آيات الله تعالى.

اكتشف العلماء أن الخلية الخضراء الواحدة تقوم ببناء عشرين مركبًا عضويًا في دقيقة واحدة إذا عرّضت لأشعة الشمس، فالنبات يتغذى بالماء وبعض المواد المعدنية والعضوية، وأكثر ما يأخذ من الهواء غاز الفحم، الذي يُسهّم في تكوين بنية النبات، فإن بنية النبات لا كما يتوهم الإنسان أنها تتأتى<sup>(٢)</sup> من التراب، بل تتأتى من المعمل العظيم الذي أودعه الله في الأوراق الخضراء، فكان الله سبحانه وتعالى حينما قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾. [يس: ٨٠]، أشار بذلك إلى أنه لولا الأوراق الخضراء في النبات لما كان الشجر، وهذه الصفة مترابطة<sup>(٣)</sup> مع الموصوف ترابطًا وجوديًا، ولولا عمليات البناء التي تجري في الورقة الخضراء إذا تعرّضت لأشعة الشمس والهواء لما كان نبات، فلو زرنا نباتًا في ظلام لم ينبت، ولو لم يتعرّض لأشعة الشمس لم ينم، فهذه الأشجار الباسقة<sup>(٤)</sup>، وهذه الجذوع الكبيرة التي تزن الأطنان إنما، هي نتيجة لتفاعل دقيق يجري في أوراق الأشجار.

١. تُسهّم: تشارك، وتعاون بنجاح.

٢. تتأتى: تُنتج عن، وتولد من.

٣. مترابطة: متماسكة، متحدة، متلاحمة، ارتبطت به.

٤. الباسقة: المرتفعة، الطويلة.

هذه الشجرة يراها الإنسان في الشتاء حطبًا، ثم يأتي الربيع فيراها قد أزهرت، فمن أين جاءها الزهر؟ وبعد الزهر تأتي البراعم<sup>(١)</sup>، وبعد البراعم تأتي الأوراق، هذا فعلٌ من؟ ويدٌ من؟.

وإذا رأيتَ النبتَ في الصحراءِ يربو (أي: ينمو ويرتفع) وحده فاسأله مَنْ أَرْبَاكَ؟ أي من جعلك تنمو؟

إنَّه اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ، ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، قال الجوهري: ينع الثمرُ ينعُ، وينعُ ينعًا، ويُنْعًا، ويُنوعًا، أي: نضج، وقال القرطبي في تفسيره: فنبه الله تعالى بانتقالها (ويقصد النباتات) من حالٍ إلى حالٍ وتغيُّرها ووجودها بعد أن لم تكن بعدُ على وحدانيته وكمالِ قدرته، وأن لها صانعًا قادرًا عالمًا، ودلٌّ على جوازِ البعثِ لإيجادِ النباتِ بعد الجفافِ، فسبحانَ اللهِ في خلقِهِ.

ب ٣-١٢ شجرة اليقطين (كمثال) وفوائدها:

يقولُ اللهُ عز وجل في سورة الصافات: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ (١٦)، يعني على النبيِّ الكريمِ يونس عليه السلامُ، واليقطين يقال عنه القرع أو نبات الدباء، ومنه الكوسى أيضًا. وهذا مثل على فوائد الزروع وهناك عدد كبير من الزروع المختلفة التي لها فوائد كثيرة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامِ صَنْعَهُ، قَالَ أَنَسُ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ فَقَرَّبَ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزًا مِنْ شَعِيرٍ، وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، قَالَ أَنَسُ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَّبِعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوْلِ الصَّحْفَةِ، فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ» (رواه البخاري ومسلم).

((دُبَّاءٌ): وهو القرع، (وقَدِيدٌ): وهو اللحمُ المُجَفَّفُ بالشمس).

١. البراعم: جمع برعم، وهو الفرع الصغير من ساق النبات تنبت من الأوراق والأزهار.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿ وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ (١٦): «وذكر بعضهم في القرع فوائده، منها سرعة نباته، وتظليل (١) ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة تغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئاً، ومطبوخاً بلبّه، وقشره أيضاً، لذلك اختاره الله تعالى غذاءً ودواءً لسيدنا يونس عليه السلام، والله أعلم، وخصوصاً أنه طارد للذباب والحشرات، فكان حماية له وتسريعاً لشفائه أيضاً، وكان ذلك مهماً جداً بعد أن كان سقيماً (٢) بعد خروجه من بطن الحوت.

وقال ابن قيم الجوزية: «اليقطين بارد رطب، يغذو غذاءً يسيراً، وهو سريع الانحدار، وإن لم يفسد قبل الهضم تولد منه خلط (٣) محمود... وهو لطيف مائي، يغذو غذاءً رطباً بلغمياً، وينفع المحرورين (٤)، ولا يلائم المبرودين، وماؤه يقطع العطش، ويذهب الصداع الحار إذا شرب، أو غسل به الرأس، وهو ملين للبطن... وبالجملة فهو من أطف الأغذية، وأسرعها انفعالاً» [من زاد المعاد].

وهو غني بالسكريات - هذا كلام الأطباء المحدثين - والفيتامينات (أ - ب)، وفيه حديد وكالسيوم، وفيه عناصر فعالة كالقرعنين، وفيه حوامض أمينية كاللوسين، وهو غير مهيج (٥)، وهو هاضم، مسكن، مرطب، ملين، مدر للبول، ويطرد سوائل الزمات (٦) والانصبابات (٧)، مطهر للصدر، والمجاري التنفسية، والمجاري البولية، ويفيد في معالجة البواسير، والإمساك، وانحباس

١. تظليل: مصدر ظلل، أي: لها ظل تحمي من حرارة الشمس ومياه الشتاء.

٢. سقيم: مريض، عليل.

٣. خلط: امتزاج.

٤. المحرورين: الذين أصابتهم حرارة الحر (من الطقس الحار).

٥. مهيج: محرّض مثير للالتهابات في الأنسجة.

٦. الزمات: التورّمات من الصدمات.

٧. الانصبابات: السيلانات، مثل سيلان الدم.

البول، كما يفيدُ في معالجةِ الوَهْنِ<sup>(١)</sup>، وعسرِ الهضمِ، والتهاباتِ الأمعاءِ،  
وفيدُ المصابين بالعللِ القلبيةِ، والأرقِ، ومرضى السكريِّ، وفيدُ في آفاتِ<sup>(٢)</sup>  
المستقيم، والله أعلم.

والقاعدةُ الذهبيةُ تقولُ: «أفضلُ دواءٍ ما كان غذاءً، وأفضلُ غذاءٍ ما كان  
دواءً»، وهذا ما أثبتته الطبُّ الحديث.

---

١. الوَهْنُ: التعب والإرهاق.

٢. آفاتٍ: كل ما يصيب الشيء ويفسده/ أمراض.

## ثانيًا: بعض اعتراضات المشككين بربانية القرآن وتطابقه مع العلم، والردّ عليها<sup>(١)</sup>

تمهيد:

لقد اجتهد خصوم الإسلام لبيان وجود أخطاء علمية في القرآن الكريم، وقد قلبوا كل سورة فيه بحثًا عن معارضات علمية<sup>(٢)</sup>، وقد حاول الملاحدة والكثير من المنصرين والمستشرقين المعارضين - وكذلك بعض العلمانيين العرب - الطعن في قصة القرآن في خلق الكون وترتيب ظهوره وتاريخ ظهور البشرية على الأرض.. كما طعنوا<sup>(٣)</sup> في آيات الدورة المائية في الأرض كما ذكرت في القرآن وزعموا أيضًا بأن بعض آياته يضم أخطاء حسابية، كما قالوا كذلك أن القرآن يضم أخطاء عديدة تخص الخلق والوصف للأحياء (الإنسان والحيوان، والنبات)، كما زعموا أيضًا أن القرآن قد أخطأ في نسبة تفكير الإنسان للقلب إلى ما هناك من الادعاءات الباطلة<sup>(٤)</sup>.. وقد زعم بعضهم أن القرآن قد وافق في بعضه التوراة ليثبتوا أن القرآن مأخوذ منه، وآخرون زعموا أن النبي ﷺ قد أخذ هذا الكلام من قساوسة<sup>(٥)</sup> المسيحيين أو أحبار اليهود! رافضين أن يقرؤوا الآيات القرآنية في سياقها<sup>(٦)</sup> ويفهموا مراجعها؛ وذلك لضعفهم في اللغة العربية في بعض الأحيان، ولعنادهم أو مكابرتهم أو حقدهم على الإسلام في أحيان كثيرة؛ ولذلك فقد جاءت معارضتهم متشنجة<sup>(٧)</sup> في تكلفها وواهية<sup>(٨)</sup> في مضمونها.

١. (مقتبس من الدكتور سامي عامري حفظه الله في كتابه «العلم وحقائقه بين سلامة القرآن وأخطاء التوراة والإنجيل»).

٢. معارضات علمية: اعتراضات علمية.

٣. طعنوا: اعترضوا.

٤. الادعاءات الباطلة: من ادعاء، وهو إظهار شيء على غير حقيقته، أو القول افتراءً وكذبًا.

٥. قساوسة: جمع قس، وهو رجل الدين النصراني/المسيحي.

٦. سياقها: استعمال الكلمات داخل نطاق الجملة.

٧. متشنجة: متعصبة، مرتبكة بفعل حالة عنيفة.

٨. واهية: ضعيفة.

وستتطرق في هذا القسم لبعض هذه الاعتراضات المشهورة والإجابة عليها ودحضها<sup>(١)</sup> علمياً بما لا يدع مجالاً للشك إن شاء الله.

١- الكون:

١- ١ الاعتراض الأول: زوجية الكائنات الحية!

قال القرآن الكريم في سورة الذاريات: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٤٩)</sup>، يقول المعارضون والمشككون: إن تلك دعوى فاسدة<sup>(٢)</sup>، فإن من الكائنات الحية ما ليس لها أنثى.

الجواب:

أولاً: جاء التصريح في القرآن في سورة «يس» بالزوجية<sup>(٣)</sup> في غير عالم النبات: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣٦)</sup>، فالزوجية تشمل كل شي، وذلك يشمل الحجر والماء والتراب والهواء. وهو أمر يدفع الوهم أن المقصود بالزوجية هنا الذكورية والأنوثة حصراً.

وقد فهم علماء الإسلام منذ عصر النبوة، (وما بعده) أن الزوجية هي تقابل الوجهين المتخالفين<sup>(٤)</sup>، وذلك أبعد من حصره في خلاف الذكورة والأنوثة. جاء في (لسان العرب): «والأصل في الزوج الصنف والنوع من كل شيء. وكل شيءين مقترنين<sup>(٥)</sup> شكلين كانا أو نقيضين، فهما زوجان وكل واحد منها زوج».

١. دحضها: أبطلها، ودفعها بالحجة والدليل.

٢. دعوى فاسدة: حجة أو قضية باطلة.

٣. الزوجية: خلاف الفردية، أي الثنائية.

٤. المتخالفين: المتضادين، النقيضين، المتعاكسين.

٥. مقترنين: مرتبطين.

وقال الأصفهاني في كتابه في مفردات ألفاظ القرآن: «يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة: زوج، ولكل قرينين فيها وفي غيرها: زوج، كالحف والنعل<sup>(١)</sup>، ولكل ما يقترب بآخر مماثلاً له أو مضاداً: زوج، قال تعالى في سورة القيامة: ﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾<sup>(٢٩)</sup>، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(٣٥)</sup>، وجمع الزوج أزواج، وقوله تعالى في سورة يس: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْضِ مَنكِهُونَ﴾<sup>(٥٦)</sup>، وفي سورة الصافات: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾<sup>(٢٢)</sup>، أي أقرانهم<sup>(٢)</sup> المقتدين بهم في أفعالهم، وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾<sup>(٨٨)</sup>، أي أشباهها وأقراناً، وقوله تعالى في سورة يس: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣٦)</sup>، وفي سورة الذاريات: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٤١)</sup>، فهذا تنبيه إلى أن الأشياء كلها مركبة من جوهر<sup>(٣)</sup> وعرض<sup>(٤)</sup>، ومادة وصورة، وأن لا شيء يتعدى من تركيب يقتضي كونه مصنوعاً، وأنه لا بد له من صانع تنبيهاً إلى أنه تعالى هو الفرد الصمد، وإن كل ما في العالم (والكون) زوج من حيث أن له ضد، أو مثلاً ما، أو تركيباً ما».

ثانياً: كشف البحث العلمي عن هيمنة الثنائية<sup>(٥)</sup> على الوجود المادي، حتى قال الفيزيائي الشهير فرنر هايزنبرج (وهو عالم ألماني من رواد ميكانيكا الكم وحائز على جائزة نوبل): «تشكل خصائص التناظر<sup>(٦)</sup> دائماً أهم السمات<sup>(٧)</sup>

١. الحفّ والنعل: الحفّ، ما يُلبس في الرجل من جلد رقيق، والنعل هو ما يُلبس في القدم من جلد سميك ليقبها.

٢. أقرانهم: مثيلهم، نظيرهم، شبيههم.

٣. جوهر: حقيقة الشيء وذاته، أصله، ومادته، أساس الشيء.

٤. عرض: اسم لا دوام له، متاع زائل.

٥. الثنائية: ما كان له ركنان أو جزءان أو شقان أو فريقين.

٦. التناظر: خاصية يمكن وصف العديد من الأشياء بها مثل الأجسام الهندسية، والمعادلات الرياضية وغيرها، والتناظر صفة يتصف بها الإنسان، وهي تماثل نقطتين أو شكلين بالنسبة لمستقيم أو لنقطة ثابتة أو لمستوي.

٧. السمات: جمع السمّة، وهي العلامة أو الأثر الذي يدل على شيء خاص به.

الأساسية للنظرية العلمية»، إن خالق الكون هو خالق الطبيعة السيمترية<sup>(١)</sup>.  
وذلك أولاً برهان دقة القرآن، ثانياً هو أعظم الآيات المادية على وجود خالق  
مريد<sup>(٢)</sup> حكيم إذ لا تصنع العشوائية كوناً متناظراً في كل أمره! والله أعلم.

١-٢ الاعتراض الثاني: مدة خلق الكون (سته أم ثمان أيام):

يفهم مما جاء في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾،  
أن خلق السماوات والأرض استغرق ستة أيام، في حين يفهم من سورة فصلت  
أن خلق السماوات والأرض استغرقت ثمانية أيام: ﴿قُلْ أَيَّتَكُم تَكْفُرُونَ بِالَّذِي  
خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۖ أَندَادًا ۗ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ  
فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِأَيَّامٍ مِّمَّا يَكْفُرُونَ ۗ وَاللَّهُ  
وَهُي دُخَانٌ ۖ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِنًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ  
سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ  
تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

قال المشككون والملحدون المعارضون: إن هناك تضارباً في مدة خلق  
الكون وترتيبها، وكذلك أن الأرض خلقت بعد خلق السماء، لا العكس!

الجواب:

تتفق الهيئات العلمية الكبرى على مجموعة من التقارير التي تمثل  
مكاسب عظيمة للعقل العلمي في القرنين الواحد والعشرين أن:  
- مادة الكون بأرضه وسماؤه وجدت في «الانفجار العظيم».  
- سن الكون: ٧, ١٣ بليون سنة، وسن الأرض: ٥, ٤ بليون سنة.  
- تكونت الأرض في المدة الأخيرة من سن الكون.

١. السيمترية: كلمة إنجليزية معربة، ومعناها التناظر أو التطابق، التماثل.

٢. مريد: من الإرادة، وهو من صفات الله تعالى الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

والناظر في كتاب الله بروية<sup>(١)</sup> يجد تطابقاً مذهلاً مع مكتشفات العلم الحديث، ووجه الإذهال<sup>(٢)</sup> فيه أنه موافق بدقة لأدق الدراسات العلمية الأحدث (وأنه مخالف بشدة لما جاء في التوراة والإنجيل).

إن السماوات والأرض قد خلقتا في ستة أيام، في عبارة محكمة، الأيام هنا مدد من الزمن دون حصر، ولا قرينة على أنها أيام من أيام الدنيا.

- أيام الخلق متساوية بصورة تامة، فقد قال تعالى في سورة فصلت:

﴿أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِّلسَّائِلِينَ﴾<sup>(١٠)</sup>، فهي (سواءً)، أي: متساوية زمنًا.

- السماء والأرض وجدتا معًا ثم فتقتا (أي افترتا).

- الأيام الست في القرآن مقسمة على الشكل التالي:

١. خلق الله الأرض في يومين، ومعنى خلق هنا هو إيجاد المادة الأولى ثم - طبخها في الفرن الكوني إذا جاز التعبير - كما جاء في سورة فصلت:

﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١١)</sup>.

٢. تسوية السماوات في يومين، وهذا ليس خلقًا لمادة السماوات، وإنما تشكيلها على صورة سبع سماوات، وذلك دالٌّ أن السماء تسبق الأرض في إحكام البناء، وإن تزامن<sup>(٣)</sup> خلق مادة السماء ومادة الأرض لقوله تعالى في سورة فصلت:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾<sup>(١١)</sup> فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾<sup>(١٢)</sup>.

١. روية: النظرُ والتفكيرُ في الأمور والتمهّل، وهي خلاف البديهة.

٢. الإذهال: الإدهاش والحيرة.

٣. تزامن: اتفقا في الزمن، أي: حدثا في وقت واحد.

٣. فصل الأرض عن السماء، أي الأجرام التي ستعلوها بعد ذلك، لقوله

تعالى في سورة الأنبياء ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

﴿٣٠﴾ بعد انفصال الأرض عن بقية الكواكب، بسطها الله سبحانه،

وثبتها، وذلك في يومين اثنين، وهذا هو سن<sup>(١)</sup> أرضنا، أو قل: (سنها

الجيولوجي). ففي قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ

بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ

فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِأَيَّامِ

﴿١٠﴾. فهذه الأيام الأربعة تتضمن اليومين الأولين لخلق الأرض،

واليومين الآخرين لتثبيت القشرة الأرضية كما هو قول ابن عباس

رضي الله عنه وكثير من المفسرين القدماء والمعاصرين، والقرآن

يميز في غير ما موضع بين (خَلَقَ) و(قَدَّرَ) كقوله تعالى في سورة

الفرقان: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾.

النتيجة: قرآنيًا: السنّ الجيولوجي للأرض يساوي ٦/٢ سنّ الكون، أي

ثلثه ٣/١، والأيام الست المذكورة في القرآن لا تنتهي بخلق الأرض، ولا

بفصلها عن بقية الأجرام، وإنما تنتهي بتهيئة السهول والجبال وأرزاق الأرض

(النبات والحيوانات.. إلخ) لاستقبال آدم عليه السلام، لقوله تعالى في سورة

فصلت: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ

أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِأَيَّامِ ﴿١٠﴾. وإذا قلنا إن آدم عليه السلام قد ظهر على الأرض

منذ عشرات أو مئات آلاف السنين (على خلاف بين المقدرين<sup>(٢)</sup>)، وحذفنا

١. سنّ: عمر.

٢. المقدرين: الذين يقدرون ويتوقعون النتائج، والذين يحسبون بناءً على دراسات معيّنة.

ذلك من سنّ الكون البليوني (٠٠٠, ٧٠٠, ١٣ ألف سنة) فلن تتغير النسبة المذكورة سابقاً لسنّ الأرض من سنّ الكون، وييان فهم ابن عباس رضي الله لآيات الخلق في الجدول التالي:

اليوم ٢١	بين اليوم ٢ و٣: نهاية الثاني (!) أو بداية الثالث (!)	اليوم ٣ و٤	اليوم ٥ و٦
الأرض	خلق السماء (الدخان)	تسوية الدخان سبع سماوات	تهيئة الأرض للحياة

ما قرره ابن عباس رضي الله عنه، هو ظاهر القرآن، غير أن قوله أن الله - سبحانه - قد خلق السماء بعد الأرض، ثم سواها سبع السماوات، ليس صريحاً في الآية، فالقرآن تحدث عن تسوية السماوات في يومين، وليس في هذين اليومين خلقها، والتسوية متأخرة عن الخلق ضرورة، فلزم أن يكون خلق السماوات في اليومين السابقين لليوم الثالث والرابع، أي إن القرآن قد دل على خلق السموات ضمناً في اليومين الأولين بحديثه عن تسويتها سبع سماوات في المرحلة الثانية من الخلق، فالله - سبحانه - استوى إلى السماء الموجودة أصلاً على هيئة دخان في اليوم الثالث، فجعلها على هيئة سبع سماوات في يومين، ولا حجة<sup>(١)</sup> للقول إن السماء قد خلقت في آخر اليومين الأولين من القرآن، إذ ليس في آيات ترتيب الخلق حديث صريح عن مرحلة خلق السماء، فيبقى الأمر على إطلاقه<sup>(٢)</sup>، وهو أن السماء خلقت في يومي خلق الأرض، إلا بقريئة مقبولة، ولا قريئة!

١. حجة: برهان ودليل.

٢. إطلاقه: عمومه من غير استثناء أو تخصيص أو قيود.

## ترتيب الخلق قرآنياً:

اليوم ٢ و ١	اليوم ٤ و ٣	اليوم ٦ و ٥
خلق مادة السماوات والأرض	تسوية الدخان سبع سماوات	تهيئة الأرض للحياة
﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَّهُمَا﴾ (٣٠). [سورة الأنبياء].  ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (٩). [سورة فصلت].	﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (١١)  ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (١٢). [سورة فصلت]	تهيئة الأرض بعد خلق السماء:  ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا﴾ (٢٧)  ﴿رَفَعَ سَعَتَهَا فَسَوَّيْنَاهَا﴾ (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (٣١). [سورة النازعات].  مدة خلق الكرة الأرضية: يومان بعد حذف يومي خلق المادة وطبخها بتكوين العناصر الأساسية من مجموعة الأيام الأربعة. أيام  ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلُونَ لَهُ ۖ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لِيَوْمِ﴾ (١٠). [فصلت: ٩-١٠].

ومن الناحية العلمية، يقدر علماء (ناسا) رسمياً سنّ الكون على أن: ٧, ١٣ بليون سنة ويقدر العلماء سنّ الأرض بـ ٥, ٤ بليون سنة، وبحساب سدس

سنّ الكون، أي يومين من حياته إذا قدرنا أنها ستة أيام، تكون النتيجة بالضبط ٥, ٤ بليون سنة بهذه الدقة وهذا الإعجاز.

سنّ الأرض بالنسبة إلى الكون قرآنيًا	سنّ الأرض بالنسبة إلى الكون علميًا
يومان / ٦ أيام	٥, ٤ بليون سنة / ١٣,٧ بليون سنة
$٦/١ = ٣$	$٣/١$

والأمر الذي يشير إلى هذا التطابق<sup>(١)</sup> بين حقيقة المدة التي قررها القرآن والعلم ليس صدفة، وقد يجوز أن يقال إن الأمر صدفة لو كان القرآن قد اختار القول إن الأرض قد خلقت في يوم واحد، باعتبار أن الأرض شيء واحد، أو أن تكون مدة خلق الأرض ثلاثة أيام، باعتبار أن الكون هو (السموات والأرض) فللسموات نصف مدة الخلق الإجمالية، وللأرض نصف المدة الآخر، وليس في القرآن ذاك!.

### ٢-٣. الاعتراض الثالث: هل تنقص الأرض من أطرافها؟

يقول القرآن الكريم في سورة الأنبياء: ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَمُوزًا وَعَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا<sup>(٢)</sup> مِنْ أَطْرَافِهَا<sup>(٣)</sup> أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ<sup>(٤٤)</sup>﴾، وقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا<sup>(٤١)</sup> وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ<sup>(٤١)</sup>﴾، كيف ينقص الله أطراف الأرض رغم أن الأرض ليست لها أطراف، إذ هي كروية؟

١. التطابق: اتفاق شيئين في الخواص، أو تساوي الشيئين تساويًا تامًا، أو التماثل.

٢. نَنقُصُهَا: نقللها أقل من الطبيعي، أو المعتاد.

٣. أَطْرَافِهَا: نواحيها أو جوانبها.

## الجواب:

أولاً: الأرض لها أطراف، وهذا بدهي! وأطرافها تتماس<sup>(١)</sup> مع البحار والأنهار، فالأرض هنا هي اليابسة. والقرآن استعمل كلمة الأرض بمعنى اليابسة في مواضع كثيرة، ومنها قوله تعالى في سورة النمل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، والسير لا يكون في البحر، وأما استعمال كلمة أرض بمعنى الكرة الأرضية فهذا يأتي غالباً في مقابل السماء أو السماوات، مثال قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: علمياً، أطراف الأرض في تناقص مستمر كما هو معلوم بداهة<sup>(٤)</sup> في الدوائر العلمية اليوم، بسبب غمر<sup>(٥)</sup> الماء لأطراف القارات، كما أن البحار قد تبتلع جزراً بأكملها، كما يهدد ارتفاع مستوى البحر بالتهام مئات المدن الشاطئية<sup>(٤)</sup> في الفترة القريبة القادمة.

ثالثاً: الآية - في الحقيقة كما فسرها المفسرون - لا تتحدث عن نقصان الأرض بمعنى تقلص<sup>(٥)</sup> المساحة اليابسة، وإنما تتحدث عن تقلص مساحة الأرض التي يحكمها أهل الكفر، والله أعلم.

٢-٤. الاعتراض الرابع: والصبح إذا تنفس: هل يتنفس الصبح؟

يقول القرآن الكريم في سورة التكويد: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾<sup>(٧)</sup>.

١. تتماس: تتلامس أو تتلاقى مع بعض.
٢. بداهة: عفوية، أو سرعة خاطر، أو من غير إعمال فكر.
٣. غمر: كثر وعلا، حتى غطى المكان.
٤. الشاطئية: التي تحاذي الشواطئ، أي الساحلية.
٥. تقلص: انقباض، انكماش، عكس تمدد، تقل.
٦. عَسَسَ: أقبل بظلامه.

يقول المعارضون والمشككون: ومعلوم أن الصبح لا يتنفس، وإنما الكائنات الحية هي التي تتنفس!

### الجواب:

أثارت كلمة «تنفس» في سورة التكويد حيرة المفسرين (السلف)؛ إذ لم يجدو لمعنى التنفس في الآية دلالة حقيقية توافق ظاهرة اللفظ، فاختاروا لها معنى يوافق السياق، فقال الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى تنفس الصبح؟ قلت: إذا أقبل الصبح: أقبل بإقباله رَوْحٌ<sup>(١)</sup> ونسيم، فجعل ذلك نفساً على المجاز». وفي عبارته استشكال<sup>(٢)</sup> لظاهر اللفظ؛ ولذلك نَقَلَ الكلام إلى المجاز.

والقاعدة في تفسير الكلام العربي حملُ اللفظ على ظاهره ما أمكن ذلك، عملاً بقاعدة (الأصل في الكلام الحقيقة)، ولكن ذلك متعذر في ضوء ثقافة العصر - عند نزول القرآن - قال ابن عاشور: «والتنفس حقيقة خروج الضياء بخروج النفس على الطريقة المصرحة<sup>(٣)</sup>، أو لأنه إذا بدأ الصباح أقبل معه نسيم فَجَعَلَ ذلك كالتنفس له على طريقة الكيفية بتشبيهه الصبح بذي نَفْسٍ<sup>(٤)</sup> مع تشبيهه النسيم بالأنفاس».

ونحن اليوم بإمكاننا - علمياً - أن نحمل كلمة (تَنَفَّسَ) على ظاهرها، تقول د. هدى العباد (أستاذ الجغرافيا المساعد بكلية الآداب بالرياض): «في هذه الآية يَبَيِّنُ الحق تعالى أن الصبح يتنفس مع بداية ظهور الشمس في الأفق، فكان للصبح رئة كبيرة تتنفس عن طريق إدخال الهواء الغني بالأكسجين (عملية الشهيق)، حيث تقوم الرئة بامتصاص الأوكسجين وطرح ثاني أكسيد

١. رَوْحٌ: استراحة وطمأنينة، ورحمة طيبة.

٢. استشكال: التباسٌ في الفهم.

٣. المصرحة: المعلنة التي تدل عليها.

٤. ذي نَفْسٍ: أي من له حياة يتنفس.

الكربون عن طريق (عملية الزفير)، ولكي تستمر الحياة على سطح الكرة الأرضية لا بد أن تستمر هذه العملية الفسيولوجية».

وأقسم الله تعالى بالصبح مما يدل على عظمة وقت الصباح، كما أن الموارد<sup>(١)</sup> اللازمة لعملية التنفس لا توجد في الهواء إلا خلال هذا الوقت، مما يدل على حكمة الخالق سبحانه وعظيم شأنه.

وتتنفس الكائنات الحية طوال الليل والنهار، سواء في اليقظة أو المنام، وهي عملية لازمة لاستمرار حياة الكائن الحي، أما كيف تتم عملية تنفس الصبح؟ فلا بد أن نشير إلى أن ثمة تغيرات كبيرة تحدث بين هواء الليل والنهار، سواء في درجة الحرارة أو الضغط الجوي للهواء أو حركة الهواء الرأسية أو الأفقية على سطح الأرض.

فالنهار عندما يتنفس فإنه يتنفس مكونات الهواء الذي يطلق عليه الغلاف الجوي أو الهوائي الذي يحيط بالكرة الأرضية من جميع الجهات.

وفي أثناء النهار وبعد شروق الشمس ترسل أشعتها التي تتعرض أثناء مرورها في الغلاف الجوي للأرض لعدة عمليات قبل أن تصل إلى سطح الأرض، وهذه العمليات تتمثل في عملية الامتصاص<sup>(٢)</sup>، والتشتت<sup>(٣)</sup> والانعكاس<sup>(٤)</sup> من قبل مكونات الغلاف الجوي، ويفقد عند نزوله جزءاً كبير يصل إلى ٣٤٪ من الإشعاع الشمسي ولا يسقط إلا ٦٦٪ من جملة الإشعاع الشمسي الساقط على الأرض.

وحيث إن الأرض تمتص الإشعاع الشمسي وتحوله إلى حرارة، فإن سطح الأرض يعد في حد ذاته جسمًا مُشعًا، فتنتقل الحرارة من سطح الأرض إلى

١. الموارد: المصادر، المقصود الأوكسجين بنسب كبيرة.

٢. الامتصاص: الابتلاع.

٣. التشتت: التفرق.

٤. الانعكاس: تغيير الاتجاه والارتداد نتيجة الوقوع على سطح ذي خواص مُعيّنة.

الهواء الملامس لسطح الأرض عن طريق عملية التوصيل الحراري، فيسخن الهواء ويتمدد، ويتكون عليه ضغط منخفض، فترتفع تيارات هوائية إلى أعلى، وتعرف هذه العملية باسم التيارات الحرارية الصاعدة، أو تيارات الحمل.

وهنا نشير إلى الإعجاز العلمي، حيث يحدث في بداية ظهور الشمس في الأفق، وهو ما يسمى بالصبح أو الصباح أو النهار كما ورد في تفسير المفسرين وآرائهم حول عملية تنفس الصبح، فالصبح عندما يتنفس (الشهيق) فإنه يتنفس الهواء البارد الهابط النقي، ويدفع (الزفير) بالهواء الدافئ الملوث<sup>(١)</sup> نتيجة لاستقراره طوال الليل قريباً من سطح الأرض وما يحمله من ثاني أكسيد الكربون الناتج عن عمليات تنفس الكائنات الحية على وجه العموم.

وهذا ما يحدث تماماً في عملية تنفس الكائنات الحية؛ لأن الهواء الذي يدخل عن طريق عملية الشهيق يكون بارداً نسبياً، والهواء الخارج عن طريق عملية الزفير يكون هواءً حاراً اكتسب حرارته من الجسم، هذا الهواء عندما يخرج يتمدد ويرتفع إلى أعلى ثم يهبط بارداً ثقيلاً، وهكذا دواليك<sup>(٢)</sup>.

وكما أن عملية التنفس الفسيولوجية لازمة لاستمرار حياة الكائنات الحية على وجه الأرض، فإن عملية تنفس الصبح أيضاً ضرورية لاستمرار حياة هذه الكائنات الحية؛ لأنها تسحب الهواء النقي البارد إلى سطح الأرض، وتدفع بالهواء الملوث الدافئ إلى أعلى وتشره وتفرقه على مساحات واسعة.

وقد جاء مثل هذا التفسير في مقال في موقع National Geographic الشهير بعنوان (للأرض رئات، انظر إليها وهي تتنفس) والله أعلم.

١. الملوث: الملطخ والمتسخ بالغازات وثنائي أكسيد الكربون والمحروقات وما شابه.

٢. دواليك: بعضها في إثر بعض، أي مداولة أو مثل هلم جراً.

## ١-٥. الاعتراض الخامس: كيف يوجد جبال من برد في السحب؟:

يقول المعترضون: إن القرآن يزعم ووجود جبال في السماء من برد<sup>(١)</sup> في السحب كما ورد في سورة النور: ﴿الْمُرْتَانَ اللَّهُ يُزْجِي<sup>(٢)</sup> سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ<sup>(٣)</sup> ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ<sup>(٤)</sup> يُخْرَجُ مِنْ خَلَلِهِ وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا<sup>(٥)</sup> بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ<sup>(٦)</sup>﴾.

### الجواب:

أولاً: اختلف المفسرون قديماً في إعراب الآية، قال ابن كثير: قوله: (وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) قال بعض النحاة<sup>(٦)</sup> (من) الأولى: لا ابتداء الغاية، والثانية: للتبويض، والثالثة: لبيان الجنس، وهذا إنما يجيء على قول من ذهب من المفسرين إلى أن قوله (مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) ومعناه: أن في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد. وأما (من) جعل الجبال ههنا عبارة عن السحاب فإن (من) الثانية عند هذا لا ابتداء الغاية أيضاً، لكنها بدل من الأولى. فالآية أصلاً تخبر أن نزول المطر يسير ضمن منظومة قوانين طبيعية بوصف دقيق لا يشاهد من الأرض، وهذا بحد ذاته سبق علمي للقرآن. وتحتمل معنى أنها الجبال، كما تحتمل أن يكون البرد هو الموصوف بانه على صفة الجبال، وعلى وصف السحب أنها جبال تنتقض الشبهة<sup>(٧)</sup>.

علمًا أن سياق الآية يرجح وصف «السحب» أنها جبال لا البرد؛ إذ الآية في أولها مخبرة أن السحب تتجمع ثم تتراكم، فكان وصف الجبال

١. برد: ماء جامد ينزل من السحاب قطعاً صغيرة.

٢. يُزْجِي: يجري ويسوق برفق.

٣. يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ: يجمع أجزاءه وقطعه.

٤. الْوَدْقُ: المطر، شديده وضعيفه.

٥. سَنَا: ضوء ساطع يُبهر الأبصار.

٦. النحاة: علماء النحو في اللغة العربية.

٧. تنتقض الشبهة: تحلل ويتنفي الالتباس أو الغموض والشك.

في آخر الآية أولى بها؛ لأن تراكمها سبب تضخيم حجمها. كما أن العلم اليوم يشهد أن البرد الذي تخبر عن نزوله من هذه السحب لا ينزل إلا من السحب الركامية وبقية أنواع السحب الحملية (convective cloud) التي قد يبلغ ارتفاعها ١٨ كلم؛ إذ إن تشكل البرد يتطلب سحباً مرتفعاً في تكوينه، وذاك من دقة الوصف القرآني مما لم يرد له خبره في أسفار أهل الكتاب.

وصف البرد أنه «جبل» ليس خطأً علمياً ضرورة؛ إذ يسوغ<sup>(١)</sup> أن يكون الحديث هنا عن مقدار حجم الجبال، فالبرد كثيرٌ عدداً، في مجموعة حجم الجبال، قال البغوي (المتوفي ٥١٦ هـ.): «قيل: معناه: وينزل من السماء من جبال، أي مقدار جبال في الكثرة من البرد و (من جبال) صلة، أي: وينزل من السماء جبلاً من برد» والله أعلم.

#### ١-٦ الاعتراض السادس: إغفال القرآن عن تبخر الماء قبل ارتداده للأرض

قال د. وليام كامبل (في مناظرته للداعية ذاكر نايك - وهو داعية إسلامي هندي معروف في القرن العشرين والواحد والعشرين-) : لقد أخطأ القرآن بصورة واضحة في حديثه عن الدورة المائية؛ إذ أغفل<sup>(٢)</sup> أهمّ مراحلها، وهي تبخر الماء قبل ارتداده بعد ذلك مطراً، على خلاف الكتاب المقدس الذي ذكر هذا الأمر من قبل، وهو ما يثبت إعجازه في مقابل خطأ النص القرآني!

#### الجواب:

أولاً: لو استعملنا حجة: (النقص في تعريف الظاهرة الطبيعية، هو بالضرورة خطأ علمي في توصيفها)، لتضاعفت الأخطاء العلمية في التوراة

١. يسوغ: يجوز أو يبيح أو يتدع له أسباب مرضية، وقد تكون غير صحيحة.

٢. أغفل: ترك إهمالاً من غير نسيان.

والإنجيل مرات كثيرة، وبما أن القرآن ليس كتاباً في تفصيل<sup>(١)</sup> الظواهر<sup>(٢)</sup>، ولذلك لا ينكر عليه أنها لا يجمع كل تفاصيلها إلا أن يقتضي السياق ذلك.

أما في هذا الأمر فقد أوما<sup>(٣)</sup> القرآن إلى قضية تبخر الماء وعودته إلى الأرض مطراً في قوله تعالى في سورة الطارق: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝۱۱ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعِقِ ۝۱۲﴾. وقد روى الطبري عن ابن عباس قوله في تفسير قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: أي: السحاب فيه المطر، فالسماء تُرجع ما يرد إليها من الأرض، وهو الماء القادم في شكل بخار، والله أعلم.

١-٧ الاعتراض السابع: كيف يخرج اللؤلؤ من الأنهار:

حيث يقول القرآن في سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝۱۹ بَيْنَهُمَا بَرْحٌ لَا يَعْنِيَانِ ۝۲۰ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا كُذِّبَانِ ۝۲۱ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۝۲۲﴾. ويقول أيضاً في سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ تَلْبَنُغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝۱۲﴾.

قد يفهم من الآيات السابقة أن الحلبي<sup>(٤)</sup> يستخرج من المياه العذبة كما البحار المالحة، وتلك دعوى باطلة، فإن الحلبي - كما هو معلوم - لا يعرف في المياه العذبة. وهو ما تسبب في حيرة عدد من المفسرين. وقد اعترف الرازي في تفسيره أن اللؤلؤ لا يعرف أنه يخرج من الأنهار، وزعم أن عدم العلم بوجوده هناك سببه أن الغواصين لم يسبروا<sup>(٥)</sup> كامل قاع الأنهار. وكشف الطبري قبله

١. تفصيل: جميع أجزاءه، أو ما يحيط به، أو داخله.

٢. الظواهر: ما يبدو من الأشياء في خارجها.

٣. أوماً: أشار إليه.

٤. الحلبي: ما يتزين به من المصوغات أو الأحجار الثمينة.

٥. يسبروا: يتعرفوا على أعماقه.

الخرج<sup>(١)</sup> الذي أصاب بعض المفسرين، فقال: «وقد زعم بعض أهل العربية أن اللؤلؤ والمرجان يخرج من أحد البحرين، ولكن قيل: يخرج منهما».

## الجواب:

تعرض الباحث المعروف د. إبراهيم عوض (وهو أديب عربي ومفكر مصري درس في أكسفورد، أستاذ النقد الأدبي في جامعة عين شمس، وله مؤلفات نقدية عالمية حول الإسلام والأدب وغيرها)، إلى تجربته مع طائف<sup>(٢)</sup> شك في دقة النص القرآني في قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا...﴾<sup>(٣)</sup>، فقال: «ما أكثر ما قرأت هذه الآية، ولكن لم ألتفت إلى ما تنبته إليه وأفزعني منذ فترة ليست بالبعيدة، وهو ما تؤكد الآية، من أن الحلبي تُسْتَخْرَجُ من النهر والبحر كليهما؛ إذ إن الذي كنت أعرفه حتى ذلك الوقت هو أن اللؤلؤ والمرجان المذكورين في آية مشابهة في سورة (الرحمن) لا يوجدان إلا في البحار».

فقد جاء في ترجمة عبد الله يوسف علي<sup>(٣)</sup> لمعاني القرآن يذكر المترجم رحمه الله (تعليقه على هذه الآية في الهامش) من الحلبي البحري اللؤلؤ والمرجان ومن الحلبي النهري العقيق<sup>(٤)</sup> وبرادة الذهب<sup>(٥)</sup> وغيرهما. وتقول دائرة المعارف البريطانية: إن اللؤلؤ يوجد أيضًا في المياه العذبة. أما اللؤلؤ فإنه - كما يستخرج من أنواع معينة من البحر - يستخرج أيضًا من أنواع معينة أخرى من الأنهار، فتوجد اللآلئ في المياه العذبة في إنجلترا وإسكتلندا

١. الخرج: التردد مع الخوف أو الشك أو الضيق.

٢. طائف: شيء ألم بأو وسوسة أو وهم أو هم.

٣. عبد الله يوسف علي: وهو محامي إنجليزي من أصل هندي، بدأ الترجمة سنة ١٩٣٤م، وهي الأكثر شهرة وطباعة بين ترجمات معاني القرآن للغة الإنجليزية.

٤. العقيق: من الأحجار الكريمة ذو لون أحمر مع رائحة المسك العتيق.

٥. برادة الذهب: فئات الذهب وأجزاؤه الصغيرة.

وويلز وتشكوسلوفاكيا واليابان.. إلخ. بالإضافة إلى مصائد اللؤلؤ البحرية المشهورة، ويدخل في ذلك ما تحمله المياه العذبة من المعادن العالية الصلادة<sup>(١)</sup> كالماس الذي يستخرج من رواسب الأنهار الجافة المعروفة باليرقة. ويوجد كذلك الياقوت في الرواسب النهرية في موجوك بالقرب من باندالاس في بورما العليا. أما في سيام وفي سيلان فيوجد الياقوت غالبًا في الرواسب<sup>(٢)</sup> النهرية. ومن الأحجار شبه الكريمة التي تستعمل في الزينة حجر التوباز ويوجد في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة منتشرة في البرازيل وروسيا (الأورال وسيبيريا).

ومن هذه الآية بالذات أصبحنا نعرف كيف أن القرآن قبل أربعة عشر قرنًا قد أشار إلى حقيقة لم تكتشف إلا في العصور الحديثة، والله أعلم.

---

١. الصلادة: مقاومة مادة صلبة.

٢. الرواسب: الأتربة المترسبة أو البقايا في قعر النهر أو البحر.

## ٢. عالم الأحياء:

٢-أ- أ. الإنسان:

٢-أ-١ الاعتراض الأول: هل مدة الحمل تسعة أشهر أم ستة أشهر؟

مدة الحمل في القرآن الكريم ستة أشهر لا تسعة أشهر، ودليل ذلك أن القرآن يقول في سورة البقرة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ<sup>(١)</sup> كَامِلَيْنِ<sup>(٢)</sup>﴾، ويقول أيضًا في سورة الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا<sup>(٣)</sup> وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ<sup>(٤)</sup> ثَلَاثُونَ شَهْرًا<sup>(٥)</sup>﴾، وإذا حذفنا (٢٤) شهرًا (حولين، أي: عامين كاملين) من (٣٠) شهرًا بقيت لنا ستة أشهر هي مدة الحمل الممكنة.

### الجواب:

النظر في إيماء<sup>(٤)</sup> القرآن إلى مدة الحمل أنها ستة أشهر دال على الدقة العلمية في خبر هذا الكتاب، وهذا أمر ليس من اكتشافات عصرنا، وإنما كشفه ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى عبد الرزاق - بسنده - عن عبد الرحمن ابن عوف قال: رُفعت امرأة إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه ولدت لسته أشهر، فقال عثمان: إنها قد رفعت إلي امرأة ما أراها إلا جاءت بِشَرٍّ، فقال ابن عباس: إذا كملت الرضاعة كان الحمل ستة أشهر، وقرأ ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ فدرأ<sup>(٥)</sup> عنها سيدنا عثمان (أي: تركها).

يشير القرآن -إذن- إلى الحد الأدنى للحمل حتى يولد الطفل ويعيش في كل عصر، وليس فقط في زمن حاضنات المواليد المتطورة، وهو أمر ثابت

١. حَوْلَيْنِ: سنتين.

٢. كُرْهًا: مُكْرَهَةٌ أو مُجْبَرَةٌ.

٣. فِصَالُهُ: فطامه، أي لم يعد الطفل يرضع من أمه.

٤. إِيْمَاءُ: إشارة أو لفت نظر.

٥. درأ: دفع.

علمياً وحديثاً، وإن أنكره اليهود قديماً.

وقد يستغرب القارئ اليوم هذا التقرير القرآني، ولا يرفع هذا الاستغراب غير العلم بالبيئة القرآنية التي كان اليهود وغيرهم يقررون فيها أن الوليد الذي يولد في شهره السابع لا بد أن يموت ولا أمل في حياته، فجاء القرآن فنقض<sup>(١)</sup> هذه الدعوى.

يقول الباحث صموئيل كوتك - وهو طبيب فرنسي يهودي، وأستاذ الطب في الجامعة العبرية في القدس - في مقاله «علم الأجنة في الأدبيات التلمودية والمدراشية»: «لنفكر في مشكلة طفل سنه ثمانية أشهر، وهي حالة مثيرة للجدل في علم الأجنة القديم. كان مؤلف البحث الأبراطي المختصر عن الطفل ذي السبعة أشهر مقتنعاً أن الطفل المولود قبل فترة ثمانية أشهر - لا يمكن أن ينجو بالتأكيد - كانت هذه الفكرة مقبولة على نطاق واسع في العصور القديمة، وحكماء التلمود عبروا عنها عدة مرات» - وهذا مناقض للعلم الحديث -.

وقد تسأل عن أهمية هذه الإيماءة القرآنية، وجواب ذلك أن المرأة الزانية عقوبتها لزنائها الموت رجماً، وفي الآية رفع للشبهة عمّن تضع وليدها بعد ستة أشهر من زواجها، ولولا هذا الحكم لبقى الناس على العرف، ولوقعت من تضع وليدها حياً في هذه المدة تحت حكم الحد الشرعي.

وما قرره القرآن هو الذي انتهى إليه القانون الأمريكي، فقد جاء في الفصل (١٨١) من (القانون المدني) المعتمد على علم الأجنة لولاية لويزيانا الأمريكية: «الطفل القادر على الحياة والذي ولد قبل ١٨٠ يوم (ستة أشهر) بعد الزواج لا يعتبر ابناً للزواج، وكل طفل ولد حياً بعد ستة أشهر بعد الحمل، يفترض أنه قادر على الحياة».

١. نقض: أبطل، ألغى.

إِذَنْ، إن العلم يوافق اليوم التقرير القرآني، ويرفع بذلك الشبهة عن النساء اللواتي يلدن أبناءً بعد ستة أشهر من الزواج، إذ ثبت لهن النسب<sup>(١)</sup>، (على خلاف التلمود الذي يجعلهن محل ريبة<sup>(٢)</sup>)، والمدة الأدنى المشار إليها في الآية أغلبية عامة، ويعني ذلك أنه يجوز أن يتطور العلم فيعيش بعض المواليد الذين ولدوا قبل الستة أشهر أيضاً، والله أعلم.

فالآية إذن ترد على مَنْ جعلوا ميلاد الوليد بعد ستة أشهر من الحمل علامة مؤكدة على أنه لن يعيش، والشرع لا يعتبر الشذوذات<sup>(٣)</sup> في الظروف الطبيعية، وإنما يقيم الحكم على العام في كل عصر؛ ولذلك أوماً إلى المدة الأدنى في العادة رفعاً لشبهة الزنى عن الوالدات إن أنجبن في ستة أشهر وليداً قادراً على العيش، (خاصة أن عقوبة المتزوجة الزانية القتل رجماً).

٢-أ-٢ الاعتراض الثاني: هل يفكر القلب؟

قال الله تعالى في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ۗ﴾<sup>(٤)</sup>.

يقول المشككون: إن العلم أثبت أن العقل الذي في الدماغ هو الذي يفكر؛ فينبعث العقل والإدراك.

الجواب:

أولاً: نسب القرآن الكريم إلى الدماغ اتخاذ القرار، لقوله تعالى في سورة العلق: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْهَنِي لَسَفَعًا ۖ (٤) بِالنَّاصِيَةِ (٥) نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (٦)﴾، فالناصية

١. النسب: الأصول التي ينحدر منها الولد، كالأب والجد وأبي الجد إلى ما هنالك.

٢. ريبة: ظنّ وشك.

٣. الشذوذات: من الشذوذ، أي مخالفة، أو ابتعاد عن الوضع الطبيعي، أو عن القاعدة، أو النظام الشائع.

٤. لَسَفَعًا: نضرب أو نلطم.

٥. النَّاصِيَةِ: مقدم الرأس.

كاذبة لأنها تصدر القرارات، وفيها يقع الفص الجبهي (frontal lobe) الموجود وراء العظم الجبهي (frontal bone) المسؤول عن القرارات، وذلك برهان أن القرآن الكريم لا يقصّر التفكير على القلب، وإنما يجعله مشتركاً بين القلب والدماغ.

ثانياً: أثبت العلم أن القلب ليس مجرد عضلة ومضخة دم، وإنما هو دماغ صغير يشارك في التأثير على قناعات الإنسان ومشاعره، وعلى هذا الأمر شواهد<sup>(١)</sup> مادية كثيرة ومباشرة، أهمها: ظاهرة انتقال الطباع الشخصية والميول الفكرية والنفسية إلى من تنقل إليهم قلوب المتبرعين، وقد تناولت الأحاديث العلمية قصة رجل متدين نقل إليه قلب شخص مات منتحراً، وانتهى به الأمر بعد أن تعرف على زوجة المنتحر أن تزوجها، ثم انتحر بطريقة المتبرع نفسها بعدما صار ملحدًا! أو قصة المرأة التي نقل إليها قلب شاب، وبعد العملية الجراحية تحولت عاداتها اليومية بصورة كبيرة، فأصبحت تحب شرب البيرة التي لم تكن تشربها، وتميل إلى حب النساء، ثم بدأت ترى أحلاماً فيها شاب اسمه (تيم) فأحبهته، وشعرت أنها ستكون معه إلى الأبد، ولما بحثت عن اسم المتبرع اكتشفت أن اسمه تيم، وقد نُشِرت قصتها في كتاب باسم (تحول قلب: مذكرات لكثير سيلفا).

وقد اهتم د. إندروج. أرمور -مؤسس علم الأعصاب القلبية- بتتبع الأعمال الوظيفية للقلب، وانتهى إلى تسمية القلب (بالعقل الصغير)؛ إذ إنه يضم شبكة عصبية كتلك التي في الدماغ ومن نفس جنسها، ويقوم بعامة الوظائف التي يقوم بها الدماغ، وهو ما أكده عالم النفس الأمريكي بول بيرسال في كتابه: (The heart's code: Tapping the wisdom and power of our heart energy)، بتأكيد أن القلب عضو يفكر ويتفاعل<sup>(٢)</sup> شعورياً،

١. شواهد: جمع شاهد، أي ما رآه وعينه، أو وجود دليل أو برهان.

٢. يتفاعل: يتأثر، فيُدفع إلى تصرف ما.

ويتذكر، ويتواصل مع بقية أعضاء البدن، وذكر في الكتاب قصص من نقلت إليهم قلوب من أشخاص آخرين، فتغير تفكيرهم وعاداتهم.

وتقول الباحثة في علم النفس دبوره روزمان في مقال بعنوان: (دع قلبك يتحدث إلى دماغك): «من الرائع حقاً أن القلب يحتوي على دماغ صغير في حد ذاته، نعم، إن قلب الإنسان -بالإضافة إلى وظائفه الأخرى- يمتلك في الواقع دماغ قلب يتكون من حوالى (٤٠٠٠٠) عصبون، يمكنه الإحساس والشعور والتعلم والتذكر، يرسل دماغ القلب رسائل إلى دماغ الرأس حول مشاعر الجسم وغير ذلك من الأمور، وعندما سمعت لأول مرة عن هذا البحث العلمي، كان الأمر بديهيّاً، ثم شعرت لفترة طويلة أن القلب لديه طريقة غامضة في معرفته، حتى تسعينيات القرن الماضي، افترض العلماء أن الدماغ هو الذي يرسل المعلومات إلى القلب ويصدر إليه الأوامر، وَتَعَلَّمْ معظمنا ذلك، ولكننا نعرف الآن أن الأمر يسير في كلا الاتجاهين، في الواقع، الجهاز العصبي الجوهري<sup>(١)</sup> المعقد في القلب، وهو دماغ القلب، عبارة عن شبكة معقدة تتألف من عدة أنواع من مثل الخلايا الموجودة في الدماغ، كما أظهرت الأبحاث أن القلب يتصل بالدماغ بعدة طرق رئيسة، ويعمل بشكل مستقل عن الدماغ الذي في الجمجمة» سبحان الله العظيم، والله أعلم.

٢-٣ الاعتراض الثالث: المنى من الصلب والترائب:

يقول القرآن عن الإنسان في سورة الطارق: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ الترائب: الأضلاع.

يقول المشككون: وذاك يعني أن منى الرجل موجود بين الصلب والترائب، وهي دعوى بطلاة!

١. الجوهري: الرئيس.

## الجواب:

الآية لا تتعلق لها بالمنى، وإنما هي تتحدث عن الإنسان مُذ يكون جنينًا، وعلى ذلك أدلة:

أولاً: لعل الأظهر أن الضمير للإنسان، والمقصود هو إعادة بعث الإنسان يوم القيامة، كما هو دأب القرآن في تكرار هذا المعنى، وبيان أن الإنسان ضعيف، لا ناصر له عند الحساب. قال المفسر ابن عطية (متوفى ٥٤١هـ. / ١١٤٦م) في «تفسير الكتاب العزيز»: «والضمير في (يخرج) يحتمل أن يكون للإنسان، ويحتمل أن يكون للماء»، وقال القرطبي (متوفى ٦٧١هـ): «مَنْ جعل المنى يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة في (يخرج) هو للماء، وَمَنْ جعله من بين صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للإنسان».

وسياق الكلام كله عن الإنسان وليس عن المنى، ولننظر سويًا إلى آيات القرآن الكريم في سورة الطارق:

- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾.
- ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٦﴾.
- ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧﴾.
- ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨﴾.
- ﴿يَوْمَ بَدَأَ السَّرَائِرُ ٩﴾.
- ﴿فَأَلَّهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ١٠﴾.

ثانيًا: القول إن القرآن يتحدث عن المنى في كل الآيات السابقة يعني أن الله سبحانه سيبعث المنى ليحاسب، لا الإنسان ذاته! وهذا غير معقول.

ثالثاً: الآية تتحدث عن شيء خرج (من بين) الصلب والترائب، لا (من) الصلب والترائب، والجنين يخرج من بين عظام الصلب والترائب، أي: من بين أضلاع الصدر. والله أعلم.

٢- أ- ٤ الاعتراض الرابع: هل أخطأ القرآن في حساب الميراث:

جاء تفصيل فروض الورثة في القرآن الكريم، لكننا نجد أنفسنا في أحيان أمام حالات لو جمعنا فيها فروض الورثة، فستكون أكبر من مجموع الميراث.

مثال:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ (١٢) (النساء)	الزوج له النصف
﴿إِنْ كَانَتَا أُمَّتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ (١٣) (النساء)	الأختان الشقيقتان لهما الثلثان

ويجمع النصف والثلثين: ٣ أسداس + ٤ أسداس = ٧ أسداس، وهذا يعني أن الميراث الذي سيقسم أقل من الفروض<sup>(١)</sup> التي حددها الشرع.

الجواب:

تسمى هذه المسألة أو المسائل بـ (العَوْل) (لغة هي الزيادة)، وهي (زيادة في السهام<sup>(٢)</sup>) ونقصان في الأنصاء<sup>(٣)</sup>) أي: زيادة فروض الورثة على التركة<sup>(٤)</sup>، وبيان حقيقة الأمر يقتضي بيان مسألتين، (١) طرق حلها علمياً، (٢) بيان أنها لا تدل على وقوع الغلط أو السهو في النص في أحكام الميراث.

تقسيم الميراث عند زيادة الفروض على التركة، في هذا الحال ينقص من نصيب كل وارث بما يوافق معدل نصيبه من الميراث، أو بعبارة أخرى: تقسم التركة على الورثة بالحصص، بتقليل حصص أصحاب الفروض بنسبة فروضهم. (وهو ما أفتى به الصحابة لسيدنا عمر رضي الله عنه لما عرضت له حادثة من هذا النوع).

١. الفروض: جمع فرض، ما أوجبه الشرع للورثة من أنصبة مقدرة في القرآن.

٢. السهام: الحصص.

٣. الأنصاء: الأصول، جملة الورثة أو التركة.

٤. التركة: الميراث.

مثال:

لو ترك الوارث ١٠٠ دينار (التَّرَكَة)، بما أن المجموع ٧ أسداس تقسم  
التركة على ٧ وتوزع لكل وارث حسب نصيبه على أساس السداسي.

يأخذ الزوج:  $100 \times (6 \div 3) \times (7 \div 6) = 42,857$  دينار

تأخذ الشقيقتان:  $100 \times (6 \div 4) \times (7 \div 6) = 57,143$  دينار

المجموع ١٠٠ دينار

أي: تأخذ كل شقيقة  $100 = (6 \div 2) \times (7 \div 6) = 28,57$  دينار

ولكن قد يقول معترض: هذا الفعل ليس سوى حل بشري للخروج من  
مشكلة تعارض تقسيم القرآن للأنصبة بصورة تستوعبها كاملة، مع وجود  
حالات تتجاوز الأنصبة<sup>(١)</sup> مجموع الميراث!

وجواب ذلك: أنه ليس في القرآن ما يدل أنه قد وضع أنصبة الورثة بما  
يستوعب بصورة مباشرة كامل الميراث، بل إنه سبحانه وتعالى بيّن الفروض  
المقدّرة<sup>(٢)</sup>، ولم يقل إنه يجب أن تساوي الواحد الصحيح ولا تزيد عليه  
ولا تنقص.

ولم يبين القرآن كل الحالات التي توجب الورث، بل وضع الأحكام  
والقوانين العامة للميراث، وقد ترك التفصيل الكلي لكل حالة على حدة  
لاجتهاد العلماء ضمن القاعدة الشرعية «لا ضرر ولا ضرار<sup>(٣)</sup>»، وكذلك  
«الغنم بالغرم<sup>(٤)</sup>».

١. الأنصبة: النسب من التركة حسب ما قرره الشرع في القرآن.

٢. الفروض المقدّرة: الأنصبة المقدّرة للوارثين شرعاً.

٣. لا ضرر ولا ضرار: قاعدة: النهي عن الإضرار بالناس ابتداءً أو بسبب ما وقع منهم من ضرر.

٤. الغنم بالغرم: أي: إن التكاليف والخسارة التي تحصل من الشيء تكون على من ينتفع به شرعاً، أي من  
ينال نفع شيء، يجب أن يتحمّل ضرره.

وهناك حالات يُعطى فيها الوارث زيادة على نصيبه (وتسمى هذه الحالة بالرد)، فمثلاً في إحدى الحالات البنت ترث النصف بدليل قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ (١١)، فهي تأخذ النصف فرضاً والباقي ردّاً (والرد هو نقص الفروض عن التركة وهو عكس العول)، فإنه يحصل الردُّ في حال:

١. وجود صاحب فرض.

٢. عدم وجود عاصب<sup>(١)</sup>.

٣. بقاء فائض من التركة.

ومن يقرأ نصوص القرآن والسنة الشريفة في الميراث يدرك أنها تركت الباب مفتوحاً لأن تبقى في الميراث زيادة، والزيادة لا تذهب هدرًا، فلا بد أن يمنح الميراث إلى منتفعين<sup>(٢)</sup> بالعدل، والقول في نقص الميراث كالقول في زيادته، أي: نقصاً من الكل بنفس النسبة.

فالقول بالخطأ الحسابي لا يقوم إلا بصريح نص أن أنصبة الورثة التي صرح بها القرآن تستوعب في كل حال بطريقة مباشرة كامل الميراث «بالعدل» دون زيادة أو نقصان -على حساب الآخر-، بالرغم من أن بعض ظاهر النصوص على خلاف ذلك؛ لأن هناك آيات أخرى تحكم موضوع العدل في القسمة للميراث: كقوله تعالى في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (٢٥)، وفي سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨)، وفي سورة النساء أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ

١. عاصب: وارث ليس له نصيب مقدّر من التركة، وهم من قرابة الرجل لابنه.

٢. منتفعين: الذين له منفعة أو حقوق أوجبها الشرع.

وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا<sup>(١)</sup> أَوْ تُعْرَضُوا<sup>(٢)</sup> فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا<sup>(٣٥)</sup> ، وفي سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ<sup>(٣٦)</sup>﴾ ، والله أعلم.

## ب. الحيوان:

٢-ب-١. الاعتراض الأول: هل الدواب أمم أمثالكم (أي بني بشر):

يقول القرآن الكريم في سورة الأنعام: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُشْرِكُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ<sup>(٣٨)</sup>﴾ ، يقول المشككون والملحدون: الجميع يعلم أن من الحيوانات اليوم ما تعيش أفراده منفردة، وقد اعترض د. وليام كامبل (المنصر الأمريكي) على الآية بنموذج العنكبوت الأنتى التي تقتل ذكورها بعد التلقيح.

## الجواب:

سياق الآية ليس فيه شيء من الدلالة على أن المعنى هو أن الدواب والطيور تعيش مجتمعة كما هو حال البشر، وليس في سياق الآية ولا لحاقها<sup>(٣)</sup> ما هو متعلق بذلك المعنى؛ ولذلك كانت عامة أقوال المفسرين بعيدة كلياً عن المعنى الذي يستنكره المشككون هنا، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ<sup>(٣٦)</sup> وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(٣٧)</sup> وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُشْرِكُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ<sup>(٣٨)</sup> وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلِّهِ

١. تَلَّوْا: تنحرفوا عن جادة الصواب في الشهادة.

٢. تُعْرَضُوا: قميلوا عن، أو تنكروا، أو تتجاهلوا.

٣. لحاقها: ما يجيء بعد شيء يسبقه.

وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾

وفي تفسير ﴿إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالِكُمْ﴾ قال القرطبي: في الخلق والرزق والموت والبغض<sup>(١)</sup> والاقتصاص<sup>(٢)</sup>، وقد دخل معنى القول الأول أيضًا.

وقال سفيان بن عيينة: أي: من صنف من الدواب والطيور إلا في الناس شِبْهٌ<sup>(٣)</sup> منه، فمنهم من يعدو كالأسد، ومنهم من يَشْرَهُ<sup>(٤)</sup> كالخنزير، ومنهم من يعوي كالكلب، ومنهم من يزهو<sup>(٥)</sup> كالطاووس، فهذا معنى المماثلة<sup>(٦)</sup>.

وقال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالِكُمْ﴾ قال: أصناف لهن أسماء تعرف بها كما تعرفون، وعلى الأغلب أن معنى: ﴿إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالِكُمْ﴾ في كونها مخلوقة دالة على الصانع محتاجة إليه مرزوقة<sup>(٧)</sup> من جهته، كما أن رزقكم على الله، وقول سفيان أيضًا حسن؛ فإنه تشبيه واقع في الوجود، والله أعلم.

٢-ب-٢. الاعتراض الثاني: هل يتكلم النمل؟!

يقول القرآن في سورة النمل: ﴿حَقَّ إِذَا تَوَّأَ عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلُ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

قال المشككون والملاحدة: إن النمل لا يتكلم، وإنما يتواصل عن طريق الإفرازات الكيميائية.

١. البغض: الكُره.

٢. الاقتصاص: أخذ القصاص والعقوبة.

٣. شِبْهٌ: ماثله.

٤. يَشْرَهُ: يأكل بشراهة ونهم وجشع وطمع وحرص.

٥. يزهو: يفتخر، يتكبر بمنظر جميل.

٦. المماثلة: المطابقة في الذات والصفات المشابهة.

٧. مرزوقة: مُنِحَتْ رزقًا من الرزاق.

## الجواب:

جاء في مقال (تحليل الاتصالات الصوتية عند النمل) الصادر في المجلة العلمية (The Journal of the Acoustical Society of America) - في الملخص -: «من الواضح أن النمل يتواصل بشكل رئيس عبر الهواء، وأن المستقبلات الصوتية هي شعيرات على الهوائيات تستجيب لسرعة الصوت الجسيمية».

كما أثبتت دراسة لباحثين من جامعة (ستانفورد) أن النمل مجهز بنظام إنترانت أو (Antranet) - كما سماها الفريق -؛ إذ يطلق النمل ترددات في نطاق<sup>(١)</sup> مكاني يحيط به لإرسال رسائل إلى النمل المجاور، والذي يقوم بالتقاطها وقراءتها في طريقة عملٍ معقدة كتلك التي تستعمل في نقل الملفات على الإنترنت.

ونشرت مجلة (تايمز) مقالاً بعنوان: «التلال حية بأصوات النمل تتكلم مع بعضها البعض»، ومما جاء فيه: «باستخدام ميكروفونات صغيرة مغروسة في أعشاش النمل، اكتشف الباحثون أن ملكات النمل تستطيع إصدار تعليمات لعاملاتها»، أي: إن النمل يتكلم بلغته، سبحانه الله العظيم.

١. نطاق: مدى، مجال.

٢ - ب - ٣. الاعتراض الثالث: هل يخرج العسل من بطون النحل!؟

يقول القرآن الكريم في سورة النحل: ﴿...يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ...﴾ (٦١).

يقول الملاحدة والمشككون: العسل يخرج من فم النحل لا من بطنه، وهذا خطأ علمي!

الجواب:

أولاً: قول القرآن: إن شراب النحل يخرج من البطن لا ينفي أنه يمر عبر الفم، فعبارة ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾، تعني أن أصل العسل من بطون النحل، كما لو قلت: الخبز الذي تشتريه من المخبز في حَيْك<sup>(١)</sup> يخرج من فرن المخبز، فلا ينفي ذلك أنك إذا اشتريته تأخذه من رفوف المخبز أو من يد الخباز.

ثانياً: تقرير القرآن أن العسل يخرج من بطون النحل، ليس من لغو<sup>(٢)</sup> القول، وإنما هو حسم لمسألة علمية كان الخلاف فيها شائعاً قبل الإسلام وبعده لقرون، وهي تحديد أصل العسل، هل يخرج من البطن إثر تكونه هناك مما يأكله النحل، أم إن النحل يُخَضِّرُ العسل جاهزاً مما يحط<sup>(٣)</sup> عليه من نبات، ولا يصنعه في بطنه؟

والعَجَبُ أنه رغم صريح قول القرآن، إلا أن من علماء السلف المسلمين من خضعوا لسطوة<sup>(٤)</sup> الثقافة العلمية السائدة في عصرهم، وتعسفوا<sup>(٥)</sup> في تأويل الآية بفهمها على غير ظاهرها، فقد قال المفسر الشريف الرضي (توفي ٤٠٦/١٠١٥م) في قوله تعالى في هذه الآية: ﴿...يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ

١. حَيْك: من الحيّ، أي المنزل، أو المكان الذي تعيش فيه.

٢. لغو: التحدث بالأمر أو الموضع التي ليس لها قيمة أو فائدة، ولا يعتدّ بها، ولا يؤخذ منها شيء.

٣. يحط: يهبط على، ينزل إلى.

٤. سطوة: سلطة وتأثير بالقوة.

٥. تعسفوا: قاموا به دون تفكير ولا روية، وجاء الحكم غير عادل، أي ظلم.

**مُخْلِيفٌ أَلْوَانُهُ... ﴿٦٩﴾**: «المراد بذلك العسل، والعسل لا يخرج من بطون النحل، وإنما تنقله بأفواهها من مساقطه<sup>(١)</sup> ومواقعه من أوراق الأشجار وعموم النبات؛ لأنه يسقط كسقوط الندى في أماكن المواضع (على النبات)، فننقل العسل بأفواهها إلى بيوتها، والمواضع المعدة لها، فقال سبحانه: (يخرج من بطونها) والمراد: من جهة بطونها، وجهة بطونها أفواهها».

ثالثاً: حديث القرآن عن الأكل من الثمرات ثم إخراج الشراب، يوحي أن الأكل غير الشراب، وأن الأكل يتحول إلى شراب، والقرآن موافق لقطعي العلم<sup>(٢)</sup> (ومخالف لتصريح التلمود) إن النحل لا يصنع العسل، وإنما يجمعه من النباتات جمعاً ولا ينتجه في بطنه.

والمثير أن القرآن الكريم ذكر في سورة النحل: **﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا... ﴿٦٩﴾**، فُنُسِبَ إلى النحل الأكل من الثمرات رغم أن الشائع أن النحل يجمع العسل السائل من الثمرات، بما يعني أنه يشرب العسل لا يأكله، والنحل يتغذى على حبوب اللقاح والرحيق<sup>(٣)</sup>، وإذا أكل الإنسان أو شرب، غلب لسان العرب فعل الأكل على الشرب في وصف اغتذائه، وكذلك الحال في مقام وصف اغتذاء النحلة.

وقد اعترض بعضهم على عبارة (ثمرات) في الآية بدعوى أن النحل يأكل من أزهار الثمرات لا الثمرات نفسها. وجواب الاعتراض هو أن النحل يأكل الثمرات حقيقةً، ويأكل ما سيكون ثمرًا لاحقًا، ولذلك حسن أن يجمع الأمران في أكل الثمرات، باعتبار (الثمرات) منها ما هو واقع، ومنها ما هو

١. مساقطة: مكان السقوط أو الهبوط، ومسقط الثمار تحت الشجر.

٢. قطعي العلم: ما توحد معناه مع العلم، ولا يتخالف أو يتناقض معه.

٣. الرحيق: أطيّب وأحلى مذاق في أزهار النباتات.

وصف لما سيؤول<sup>(١)</sup> إليه مآكل النحل، وتفصيل ذلك أن النحل يأكل الثمر، فهو يأكل الخوخ والعنب والتين والتفاح وثمر العليق... إلى ما هناك، إذا صار طازجًا جدًا يسهل التقامه<sup>(٢)</sup>، أو إذا تعفن فصار لزجًا.

كما يأكل النحل من الزهر التي ستصير ثمرة، وإطلاق وصف الثمرة على زهرتها من المَجَاز الذي اعتاده اللسان العربي وغيره، من باب إطلاق اسم الشيء على ما سيؤول إليه، ومن ذلك قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿إِنِّي أُرْسِيُ أَعْمُرُ حَمْرًا﴾<sup>(٣١)</sup>، رغم أن المعصور -بداهة- العنب لا سائل الخمر، قال ابن جني -وهو عالم نحوي كبير من العراق (ت ٣٨٤هـ) وله مؤلفات كثيرة في النحو والأدب وعلوم اللغة-: «وذلك أن المعصور حينئذ هو العنب، فسماه خمراً لما يصير إليها من بعد حكاية لحاله المُسْتَأْنَفَة<sup>(٣)</sup>».

واعترض على الآية أنها تخبر أن النحل يأكل من كل ثمرات الأرض، وأن ذلك غير سديد، وجوابه: أن ذلك الفهم غير لازم للفظ، فإن اللفظ يحتمل معنى الأكل من كل الثمرات التي تشتهيها، و(كل) في لغة العرب لا ترد دائماً بمعنى «الجميع» فقد ترد بمعنى «الكثرة» كقول القرآن في سورة النمل: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٣٢)</sup>، وكذلك في سورة يونس: ﴿وَلَوْ جَاءَ تَهُمَّ كُلُّ آيَةٍ﴾<sup>(٣٣)</sup>، ولذلك قال ابن قتيبة: أي من الثمرات، «وكل» هاهنا ليس على العموم، ومثل هذا قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾<sup>(٣٤)</sup>، والله تعالى أعلم.

٢ - ب - ٤. الاعتراض الرابع: هل يخرج اللبن من بين فرث ودم؟!

يقول القرآن في سورة النحل: ﴿وَلِإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَسِقْتُمْ بِمَا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرْبِ بَيْنَ﴾<sup>(٣٥)</sup>.

١. سيؤول: سيرجع، ويصير، ويرتد.

٢. التقامه: ابتلاعه.

٣. المُسْتَأْنَفَة: التي ترجع إليها، أو المعاد النظر فيها إلى الأصل.

يقول المشككون والمعترضون: ومعلوم أن اللبن لا يخرج من بين الدم وفضلات الحيوان، وإنما يخرج من غدد الثدي الكائنة بعيداً عن الدم والفضلات، أو بعبارة د. وليام كامبل الذي استغرب معنى الآية، ولم يجد لها وجهًا مستساغًا: «ما الذي من الممكن أن يعنيه أن اللبن يأتي من بين فرث ودم؟!».

### الجواب:

ما جاء في الآية القرآنية وصف دقيق لعملية إنتاج اللبن في مراحلها الأولى، وما قاله المعترض يتعلق بالمكان الذي يخرج منه اللبن دون النظر إلى مراحل تكونه، وقد كان العرب يحلبون الحيوانات، ويعلمون أن اللبن يخرج من الضرع<sup>(١)</sup> لا من الدبر<sup>(٢)</sup>، ولا من العروق ولا من المواضع التي بينهما.

ولا شك أن اللبن يكون مستخلصًا من الطعام حتى يصير روثًا<sup>(٣)</sup> يتخلص منه الحيوان، ويبقى لذلك الإشكال - فقط - في دور الدم في تخليق اللبن.

يقول د. حامد عطية محمد - الأستاذ بكلية الطب البيطري بجامعة الزقازيق - جمهورية مصر العربية -: «يتم تكوين اللبن بواسطة الغدد الثديية أو الضرع عن طريق عمليتين هامتين:

المرحلة الأولى: ترشيح<sup>(٤)</sup> بعض مكونات اللبن من مجرى الدم.

المرحلة الثانية: تركيب مكونات اللبن الأخرى بواسطة التمثيل الغذائي الخلوي داخل الضرع.

١. الضرع: ثدي الشاة، أو البقر.

٢. الدبر: مخرج الغائط.

٣. الروث: ما يخرج من الحيوان من الغائط.

٤. ترشيح: عملية تنقية من المواد والشوائب العالقة.

وعن المرحلة الأولى التي تعنيها هنا: يقوم الدم بنقل هذه المواد الغذائية إلى جميع الجسم، والتي منها خلايا الضروع التي يتم فيها امتصاص مكونات اللبن من بين الدم.. غالبية الدهون في اللبن تنتج أصلاً من الزيوت النباتية المستمدة من العلف والمهضوم جزئياً في معدة الاجترار<sup>(١)</sup> (الفرث)، ثم ينقلها الدم إلى الغدد المفرزة للبن في (الضرع). فاللبن مستخلص مما يأكله الحيوان، ومادته الغذائية تعبر إلى الضرع عبر الدم».

وهو ما شرحه أيضاً د. موريس بوكاي بياناً لإعجاز القرآن: «تتكون المواد الأساسية التي تؤمن تغذية الجسم بوجه عام من تحولات كيميائية تجري في طول القناة الهضمية، وهذه المواد تأتي من عناصر حاضرة في محتويات الأمعاء، وعندما تصل إلى المرحلة المراد فيها التحول الكيميائي، تمر عبر غشاوة نحو الدورة الدموية العامة، وهذا العبور يتحقق بطريقتين: إما بطريقة مباشرة بواسطة ما نسميه الشرايين اللمفاوية، وإما بطريقة غير مباشرة بالدورة الدموية التي تسوقها إلى الكبد أولاً، حيث تتلقى بعض التحويلات<sup>(٢)</sup> ثم تبرز لتتصل أخيراً بالدورة الدموية العامة، وبهذه الطريقة كل شيء يمر أخيراً عبر الدورة الدموية.

هذا المفهوم الدقيق يرجع إلى أبحاث كيميائية وعضوية<sup>(٣)</sup> في عملية الهضم، وقد كانت مجهولة تماماً في زمن الرسول ﷺ، ومعرفتها تعود إلى الفترة المعاصرة (القرن العشرين)، كما أن اكتشاف الدورة الدموية ظهر بعد الوحي القرآني بما يقارب عشرة قرون. وفي رأيي أن وجود الآية التي تشير إلى هذه المعلومات في القرآن لا يمكن أن يكون له تفسير بشري بسبب العصر الذي نزلت فيه». والله أعلم.

١. معدة الاجترار: المعدة التي يعاد إليها الأكل داخل المعدة لمضغه ثانية.

٢. التحويلات: التغيرات.

٣. عضوية: قسم من الكيمياء، تشمل دراسة مركبات الكربون في الأنسجة الحية.

## جـ. النبات:

ج-٢ - ١. الاعتراض الأول: هل يموت الحَب (النبات) ليحيا؟

جاء في القرآن الكريم في سورة الروم: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ﴾<sup>(١)</sup>، يقول الملحدون وبعض المستشرقين: إن القرآن الكريم يقرر أن الحَبَّ (النباتي) مَيِّتٌ قبل أن تظهر فيه الحياة بعد زراعته وإنباته، وهو أمر مخالف للعلم الذي يشهد أن هذا الحَب كان حياً قبل أن يَنْبَتَ في الأرض.

## الجواب:

إن النص القرآني يفسر نفسه واصطلاحاته. وكلمتا «ميت» و «حي» في الآية لا تستعملان بمعنى الحياة بالتعريف العلمي المعاصر، وإنما بمعنى ظهور الحركة، ألا ترى أن تنمة الآية تقول: ﴿...وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا...﴾، والأرض ميتة بعد ظهور النبات بالتعريف العلمي، والجميع مجمع على أنها من الجمادات -بالاصطلاح المعاصر- لا من الأحياء.

ويُنَى على ما سبق أن معنى الموت المتعلق بحَب الأرض، هو أن هذا الحَبَّ هامدٌ لا تبصر العين المجردة فيه تحولاً من حال أدنى إلى آخر أعلى، حتى إذا وُورِيَ في التراب دَبَّتْ<sup>(١)</sup> فيه روحُ الحياة بالنمو.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة (توفي ١٩٧٤م) -وهو عالم ومفكر وباحث وكاتب مصري من كبار علماء الشريعة الإسلامية والتفسير والقانون، درس في الأزهر الشريف، وكذلك في كلية الحقوق المصرية، وكان عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة-: «في قضية إخراج اللِه الحَيِّ من الميت قال بعض العلماء وهم الأكثرون: إنه إخراج الجسم النامي<sup>(٢)</sup> الذي يسير في

١. دبّت: ابتدأت في الانتشار، وانتعشت فيها الحركة.

٢. النامي: المبتدئ بالحياة والنمو والزيادة في الجسم.

مدارج الحياة، من الجسم الجاف الذي لا تبدو فيه حياة، كإخراج الشجرة من النواة، والعود من البذور، وإخراج الميت من الحي هو أيضًا إخراج النواة الصلبة من الجسم الحي النامي، وإخراج البذرة الصلبة فيها حياة تولدت عنها تلك الحياة المحسوسة للنبات، وكذلك النطفة التي تبدو سائلًا ليس فيه حياة، فيها أحياء تتوالد فتكون ذلك الحيوان المحسوس<sup>(١)</sup>، وقد يجاب عن ذلك بأن ذلك اصطلاح علمي، وأن الحياة التي تعرفها اللغة مظهر ذلك النماء المتدرج<sup>(٢)</sup> المستمر، وفي الحق أن إخراج الحي من الميت أمرٌ محسوس مرئي كل يوم؛ فإن تلك الشجرة أو ذلك العود النامي يتغذى من الهواء والضوء والماء والتراب، وكلها جماد لا حياة فيها، وما يتم التحول المتدرج في الحياة إلا بتلك العناصر التي هي غذاء الحي، فهي إخراج الحي من الميت، وليس المراد من الميت من كانت به حياة ثم انتهت، إنما الظاهر من كلمة الميت هو ما لا حياة ظاهرة فيه، وأن إخراج الميت من الحي أمر واضح لا مجال للشك فيه، فهذا العود الأخضر يصير حطامًا، وهذا الجسم الحيواني يتحلل ويكون رميمًا<sup>(٣)</sup> ثم يكون ترابًا، وعلى هذا نقول: إن إخراج الحي من الميت ليس فلق النوى بإخراج النبات والشجر منه فقط، بل بهذا وبتدرج الحياة، وإدخال عناصر الغذاء التي تُكوّن الحي وأكثرها من جماد، ولذا قال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقَ النُّجُومِ ۗ﴾، والله أعلم.

١. المحسوس: المدرك بالحواس الخمس، الملموس والواضح.

٢. المتدرج: أي الذي يكبر شيئًا فشيئًا، وعلى مراحل.

٣. رميمًا: بالياء.

ثالثاً: نتائج البحث الذي توصل إليه الدكتور سامي عامري - حفظه الله - في كتابه: «العلم وحقائقه بين سلامة القرآن وأخطاء التوراة والإنجيل».

إن ما توصل إليه الدكتور سامي عامري هو توافق العلم (الموضوعي) مع نصوص القرآن الكريم كله (والوحي المنزل على رسول الله ﷺ في أحاديثه)، وبما أن الآيات والأحاديث التي بحثها واجتهد في إثبات إعجازها وموافقتها وعدم تعارضها مع ما أثبتته العلم الحديث لا تتضمن كل الآيات في القرآن الكريم والأحاديث في السنة النبوية، والتي اجتهد في بيانها علماء آخرون، وقد ذكرنا بعض هذه الآيات والأحاديث الشريفة - وأشرنا إليها في هذا القسم مما اقتبسناه بتصرف من كتب الدكتور راتب النابلسي: «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة»، وكذلك من كتب الدكتور زغلول النجار «الإعجاز في القرآن الكريم» و«الإعجاز العلمي في السنة النبوية»، وكذلك من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في رابطة العالم الإسلامي ومن كتاب دكتورة هند شلبي «التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق»، فهذا الاستنتاج الذي وصل إليه ينطبق أيضاً على هذه الآيات القرآنية وعلى الأحاديث الشريفة المذكورة.

وبعد تطواف دكتور سامي عامري في أسفار الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) وسور القرآن الكريم، والنظر في موافقتها جميعاً لصحيح العلم، أو الإخبار عن حقائق العلمية لم يمهد واقع ظهورها بين الناس للإخبار عنها، انتهى البحث إلى النقاط العشرين التالية:

١. لا تصح محاكمة القرآن وكذلك الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) إلى غير العرف الدلالي<sup>(١)</sup> لألفاظهما زمن ظهور القرآن الكريم وهذه الأسفار المقدسة بين الناس.

١. العرف الدلالي: اللغة المتعارف عليها للإرشاد والتبرير والإبانة.

٢. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أوسع من سبق العلمي المحض.

٣. إن وجود تكلف<sup>(١)</sup> عند عدد من الباحثين المسلمين في تقرير الإعجاز العلمي لبعض الآيات في القرآن لا ينفي وجود أمثلة واضحة أو ظاهرة - في آيات أخرى - لهذا الإعجاز.

٤. لا سبيل لمعرفة الإعجاز العلمي في القرآن دون دراسة الواقع العلمي في القرن السابع الميلادي (في فترة نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ)، وإدراك روافد<sup>(٢)</sup> المعرفة العلمية للعرب ذلك الزمان.

٥. لا يزعم المستشرقون<sup>(٣)</sup> أن ثقافة العرب الجاهليين مصدر المعارف المضمنة في القرآن، وإنما ينسبون الأمر إلى الثقافة اليهودية في باب العقائد والقصص.. ولذلك فامتحان الخبر العلمي في القرآن يجب أن يبدأ وينتهي بمقارنة الخبر القرآني بالخبر التوراتي - التلمودي (هذه المقارنة أوقع علمياً إذا أردنا الموضوعية في البحث والطرح).

٦. القرآن باين بصورة واسعة للعهد القديم والتلمود في الخبر العلمي، وذلك يظهر في تلافي<sup>(٤)</sup> أخطائهما أو التعقيب بتصحيحهما.

٧. لم يكن للعرب علمٌ يتجاوز الثقافة البدائية، وبالتالي فلا يصح نسبة بعض ما ورد في القرآن الكريم إلى ثقافات تأثرت بها القبائل العربية كاليونانية واليهودية وغيرها).

١. تكلف: تحميل الشيء على غير ما يحتمل.

٢. روافد: الفروع التي تصب في الأصول.

٣. المستشرقون: جمع مستشرق، وهي صفة عالم أجنبي متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه.

٤. تلافي: تجنب

٨. الباب الأول للإعجاز العلمي في القرآن هو «خلو»<sup>(١)</sup> القرآن من الأخطاء العلمية» رغم كثرة الآيات التي تتحدث في الظواهر الكونية في السماء والأرض، وقد أثبت صحتها العلم الحديث وتوسع بها.

٩. يخلو القرآن من التقارير العلمية<sup>(٢)</sup> الفاسدة المنتشرة في الكتاب المقدس.

١٠. لا صحة على الإطلاق لكثير من الأخطاء المزعومة<sup>(٣)</sup> في القرآن، بل هي دالة عن إعجازه عند التحقيق.

١١. يستدل خصوم الإسلام بمشابهات بين القرآن والكتاب المقدس والتلمود - خاصة في باب علم الأجنة وعلوم الأرض - للطعن في أصالة<sup>(٤)</sup> الخبر القرآني وصحته، وعند تحرير<sup>(٥)</sup> هذه المسألة يتبين أن القرآن مخالف للكتاب المقدس والتلمود في الكثير من أخبارهما.

١٢. الأخطاء العلمية الواردة في الكتاب المقدس كثيرة جداً، ومتنوعة كيفاً، بما يمنع أن ينجح التأويل الواسع لهذه النصوص في استنقاذ<sup>(٦)</sup> عصمة هذا الكتاب، وزعم أن محمداً ﷺ قد اقتبس منه أو قد تلقفه<sup>(٧)</sup> من أخبارهم.

١. خلو: من خالي، أي: فارغ لا شيء فيه.

٢. التقارير العلمية: جمع تقرير، وهو بيان يشرح فيه مسألة أو قضية أو تفاصيل أو نتائج.

٣. المزعومة: من زعم، أي: ظن على غير أسس صحيحة.

٤. أصالة: جودة ورسوخ.

٥. تحرير: عملية اختيار وتنظيم وإعداد الوسائط المكتوبة لنقل المعلومات بهدف إنتاج أعمال صحيحة.

٦. استنقاذ: تحرير واسترداد.

٧. تلقفه: تناوله بسرعة.

١٣. أثر الثقافة العلمية لبلاد الرافدين<sup>(١)</sup> في الكتاب المقدس واضح جدًّا، خاصة في تبني أساطير الخلق السائد عند البابليين - وهذا يدل على دخول العنصر البشري في التحريف -.

١٤. الأخطاء العلمية في التوراة تدعم إجماع النقاد اليوم أن التوراة الحالية قد تمت صياغتها في القرن الخامس قبل الميلاد بعد العودة من السبي البابلي عند وثائق أقدم منه؛ إذ إنها قد تشربت<sup>(٢)</sup> ثقافة بيئة السبي البابلي.

١٥. تؤكد الأخطاء الجغرافية الكثيرة في «إنجيل مرقس» أن أقدم إنجيل للنصارى وأهمها تاريخياً قد كتبه رجل غريب عن البيئة التي عاش فيها المسيح سيدنا عليه السلام، - وبالتالي عدم صحة ادعائهم بأن سيدنا محمداً ﷺ قد تأثر برهبانهم، كما يزعم البعض -.

١٦. تساهم الترجمات العربية والإنجليزية الحديثة في إخفاء الأخطاء العلمية للكتاب المقدس بما يقتضي من الباحثين دراسة النصوص بلغاتها الأصلية قبل تفسيرها.

١٧. حاول نساخ<sup>(٣)</sup> الكتاب المقدس منذ زمن بعيد إخفاء الأخطاء العلمية للكتاب المقدس، وهو ما يستدعي النظر في المحفوظات لمعرفة القراءات الأوثق أو الأقدم.

١٨. يعتمد المنصرون أسلوب الهجوم على الأخبار العلمية في القرآن للفرار من مناقشة أخطاء الكتاب المقدس (التوراة والتلمود والإنجيل).

١. بلاد الرافدين: الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات - العراق حالياً-.

٢. تشربت: فهمت وتشبعت واستوعبت.

٣. نساخ: الذين ينسخون ويكتبون الكتب.

١٩. كل دعاوي<sup>(١)</sup> الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس فاسدة، لعدم دلالة النص على الحقيقة العلمية المجهولة أو المغمورة<sup>(٢)</sup> زمن التأليف، وأحياناً لدلالة النص ذاته على دعوى علمية فاسدة.

٢٠. وجود إعجاز علمي في الكتاب المقدس - إذا وجد - (العقد القديم والعهد الجديد) ليس حجة على المسلمين، وإنما حجة لهم؛ لأن القرآن يقرر<sup>(٣)</sup> الأصل السماوي للكتاب المقدس - الذي أوحى للأنبياء موسى وأنبياء بني إسرائيل والسيد المسيح) في الجملة<sup>(٤)</sup> - مع إثبات التحريف<sup>(٥)</sup> الواسع لهذا الكتاب.

والله أعلم...

---

١. دعاوى: من الادعاءات التي تفتقر إلى الإثبات بالدليل الصحيح.

٢. المغمورة: غير المجربة، بل هي صادرة عن قلة الخبرة.

٣. يقرر: يوافق عليه ويعترف به.

٤. في الجملة: في الكلية العامة الموجزة، وليس في التفاصيل والفروع.

٥. التحريف: نقل وكتابة الكلام بصورة مغرضة لصفه عن معانيه الحقيقية.



## [٥] الإشارات الكونية والأعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة<sup>(١)</sup>

تمهيد:

إن الزمن الذي نعيشه هو زمن لم يعد يحرك مشاعر الناس فيه شيء كما تحركه الحقيقة العلمية، وهذه الإشارات الكونية المنزلة من قبل ألف وأربع مئة سنة، والتي لم يستطع الإنسان الوصول إلى تصور لها إلا منذ عشرات قليلة من السنين، هي أيسر وسيلة في الدعوة إلى دين الله الخاتم، في وقت تحول فيه العالم إلى قرية كبيرة تتلاقى فيها مختلف الحضارات، والمعارف والمعتقدات، وأصبح لزاماً<sup>(٢)</sup> علينا أن نحسن التبليغ عن الله وعن رسول الله ﷺ، بلغة العصر وأسلوبه، لعل الله تعالى أن يفتح لنا الدنيا من أطرافها كما فتحها على أسلافنا من قبل، وما ذلك على الله بعزيز.

قال الأستاذ الدكتور زغلول النجار - وهو عالم جيولوجيا مصري، حائز على العديد من الجوائز العلمية - ولقد اهتم بجمع أحاديث رسول الله ﷺ التي أشارت إلى عدد من أشياء الكون وظواهره؛ لشرح ما جاء فيها من حقائق كونية، تمت صياغتها بدقة تعبيرية فائقة، وبحكمة علمية بالغة، وسبق بالإشارة إلى عدد من الحقائق الكونية أو الظواهر والسنن التي لم تصل إليها العلوم المكتسبة<sup>(٣)</sup> إلا منذ عقود قليلة، وقد تكلم بها المصطفى ﷺ من قبل

١. (مأخوذ بتصرف من كتاب «الإعجاز العلمي في السنة النبوية» للأستاذ الدكتور زغلول النجار رحمه الله).

٢. لزاماً: ضرورياً.

٣. العلوم المكتسبة: العلوم التي تم تحصيلها عن طريق العمل.

أربعة عشر قرناً، وهذا السبق<sup>(١)</sup> يؤكد جانباً من جوانب الإعجاز في أحاديث رسول الله ﷺ، هو الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة الذي لم يسبق أن لقي اهتماماً كافياً من علماء الحديث؛ لأن هذه الحقائق العلمية لم تكن متاحة لأحد من الناس في أزمته، ولم يلق اهتماماً كافياً من المشتغلين بجوانب الإعجاز العلمي في كتاب الله لانشغالهم ببحار المعرفة العلمية في هذا الكتاب المجيد.

وهذا الجانب العلمي هو أحد جوانب الإعجاز العديدة في أحاديث رسول الله ﷺ، وهو - وحده - كافٍ لدحض<sup>(٢)</sup> دعاوي المبطلين، وتشكيك المشككين في صدق رواة الأحاديث، ودقة جامعها، ولرفض الدعوة الباطلة إلى إسقاط حجيتها<sup>(٣)</sup>، مع تسليمنا بأن هناك من العلماء قد صنّف الأحاديث فمنها الثابت الذي يؤخذ به، ومنها الضعيف، والغريب، والمضطرب، والشاذ، والمردود، والمتروك، وذو العلة، والمنكر، وغيرها من الأحاديث المروية التي لا يؤخذ بها، والتي قام علماء الحديث بغربلتها<sup>(٤)</sup> غربلة دقيقة في تصانيفهم<sup>(٥)</sup> المتعددة لها.

وعلماء الحديث - بصفة عامة - وعلماء الجرح والتعديل<sup>(٦)</sup> - بصفة خاصة - قد أعطوا علم الحديث من جهدهم ما أغنانا عن الخوض في كلام دَسَّه أعداء الإسلام على رسول الله ﷺ، زوراً وبهتاناً، وكان علم الحديث مدرسةً تعلم منها الغرب - بل العالم كله - معنى التوثيق العلمي الصحيح.

١. السابق: الحدث المتقدم عن غيره.

٢. دحض: إبطال.

٣. حجيتها: قوتها الملزمة للدليل ما في الإثبات.

٤. غربلتها: تنقيتها وإعادة ترتيبها.

٥. تصانيفهم: جمع تصنيف، أي ترتيب وتنظيم على حسب الحالة.

٦. علماء الجرح والتعديل: العلماء المختصون بمعرفة رواة الأحاديث الشريفة - أي السند -.

وفي محاولة لعرض شيء من جوانب الإعجاز العلمي في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصفه القرآن الكريم بقول ربنا تبارك وتعالى في سورة النجم: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾<sup>(٤)</sup>، قمت بشرح الدلالات العلمية لحوالي سبعين حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ، وهي تشهد لهذا النبي والرسول الخاتم بالنبوة وبالرسالة، وبأنه صلى الله عليه وسلم كان موصولاً<sup>(١)</sup> بالوحي، ومعلماً من قِبَل خالق السماوات والأرض؛ لأنه لم يكن لأحد في زمانه - ولا لقرون متطاولة<sup>(٢)</sup> من بعده - إمامٌ بشيء من هذه الحقائق العلمية التي أجراها الله سبحانه وتعالى على لسانه، ولم يكن لأحد من الناس الذين كانوا حوله قدرة على مجرد السؤال عن شيء من تلكم الحقائق.

والقرآن المجيد يطيب خاطرَه ﷺ بقول ربنا تبارك وتعالى له:

\* في سورة الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾<sup>(١٠)</sup>. حَاقٌ: أحاط وأصاب.

\* في سورة الرعد: ﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾<sup>(٣٢)</sup>. أَخَذْتَهُمْ: عاقبتهم

\* في سورة الحجر: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾<sup>(٩٥)</sup>. كَفَيْنَاكَ: حميناك.

وكثير من الناس يردد اليوم أن حقائق الدين مطلقة، بينما حقائق العلم نسبية، مرحلية<sup>(٣)</sup>، تاريخية، بمعنى أنها قابلة للتطور والتغيير، وأنه لا يجوز مقابلة المطلق بالنسبي، وللدرد على هؤلاء أقول: إن كلاً من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نزلت إلينا في حدود قدراتنا العقلية والحسية، وإن

١. موصولاً: دائم الاتصال.

٢. متطاولة: كثيرة، طويلة.

٣. مرحلية: ذات خطوات خلال مدد زمنية.

العلم المكتسب<sup>(١)</sup> ليس كله فروضاً ونظريات نسبية، مرحلية، تاريخية، ولكن هذه المراحل توصلنا في النهاية إلى أعداد من الحقائق والقوانين الثابتة وغير القابلة للتغيير، والعلوم المكتسبة إذا وصلت إلى مرحلة الحقيقة أو القانون فإنها لا تتكسب<sup>(٢)</sup> على أعقابها، وإن أمكن توسعها والإضافة إليها، وهذه الحقائق والقوانين العلمية هي كلها من الحكمة التي أوصانا رسولنا ﷺ أن نتشبَّث<sup>(٣)</sup> بها فقال: «الحكمة ضالة المؤمن، أُنسى وجدَّها فهو أولى الناس بها». (رواه الترمذي وابن ماجه).

وإجلالاً لرسول الله ﷺ لا يجوز لمسلم أن يطعن في حديث صحيح منسوب إليه، بل الواجب - إن فهم الحديث الشريف - أن يعمل به، وإن لم يفهم دلالته<sup>(٤)</sup> أن يسأل أهل الذكر<sup>(٥)</sup> أو أن يتوقف عنده، خاصة إذا ثبتت صحة سند الحديث<sup>(٦)</sup> عن طريق علماء تحقيق السند.

وحتى بعض الأحاديث التي قد يكون في سندها شيء من الضعف، فإن الدقة العلمية الواردة فيها قد تجبر هذا الضعف (أي: تقويّه)، ما لم تكن هناك مخالفات أخرى (شرعية، أو لغوية، أو تاريخية، أو غير ذلك)، ومن هنا كانت الدقة العلمية الواردة في الحديث النبوي الشريف إحدى القرائن<sup>(٧)</sup> لتصنيفه، ولرفع السند ولو كان أحد الرواة فيه شيء من الجرح<sup>(٨)</sup>؛ لأن ذلك لا يطعن<sup>(٩)</sup> في صحة الحديث ما دام مضمونه العلمي صحيحاً.

١ . العلم المكتسب: العلم الذي تم اكتشافه وجمعه وتعليمه.

٢ . تتكسب: تنقلب وتتغير إلى الأسوأ.

٣ . نتشبَّث: تتعلق وتمسك به.

٤ . دلالته: معناه وفحواه ومؤداه.

٥ . أهل الذكر: العلماء الثقات العدول.

٦ . سند الحديث: سلسلة الرجال الذين نقلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧ . القرائن: جمع قرينة، أي: دليل.

٨ . الجرح: الحكم على راوي الحديث الشريف ببيان مدى صدقه ودرجة عدالته.

٩ . يطعن: يعترض.

وكذلك بعض الأحاديث الصحيحة السند، والتي وضعت في مجموعة غريب الحديث<sup>(١)</sup>، أو غريب غريب الحديث، أو فائق غريب الحديث، لغرابة في ألفاظها، أو لسبق محتواها العلمي لسنوات التحقيق<sup>(٢)</sup> بقرون كثيرة، ولعجز المحققين عن فهم دالاتها العلمية في زمن التحقيق، لعدم توافر المادة العلمية في زمانهم، ولا التخصص العلمي الذي يمكن أن يوصلهم إلى ذلك، هذه الأحاديث لا بد للعلماء - في عصر تفجر المعارف العلمية الذي نعيشه - من إعادة النظر فيها مستعينين - بعد الله سبحانه وتعالى - بفيض<sup>(٣)</sup> الحقائق العلمية المتاحة، وبالمتخصصين في كل حقل من حقولها من علماء المسلمين الذي اشتهروا - ومع تفوقهم في تخصصاتهم - بتقواهم وورعهم<sup>(٤)</sup>، وذلك لفهم دلالة تلك الأحاديث ورفعها من الخانات التي تم الحجر عليها فيها لاستفادة الأمة بها؛ لأن رسول الله ﷺ لم يقل إلا ما فيه صلاح الناس عامة، وصلاح أمته خاصة، ولا يجوز للأمة أن تحرم من هذا الخير قطرة واحدة، بسبب أي من الحواجز العلمية أو اللغوية أو التاريخية.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل المتواضع، وألا يحرمني أجره في الدنيا والآخرة، وأن يعفو عن أيّ خطأ جاء فيه، وألا يحمّلني وزره<sup>(٥)</sup>، وأن يكتب لنا الرشد والسداد في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة؛ فهو رب ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١. غريب الحديث: ما وقع في متن ونص الحديث الشريف من لفظة غامضة بعيدة عن الفهم.

٢. التحقيق: الإجراءات التي تستهدف البحث عن الأدلة والقرائن لصحة السند والمتن.

٣. فيض: كثير، غزير.

٤. ورعهم: ابتعادهم عن الشبهات والمعاصي على سبيل التقوى.

٥. وزره: إثم.

## ٥-١. ضوابط البحث عند تقرير الإعجاز العلمي في السنة النبوية الشريفة:

وقبل البدء في ذكر هذه الأحاديث وشرحها وبيان الإعجاز العلمي فيها نود الإشارة إلى أن هناك ضوابط قد حددها العلماء المختصين يجب أن تؤخذ في عين الاعتبار عند البحث وتقرير الإعجاز العلمي في السنة النبوية، وهي كما يلي:

١. اختيار الأحاديث المحتوية على إشارات إلى الكون ومكوناته وظواهره، وعمليات خلقه وإفناؤه واستبداله، وإلى الإنسان وخلقه الأول ومراحل تطوره وإفناؤه وبعثه وإلى ضوابط سلوكه<sup>(١)</sup>، وإلى ما أحل الله تعالى له وحرم عليه من المطعومات<sup>(٢)</sup> والمشروبات، وما أباح له من وسائل الوقاية من الأمراض والتداوي والعلاج.

٢. معرفة درجة الحديث عند أهل العلم، واستبعاد كل الأحاديث التي تثبت بالدراسة المتأنية أنها موضوعة<sup>(٣)</sup>.

٣. جمع الأحاديث الصحيحة في الموضوع الواحد، والروايات المتعددة للحديث الواحد حتى يتضح المعنى المراد منها، دون ترجيح<sup>(٤)</sup> حديث على آخر أو رواية على رواية أخرى؛ لأن الجمع والتوفيق بين الأحاديث والروايات الصحيحة هو أولى من ترجيح أحدها على الآخر.

٤. فهم النص أو النصوص النبوية الشريفة وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، ووفق قواعدها وأساليب التعبير فيها.

١. ضوابط سلوكه: قوانين وإجراءات ممارساته الأخلاقية.

٢. المطعومات: المأكولات.

٣. موضوعة: مختلفة، ليست صحيحة.

٤. ترجيح: تغليب رأي على آخر.

٥. فهم النص النبوي الشريف في ضوء سياقه<sup>(١)</sup> وأساليبه، وملاساته ومقاصده، وتحديد ارتباطه -أو لا- بعلّة معيّنة<sup>(٢)</sup> منصوص عليها في الحديث أو مستنبطة منه، أو مفهومة من سياقه، والتمسك بروح السنة ومقاصدها قبل التمسك بحرفيتها.

٦. فهم النص النبوي الشريف في نور القرآن الكريم؛ لأن أحاديث رسول الله ﷺ شارحة لكتاب الله، ومبينه لدلالات آيات معيّنة، ومن هنا فلا يمكن أن يكون بينهما شيء من التعارض، فإن بدا شيء من ذلك، فإما أن يكون اللبس<sup>(٣)</sup> في فهم قارئ الحديث أو شارحه، أو أن يكون الحديث غير صحيح، وهنا لا بد من مراجعة سند الحديث.

٧. لا يجوز للمسلم رد حديث صحيح لرسول الله ﷺ أبداً، فإن فهمه عمل به، وإن لم يفهمه توقف عن الخوض<sup>(٤)</sup> فيه إجلالاً لرسول الله -صلوات الله وسلامه عليه-؛ وذلك خشية انغلاق<sup>(٥)</sup> معنى الحديث على قارئه انغلاقاً مؤقتاً أو دائماً، كذلك لا يمكن رفض الحديث النبوي الشريف الذي يشير إلى حقيقة علمية ثابتة لمجرد وجود ضعف في سنده؛ لأن الحق العلمي يمكن أن يجبر<sup>(٦)</sup> ضعف السند.

٨. ضرورة التفريق بين «الحقيقة» و«المجاز<sup>(٧)</sup>» في فهم الحديث النبوي الشريف، على ألا يخرج دارس الحديث اللفظ النبوي من الحقيقة

١. سياقة: أسلوبه في طرح مناط الموضوع وتتابعه.

٢. علة معيّنة: الوصف الذي يناط به الحكم الشرعي، أو سبب الحكم ويتخلف بانعدامه.

٣. اللبس: الاختلاف والاشتباه.

٤. الخوض: الدخول في الشيء والمشئ فيه.

٥. انغلاق: عدم انفتاح أو إدراك ومعرفة المعنى والمغزى.

٦. يُجبر: يصلح أو يكمل ويعوض.

٧. المجاز: من جاز أي جواز الشيء ولم يرد لعله.

إلى المجاز إلا بقرينة<sup>(١)</sup> كافية، وعند الضرورة القصوى، ومن هنا فإنه لا يمكن إثبات الإعجاز العلمي للحديث النبوي الشريف بتأويل النص<sup>(٢)</sup>، وذلك لأن التأويل بصفة عامة وخاصة إذا كان بغير دليل مقبول أو بشيء من التعسف<sup>(٣)</sup> هو من الأمور المرفوضة تمامًا في التعامل مع أحاديث رسول الله ﷺ، كذلك فإن حمل المجاز على الحقيقة مع وجود المانع العقلي أو الشرعي أو العلمي هو من الأمور المرفوضة كذلك، علمًا بأنه لا يمكن أن يكون هناك تعارض بين صحيح المنقول<sup>(٤)</sup> وصريح المعقول<sup>(٥)</sup>.

٩. عدم التكلف أو لي<sup>(٦)</sup> أعناق الأحاديث من أجل موافقتها للحقيقة العلمية؛ لأن أحاديث رسول الله ﷺ أعزُّ علينا وأكرم من كلِّ المعارف المكتسبة.

١٠. عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم قضية الإعجاز العلمي للحديث النبوي الشريف، والاكتفاء من ذلك بالقدر اللازم لإثبات وجه الإعجاز العلمي.

١١. عدم الخوض في القضايا الغيبية<sup>(٧)</sup> غيبة مطلقة من مثل: الذات الإلهية، الروح، والملائكة، الجن، العرش، الكرسي، اللوح، القلم، حياة البرزخ، البعث، الحشر، أهوال يوم القيامة، الحساب، الميزان، الصراط، الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وذلك لأن عالم الغيب له

١. قرينة: ما يرافق الكلام ويدل عليه أو ما يستنبطه المشرع من أمر معلوم على أمر مجهول.

٢. تأويل النص: تفسيره وبيان معناه، أو بيان أحد احتمالات اللفظ على وجه التقدير.

٣. التعسف: الحكم الغير عادل أو القيام بالشيء دون تفكير ولا دراية.

٤. صحيح المنقول: ما ثبت صحته من الرواية أو السماع.

٥. صريح المعقول: ما وضع بلا لبس ويمكن تصوره وإدراكه وقبوله بالعقل.

٦. لي: تحريف أو ميله عن الحق أو أخبر بالأمر على غير وجهة.

٧. القضايا الغيبية: الأمور التي تغيب عن الإنسان قلبًا وعقلًا.

من السنن والقوانين ما يغير<sup>(١)</sup> سنن وقوانين عالم الشهادة، وعلى ذلك فإن القياس بين العالمين قياس باطل، ومغالطة كبيرة، ومن هنا وجب التسليم بما جاء عن عالم الغيب في كتاب الله وفي كلام خاتم أنبيائه ورسوله ﷺ دون محاولة تفسير ذلك في حدود المعارف العلمية المكتسبة.

١٢. التأكيد على أن ما يتوصل إليه محقق علمي<sup>(٢)</sup> في فهم الدلالة لأية إشارة علمية في حديث نبوي شريف ليس منتهى الفهم<sup>(٣)</sup> له؛ لأن الرسول الخاتم ﷺ قد أوتي جوامع الكلم<sup>(٤)</sup>.

١٣. التسليم بأن النص النبوي الشريف وإن جاء في مقام التشبيه أو المجاز أو ضرب المثل فإنه يبقى صحيحاً من الناحية العلمية في لفظه ومعناه صحة مطلقة، وإن لم تكن الحقيقة العلمية مقصودة لذاتها، لأنه -صلوات الله وسلامه عليه- كان موصولاً بالوحي ومعلمًا من قبل خالق السمات والأرض لقوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ (٤)﴾.

١٤. الاقتصار على توظيف الحقائق العلمية الثابتة في الاستشهاد على الإعجاز العلمي للحديث النبوي الشريف، وذلك في جميع الإشارات العلمية الواردة في أحاديث رسول الله ﷺ، فيما عدا قضايا الخلق والإفناء<sup>(٥)</sup> والبعث<sup>(٦)</sup>، لكل من الكون والحياة والإنسان، وهي من القضايا التي لا يمكن للعلوم المكتسبة أن

١. يغير: يعارض ويخالف.

٢. محقق علمي: ما هو أكيد وثابت علمياً.

٣. منتهى الفهم: غاية ونهاية وأقصى ما يفهمه.

٤. جوامع الكلم: ما يكون لفظه قليلاً ومعناه جزيلاً.

٥. الإفناء: الزوال والإهلاك.

٦. البعث: الإحياء بعد الموت يوم القيامة.

تتجاوز فيها حدود وضع نظرية من النظريات، وهنا تتعدد النظريات بتعدد خلفية واضعيتها، وإن بقيت المشاهدات<sup>(١)</sup> واحدة، ويبقى للمسلم نور من الله تعالى في آية قرآنية كريمة أو في حديث نبوي صحيح مرفوع إلى رسول الله ﷺ يمكن أن يعينه على الارتقاء<sup>(٢)</sup> بإحدى هذه النظريات إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة لها في كتاب الله أو في أحاديث خاتم أنبيائه ورسله ﷺ وبارك عليه وعليهم أجمعين، حيث يتم الانتصار للعلم وتصويب مساره<sup>(٣)</sup> بكلام الخالق - سبحانه وتعالى - أو بأقوال سيد المرسلين ﷺ.

وهنا لا بد من التأكيد على أن العلوم المكتسبة إذا وصلت إلى مستوى الحقيقة أو القانون فإنها لا تنتكس<sup>(٤)</sup> على أعقابها أبدًا، ولكنها تبقى قابلة للزيادة مع الزمن، وذلك لأن حقائق العلوم المكتسبة هي جزئية في طبيعتها، وفي القوانين الحاكمة لها، لأنها تعبر عن عدد من القضايا الجزئية المحددة بحدود قدرات الإنسان الحسية والعقلية، ومن طبيعة الحقائق الجزئية أنها تنمو نموًا مطردًا<sup>(٥)</sup> مع الزمن - دون تناقص أو إلغاء - فتزداد وضوحًا وجلاء مع استمرار مجاهدة العلماء في توضيح ما سبق الوصول إليه من حقائق هذا الوجود، وفي التأكيد على جزئية المعرفة الإنسانية، يقول ربنا - تبارك وتعالى - في سورة يوسف: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾، ويقول - عز وجل - في سورة الإسراء: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

١. المشاهدات: المحسوسات، المدركات بالحواس.

٢. الارتقاء: رفع درجته.

٣. تصويب مساره: تصحيح طريقته أو معناه.

٤. تنتكس: تنقلب أو تتغير.

٥. مطردًا: دائمًا ومستمرًا ومتتابعًا.

١٥ . ضرورة التمييز بين مُحَقَّق<sup>(١)</sup> الدلالة العلمية للحديث النبوي الشريف والنَّاقِل<sup>(٢)</sup> لتلك الدلالة، مع مراعاة التخصص الدقيق في جميع مراحل إثبات وجه الإعجاز العلمي أو ما يعرف باسم (التحقيق العلمي للنص النبوي الشريف)؛ وذلك لأن المعارف العلمية قد توسعت اليوم توسعاً مذهباً، مما اضطر العلماء إلى المبالغة في تحديد مساحة التخصص دقة وعمقاً، وعلى ذلك فلا يجوز أن يخوض كل خائض<sup>(٣)</sup> في تحقيق قضية الإعجاز العلمي في كتاب الله أو في سنة خاتم أنبيائه ورسوله؛ احتراماً لهذين المصدرين الوحيين من مصادر التشريع الإلهي، المحفوظين في نفس لغة الوحي بهما -اللغة العربية- على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية والذين تعهد الله تعالى بحفظهما تعهداً مطلقاً حتى يبقى شاهدين على جميع الخلق إلى قيام الساعة.

فالتحقيق العلمي<sup>(٤)</sup> لا بد أن يجري على أيدي المتخصصين، وإذا نقل ذلك أحد الرواة فلا بد من رد كل قضية إلى محققها من المتخصصين بوضوح وإثبات كاملين إنصافاً للمحقق الأصلي للقضية، وسنداً للناقل لها رواية عنه. وعلماءنا الأوائل قد علّموا الإنسانية فنَّ الإسناد<sup>(٥)</sup>، ولا يجوز المسلم اليوم أن يتجاهله أو أن يَغْمَطَ<sup>(٦)</sup> عالماً من العلماء حقّه في ذلك.

١٦ . ضرورة التفريق بين قضيتي «التفسير» و«الإعجاز العلمي» للنص النبوي الشريف؛ وذلك لأن التفسير هو محاولة بشرية لحسن فهم

١ . مُحَقَّق: الذي يبحث عن الحقيقة والصحيح.

٢ . النَّاقِل: الذي ينقل المعلومات أو الذي يرويها فقط دون التحقق منها.

٣ . خائض: مندفع أو متكلم.

٤ . التحقيق العلمي: اتباع المنهج العلمي المنفق عليه بالبحث.

٥ . الإسناد: علم قائم على إثبات سند وصحة كلام وراوي الحديث الشريف.

٦ . يَغْمَطُ: يحدد أو ينكر علمه به.

دلالة الحديث، إن أصاب فيه المفسرُ فله أجران، وإن أخطأ فله أجرٌ واحد، والمعول عليه<sup>(١)</sup> في ذلك هو قصده ونيته، والخطأ في تفسير الحديث النبوي الشريف يعود على المفسر، ولا ينسحب على جلال النص النبوي الصحيح. وهنا لا بد من التأكيد على أنه لا يمكن وقوع تعارض بين النصوص الموحى بها في كتاب الله أو على لسان خاتم أنبيائه ورسوله وبين الحقيقة العلمية الثابتة، فإن بدا للقارئ شيء من التعارض فعليه بسؤال أهل العلم، فقد تكون هناك حكمة خفيت على قارئ النص لأول وهلة، أو أن يكون هناك خللٌ في الفهم تجب معالجته قبل إصدار أحكام متعجلة على حديث من أحاديث رسول الله كما يحدث كثيرًا في زمن الفتن الذي نعيشه.

وهنا أيضًا قد يكون الجمع بين النصوص والروايات المتعددة في القضية الواحدة، ووضع كل منها في موضعه الصحيح، وسيلةً من وسائل تكامل الرؤية وإيضاح الصورة، وتصحيح التفسير وتجنب الشطط<sup>(٢)</sup> فيه.

وفي التفسير العلمي للنص النبوي الشريف نحرص على توظيف الحقائق العلمية الثابتة، ولكن بما أن العلم لم يصل إلى الحقيقة في كل أمر من أمور الوجود، فلا أرى حرجًا من توظيف النظرية العلمية المقبولة والسائدة في تحقيق التفسير العلمي للحديث النبوي الشريف حتى تصل المعرفة الإنسانية في هذا الأمر إلى مستوى الحقيقة.

أما الإعجاز العلمي للحديث النبوي الشريف فيقصد به إثبات سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإشارة إلى حقيقة علمية قبل وصول العلوم المكتسبة لها بقرون عديدة، وهذا سبق العلمي من قبل ألف وأربع مئة سنة،

١. المعول عليه: المعتمد عليه.

٢. الشطط: بالغ في البعد عن الحق أو عن موضوع معين.

وفي بيئة بدائية، وزمن لم يكن ممكناً لأيٍّ من البشر الوصول إلى تلك الحقيقة عن طريق الاكتساب المعرفي؛ مما يقطع بأنه لا يمكن أن يكون لها مصدر غير وحي السماء.

وانطلاقاً من هذا التعريف فإن موقف التحدث بالإعجاز العلمي هو موقف تحدُّ للناس جميعاً: مسلمين وغير مسلمين، أن نبياً أمياً ﷺ بُعث من قبل ألف وأربع مئة سنة في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، قد نطق بهذا الحق الذي لم نصل إليه معارف الإنسان المكتسبة إلا منذ بضعة عقود قليلة من السنين، مما يُثبت نبوته ورسالته وصَلتُهُ بوحي، والمتحدي لا بد أن يكون واقفاً على أرض صلبة، ومن هنا فلا بد من الحرص على توظيف القطعي الثابت<sup>(١)</sup> من الحقائق العلمية في إثبات الإعجاز العلمي لأحاديث رسول الله في كل القضايا التي تعرض لها باستثناء الأحاديث المتعلقة بقضايا غيبية من مثل قضايا الخلق والإفناء والبعث لكل من الكون والحياة والإنسان كما سبق أن وضحنا؛ وذلك لأن هذه القضايا لا تخضع للإدراك المباشر من الإنسان، على الرغم من إلحاح<sup>(٢)</sup> كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على تدبرها والتفكر فيها، ومعنى ذلك: أنه على الرغم من أن هذه القضايا لم يشهد لها أيُّ منا إلا أن الله تعالى قد أبقى لنا في صفحة السماء وفي صخور الأرض من الشواهد الحسّية<sup>(٣)</sup> ما يمكن أن يُعينَ الإنسان - بِحِسِّهِ المحدود وقُدْرَاتِ عقله المحدودة - على الوصول إلى تصور ما عن خلق السماوات والأرض وخلق كل من الأحياء والإنسان.

وهنا تتعدد الرؤى وتكثر النظريات، وتتعارض الفلسفات بتعارض خلفية واضعيتها من الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والاستقامة والانحراف،

١. القطعي الثابت: الأحكام التي لا يجري فيها الاجتهاد ولا يدخلها التغيير وهي من قطعيات الشريعة وثوابتها.

٢. إلحاح: إصرار وتأكيد.

٣. الشواهد الحسّية: الأمور المدركة والمشاهدة بالحواس.

والجدية والهزل، وغير ذلك من المواقف البشرية، وهنا يظهر للمسلم -وللمسلم فقط- نورٌ من الله تعالى في آية قرآنية كريمة أو في حديث نبوي صحيح مرفوع إلى رسول الله ﷺ لا يمكن أن يعين على الارتقاء بإحدى النظريات المطروحة إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة لها في كتاب الله أو في سنة خاتم أنبيائه ورسوله.

١٧. عدم التقليل من جهود العلماء السابقين الذين اجتهدوا في تفسير أحاديث رسول الله ﷺ في حدود المعلومات العلمية التي كانت متاحة لهم في أزمنتهم؛ وذلك لأن من طبيعة المعارف العلمية أن تزداد اتساعاً وعمقاً مع مرور الزمن ما لم تنتكس<sup>(١)</sup> الحضارات الإنسانية وترتد<sup>(٢)</sup> على أعقابها، أو تدمر بأمر من الله تعالى عقاباً لها على جرائمها، ومنها الإفساد في الأرض.

١٨. الأخذ في الاعتبار أنه من الممكن الانطلاق من الحديث النبوي الشريف للوصول إلى حقيقة علمية لم يصل إليها أحد من قبل، ولو وعى المسلمون هذه الحقيقة لسبقوا غيرهم من الأمم في الوصول إلى العديد من حقائق العلم؛ لوفرة<sup>(٣)</sup> الإشارات العلمية في كتاب الله وفي سنة خاتم أنبيائه ورسوله.

وعلى الرغم من تخلف المسلمين المعاصرين في مجالي العلوم والتقنية، فإن الباب لا يزال مفتوحاً أمامهم للانطلاق من آية قرآنية كريمة أو من حديث نبوي شريف من أجل الوصول إلى ما لم يسبقهم إليه غيرهم من حقائق الوجود.

١. تنتكس: تنقلب وتغير للأسوأ.

٢. ترتد: ترجع إلى ماكانت عليه.

٣. الوفرة: كثرة، غزارة.

يجب تحريّ<sup>(١)</sup> الدقة المتناهية في التعامل مع أحاديث رسول الله ﷺ، وإخلاص النية لله في ذلك، والتجرّد<sup>(٢)</sup> من كل هوى نفسي وغاية شخصية أو مكاسب مادية، حتى يبارك في العمل ويكون خالصاً لوجه الله تعالى.

---

١. تحري: تقصي والبحث عن الحقيقة.

٢. التجرّد: التحرر من الأهواء والعمل والحكم بلا تحيز.

## ٥-٢. مهام<sup>(١)</sup> الرسول محمد ﷺ:

إن مهام وأقوال وأفعال الرسول محمد ﷺ الذي أوحى الله إليه المعجزة الدائمة على مرّ العصور (وهي القرآن الكريم) كما أوردها العلماء هي كما يلي:

١. التبليغ<sup>(٢)</sup> والدعوة، وما ينبثق عنها من التشريع والتفسير للقرآن الكريم، وهذا وحي من الله، ولا مجال للخطأ فيه؛ لقوله تعالى في سورة النجم: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>، وغيرها من الآيات.

٢. بيان المعجزات الحسية والمعنوية، وهي من عند الله تعالى؛ لقوله في سورة الأنفال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾<sup>(١٧)</sup>، وغيرها من الآيات.

٣. القدوة<sup>(٣)</sup>؛ وذلك للحث العملي على فعل مكارم الأخلاق، وتعلم ممارستها.

٤. الاجتهاد في أمور الدنيا، من تشاوره مع الصحابة، بما فيها من حكمة في بعض القضايا، وهو عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب إلا ما أوحى الله إليه، وفي هذا فإنه قد لا يُصيب في بعض الأحيان في اختصاصات العمل في أمور الدنيا.

٥. بيان الإشارات الكونية للعباد، وهذا من وحي الله عز وجل خالق هذا الكون بما فيه (فيما ورد أو لم يرد في القرآن الكريم)، وفي هذا تعليم للأمم، وللحث والعمل على البحث والعلم، وليثبت الزمن بالتجارب والظواهر الكونية -وقد يكون من أنواع الدعوة-.

١. مهام: اختصاصات ومسؤوليات.

٢. التبليغ: الإيصال إلى غاية مقصودة.

٣. القدوة: ما يقتدى به وما يتخذ مثلاً أو أسوة للعمل مثله.

وفي هذا هناك أحاديث وردت عن الرسول ﷺ يشير فيها إلى هذه الآيات الكونية التي نشير في هذا الجزء إلى بعض منها وندلل على صوابيتها<sup>(١)</sup> كما أثبت العلم الحديث صحتها، وهذا نوع من «الإعجاز العلمي للرسول الكريم» وأنه مَنْ غَيَّرَ اللهُ الخالق يمكن أن يكون قد أخبر هذا النبيَّ الخاتم من قبل ألف وأربع مئة سنة بتلك الحقائق العلمية التي لم يتوصل الإنسان إلى إدراك شيء منها إلا منذ عشرات قليلة من السنين فقط؟

ومن الذي كان يضطره إلى الخوض<sup>(٢)</sup> في مثل هذه الأمور التي كانت غائبة عن الناس - كل الناس - في زمانه ﷺ وللعديد من القرون المتطاولة<sup>(٣)</sup> من بعده، لولا أن الله تعالى الذي ألهمه النطق بها؟ يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سوف يصل في يوم من الأيام إلى اكتشاف تلك الحقائق، فتبقى هذه الومضات<sup>(٤)</sup> النورانية في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ شهادة حق على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وعلى أن هذا النبي الخاتم كان موصولاً بالوحي، ومُعَلِّمًا من قِبَل خالق السماوات والأرض.

١. صوابيتها: من الصواب أي صحة الشيء وسداده وجودته.

٢. الخوض: الالتباس في أمر فيه الكذب والباطل.

٣. المتطاولة: الطويلة البعيدة.

٤. الومضات: اللمعان والبريق من الضوء أو النور.

ولتتكلّم عن إعجاز الرسول ﷺ في (بعض) أحاديثه الشريفة، فلا بد أن نُفرّق بين:

أولاً: معجزات الأنبياء والرسل.

ثانياً: عصمة الأنبياء والرسل.

٥-٣. معجزات الأنبياء والرسل:

٥-٣-١ أنواع المعجزات:

١. معجزة حسّية وقتية تُدرَك بالحسّ: وتشاهد بالعيان، من ذلك معجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام، فموسى عليه السلام أيده الله تعالى بالعصا البيضاء، والآيات التسع، وعيسى عليه السلام أيده الله تعالى بإبراء<sup>(١)</sup> الأكمة<sup>(٢)</sup> والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، والملاحظ أن معجزة كل نبي شيء ورسالته شيء آخر. وهذا النوع من المعجزة ينقضي بانقضاء عصر النبي الذي أيده الله تعالى بها؛ فلسنا نجد اليوم ناقة لصالح عليه السلام، ولا عصا لموسى عليه السلام، ولا شيء من معجزات غيرهم من الأنبياء السابقين عليهم السلام، فقد انتهت بانتهاؤها وقوعها، ولا تكون حجّة<sup>(٣)</sup> إلا على من شاهدها أو نقلت إليه بالتواتر القطعي<sup>(٤)</sup>، أو هي كما يسميها القرطبي (ت ٦٧١هـ): «مَا اشْتَهَرَ نَقْلُهُ وَأَنْقَرَضَ عَصْرُهُ»<sup>(٥)</sup>، وهذا بخلاف النوع الثاني من المعجزة.

١. إبراء: المعافاة من المرض.

٢. الأكمة: الأعمى الذي لا يبصر.

٣. حجّة: دليل وبرهان.

٤. التواتر القطعي: هو المرويُّ من جمع غفير من الرواة الصادقين.

٥. أَنْقَرَضَ عَصْرُهُ: انقطع وفني وانتهى وقته.

٢. معجزة عقلية (معنوية) دائمية: وهي ما تخضع لها العقول، وتدعن<sup>(١)</sup> لها البصائر؛ إذ هي تخاطب العقل البشري أيًا كان وأنى كان، فهي خالدة باقية وعامة شاملة، إنها معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، ألا وهي «القرآن الكريم». لقد قضت حكمة الله تعالى البالغة أن تكون معجزة الإسلام باقية إلى جانبته تؤيده وتعزّزه<sup>(٢)</sup> إلى قيام الساعة؛ حتى لا يكون لأحد عذر في ترك هذا الدين الأخير، الذي هو خاتمة الأديان والشرائع؛ لذلك اختار سبحانه أن تكون معجزة «الإسلام» شيئًا يصلح للبقاء، فكانت -دون سواها- كلامًا يتلى في أذن الدهر<sup>(٣)</sup>، وحديثًا يُقرأ على سمع الزمان<sup>(٤)</sup>.

هناك عدة فروق بين النوعين، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

#### أ) المعجزة الحسية:

١. تعتمد على إدهاش الأبصار، وإخضاع الأعناق<sup>(٥)</sup> بما يعجزهم من الخوارق المادية، تعتمد على إخضاع العقول وإنارة البصائر بما يعجزهم من العلم والحكمة.
٢. تنتهي بانتهاء وقوعها، ولا تكون حجة إلا على من شاهدها، أو وصلت إليه بالتواتر القطعي تبقى ويستمر إعجازها إلى ما شاء الله تعالى.
٣. لاثقة بالأمم في طفولة النوع الإنساني ولا ثقة بالأمم بعد أن ارتقت<sup>(٦)</sup> الإنسانية وبلغت رشدًا.

١. تدعن: تخضع، تنقاد.

٢. تعزّزه: تقويه وتصيره عزيزًا في مكانته.

٣. أذن الدهر: تعبير يعني به: الإعلام.

٤. سمع الزمان: ما يستمع إليه خلال مدة الدنيا.

٥. إخضاع الأعناق: الإرغام والقهر بقوة.

٦. ارتقت: من الارتقاء أي الارتفاع والصعود.

٤. تدل على صحة النبوة والرسالة ولكن بأمر خارج عن الرسالة، فعصا موسى عليه السلام غير ما جاء في التوراة التي أنزلها عليه، وإبراء المسيح عليه السلام الأكمة والأبرص غير ما جاء به الإنجيل الذي أنزله الله عليه، فهي مقطوعة الصلة<sup>(١)</sup> بوظيفة النبوة وأهداف الوحي ومعنى الشريعة، وأكثر ما كانت المعجزات الحسية في بني «إسرائيل»، وما كان ذلك إلا لفرط بلادتهم<sup>(٢)</sup>، وغلظ حسهم<sup>(٣)</sup>.

### ب) المعجزة المعنوية الدائمة:

وهي تدل على صحة الرسالة بموضوع الرسالة ذاتها، فالقرآن الكريم آية سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الكبرى، ومعجزته العظمى، وهو في الوقت ذاته رسالته وموضوع هدايته.

ثم ختم الله تعالى رسله إلى خلقه بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكما أيد الرسل من قبله بتلك المعجزات الحسية أيده كذلك بكثيرٍ منها، كتلك التي كان يطلبها المشركون تعنتاً<sup>(٤)</sup>، فيجابون إلى بعضها ولا يؤمنون، ولا يجابون إلى أكثرها، رحمةً من الله تعالى أن ينزل بهم العذاب عند تكذيبهم بها، كما جاء ذلك في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَإِنَّا نَمُودُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

فقد كانت المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عقلية، وهى القرآن الكريم، إضافة إلى ما أعطاه الله تعالى كذلك من المعجزات الحسية؛ وذلك لكون رسالة النبي ﷺ عالمية، وكونها خاتمة

١. مقطوعة الصلة: ليس لها علاقة.

٢. بلادتهم: لا يملكون سرعة البديهة أو الذكاء أو الفهم.

٣. حسهم: شعورهم.

٤. تعنتاً: التمسك بالرأي بغير وجه حق.

الرسالات<sup>(١)</sup>، فالإسلام الدين الخاتم الذي جاء به النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فقد تم التركيز على معجزة دائمة وهي «القرآن الكريم»، والقرآن الكريم معجزة عقلية معنوية باقية لا يُهَوَّن<sup>(٢)</sup> من جلالها مرورُ الزمان، وتقدّم الأيام، بل إن الزمان كلما تقادم زاد هذا القرآن جِدَّةً<sup>(٣)</sup> وقوةً وإعجازاً، فالزمان عنصر من الإعجاز في القرآن.

٥-٣-٢ عصمة الرسل:

تعريف العصمة:

في اللغة: وردت في اللُّغة في عدَّة معانٍ، منها:

- المنع: العصمة في كلام العرب: المنع، وعِصْمَةُ الله عبْدَه: أن يعصمه ممَّا يوبِّقُه<sup>(٤)</sup>، يقال: عصمه يعصمه عِصْمًا: منعه ووقاه، ويقال: عصمته من الطَّعام؛ أي: منعه عن تناوله، وعصمته من الكذب، أي: منعه منه، ومنه قوله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مِنَ الْجَاذِبِينَ الَّذِينَ يُبْعَثُونَكَ عَلَيْهِمْ حِينَهُمُ الْمَاءَ ۖ لَمَّا يَقْتُلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: يمنعني من الغرق، وقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ﴾<sup>(٦)</sup>، أي: امتنع امتناعاً شديداً، وجاء في الحديث الشريف: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مَنِيَّ مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» (متفق عليه)، أي: منع مني ماله ونفسه، وسمَّيت العصمة عصمة، لأنَّها تمنع من ارتكاب المعصية، وقد جاءت العصمة بمعنى «المنع» أيضاً في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿...وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾<sup>(٧)</sup>، أي: يمنعك من القتل، فعلى هذا المعنى للعصمة

١. خاتمة الرسالات: آخر الرسالات (الأديان) السَّماوية.

٢. يهون: يضعف.

٣. جِدَّةٌ: مكانة ومنزلة.

٤. يوبِّقُه: يكسبه إثمًا أو يهلكه.

يكون قول بعضهم: العصمة لله وحده، قولاً لا يصح؛ لأنَّ العصمة  
إنَّما تكون من الجرائم والذنوب، ولا يصح نسبتها إلى الله عز وجل.

- الحِفظُ: قال في كتاب (اللسان): «والعِصْمَةُ: الحفظ، يقال: عصمه  
فانعصم، واعتصمْتُ بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية»، وقال  
الحافظ في كتاب (القدر) في شرح باب (المعصوم من عصم الله):  
«أي: مَنْ عصمه الله بأن حماه من الوقوع في الهلاك، أو ما يجزُّ<sup>(١)</sup> إليه،  
يقال: عصمه الله من المكروه: أي: وقاه وحفظه، واعتصمْتُ بالله،  
أي: لجأتُ إليه».

### تعريف العصمة في الشرع:

العِصْمَةُ من صفات الأنبياء التي اختصُّوا بها دون غيرهم؛ لتحصيل<sup>(٢)</sup>  
مقصد النبوة والرِّسالة، قال الحافظ: «إنَّ غير النَّبِيِّ - ولو بلغ من الفضل  
الغاية<sup>(٣)</sup> - ليس بمعصوم». بخلاف غير الأنبياء فإنَّهم ليسوا معصومين كما  
عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء لله.

وقال أيضًا في هذه المسألة: «وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، خلافًا  
لأهل الرِّفص الذين يجعلون أئمتَّهم معصومين كالأنبياء، وبعض أهل التصوُّف  
الذين بالغوا في تقدس شيوخهم حتى ادعوا فيهم العصمة».

ما الحكمة من عصمة الأنبياء؟

مثلاً عندما نقرأ قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا  
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٣٥)</sup>، ظاهر  
الآية أن الهدف من الرسالات إقامة العدالة على الأرض، العدالة الفردية لكل

١. يجزُّ: يجذب أو يشد أو يوقع.

٢. تحصيل: إدراك ونيل.

٣. الغاية: الفائدة المقصودة.

إنسان، والعدالة الاجتماعية، ونحن نعرف أن العدالة الفردية والاجتماعية لا تتحقق إلا بشرطين:

- الشرط الأول: أن تصل القوانين إلى الأمة، لو لم تصل قوانين السماء العادلة إلى الأمة البشرية فلا يمكنها تطبيق العدالة على الأرض، إذن إيصال القوانين عنصر ضروري لتطبيق العدالة على الأرض، فحتاج ذلك إلى: عصمة من الأنبياء حتى يكونوا أميين<sup>(١)</sup> وموثوقين<sup>(٢)</sup> في إيصال قوانين السماء إلى الأرض.

- الشرط الثاني: عنصر القدوة، لا يمكن للنبي أن يقيم العدالة على الأرض وهو ليس عادلاً مع زوجته، لا يمكن للنبي أن يقيم العدالة على الأرض وهو ليس عادلاً مع جيرانه، إذا تصورنا فيه أن ينحرف عن العدالة ولو في علاقاته الشخصية، ولو في علاقته مع زوجته أو جيرانه أو أصحابه، إذا تصورنا فيه أن ينحرف أو يزل<sup>(٣)</sup> عن العدالة فليس مؤهلاً<sup>(٤)</sup> لتطبيق العدالة على الأرض، تطبيق العدالة على الأرض تحتاج إلى ركنين أساسيين، وصول القوانين إلى الأرض وهذا يحتاج إلى عصمة التبليغ، ووجود شخصية قيادية عادلة تعيش العدل المحض<sup>(٥)</sup> ولا يتصور فيها الانحراف عن العدالة، حتى تفقد مسيرة العدالة، لذلك نحن نقول لا بد من كونهم معصومين في مجال التبليغ وفي مجال التطبيق حتى تنطبق العدالة على الأرض، وهذا ما نستفيده من الآيات القرآنية.

١. أميين: أوفياء وصادقين وثابتين على العهد.

٢. موثوقين: ذوي ثقة وأمانة ويعتمد عليهم ولا شك فيهم.

٣. يزل: يسقط، يقع بالخطأ بما لم يكن يقصده.

٤. مؤهلاً: ذو كفاءة وقدرة ومهارة.

٥. المحض: الخالص من كل شيء، لا يشوبه شائبة.

مرة أخرى نؤكد على قول الله تعالى في سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (١١٠)، فالأمور البشرية هي موضع الاجتهاد الذي يمكن أن يعترى (١) النبي أو الرسول، كموضوع الأمراض والعلل والمصائب التي تقع على الإنسان الطبيعي، كذلك تقع على النبي والرسول، في مسألة رعاية الله له كما قال سبحانه لسيدنا موسى وأخيه سيدنا هارون عليهما السلام في سورة طه: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (٦١)، وقوله تعالى لرسوله محمد ﷺ في يوم معركة بدر، كما ورد في سورة الأنفال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (١٧)، أي: إن الله تعالى من تولى إصابتهم. هذه مسائل تتعلق بالأمور التشريعية وبالأمور التبليغية وبالأمور التطبيقية على شخص النبي والرسول. فالعصمة هي: حفظ الله لأنبياؤه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي، وارتكاب المنكرات والمحرمات.

وعرفها الحافظ ابن حجر بقوله: «وعصمة الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام: حفظهم من النقائص (٢)، وتخصيصهم بالكمالات النفيسة (٣)، والنصرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة، والفرق بينهم وبين غيرهم أن العصمة في حقهم بطريق الوجوب (٤)، وفي حق غيرهم بطريق الجواز»، وقال الراغب: «عصمة الله الأنبياء: حفظه إياهم أولاً بما خصهم من صفاء الجوهر (٥)، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق»، وقال المناوي: «العصمة ملكة (٦) اجتناب المعاصي مع التمكن منها».

١. يعترى: يصبب.

٢. النقائص: جمع نقيصة، أي: كل ما يقلل من القدر.

٣. النفيسة: الغالية النادرة.

٤. الوجوب: اللزوم والضرورة.

٥. صفاء الجوهر: وضوح وجلاء وصدق القلب والذات.

٦. ملكة: الصفة الراسخة في النفس أو الاستعداد لتناول أعمال معينة بمهارة.

وأحسن وأسلم هذه التعريفات ما ذكره شهاب الدين أحمد الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ). صاحب كتاب «نسيم الرياض» بأنّها: «لطفٌ من الله تعالى يحمل النبيّ على فعل الخير، ويزجره<sup>(١)</sup> عن الشرِّ، مع بقاء الاختيار؛ تحقيقاً للابتلاء».

الشرع والعقل يلزمان<sup>(٢)</sup> بعصمة الأنبياء للأسباب التالية:

١. العصمة ثابتة للأنبياء أكرمهم الله بها، وميَّزهم على سائر البشر؛ حتى تتحقّق حكمة الاقتداء والتأسي<sup>(٣)</sup> بهم، وإلّا لم يكن لهم فضل ولا مزية<sup>(٤)</sup>، وكانت القدوة بغيرهم مساوية للقدوة بهم، والأخذ عنهم كالأخذ عن غيرهم.

٢. ولأنّ المعاصي والذنوب ما هي إلاّ نجاسات معنويّة، وهي تشبه القاذورات والنّجاسات الحسية، فكيف يجوز نسبها إلى الأنبياء؟! وقد سمّاها النبيّ ﷺ قاذورات كما جاء في صحيح الجامع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بقوله: «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها» (رواه الحاكم والبيهقي)، يقول الشيخ محمد علي الصّابوني رحمه الله في «النبوة والأنبياء» موضّحاً هذا المعنى: «وهل سيكون لكلام النبيّ أثر في النفوس إذا كانت سيرته غير حسنة، أو كانت حياته ملوثة<sup>(٥)</sup> ببعض الموبقات<sup>(٦)</sup> والآثام؟».

٣. ولأنّ القول بعدم عصمة الأنبياء يُفضي إلى القدح في تبليغهم الرّسالة، حيث يمكن نسبة الخطأ أو الزيادة أو النقص في التّشريع، وهذا غير ممكن في حقّهم، لأنّ الله قد عصمهم من ذلك.

١. يزجره: ينهاه ويمنعه.

٢. يلزمان: يوجبان بالضرورة.

٣. التأسي: الاقتداء.

٤. مزية: فضيلة يمتاز بها على غيره.

٥. ملوثة: متسخة.

٦. الموبقات: الكبائر من المعاصي والذنوب.

## الأمور التي عُصِمَ منها الأنبياءُ:

١. الكفر: فالأنبياء والرسل لا شكَّ أنَّهم معصومون من الوقوع في الكُفْر والشُّرك، وقد نقل الجرجاني إجماع الأمة على عصمة الأنبياء من الكفر والشُّرك قبل النبوة وبعدها، حيث قال: «وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها، ولا خلاف لأحد منهم في ذلك»، وقال الرّازي: «وأجمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكُفْر والبدعة<sup>(١)</sup>»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ففي الجملة<sup>(٢)</sup> كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله فهم متفقون على تنزيههم<sup>(٣)</sup> عنه». والله عزَّ وجلَّ قد نزه نبيّه محمداً ﷺ من كل ضلال وغواية<sup>(٤)</sup> وكفر، ونفى ذلك عنه، قال تعالى في سورة النجم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾<sup>(٥)</sup>، فهذه شهادة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّه راشد تابع للحق، ليس بضال ولا غاوٍ، بل هو في غاية الاستقامة والاعتدال<sup>(٥)</sup> والسداد<sup>(٦)</sup>، والهداية، أمّا قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْغَافِلِينَ﴾<sup>(٨)</sup>، وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾<sup>(٩)</sup>، فهذه النصوص وغيرها يتوهم بعضهم أنَّها تدلُّ على أن الرسول ﷺ كان في ضلالٍ قبل النبوة، وأنَّه كان من الغافلين<sup>(٧)</sup>، والغفلة تشمل الغفلة عن الإيمان كما قالوا.

١. البدعة: هي الغفلة والمخالفة للسنة.

٢. الجملة: بالإجمال بصورة شاملة.

٣. تنزيههم: تطهيرهم من كل قبيح.

٤. غواية: إضلال وانقياد للهوى.

٥. الاعتدال: الاستقامة والاستواء.

٦. السداد: الصواب والتوفيق.

٧. الغافلين: المهملين لا عن نسيان.

فالجواب عن الاستدلال بهذه النصوص، والتوجيه الذي يرفع عنها هذا الوهم أن نقول: إن قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾: يُحْمَلُ عَلَى عِدَّةٍ وَجُوهُ تَدُلُّ جَمِيعُهَا عَلَى تَنْزِيهِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي الشَّرْكَ أَوْ الْكُفْرِ قَبْلَ بَعْثِهِ وَبَعْدَهَا مِنْ بَابِ أَوْلَى، وَمِنْ هَذِهِ الْوَجُوهُ:

- يحمل «الضلال» هنا على معنى الغفلة، كما في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وكقوله تعالى في سورة طه: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾<sup>(٥٢)</sup>، أي: لا يغفل، فيكون المعنى: ووجدك غافلاً عمّا يراد بك في أمر النبوة.

- ومنهم مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «ضَلَّ الطَّرِيقَ» فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ صَغِيرٌ، ثُمَّ رَجَعَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ ضَلَّ وَهُوَ مَعَ عَمِّهِ فِي طَرِيقِ الشَّامِ وَكَانَ رَاكِبًا نَاقَةَ فِي اللَّيْلِ؛ فَيَكُونُ الضَّلَالُ هُنَا بِمَعْنَى «الضَيَاعِ».

- وقيل: الضلال بمعنى الطُّلُب<sup>(١)</sup>، أي: وجدك طالبًا للقبلة فهداك الله إليها؛ كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾<sup>(١٤٤)</sup>.

- وقال بعضهم: وجدك الله في «قوم ضلال» فهداهم الله بك، فيكون على حذف مضاف، نحو ما جاء في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَسَأَلَ الْقُرْيَةَ﴾<sup>(٨٢)</sup>.

- وقال قوم: ضالًّا «لم تكن تدري» القرآن والشرائع، فهداك الله إلى القرآن وشريعة الإسلام.

- وقيل: ووجدك ضالًّا عن الهجرة فهداك إليها.

١. الطُّلُب: القصد والرغبة للحصول على شيء

- وقيل: ووجدك محبباً للهداية فهذاك إليها، ويكون الضلال بمعنى «المحبة»، ومنه قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (٩٥).

- وقيل: ووجدك ضالاً ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل، وأنت لا تعرف الطريق، فهذاك إلى ساق العرش، ووجدك ضالاً بنفسك لا تدري من أنت فعرفك بنفسك وحالك.

- وفسر الضلال «بالسَّيان»؛ كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (٢٨٢).

- وقيل: ووجدك ضالاً، أي: لا أحد على دينك، وأنت وحيد ليس معك أحد، فهديت بك الخلق إليّ، وهذا القول مال إليه القرطبي، قال بعد أن ذكر بعض الأقوال السابقة: «قلت: هذه الأقوال كلها حسان<sup>(١)</sup>، ثم منها ما هو معنوي، ومنها ما هو حسّي، والقول الأخير أعجب<sup>(٢)</sup> إليّ؛ لأنه يجمع الأقوال المعنوية».

وأما قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٣)، فليس المقصود من الغفلة: الغفلة عن الإيمان والوقوع في الشرك، وإنما المقصود: الغفلة عن قصة يوسف مع أبيه وإخوته، كما يدل السياق على ذلك، قال الشوكاني: «والمعنى: أنك قبل إيحائنا إليك من الغافلين عن هذه القصة»، وهذه القصة وأمثالها لا تُعلم إلا عن طريق الوحي؛ ولهذا لا يلحقه نقص بسبب هذه الغفلة.

وأما قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ (٥٢)، أي: ما يجب الإيمان به من الفرائض والأحكام الشرعية

١. حسان: شديدة الحسن.

٢. أعجب: يعجبني أكثر من غيره.

التفصيلية، فالمنفي هو الإيمان التفصيلي لا الإجمالي، وهذا هو ما قاله المفسرون، قال ابن كثير: «أي: على التفصيل الذي شرع لك في القرآن»، وقال الشوكاني: «إنه كان لا يعرف تفاصيل الشرائع، ولا يهتدي إلى معالمها، وخص الإيمان لأنه رأسها وأساسها، وقد أوحاها الله إليه ﷺ».

٢. الكبائر<sup>(١)</sup>: لا شك أن الكبائر مما يحطُّ قدر العبد عند الله عزَّ وجلَّ، وعصمةُ الأنبياء من الكبائر أمرٌ دلَّت عليه النصوص من القرآن والسنَّة، فكيف لا يكون النبي معصوماً من الكبائر، والأمر لا يتعلَّق بنفسه فقط، بل يتعدَّاه<sup>(٢)</sup> لغيره بكونه هو القدوة للناس والمرشد لهم، بل كلُّ أفعاله وأقواله تعدُّ تشريعاً تأخذ بها الأمة إلى قيام الساعة.

فالنبي محمد ﷺ منزَّه عن كل ما يحطُّ قدره، ويُنقص من منزلته، بل هو صلَّى الله عليه وسلَّم قد جبَّله<sup>(٣)</sup> الله عزَّ وجلَّ على جميل الأخلاق، وكريم السجايا<sup>(٤)</sup>، ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup>، فهذه تزكية من الله تدل على سلامته من كل ما يحط من منزلته، ويقدم في نبوته، بما في ذلك الكبائر، ويدل لذلك قوله ﷺ عن أنس بن مالك أنه قال: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له» (رواه البخاري)، وهذه التقوى والخشية تقتضي البعد عن كل ما يسخط الله، ومما يسخطه - بل من أشد ما يسخطه - ارتكاب الكبائر، ومما يدلُّ على عصمة النبي ﷺ من الوقوع في الكبائر ما سبق في حديث شقِّ جبريل لقلبه واستخراج حظِّ الشيطان منه<sup>(٥)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنَّ القول بأنَّ الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصَّغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع

١. الكبائر: كل ذنب توعَّد الله تعالى عليه بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

٢. يتعدَّاه: يتجاوزه.

٣. جبَّله: خلقه بطبع.

٤. السجايا: جمع سجية وهي الطبيعة، والتلقائية والعفوية.

٥. استخراج حظِّ الشيطان منه: استئصال نصيب أو إغواء الشيطان له.

الطوائف، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول».

٣. العصمة في التحمل<sup>(١)</sup> والتبليغ: من خصائص الأنبياء والمرسلين أنهم معصومون في تحمّل الوحي، وفيما يخبرون عن الله تعالى، فقد اتفقت الأمة أنّ الرسل معصومون في تحمّل الرسالة، فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلا شيئاً قد نُسِخَ<sup>(٢)</sup>، وقد تكفّل الله لرسوله بأن يُقرئه<sup>(٣)</sup> فلا ينسى شيئاً مما أوحاه الله إليه، إلا شيئاً أراد الله أن ينسياه إياه، قال تعالى في سورة الأعلى: ﴿سُنِّفِرُكَ فَلَا تَنْسَخْ ۖ إِنَّمَا وَصَّيْنَاكَ بِإِنشَاءِ اللَّهِ ۗ﴾، وتكفّل بأن يجمعه له في صدره، لقوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأَهُ فَانصَبْ قُرْآنَهُ ۚ﴾.

وهم أيضًا معصومون في التبليغ، فالرسل لا يكتمون شيئاً ممّا أوحاه الله إليهم؛ وذلك لأنّ الكتمان خيانة، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك؛ قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَأْتِيهَا الرّسولُ بَلِغَ مَا أنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ يَأْتِيهَا الرّسولُ بَلِغَ مَا أنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ﴾، ولو حدث شيء من الكتمان أو التغيير فإن عقاب الله يحل بهذا الكاتم<sup>(٤)</sup> المُغيّر، كما قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۗ﴾<sup>(٥)</sup> لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۗ﴾<sup>(٤٥)</sup> ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ<sup>(٦)</sup> ۗ﴾<sup>(٤٦)</sup>، وممّا يدل على

١. التحمل: الصبر على المشاق.

٢. نُسِخَ: أزيل بأمر ووحى من عند الله.

٣. يُقرئه: يعلمه ويحفظه.

٤. الكاتم: الساتر الذي يخفي الشيء أو الذي يحتفظ بالأمر لنفسه.

٥. الأقاويل: جمع قول، والمقصود المفاوضة والمجادلة وتغيير الكلام الموحى إليه.

٦. الوتين: الشريان الرئيس الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب.

العصمة في التبليغ قوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾.

ومن عصمته ﷺ في هذا الشأن عصمته من الكذب مطلقاً في أي حال من الأحوال، سواء في تبليغ الرسالة أو في غيره من أخباره وأحواله الدنيوية قبل البعثة وبعدها، ويدل على هذا مبادرة الصحابة إلى تصديقه بجميع أقواله، والثقة بجميع أخباره دون تردد أو توقف؛ بل قد أقرت<sup>(١)</sup> قريش بصدقه عندما دعاهم في الصفا<sup>(٢)</sup>، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما فقال لقومه: «...أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تُغيرَ عليكم أصدقتُموني؟»، قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير<sup>(٣)</sup> لكم بين يدي عذاب شديد» (رواه ابن حبان). وقد قال أبو جهل للنبي ﷺ: إِنَّا لَا نَكْذِبُكَ، ولكنْ نَكْذِبُ مَا جِئْتَ بِهِ، فأنزل الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ إِنَّمَا يُؤْتُونَ اللَّهَ بِمَجْحَدُونَ (٤)﴾ (٣٣).

وكذلك حين سأل الأخنس بن شريق أبا جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحدٌ غيري وغيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: وَيَحْكُ، والله إنَّ محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قُصيِّ باللواء<sup>(٥)</sup> والحجابه<sup>(٦)</sup> والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟

ومما يدل على ذلك: قول أبي سفيان له رقل عندما سأله عن النبي ﷺ، وكان ممّا سأل عنه: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما

١. أقرت: اعترفت ووافقت.

٢. الصفا: والمقصود جبل الصفا بمكة المكرمة، وهو الآن داخل بناء المسجد الحرام.

٣. نذير: الذي ينبه عن العواقب ويخوف مما قد يحدث قبل وقوعها.

٤. يَجْحَدُونَ: ينكرون.

٥. اللواء: العلم أو الراية.

٦. الحجابه: حراسة أبواب الحرم.

قال؟ قلت: لا، فقال هرقل: لم يكن لِيَذَرَ<sup>(١)</sup> الكَذِبَ على النَّاسِ ويكذبَ على الله.

وقوله ﷺ لزوجته خديجة رضي الله عنها بعد أن لقيه جبريل في حراء: «قد خشيتُ على نفسي»، فقالت له: كلاً، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنَّكَ لتصلُ الرَّحِمَ، وتصدُقُ في الحديث. (رواه الشيخان).

ويكفيه في هذا الباب شهادةُ الله له بقوله تعالى في سورة القلم: ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فإنَّه متَّصفٌ بكلِّ خُلُقٍ فاضلٍ، من الصِّدْقِ والأمانة وصلة الرَّحِمِ والجود وغيرها، فقد جَمَعَ اللهُ له خصائِلَ الخير كلها، حتى صار يُدعى: «الصَّادِقُ الأمين».

قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤) - وهو علامةٌ وفقه مؤرخ، كان من الناس العارفين بعلوم عصرهم -: «وأما أقواله الدنيويَّة من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله، فقد قدَّمتنا أنَّ الخُلْفَ<sup>(٣)</sup> فيها ممتنع عليه في كلِّ حال وعلى أي وجه، من عمْدٍ أو سهو، أو صحَّة أو مرض، أو رضاً أو غضب، وأنَّه معصوم منه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهذا الحكم فيما طريقه الخبر المحض ممَّا يدخله الصِّدْق والكذب، فأما المعارض<sup>(٤)</sup> وهي الموهمُ ظاهراً<sup>(٥)</sup> خلاف باطنها، فجائز ورودها منه في الأمور الدنيويَّة، لا سيَّما لقصد المصلحة، كتوريته<sup>(٥)</sup> عن وجه مغازيه<sup>(٦)</sup>، لئلا يأخذ العدو حذرَه، وكان يمازح ويداعب أصحابه لكي يُطَيِّبَ قلوبهم وليدخل المحبَّة والمسرَّة إلى نفوسهم، ولكن لا يقول إلا حقاً، ومن هذا:

١. يذر: يترك ويَدَع.

٢. الخُلْف: الاختلاف.

٣. المعارض: الكنايات في الكلام.

٤. الموهم ظاهراً: الاحتمال الذي يبدو للناظر أو القارئ، والحقيقة خلافه.

٥. توريته: إخفاء الأمر بتظهيره على غير حقيقته أو المقصود منه.

٦. مغازيه: غزواته.

- قوله ﷺ لأحد أصحابه: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَكَلِدِ النَّاقَةِ»، فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَهَل تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النَّوْقُ؟» (أخرجه الترمذي).

- وقوله ﷺ للمرأة التي سألته عن زوجها، فقال: «أَهُوَ الَّذِي فِي عَيْنِهِ بَيَاضٌ؟» وهذا حقٌ وصدق، فكل إنسان بعينه بياض، فكان يمزح عليه الصَّلَاة والسَّلَام، لكن ضابط هذا قوله: «إِنِّي أَمْزُحُ، وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» (رواه الترمذي).

- ويقول الدكتور/ مساعد بن سليمان الطيار: «فإنَّ القولَ بأنَّ الرسول ﷺ لم يقع منه خطأٌ، مخالفٌ لظاهر القرآن؛ لأنَّ الله سبحانه -الذي أرسله بالحق، وهو أعلمُ به- قد عاتبه في غير ما آيةٍ، ولا يكون العتاب إلا بسبب وقوع خطأ منه صلى الله عليه وسلم، وقد يستعظم بعضُ الناس القولَ بهذا، زاعمًا أن ذلك ينقص من قدر النبي ﷺ، وليس الأمر كذلك؛ فحقَّ الله أعظم، والإيمان بكلامه الذي نقله الرسول ﷺ أولى من هذا الزعم، ولو كان في هذه العتابات الإلهية له ما يُنقِصُ من قدره لما ذكرها الله سبحانه في حقِّ خليفه محمد صلى الله عليه وسلم، والمسلم مُطالبٌ بالأخذ بظاهر القرآن، ومن تأوَّل مثل هذه العتابات الإلهية فإنه سيقع في التحريف والتكذيب بخبر الله سبحانه.

- واعلم أنَّ في الرسول جانبيين: جانبًا بشريًّا، وجانبًا نبويًّا، أمَّا الجانب البشري فهو فيه كالبشر: يحب ويكره، ويرضى ويغضب، ويأكل ويشرب، ويقوم وينام... إلخ، مع ما ميَّزه الله به في هذا الجانب في بعض الأشياء، كسلامة الصدر، والقوة في النكاح، وعدم نوم القلب، وغيرها من الخصوصات التي تتعلق بالجانب البشري. ومن هذا الجانب قد يقع من النبي ﷺ بعضُ الأخطاء التي يعاتبه الله عليها، ولك

أن تنظر في جملة المعاتبات<sup>(١)</sup> الإلهية للنبي ﷺ، كعتابه بشأن أسرى بدر، وعتابه في عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه، وغيرها، وقد نصَّ الله على هذا الجانب في الرسل جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم، ومن الآيات في ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾<sup>(٢)</sup>، ومن الأحاديث حديث أم سلمة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ»<sup>(٣)</sup> من بعض...» (رواه البخاري ومسلم)، وتكمن العصمة في هذا الجانب في أن الله يُنبئ نبيه ﷺ على ما وقع منه من خطأ، وهذا ما لا يتأتى لأحد من البشر غيره، فتأمله؛ فإنه من جوانب العصمة المُغفلة<sup>(٣)</sup>. وأما الجانب النبوي، وهو جانب التبليغ، فإنه لم يرد البتة أن النبي ﷺ خالف فيه أمر الله، كأن يقول الله له: قل لعبادي يفعلوا كذا فلا يقول لهم، أو يقول لهم خلاف هذا الأمر، وهذا لو وقع فإنه مخالف للنبوة، فجانب التبليغ في النبي ﷺ معصومٌ، ويدل على هذا الجانب قوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>، الله أعلم.

- ويقول الدكتور/ محمود حمدي زقزوق - وهو عالم مصري حاصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة من ميونخ بألمانيا وجامعة الأزهر، وأستاذ جامعي وكاتب، شغل منصب وزير الأوقاف في مصر وتوفي عام ٢٠٢٠م -: «إن عصمة الرسول ﷺ، وكذلك عصمة كل الرسل عليهم السلام يجب أن تُفهم في نطاق مكانة الرسول، ومهمة الرسالة؛ فالرسول: بشر يُوحى إليه، أي: إنه - مع بشريته - له خصوصية الاتصال بالسماء، بواسطة الوحي؛ ولذلك فإن هذه المهمة تقتضي صفات

١. المعاتبات: اللوم الخفيف على سبيل الحب لما صدر من قول أو فعل.

٢. ألحن بحجته: أفصح كلامًا بغرض الإقناع للدليل على قضيته.

٣. العصمة المُغفلة: العصمة هي منع الله تعالى عبده من المعاصي مع التمكُن منها، والمُغفلة أي: المهملة.

يصنعها الله على عينه فيمن يصطفيه<sup>(١)</sup>، كي تكون هناك مناسبة بين هذه الصفات وبين هذه المكانة والمهام الخاصة الموكولة إلى صاحبها.

- والرسول مكلف بتبليغ الرسالة، والدعوة إليها، والجهاد في سبيل إقامتها وتطبيقها. وله على الناس طاعة هي جزء من طاعة الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾<sup>(٥٩)</sup>، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾<sup>(٣٣)</sup>، وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(٨٠)</sup>، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٣١)</sup>؛ ولذلك كانت عصمة الرسل في ما يبلغونه عن الله ضرورةً من ضرورات صدقهم والثقة في هذا البلاغ الإلهي الذي اختيروا ليقوموا به بين الناس. وبداهة العقل<sup>(٢)</sup> - فضلاً عن النقل<sup>(٣)</sup> - تحكم بأنَّ مُرْسَلِ الرسالة إذا لم يتخير الرسول الذي يُضفي<sup>(٤)</sup> الصدق على رسالته، كان عابثاً، وهو ما يستحيل على الله سبحانه وتعالى، الذي يصطفى من الناس رسالاً تؤهلهم العصمة لإضفاء الثقة والصدق على البلاغ الإلهي.. والحجة على الناس بصدق هذا الذي يبلغون.

أمَّا النسيان في غير البلاغ، وفي غير أمور التشريع، فهو من الأعراض البشرية الجليلية التي تجوز على الأنبياء، ولا تنافي العصمة<sup>(٥)</sup> في التحمل والتبليغ، ومن ذلك: في حديث ذي اليمين الذي رواه البخاري ومسلم، حيث سلَّم النبي ﷺ من ركعتين في صلاة الظهر، وقد صرَّح الرسول ﷺ بطرؤه<sup>(٦)</sup>

١. يصطفيه: يفضله ويختاره.

٢. بداهة العقل: تلقائية وسرعة الخاطر للعقل.

٣. النقل: عملية التلقي وسرعة الخاطر وإعادة بثه وإذاعته.

٤. يضيف: يضيف.

٥. تنافي العصمة: تعارض ميزة منع الله للنبي من فعل المعاصي والذنوب.

٦. طرؤه: من الطارئ، أي: الحادث المفاجئ الزائل.

النسيان عليه كعادة البشر، ففي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «ولكن، إنما أنا بشرٌ مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيْتُ فذكروني» (رواه ابن رجب في فتح الباري)، قال هذا بعد نسيانه في إحدى الصلوات.

وخلاصة القول في هذه المسألة:

أنَّ من الأمور الجائزة على الأنبياء السَّهو والنسيان في ما ليس طريقه البلاغ مطلقاً، وفي ما طريقه البلاغ بشرطين:  
الأول: أنَّه بعد ما يقع منه تبليغه لا قبل التبليغ.

الثاني: أنَّه لا يستمرُّ على نسيانه، بل يحصل له تذكُّره إمَّا بنفسه، وإمَّا بغيره، وفائدة جواز السَّهو والنسيان بيان الحكم الشرعي في ما وقع فيه ذلك إذا وقع مثله لغيره، وأن يكون في ذلك عزاء<sup>(١)</sup> لمن نسي من بعده، فيقول: قد نسي من هو خيرٌ مني.

هل الأنبياء معصومون من الصَّغائر غير المنفَّرة<sup>(٢)</sup>؟

للعلماء في هذه المسألة أقوال، والذي عليه الجمهور من أهل العلم أنَّ الأنبياء غير معصومين من الوقوع في الصَّغائر غير المنفَّرة، وأنَّهم معصومون من الإقرار<sup>(٣)</sup> على الذنوب مطلقاً، وأنَّهم إن وقع منهم زلَّاتٌ<sup>(٤)</sup> من جنس ذلك فإنَّهم يتداركونها<sup>(٥)</sup> بالتَّوبة والإنابة، ثمَّ يرتفعون إلى منزلة أعلى من المنزلة التي كانوا عليها قبل الذنب، يقول شيخ الإسلام موضعاً هذه المسألة في

١. عزاء: مواساة

٢. المنفَّرة: المثيرة للاشمئزاز.

٣. الإقرار: الاعتراف بحق الآخر.

٤. زلَّاتٌ: أخطاء.

٥. يتداركونها: يلحقونها بالمعالجة أو يتفادوا أو يتجنبوا الخطأ.

«منهاج السنة»: «وعامة الجمهور<sup>(١)</sup> الذين يجوزون<sup>(٢)</sup> عليهم الصغائر يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر عنهم ما يضرهم، كما جاء في الأثر: كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وإن العبد ليفعل السيئة فيدخل بها الجنة».

وللشيخ ابن عثيمين رحمه الله كلامٌ نفيس<sup>(٣)</sup> في هذه المسألة في «الشرح الممتع»، حيث يقول: «لكن الخطايا التي بينه وبين ربه هذه قد تقع منه، ولكنها خطايا صغيرة تكفر، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال الله تعالى في سورة محمد: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ﴾<sup>(١٩)</sup>، فإن العطف يقتضي المغايرة<sup>(٤)</sup>، وليس في ذلك أي قرح<sup>(٥)</sup> في أن الرسول يقع منه الذنوب الصغيرة.»

وأدلة القول بأن هذا النوع من الصغائر قد يقع من الأنبياء كثيرة من الكتاب والسنة، فقد صرح القرآن بذلك في عدة آيات، منها قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۗ﴾<sup>(١)</sup> لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۗ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى في سورة محمد: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ﴾<sup>(١٩)</sup>.

ومن الأدلة على وقوع الخطأ الاجتهادي منه صلى الله عليه وسلم في الأمور الدنيوية:

- حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل (يلقحون النخل)، فقال: «ما تصنعون؟» قالوا: كنا نصنعه،

١. الجمهور: ويقصد جمهور العلماء، أي أكثرتهم.

٢. يجوزون: يبيحون، أي: يجعلونه جائزاً.

٣. نفيس: ثمين وغالي ونادر.

٤. المغايرة: المخالفة.

٥. قرح: أعاب أو طعن بالشيء.

قال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً»، فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له، فقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّن دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّن رَأْيِي<sup>(١)</sup> فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ» (رواه مسلم).

- وحكى ابن إسحاق: أَنَّهُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ لَهُ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: أَهَذَا مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ<sup>(٢)</sup> اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ<sup>(٣)</sup>؟ قَالَ: «لَا، بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ»، قَالَ: فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، أَنَهُضَ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِّنَ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلُهُ، ثُمَّ نَغُورُ<sup>(٤)</sup> مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقَلْبِ<sup>(٥)</sup>، فَنَشْرِبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَقَالَ ﷺ: «أَشْرَتُ بِالرَّأْيِ»، وَفَعَلَ مَا قَالَهُ. (رواه ابن حبان والبيهقي).

والأدلة في هذا الباب كثيرة، وهي كلها تدل على وقوع الخطأ (الإنساني البسيط الذي لا يضر) منه ﷺ، إِلَّا أَنَّهُ يَجِبُ مَلَا حِظَةَ الْأُمُورِ الْآتِيَةِ:

- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعْصُومٌ مِّنْ أَنْ يُقَرَّ<sup>(٦)</sup> عَلَى الذَّنْبِ، وَهُوَ كَذَلِكَ مَغْفُورٌ لَهُ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ غَيْرَهُ يَذْنِبُ، وَقَدْ يُقَرُّ عَلَى ذَلِكَ وَيَسْتَمِرُّ فِي مَعْصِيَتِهِ، وَقَدْ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ، أَمَّا النَّبِيُّ فَلَا بَدَّ أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهِ مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١﴾.

١. إذن فالأنبياء معصومون من الإقرار على الصغائر، بل لا بدَّ أن يتوبوا منها وأن يوجَّهوا<sup>(٧)</sup> إلى الحق، وقد يحصل العتاب لهم على ذلك.

١. رأي: ما يراه يظنه مناسباً إزاء موقف معين أو مشكلة ما.

٢. أنزلك: طلب منك النزول والإقامة فيه.

٣. المكيدة: الخدعة والتدبير، أو الفخ في الحرب.

٤. نغور: نجعله يغور، أي: ينزل مستواه.

٥. القلب: هي الآبار غير المبنية، بعد ذلك يتم بناء حوض عليها ويملاً بالماء.

٦. يُقَرَّ: يوافق أو يقبل ويرضى عن الأمر.

٧. يوجَّهوا: يرشدوا أو ينصحوا أو يبين لهم.

٢. أَنَّهُمْ بَعْدَ الذَّنْبِ أَفْضَلُ وَأَعْلَى مِمَّا قَبْلَهُ؛ لِمَا حَصَلَ مِنْ أَثَرِ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ.
٣. أَنَّ الذَّنْبَ وَالْخَطَأَ يَقَعُ مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْجِتْهَادِ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدِ الْخَطَأِ.
٤. أَنَّ هَذَا الذَّنْبَ لَا يَقْدَحُ<sup>(١)</sup> فِي مَكَانَتِهِمُ الَّتِي أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهَا.

### عصمة الأنبياء من الأمراض المنفرة:

الأنبياء معصومون كذلك من الأمراض المنفرة، مثل البرص والتقرُّحات<sup>(٢)</sup> في أبدانهم والعمى والصمم والهديان<sup>(٣)</sup>، وغيرها من الأمراض التي ينفر منها الناس؛ لأنَّ الأنبياء مرشدون ومحتاجون إلى مخالطة الناس، وهذا بإجماع العلماء، وما نُسب إلى سيدنا أيوب عليه السَّلام من تلك الأمراض المنفرة غير صحيح، وتجاوز عليهم الأمراض غير المنفرة، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وأنَّ الأنبياء قد يصابون ببعض العوارض<sup>(٤)</sup> الدنيويَّة من الجراحات والآلام والأسقام ليعظم لهم بذلك الأجر، وتزداد درجاتهم رفعة، وليتأسَّي بهم أتباعهم في الصبر على المكاره<sup>(٥)</sup>، والعاقبة للمتقين، ولم يعم<sup>(٦)</sup> نبي قط، وما ذُكِر عن شعيب عليه السلام أنه ضرير لم يثبت، وأمَّا يعقوب عليه السلام فحصلت له غشاوة<sup>(٧)</sup> وزالت».

١. يقدح: يطعن.

٢. التقرُّحات: الالتهابات الجلدية في الجسم.

٣. الهديان: الاضطراب في القدرات العقلية وتؤدي إلى التشويش وقلة الوعي.

٤. العوارض: جمع عارض، وهو الحدث الذي يجيد الإنسان عن سيره الطبيعي ويؤدي إلى وقف نشاطه كالمرض.

٥. المكاره: جمع المكروه، وهو ما يبغضه الإنسان ويشعر به.

٦. يعم: يُصَّب بالعمى.

٧. غشاوة: غطاء وحجاب معنوي.

٤-٥. الفرق بين الأحاديث النبوية الخاصة بالتشريع وغيرها:

أما قول الرسول ﷺ: «أنتم أعلمُ بأُمور دُنْيَاكُمْ»، فقد يندرج<sup>(١)</sup> تحته أن الإنسان مأمور من الله تعالى بالبحث عن العلوم الدنيوية التي تُكْتَسَب<sup>(٢)</sup> بالتجارب والخبرة، وتسخير العقل) لها، كالعلوم الهندسية والرياضية والطبية، وطرق الصناعة والزراعة والتكنولوجيا، وغير ذلك؛ لاستخدامها في تيسير أمور حياته عبادةً لله، وشكرًا على نعمه، فكل هذه العلوم من نعم الله للإنسان، ولكن عليه البحث عنها بنفسه، وهذا طبقاً لأمر الله تعالى في قوله في سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾.

فالمطلوب منا اكتشاف أسرار هذا الكون، من الذرّة وما دونها، والمجرّة وما فوقها، بالبحث العلمي العقلي، والتوصّل إلى معرفة قوانين هذا الكون الذي سخره الله لنا من أجل عمارته<sup>(٣)</sup>، امتثالاً لأمر الله، والاستعانة به في ذلك، وباستخدام منهج الله الذي أنزله في القرآن الكريم، وأوضحته السنة النبويّة قولاً وعملاً وإقراراً.

فالإنسان هو الخليفة الذي كلّفه الله بقيادة الحياة في الأرض بمنهجه في القرآن والسنة، تبعداً له، فهو مكلف بقيادة الجماد والنبات والحيوان والطيور ونفسه وغيره من البشر بهذا المنهج.

إن بحث الإنسان في الكون باستخدام العلوم العقلية التجريبية للتوصل إلى ما يخدم حياته، ليس منفصلاً عن عبادته لله، بل إنها جزءٌ من هذه العبادة، فيجب عليه أن يستخدم ذلك لتحقيق سعادته في الآخرة، لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١﴾﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿٣٢﴾﴾.

١. يندرج: يدخل من ضمن أو في إطار معين معروف.

٢. تُكْتَسَب: يحصل على، ينال أو يربح.

٣. عمارته: إصلاحه، وإحياؤه بالبناء الإيجابي الوفير.

ومن هنا كان قول الرسول ﷺ: «أنتم أعلمٌ بأمرِ دُنْيَاكم»، يدور في هذا السياق.

ولذلك فرق علماء الأصول بين ما هو تشريع<sup>(١)</sup> من السُنَّة، مما ليس بتشريع، وهو ما عرض له الإمام القرافي المالكي<sup>(٢)</sup> مُفَرِّقًا بين ما كان من تصرفاته ﷺ على سبيل التبليغ والفتوى، وما كان من تصرفاته باعتباره قاضيًا أو إمامًا، وهو ما فصل فيه -أيضًا- الشيخ محمود شلتوت رحمه الله.

فما يصدر عن الرسول ﷺ على وجه التبليغ بصفته رسولًا، كأن يبيِّن مجملًا في الكتاب، أو يخصص عامًّا<sup>(٣)</sup>، أو يقيّد مطلقًا<sup>(٤)</sup>، أو يبين شأنًا في العبادات أو الحلال والحرام، أو العقائد والأخلاق، أو شأنًا متصلًا بشيء مما ذكر، فهذا النوع تشريع عام إلى يوم القيامة.

وما يصدر عن الرسول ﷺ بوصف الإمامة والرئاسة العامة لأمة المسلمين، كبعث الجيوش للقتال، وصرف أموال بيت المال<sup>(٥)</sup> في جهاتها<sup>(٦)</sup>، وجمعها من محالها<sup>(٧)</sup>، وتولية القضاة والولاة، وقسمة الغنائم وعقد المعاهدات، وغير ذلك مما هو شأن الإمامة والتدبير العام لمصلحة الجماعة، فحكم هذا أنه ليس تشريعًا عامًّا، فلا يجوز الإقدام عليه إلا بإذن الإمام (الحاكم)، وكذلك

١. تشريع: القوانين والأحكام لأعمال المكلفين.

٢. الإمام القرافي المالكي: هو أحمد بن عبد الرحمن القرافي من علماء الفقه المالكي في مصر وهو عالم زمانه وبرز في الفقه والأصول والأدب والعلوم العقلية والتفسير، وهو تلميذ الإمام العز بن عبد السلام، قدوة الأحرار وسُلطان العلماء، وله مؤلفات كثيرة، وتوفي سنة ١٢٨٥ م في القاهرة

٣. يُخصَّص عامًّا: العام هو اللفظ الذي يدل بحسب وضعه اللغوي على شموله واستغراقه لجميع الأفراد من غير حصر وتخصيص العام يكون في الأحكام الظنية الدلالة لا المحكمة.

٤. يقيّد مطلقًا: الدليل الشرعي المطلق إذا لم يرد ما يقيده يجب حمله على إطلاقه، كما أن العام إذا لم يرد ما يخصه يجب حمله على عمومته، وإذا ورد دليل شرعي يدل على تقييد المطلق أي يجعل له شروط، فيجب حمل المطلق على التقييد.

٥. بيت المال: تقابلها الآن خزينة الدولة في وزارة المالية.

٦. جهاتها: مواضع صرفها الشرعية.

٧. محالها: الأمكنة التي يجب عليها وتجمع فيها.

حُكْمٌ ما صدر عنه بوصفه قاضياً يفصل في الدعاوي بالبينات<sup>(١)</sup> أو الأيمان<sup>(٢)</sup> أو النكول<sup>(٣)</sup>.

كان هذا الأمر من الوضوح لدى الصحابة بحيث يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم للاستيضاح إذا التبس عليهم الأمر، بين ما هو فيه مبلغاً عن الله فليس لهم إلا التسليم والإذعان<sup>(٤)</sup>، ولا مجال للاجتهاد فيه، وبين ما هو فيه متسع للاجتهاد والرأي والنظر، ولعل أبرز مثال يظهر فيه ذلك، ما كان من الحباب بن المنذر في غزوة بدر في تحديد مكان ملاقات الأعداء.

ومن ثم كان من المهم جداً أن يفهم الوجه<sup>(٥)</sup> الذي صدر عنه قوله صلى الله عليه وسلم أو فعله أو تقريره، وهذا شأن أهل الاختصاص، فكثيراً ما نسب إليه صلى الله عليه وسلم أشياء على أنها دين وشرع، وهي ليست كذلك في الحقيقة، وليست من التشريع في شيء، وهذا كثير في أفعاله الصادرة عنه بصفة البشرية، أو بصفة العادة والتجارب.

كثيراً ما نسمع ونقرأ لبعض الناس عبارات من قبيل (في شريعتنا الإسلامية حلُّ كلِّ مشاكلنا الاقتصادية، وإلَّا لَمَا كان ديناً كاملاً، صالحاً لكل زمان ومكان)، وهذا من المجمل الذي يحتاج إلى توضيح وبيان بالمقصود، ومن يقولها بإطلاق<sup>(٦)</sup> يسيء فهم طبيعة تلك المشكلات وتعقيداتها، ويقحم<sup>(٧)</sup> الشريعة في تفاصيل من أمور الدنيا ترك الخالق بحثها للبشر.

١. البينات: جمع بينة وهي الحجة القوية والدليل القاطع.

٢. الأيمان: والمقصود حلف أو القسم باليمين.

٣. النكول: الامتناع عن أداء اليمين في مجلس القضاء.

٤. الإذعان: الخضوع والانقياد والإقرار به.

٥. الوجه: الناصية أو المقصود أو الهدف.

٦. إطلاق: غير مقيد.

٧. يقحم: يرمي أو يدخل الشيء من غير تفكير ولا روية في أمر ليس منه أو لا علاقة له به.

نحن نعرف أن الدين كامل، ولكننا في الوقت نفسه نعرف معرفة قطعية أن الشريعة لم تأت لتعلمنا كيف ترتفع الأسعار، وكيف نقيس<sup>(١)</sup> هذا الارتفاع؟ وكيف نفهم العلاقة بين كمية النقود ومستوى الأسعار؟ وكيف يؤثر ارتفاع الدخل في الأسعار؟ وكيف نقيس هذا التأثير؟ كيف يتغير الاستهلاك جراء ارتفاع سعر سلعة ما؟ وأيها أصلح وأنفع للبلاد، لم تأت الشريعة لتعلمنا كيف توزع / تخصص الأموال (سواء للحكومة أو للشركات أو الأفراد) على أوجه الإنفاق كالرواتب والصيانة والبنية التحتية وغيرها، إلى ما غير ذلك.

هذه أمثلة من المشكلات والقضايا الاقتصادية التي ترك المولى سبحانه أمر بحثها للعباد المتخصصين، وهي أكثر من أن تحصى، وهذا لا يتنافى مع إيماننا بالله تعالى وتعاليمه وأحكامه، وأن المصائب ومنها المشكلات الاقتصادية إنما هي من الناس، لقول المولى سبحانه وتعالى في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(٣٠)</sup>، ورغم الإيمان بما سبق، إلا أنه لا يمنع من البحث في الأسباب المادية، مثلما أننا نؤمن بأن المرض والشفاء من الله تعالى، وأن المرض مصيبة من المصائب المشمولة بالآية، وما كان ذلك مانعاً من البحث في أسباب المرض وطلب العلاج.

وفي التعبير عن إجماع الأمة على ضرورة العصمة للرسول في ما يبلغ عن الله، يقول الشيخ محمد عبده عن عصمة الرسل - كل الرسل -: «ومن لوازم ذلك بالضرورة: وجوب الاعتقاد بعُلُوِّ فطرتهم، وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزهون عما يصاد شيئاً من هذه الصفات، وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو

١. نقيس: نقارن شيئاً بشيء.

عليها سطوة روحانية. إن من حكمة الصانع الحكيم الذي أقام الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم أن يجعل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يُعدُّ لها - بمحض فضله - بعضٌ مَنْ يصطفيه<sup>(١)</sup> من خلقه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطرة السليمة، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الرسول يجوز على جسده ما يجوز على أجساد البشر.. وإذا كان الرسول قد كان يمارس الاجتهاد والشورى وإعمال العقل والفكر والاختيار بين البدائل في مناطق وميادين الاجتهاد التي لم ينزل فيها وحى إلهي.. فإنه معصوم في مناطق وميادين التبليغ عن الله سبحانه وتعالى؛ لأنه لو جاز عليه الخطأ أو السهو أو مجانبة الحق والصواب أو اختيار غير الأولى في مناطق وميادين التبليغ عن الله، لتطرق الشك إلى صلب<sup>(٣)</sup> الرسالة والوحي والبلاغ، بل وإلى حكمة من اصطفاه وأرسله ليكون حُجَّة<sup>(٤)</sup> على الناس.. كذلك كانت العصمة صفة أصيلة وشرطاً ضرورياً من شروط رسالة جميع الرسل عليهم السلام، فالرسول في هذا النطاق - نطاق التبليغ عن الله - كما جاء في قوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ (٤)﴾، وبلاغة ما هو بقول بشر، ولذلك كانت طاعته فيه طاعة لله، وبغير العصمة لا يتأتى له هذا المقام».

أما اجتهادات الرسول ﷺ فيما لا وحي فيه، والتي هي ثمرة لإعماله لعقله وقدراته وملكاته<sup>(٥)</sup> البشرية، فلقد كانت تصادف الصواب والأولى<sup>(٦)</sup>،

١. يصطفيه: يختاره.

٢. للاستشراق: التميز.

٣. صلب: قلب ومضمون.

٤. حجة: دليل وبرهان على نبوته ﷺ.

٥. ملكاته: صفاته الراسخة في نفسه.

٦. الأولى: الأحق والأجدر وله الأولوية.

كما كان يجوز عليها غير ذلك. ومن هنا رأينا كيف كان الصحابة رضوان الله عليهم في كثير من المواطن وبإزاء كثير من مواقف وقرارات وآراء واجتهادات الرسول ﷺ يسألونه - قبل الإدلاء بمساهماتهم<sup>(١)</sup> في الرأي - هذا السؤال الذي شاع في السنة والسيرة: يا رسول الله، أهو الوحي؟ أم الرأي والمشورة؟ فإن قال: إنه الوحي، كان منهم السمع والطاعة له؛ لأن طاعته هنا هي طاعة لله، وهم يسلمون الوجه لله حتى ولو خفيت الحكمة من هذا الأمر عن عقولهم؛ لأن علم الله - مصدر الوحي - مطلق وكلي ومحيط، بينما علمهم نسبي، قد تخفى عليه الحكمة التي لا يعلمها إلا الله، أما إن قال لهم الرسول: إنه الرأي والمشورة، فإنهم يجتهدون<sup>(٢)</sup>، ويشيرون، ويصوبون<sup>(٣)</sup>؛ لأنه صلى الله عليه وسلم هنا ليس معصوماً، وإنما هو واحد من المقدمين في الشورى والاجتهاد.. ووقائع نزوله عن اجتهاده إلى اجتهادات الصحابة كثيرة ومتناثرة في كتب السنة ومصادر السيرة النبوية، في مكان القتال يوم غزوة بدر، وفي الموقف من أسراها، وفي مكان القتال يوم موقعة أحد، وفي مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق.. إلخ.

ولأن الرسول ﷺ قد أراد الله له أن يكون القدوة والأسوة للأمة لقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٣١﴾، وحتى لا يقتدي الناس باجتهاد نبوي لم يصادف الأولى، كان نزول الوحي لتصويب اجتهاداته التي لم تصادف الأولى، بل وعبابه - أحياناً - على بعض هذه الاجتهادات والاختيارات، من مثل قوله في سورة عبس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَنَّى ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ٤ أَمَا مِنْ أَسْغَى ٥ فَأنتَ لَهُ تَصَدَّى ٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَنَ ٧ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ٨ وَهُوَ يَحْسَبُنَى ٩ فَأنتَ عَنْهُ لُلَّهِى ١٠﴾، ومن مثل قوله تعالى

١. مساهماتهم: مشاركاتهم، مساعداتهم ومعاونتهم

٢. يجتهدون: يبدون رأيهم.

٣. يصوبون: يقدمون الصواب.

في سورة التحريم: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّبِيِّ لِمَن تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ ﴿٣﴾﴾، ومن مثل قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشِخْنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾، وغيرها من مواطن التصوير الإلهي للاجتهادات النبوية في ما لم يسبق فيه وحى، وذلك حتى لا يقتدي الناس بهذه الاجتهادات المخالفة للأولى.

وقد أخذنا خمسة أحاديث شريفة فقط من عشرات الأحاديث، واخترنا تحليل زغلول النجار، وتندرج<sup>(١)</sup> معانيها في المسائل الكونية، واعتبار أن الإنسان جزء من الكون، ولم نختَر هذه الأحاديث لتمييزها عن مثيلاتها بخصائص تجعلها في مرتبة أعلى، بل ما توفر فيها يتوافر في غيرها، وإنما أخذناها باعتبارها نماذج؛ فتبين من تحليلها<sup>(٢)</sup> الإشارات الإعجازية في مثل هذه الأحاديث.

١. تندرج: تدخل في نطاق.

٢. تحليلها: تفسيرها وشرحها.

٥-٥. بعض الأحاديث الشريفة التي هي من الإعجاز العلمي:

٥-٥-١ الحديث الأول: إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، وَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ، وَبَيَّنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ<sup>(١)</sup> وَالْحَزَنُ<sup>(٢)</sup> وَالْحَبِيثُ<sup>(٣)</sup> وَالطَّيِّبُ<sup>(٤)</sup>» (رواه أحمد وأبو داود والترمذي).

### شرح الحديث:

هذا الحديث يفسر آيتين كريمتين جاءتا في سورة فاطر يقول فيهما ربنا تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾، وكلٌّ من الآيتين الكريمتين والحديث النبوي الشريف يشير إلى تنوع ألوان كلِّ من الناس والدواب والأنعام وثمار النباتات، هذا التنوع نابعٌ من اختلاف ألوان تربة الأرض، وهي ناتجة عن تجوية<sup>(٥)</sup> وتعرية صخور الأرض التي تتنوع ألوانها بين الأبيض والأحمر والأسود على اختلاف درجات تلك الألوان، وهذه الألوان الثلاثة تمثل الأقسام الرئيسة للصخور الأولية التي تكونت منها الأرض بمجرد تبيس<sup>(٦)</sup> قشرتها، ومنها الصخور الحامضية وفوق الحامضية التي يغلب عليها الألوان الأبيض والأحمر،

١. السهل: السلس واللين اليسير.

٢. الحزن: الذي به غمة وكدر.

٣. الحبيث: الدنيء والخسيس.

٤. الطيب: الطاهر النظيف.

٥. تجوية: عملية تفتيت وتحليل الصخور.

٦. تبيس: جمود أو تجفف.

والصخور القاعدية<sup>(١)</sup> وفوق القاعدية، التي يغلب عليها اللونان الأخضر الغامق والأسود، والعرب تسمى الأخضر الغامق أسود كما تسمى الأسود أخضر، وبين هذين النوعين من الصخور توجد مراحل متوسطة عديدة تتباين ألوانها بين هذين الحدّين.

وتتكون تربة الأرض بواسطة التحلل الكيميائي والحيوي لصخورها، كما تتكون بواسطة التفكك الفيزيائي والميكانيكي لتلك الصخور بواسطة مختلف عوامل التعرية، فيتكون في النهاية غطاء رقيق لصخور الأرض من فتات وبسيس<sup>(٢)</sup> تلك الصخور على هيئة حطام مفروط<sup>(٣)</sup> متباين في حجم حبيباته من الجلاميد<sup>(٤)</sup> والحصى إلى الرمال والغرين والصلصال، ويعرف هذا الحطام المفروط باسم (عادم الصخور)، ومنه تراب أو تربة الأرض، وهذه التربة قد تكون ناتجة عن تحلل الصخور التي توجد أسفل منها مباشرة، وقد تكون منقولة إليها بواسطة عوامل النقل المختلفة، وهذه التربة تحمل بصمة التركيب الكيميائي للصخور التي استمدت منها، كما تحمل أطيافاً من ألوانها الأصلية (الأبيض والأحمر والأسود وما بين ذلك).

وعلى ذلك فإن تربة الأرض تتكون من خليط من المعادن المفككة من صخور الأرض، ومن عدد من المركبات العضوية وغير العضوية الناتجة عن التفاعل بين تلك الصخور ونطق الأرض الهوائية والمائية والحيوية.

ولما كان الإنسان يحيا على ثمار نباتات الأرض المستمدة أصلاً من تربة الأرض، وعلى المباحات<sup>(٥)</sup> من منتجات حيواناتها ومن آكلات

١ . القاعدية: القلوية.

٢ . بسيس: مسحوق ناعم من التربة.

٣ . مفروط: متبدد ومتفرق.

٤ . الجلاميد: صخر ضخم متكور.

٥ . المباحات: ما لا يُثاب فاعله، ولا يأثم تاركه.

الأعشاب، والأعشابُ مستمَدَّة من عناصر الأرض، كان هناك تشابه كبير بين التركيب الكيميائي لكل من جسم الإنسان وتربة الأرض، فجسم الإنسان يتكون أساساً من الماء (بنسبة تتراوح بين ٥٤٪ وأكثر من ٧٠٪) بالإضافة إلى نسبة من الدهون (من ١٤٪ إلى ٢٦٪) والبروتينات (من ١١٪ إلى ١٧٪) والكربوهيدرات (في حدود ١٪) وعدد من العناصر والمركبات غير العضوية (من ٥٪ إلى ٦٪) وبرد كل ذلك عناصر الأولية يتضح أن جسم الإنسان يتكون من الأوكسجين (٦٥٪) والكربون (١٨٪) والهيدروجين (١٠٪) والنيتروجين (٣٪) والكالسيوم (١،٤٠٪) والفسفور (٠،٧٠٪) والكبريت (٠،٢٠٪) والبوتاسيوم (٠،١٨٪) والصوديوم (٠،١٠٪) والكلور (٠،١٠٪) والمغنسيوم (٠،٠٤٥٪)، وبعض آثار قليلة من العناصر الأخرى (٠،٠١٤٪) وتشمل هذه الآثار كلاً من اليود والفلور والبروم، والحديد، والنحاس والمنجنيز، والزنك والكروم، والكوبالت، والنيكل، والموليبدينوم، والقصدير، و الكاناديوم والسيليكون والألمونيوم، وكلها من عناصر الأرض.

وهذا التركيب الكيميائي لجسم الإنسان يشبه في مجموعه التركيب الكيميائي لتربة الأرض، مع تركيز واضح في كل من الأوكسجين والهيدروجين المستمدين من ماء الأرض، والكربون المستمد من ثاني أكسيد الكربون الذي يمتصه النبات الأخضر من الجو أثناء عمليات التمثيل الضوئي<sup>(١)</sup>، والنيتروجين المستمد أيضاً من الغلاف الغازي<sup>(٢)</sup> للأرض ومن البروتينات التي يأكلها الإنسان، وهي مثل باقي العناصر مستمدة أصلاً من تربة الأرض.

١. التمثيل الضوئي: العملية التي تحول بها النباتات ثاني أكسيد الكربون والماء إلى النشويات من الطاقة المستمدة من الشمس.

٢. الغلاف الغازي: غلاف الأرض الجوي، وهو طبقة من خليط من غازات تحيط بالكرة الأرضية مجذوبة إليها بفعل الجاذبية الأرضية.

وتراب الأرض من الرواسب الفتاتية الناعمة حيث تقل أطوال أقطار الحبيبات المكونة له عن (١/٢٥٦ مم)، وهذه الحبيبات تتكون في غالبيتها من المعادن الصلصالية التي تتركب أساسًا من سليكات الألمنيوم المميأة<sup>(١)</sup>، وتشمل عددًا من المعادن التي تزيد على العشرة.

ويختلط مع المعادن الصلصالية نسب متفاوتة من حبات الرمل (ثاني أكسيد السيليكون)، ومعادن أخرى وأكاسيد الحديد، وبعض دقائق المعادن الثقيلة، بالإضافة إلى شيء من الرماد البركاني، ودقائق كل من الأملاح والكلس (الجير) والكربون، وحبوب اللقاح، والبكتيريا، وغيرها من البقايا الدقيقة للأحياء، وغبار الشهب، وبعض فتات النيازك، وبعض آثار الدخان الكوني.

ونظرًا للطبيعة الصفائحية للمعادن الصلصالية فإنها تحمل على أسطحها وفي المسام الفاصلة بينها العديد من أيونات العناصر المختلفة، بالإضافة إلى كل من قطيرات الماء وفقااعات الهواء، مما يجعل من هذا الخليط ما يشبه التركيب الكيميائي لجسم الإنسان؛ ولذلك ذكر القرآن الكريم خلق الإنسان من تراب في آيات كريمة وهي:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۗ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ ﴾  
(آل عمران: ٥٩)

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ۗ ﴾ (الكهف: ٣٧)

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ تُرَابٍ ۗ ﴾ (الحج: ٥)

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تنتشرون ۗ ﴾ (الروم: ٢٠).

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ۗ ﴾ (فاطر: ١١)

١. المميأة: المعالج بالهيدروجين/ الماء.

ونحن نرى نموَّ جسم الإنسان من عناصر الأرض، فالجنين في بطن أمه يتغذى وينمو على دمها المستمد من الغذاء الذي تأكله الأم، والغذاء مستمد أصلاً من تراب الأرض ومائها.

وبعد الميلاد يتغذى المولود على لبن أمه أو على لبن غيرها من المُرَضَّعات<sup>(١)</sup> أو حتى على ألبان الحيوانات، وهذا كله مستمد أصلاً من عناصر تربة الأرض، وبعد فطامه يعتمد في غذائه على ثمار نباتات الأرض، وعلى لحوم ومنتجات المباح من حيواناتها، وكل ذلك مستمد أصلاً من تراب الأرض، ومن هنا كانت حكمة الخالق العظيم في خلق النبات قبل خلق الحيوان، وخلق الحيوان قبل خلق الإنسان، فالخلق يبدأ من تراب الأرض وينتهي إلى تراب الأرض ليعث منه في يوم الخروج (البعث)، والإنسان لم يشهد خلق السماوات والأرض ولا خلق نفسه، ولم يشهد الخلق الأول لأبينا آدم عليه السلام ولا لأبنا حواء عليهما السلام، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الكهف: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ٥١﴾؛ ولذلك فالفيصل<sup>(٢)</sup> في الأمر - مهما تعددت الشواهد الحسية - هو كلام الخالق سبحانه وتعالى، الذي أنزل من قبل ألف وأربع مئة سنة.

والفيصل في ذلك أيضاً ما أوحاه الله سبحانه وتعالى من علم إلى خاتم أنبيائه ورسوله ﷺ فأنطقه بالحق الذي يشهد له بالنبوة وبالرسالة.

ويبقى هذا الحديث وربطه بين ألوان البشر والألوان الأساسية لصخور الأرض ولأنواع التربة الناتجة عن تحليلها يفسر لنا ما جاء في الآيتين القرآنتين الكريمتين رقم (٢٧) و (٢٨) من سورة فاطر، وهو صورة من صورة الإعجاز

١. المُرَضَّعات: السيدات اللاتي يرضعن أولاد غيرهن.

٢. الفيصل: القاطع بالحكم.

العلمي التي لا يمكن أن ينكرها إلا جاحد<sup>(١)</sup>؛ لأن مثل هذه الإشارات العلمية المحكمة الشاملة الدقيقة ما عرضت على أحد من المنصفين من أهل العلم إلا وخر<sup>(٢)</sup> لها ساجداً.

٥-٥-٢ الحديث الثاني: إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب:

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلَالُ بَيْنٌ<sup>(٣)</sup>، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ<sup>(٤)</sup> لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُسَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ<sup>(٥)</sup> لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ<sup>(٦)</sup>، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى<sup>(٧)</sup> يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ<sup>(٨)</sup>، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ<sup>(٩)</sup>، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً<sup>(١٠)</sup> إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (رواه البخاري ومسلم)، وهناك أحاديث أخرى بنفس المعنى.

### شرح الحديث:

في هذا الحديث الشريف لمحة من لمحات الإعجاز العلمي؛ إذ إن أي مرض يصيب القلب فيفسده يؤثر على سائر الجسد فيفسد، وذلك لأن

١. جاحد: منكر مع علمه بصحة الشيء.

٢. خر: سقط.

٣. بَيْنٌ: واضح لا اشتباه فيه.

٤. مُشَبَّهَاتٌ: أمور متقاربة تشبه على الناس لعدم العلم بها، وتختلط عليهم أحلال هي أم حرام.

٥. اسْتَبْرَأَ: تنزه خوفاً من الوقوع في الخطأ.

٦. وَعِرْضِهِ: موضع المدح أو الذم في الإنسان.

٧. الْحِمَى: ما يخصص من الأرض للمواشي الخاصة بالدولة ويمنع مواشي الناس عنه.

٨. يُوَاقِعُهُ: يقع فيه أو يدخل ضمن نطاقه.

٩. مَحَارِمُهُ: ما لا يحل انتهاكه.

١٠. مُضْغَةٌ: قطعة من لحم.

القلب يقوم بضخ الدم غير النقي (الذي لا يحتوي على أوكسجين) من البطين الأيمن إلى الرئتين، حيث يُنقى بأكسدته (تحميله بالأوكسجين)، ويعود الدم المؤكسد النقي من الرئتين إلى البطين الأيسر الذي يضخه<sup>(١)</sup> إلى كل أجزاء الجسم، فيمد تريليونات الخلايا المكونة لجسم الإنسان بغاز الأوكسجين والغذاء، وإذا اضطربت هذه الوظيفة أو اختلت وفسدت وصل هذا الفساد إلى سائر خلايا الجسد.

ويعجب القارئ لهذا الحديث عن رسول الله ﷺ، وهو حقيقة طبية لم يدركها علم الإنسان المكتسب حتى قام ابن النفيس<sup>(٢)</sup> رحمه الله باكتشاف الدورة الدموية الصغرى في القرن الهجري السابع (الثالث عشر الميلادي)، وظلت فكرته مطمورة<sup>(٣)</sup> منسية لأكثر من ثلاثة قرون حين حاول بعض الغربيين نسبتها لأنفسهم فأحيوها، وطوروها، وأضافوا إليها، وأصبح من الثابت علمياً أن القلب إذا صلح استقامت الدورة الدموية وصلح الجسد كله، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله، يفيد بكل هذا الحديث الشريف.

وهنا نتساءل: من علم هذا النبي الأمي ذلك غير الله الخالق؟ ومن كان يستطيع في الجزيرة العربية أن يُلمَّ بالدورة الدموية في جسم الإنسان ودور القلب فيها قبل أربعة عشر قرناً من الزمان لو لم يكن مصدر ذلك وحي السماء؟ ومن الذي كان يضطر سيدنا محمداً ﷺ إلى الخوض في مثل هذه الأمور الغيبية في زمانه لو لم يكن واثقاً من صحة المعلومة الموحى بها إليه، ووثقاً من مصدرها؟

١. يضخه: يصبه بشدة.

٢. ابن النفيس: (وهو عالم موسوعي والطبيب المسلم المتوفى ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م، وله إسهامات كثيرة في الطب. وهو مكتشف الدورة الدموية الصغرى، وأحد رواد علم وظائف الأعضاء في الإنسان، وعين رئيساً لأطباء مصر في ذلك الوقت، وله نظريات ما زالت تدرس إلى الآن، وهو من أعظم فيزيولوجي في القرون الوسطى).

٣. مطمورة: مدفونة ومستورة وغير معروفة.

هذا بالنسبة للقلب العضوي، تلك العضلة الكمثرية<sup>(١)</sup> الشكل الموجودة في القفص الصدري والتي لا يزيد حجمها عن حجم قبضة اليد، ولا يزيد وزنها في الفرد البالغ عن ثلث كيلو جرام، وتقوم بحوالي سبعين نبضة في الدقيقة، أي حوالي مائة ألف نبضة في اليوم الواحد، لتضخ خمسة لترات من الدم في كل دقيقة، تعادل (٧٢٠٠) لتر في اليوم الواحد، عبر شبكة معقدة من الشرايين والأوردة والشعيرات الدموية يبلغ طولها آلاف الكيلو مترات، لتوصل الدم المؤكسد (المشبع بالأوكسجين) إلى كل خلية حية في الجسم، وتنزع منها الدم غير المؤكسد (الذي يحتوي ثاني أوكسد الكربون والفضلات).

ولكنَّ للقلب في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وفي مفاهيم<sup>(٢)</sup> كثير من الناس مدلولاً<sup>(٣)</sup> غير تلك الكتلة من اللحم الفعلي الرابضة<sup>(٤)</sup> في القفص الصدري تضخ الدم إلى كافة خلايا الجسم، وهو مدلول يتعلق بالعواطف والمفاهيم، والأفكار والعقائد والفهم، وركائز الأخلاق وضوابط السلوك، وهي قضايا ليس مقرها القلب العضلي، وإن ارتبطت به بصورة لم يدركها الإنسان بعد، ويراه المفكرون من أمثال الإمام أبي حامد الغزالي<sup>(٥)</sup> رحمه الله في كيان معنوي<sup>(٦)</sup>، أو لطيفة ربانية<sup>(٧)</sup> روحانية لها بهذا القلب العضوي تعلق لا تدرك كنهه، ويرى الإمام الغزالي أن هذا القلب المعنوي هو حقيقة الإنسان، وهو الكيان المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المُنخَاطَب والمُعَاقَب، والمُعَاتَب، والمُطَالَب...، والقلب المعنوي أو اللطيفة الربانية مرتبطة بمعنى

١. الكمثرية: هي عضلة ذات شكل شبيه بفاكهة الإجاص.

٢. مفاهيم: جمع مفهوم، وهو فكرة مجردة عامة تمثل الخصائص الأساسية للأشياء.

٣. مدلول: معناها وفحواها ومؤداها، الصورة الذهنية لما تدل عليه.

٤. الرابضة: اللاصقة والموجودة والمحتضنة والمثبتة.

٥. أبي حامد الغزالي: وهو أحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري (ت: ٥٠٥هـ / ١١١١م). وكان إماماً وفتياً وفيلسوفاً، وكان من أئمة الصوفيين الفضلاء، ويلقب بحجة الإسلام، وله مؤلفات كثيرة، وأشهر كتبه إحياء علوم الدين.

٦. كيان معنوي: بنية طبيعية وخليقة غير مادية.

٧. اللطيفة الربانية: الإدراك الذي لا يتج عن الحواس بل شعور وآلية معنوية خلقها الله في القلب.

الروح، وهو سرٌّ مغلق! علمًا بأن العلم الحديث أثبت بأن هناك تواصلًا بين القلب والدماغ، بحيث يتأثر أحدهما بالآخر، وقال الدكتور/ أندرو ارم (أحد مؤسسي علم أعصاب القلب) في سنة ١٩٩٤ م: «إن للقلب جهازًا عصبيًا خاصًا، ويرسل للدماغ معلومات، وينسق معه بعض الأنشطة، كما أنه له القدرة على تخزين المعلومات ومعالجتها، وإذا كانت نبضات القلب في توافق<sup>(١)</sup> عال فسوف تتحسن وظائف المخ الحسية والإدراكية والمعرفية؛ مما يؤدي إلى صفاء عقلي ونفسي وقدرة أعلى على وزن الأمور واتخاذ القرار. وقال تعالى في سورة الحج: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦) أي: ما قصدتم فعله، وفي سورة البقرة: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (١٠) وكذلك في سورة البقرة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ<sup>(٢)</sup> فِي أَيْمَانِكُمْ<sup>(٣)</sup> وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (٢٤٥) أي: ما قصدتم فعله، وقد ذكر الله تعالى القلب في آيات كثيرة أخرى.

وبهذا المعنى أيضًا نرى لمحة إعجازية في حديث رسول الله ﷺ الذي نحن بصدده، فإذا صلح مركز العواطف والمفاهيم والأفكار والعقائد وركائز الأخلاق وضوابط السلوك، إذا صلحت حقيقة الإنسان المدرك العالم العارف، صلح أمره كله، وإذا فسدت فسد أمره كله.

وهنا تتضح لمحة<sup>(٤)</sup> من لمحات الإعجاز في هذا الحديث النبوي الشريف إذا أخذ على جانبه المادي العضوي الملموس<sup>(٥)</sup> وإذا أخذ على جانبه المعنوي الروحاني الغيبي؛ فإننا نجدد صحيحًا دقيقًا شاملاً، ومطابقًا لآيات القرآن الكريم.

١. توافق: انسجام، تكيف، تناغم، تطابق، وتماثل.

٢. اللغو: ما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه فائدة أو نفع.

٣. أيمانكم: اليمين التي تجري في اللسان من غير قصد الحلف.

٤. لمحة: نظرة سريعة أو وجه شبه.

٥. الملموس: المدرك بالحواس أو بالدليل.

وهنا أيضًا يتكرر السؤال: من الذي علّم هذا النبي الأمي كل هذه الحقائق غير الله الخالق؟

٥-٥-٣ الحديث الثالث - تحديد جنس الوليد بإذن الله تعالى:

من حديث ثوبان رضي الله عنه، وفيه قول الرسول ﷺ: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعاً فعلاً مني الرجل مني المرأة أذكراً بإذن الله، وإذا علماً مني المرأة مني الرجل أنثى بإذن الله». (رواه مسلم). وجاء مثل معنى هذا الحديث في مسند أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

شرح الحديث:

هذا الحديث الشريف يفسر قوله ربنا تبارك وتعالى في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۗ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۗ (٤٦)﴾، وفي كلتا الآيتين الكريمتين والحديث النبوي الشريف سبق علمي بالإشارة إلى خلايا التكاثر قبل أن تصل إليها العلوم المكتسبة بأكثر من اثني عشر قرناً.

إثبات خلق الزوجين من نطفة إذا تُمْنَى:

أولاً: سبق كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالإشارة إلى خلايا التكاثر، يقول عز من قائل في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۗ (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةٍ مِن مَّيِّ يُمْنَىٰ ۗ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَىٰ ۗ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۗ (٣٩)﴾، ويقول تبارك اسمه في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۗ (٢)﴾، ويقول وقوله الحق في سورة عبس: ﴿قَدِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ۗ (١٧) مِن أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۗ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۗ (٢٠) ثُمَّ أَمَّانَهُ فَأَقْرَبَهُ ۗ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۗ (٢٢)﴾.

١. تمنى: أي تصبُّ في رحم المرأة.

- النطفة في اللغة العربية: هي القليل من الماء الذي يعدل قطرة، وسميت صغار اللؤلؤ: النُطْف تشبيهاً لها بقطرات الماء، ويقال: نَطَفَ الرجلُ، ينطِفُ نَطْفًا ونَطْفَانًا، بمعنى تقاطر منه الماء بعد وضوئه أو غسله.

- النطفة أيضًا هي القليل من الماء الصافي، و(نطفان) الماء تقاطره وسيلانه، ويقال ليلة (نطوف) أي باتت تُمَطِرُ حتى الصباح.

- و(النُطْفُ) الدلو، والواحدة منه (نطفة).

واستعير هذا المصطلح للتعبير عن خلية التكاثر (Gamete) التي تندفق مع كل من ماء الرجل وماء المرأة، أي: سواء كانت النطفة مذكرة أو مؤنثة، وجمع النطفة (نُطْف) و(نَطَافٌ).

ولفظة (نطفة) جاءت بمعنى خلية التكاثر في اثنتي عشرة آية من آيات القرآن الكريم هي: (النحل: ٤، الكهف: ٣٧، الحج: ٥، المؤمنون: ١٤-١٣، فاطر: ١١، يس: ٧٧، غافر: ٦٧، النجم: ٤٦، القيامة: ٣٧، الإنسان: ٢، وعبس: ١٩).

وقد سمي القرآن الكريم اتحاد الخليتين التكاثريتين: الذكورية والأنثوية باسم (النطفة الأمشاج) أي المختلطة، وهو أول تعبير علمي دقيق عن عملية تخلق الجنين باتحاد نطفتي الرجل والمرأة. وتأكيداً لهذا المعنى أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: مرَّ يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودي، إن هذا يزعم أنه نبي، فقال: لأسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي، قال: فجاء اليهودي حتى جلس ثم قال: يا محمد، ممَّ يُخلَقُ الإنسان؟ فقال رسول الله ﷺ: «مِنَ كُلِّ يَخْلُقُ، مِن نطفة الرجل ومن نطفة المرأة» (رواه أحمد).

ولم يصل العلم المكتسب إلى كشف هذه الحقيقة إلا بعد أكثر من أحد عشر قرناً (في نحو سنة ١١٨٦هـ / ١٧٧٥ م) حين ثبت دور كل من البويضة والحيوان المنوي في عملية تكون الجنين البشري.

وَسَبْقُ كُلِّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسَّنةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ بِالِإِشَارَةِ إِلَى كُلِّ مَنْ خَلَّيَا التَّكَاثِرَ الْأُنْثَوِيَّةَ وَالذَّكْرِيَّةَ، وَإِلَى تَكُونِ الْجَنِينِ بِاتِّحَادِهِمَا لِمِمَّا يَشْهَدُ لِهَذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صِنَاعَةً بَشَرِيَّةً، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْخَالِقِ، وَيَشْهَدُ لِلنَّبِيِّ وَالرَّسُولِ الْخَاتَمِ الَّذِي تَلَقَاهُ بِالنَّبُوَّةِ وَبِالرِّسَالَةِ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۗ (٤٥) مِّن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۗ (٤٦)﴾<sup>(١)</sup> المقصود بالنطفة هنا خلية التكاثر الأنثوية (البويضة)، وبقوله تعالى: (إذا تمنى) أي: إذا أخصبها الحيوان المنوي، ويحدث إخصاب البويضة بحيوان منوي واحد، فينتج عن ذلك النطفة الأمشاج (Zygote) التي تبدأ في الانقسام إلى خلايا أصغر فأصغر تعرف باسم القسيمات الأرومية (Blastomeres)، ثم تتحول إلى كتلة كروية من الخلايا تعرف باسم التويطة Morula، ثم تتشطر التويطة مكونة الكتلة الأرومية Blastocyst التي تنغرس في جدار الرحم لتكون المراحل التالية من العلقة، والمضغة، وخلق العظام، ثم كسوتها لحمًا وجلدًا، ثم النشأة الأخرى حتى الجنين الكامل.

وبسبب انفراد حيوان منوي واحد بإخصاب البويضة قال المصطفى ﷺ: «ما من كلِّ الماء يكون الولد». (رواه مسلم وأحمد).

ولما كانت كل خلية من الخلايا التناسلية تحمل نصف عدد الصبغيات<sup>(٢)</sup> في الخلية الجسدية والمحدد لنوعها، كان في سنة<sup>(٣)</sup> التزاوج آية من آيات الخالق سبحانه وتعالى في إبداعه لخلقه؛ وذلك لأنه باتحاد الخليتين التناسليتين الذكورية والأنثوية لتكوين النطفة الأمشاج يكتمل عدد الصبغيات

١. انظر إلى الجزء الخاص بالإشارات الإعجازية (العلمية) في القرآن الكريم.

٢. الصبغيات: هي بنى داخل الخلايا تحتوي على الحمض النووي كالجينات والكروموسومات.

٣. سنة: طريقة الحياة وقوانينها التي وصفها الله تعالى.

المحدد للنوع. ويحدث التنوع في الصفات بين الوالدين والأبناء الذي يثري<sup>(١)</sup> الحياة ويجعلها أكثر بهجة، ويشهد للخالق بطلاقة القدرة التي أتقنت ما يتم في داخل تلك النطفة الأمشاج حتي يخرج الإنسان أو الحيوان أو النبات إلى الحياة خلقًا جديدًا مشابهًا لأسلافه<sup>(٢)</sup> في بعض الصفات، ومختلفًا في البعض الآخر.

وفي الإنسان تحتوي الخلية الجسدية على (٤٦) صبغياً مرتبة في (٢٣) زوجاً كل منها يتماثل في الشكل، ويختلف في التركيب، وهذا العدد ثابت في خلايا كل من الذكر والأنثى وإن اختلفا في الصبغيات المحددة للجنس، فالخلية الجسدية الذكرية تحمل (٤٤) صبغياً جسدياً، بالإضافة إلى صبغيين جنسيين غير متشابهين، أحدهما مذكر (y) والآخر مؤنث (x).

وبنفس التركيب تحمل الخلية الجسدية الأنثوية (٤٤) صبغياً جسدياً، بالإضافة إلي صبغيين جنسيين، ولكنهما في هذه الحالة متشابهان ومؤنثان هما: (x) (x).

وفي انقسام الخلايا الجسدية لتكرار ذاتها فإنها تنقسم انقسامًا فتيليًّا<sup>(٣)</sup> Mitosis بمعنى أن ينقسم كل صبغي انقسامًا مُلتويًا بالطول ليكرر ذاته؛ وذلك من أجل المحافظة على نفس العدد المحدد للنوع من الصبغيات في كل خلية جسدية، ولكن في حالة الانقسام لتكوين خلايا التكاثر فإن الخلية الجسدية تنقسم انقسامًا انتصافيًّا<sup>(٤)</sup> Meiosis يعطي لكل خلية تناسلية نصف عدد الصبغيات في الخلية الجسدية، وذلك لكي يتكامل عدد الصبغيات باتحاد النطفتين الذكرية والأنثوية، فيتواصل الناس ويتعارفون ويتقاربون بالتزاوج،

١. يثري: يجعله ينمي.

٢. أسلافه: كل ما تقدم من الآباء وذوي القرابة الذي ينحدر منه الإنسان كالأباء والأجداد. انظر إلى الجزء الخاص بالإشارات الإعجازية العلمية في القرآن الكريم.

٣. فتيليًّا: مثل الحبل الدقيق الملتوي طولياً على نفسه.

٤. انتصافيًّا: أي مقسوماً نصفياً.

ويتحقق هذا التنوع العجيب في صفات الخلق بازدياد دائرة التناسل حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ويثبت للناس وحدة الأصل مع هذا التنوع العريض فيتآخون ولا يتنافرون، ويتحابون ولا يتقاتلون، ولذلك يَمُنُّ علينا ربُّنا تبارك وتعالى بهذه الحقيقية الكونية، فيقول في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٠) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾.

وتحتوي النطفة الذكرية في الإنسان (الحمين البشري) على (٢٣) صبغياً علي نوعين هما:

(أ). (٢٢) صبغى جسدي + الصبغى المذكور (y).

أو (ب). (٢٢) صبغى جسدي + الصبغى المؤنث (x).

أما النطفة الأنثوية (البويضة) فهي على شكل واحد يحمل دائماً (٢٢) صبغياً جسدياً + الصبغى المؤنث (x).

فإذا قام حيوان منوي مما يحمل الصفة المذكورة (y) بإخصاب البويضة جاء الجنين ذكراً بإذن الله تعالى (٤٤ صبغياً جسدياً + x + y).

بينما إذا تم إخصاب البويضة بحيوان منوي يحمل الصفة المؤنثة (x) جاء الجنين أنثى بإذن الله الخالق سبحانه وتعالى (٤٤ صبغياً جسدياً + x + x).

وهذه الأزواج الثلاثة والعشرون من الصبغيات يتشابه اثنان وعشرون منها في الشكل هي الصبغيات الحاملة للصفات الجسدية، ويختلف عنها الزوج الحامل للصفات الجنسية فهو إما أن يكون (x,x) في خلية الأنثى أو (y,x) في خلية الذكر، ونصف هذه الصفات مستمد من الأب وأسلافه، والنصف الآخر مستمد من الأم وأسلافها حتى يتحقق هذا التنوع العجيب في الخلق الذي نشأ من أصل واحد، والذي يعرف في علوم الوراثة باسم التصلب (CrossOver Chismata).

٥-٥-٤ الحديث الرابع: ما من عام بأقل مطراً من عام:

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عام بأقل مطراً من عام» (رواه البيهقي).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عام بأكثر من عام، ولكن الله يُصِرُّه» (رواه الحاكم).

### شرح الحديث:

هذا الحديث الشريف -وإنَّ ضَعْفَهُ بعضُ علماء السنة النبوية المشرفة- يمثِّل سبْقاً علمياً للمعارف الإنسانية بأكثر من ألف وأربع مئة سنة، ونصّاً رائعاً من نصوص الإعجاز العلمي في أحاديث رسول الله ﷺ، ومن هنا تأتي قوته، فقد ثبت علمياً بعد دراسات مستفيضة<sup>(١)</sup> لتقدير كمية الماء على سطح الأرض أنها كمية هائلة؛ إذ تقدَّر بحوالي (١٣٦٠) مليون كيلو متر مكعب، أغلبها (٩٧،٢٠٪) على هيئة ماء مالح في البحار والمحيطات، بينما تتجمع الكمية الباقية (٢،٨٠٪) على هيئة الماء العذب بأشكاله الثلاثة الصلبة، والسائلة، والغازية، منها (٢،١٥٪) من مجموع ماء الأرض على هيئة تراكمات<sup>(٢)</sup> الجليد فوق المنطقتين القطبيتين من الأرض، وعلى قمم جبالها، والماء الباقي وتقدر كميته بحوالي (٠،٦٥٪) من مجموع مياه الأرض يخترن أغلبه في الطبقات المسامية<sup>(٣)</sup> من صخور القشرة الأرضية على هيئة ماء تحت سطح الأرض، تليه في الكثرة النسبية مياه البحيرات العذبة، ثم الماء المختزن على هيئة رطوبة في تربة الأرض، ويليه بخار الماء في الغلاف الغازي للأرض (رطوبة الغلاف الغازي)، ثم المياه الجارية في الأنهار وتفرعاتها.

١. مستفيضة: كثيرة وفيها متنوع.

٢. تراكمات: تجمعات وتكومات.

٣. المسامية: لها منافذ وثقوب دقيقة.

والماء المالح يغطي حوالى (٧١٪) من مساحة سطح الأرض المُقدَّرة بحوالى (٥١٠) مليون كيلو متر مربع، أي: إن مساحة المسطحات المائية فوق الأرض تقدر بحوالى ٣٦١ مليون كيلو متر مربع، بينما تقدر مساحة اليابسة بحوالى (١٤٩) مليون كيلو متر مربع فقط.

وعلى ذلك فإن معدل البخر<sup>(١)</sup> من أسطح البحار والمحيطات يقدر بحوالى (٣٢٠,٠٠٠) كيلو متر مكعب من الماء في كل عام، بينما يُقدَّر معدل البخر من اليابسة بحوالى (٦٠,٠٠٠) كيلو متر مكعب، وبجمع هذين الرقمين يتضح أن دورة الماء بين الأرض وغلافها الغازي تبلغ (٣٨٠,٠٠٠) كيلو متر مكعب في السنة، وأغلب هذه الكمية يتبخر من المناطق الاستوائية، حيث يصل متوسط درجة الحرارة السنوي إلى ٢٥ درجة مئوية.

وعندما يتبخر الماء من أسطح كل من البحار والمحيطات واليابسة الأرضية، فإنه يرتفع بفعل قلة كثافته، وبدفع التيارات الهوائية له إلى النطاق<sup>(٢)</sup> الأسفل من الغلاف الغازي للأرض (نطاق التغيرات المناخية)، وهو يتميز بالتبريد مع الارتفاع حتى تصل درجة حرارته إلى (٦٠) درجة مئوية تحت الصفر فوق خط الاستواء، وفي هذا النطاق البارد يتكثف بخار الماء الصاعد من الأرض ويعود إليها - بإذن الله تعالى - مطرًا أو ثلجًا، أو بردًا، أو طلاً (الندى).

والماء في عودته إلى الأرض يصرفه<sup>(٣)</sup> الله تعالى بحكمة بالغة، حيث ينزل على اليابسة قدرًا أعلى مما يتبخر من أسطحها (٩٦,٠٠٠) كيلو متر مكعب مقابل (٦٠,٠٠٠) كيلو متر مكعب مجموع المتبخر منها، بينما ينزل على البحار والمحيطات قدرًا أقل مما يتبخر من أسطحها (٢٤٨,٠٠٠) كيلو متر

١. البخر: الصورة الغازية للماء بعد غليانه.

٢. النطاق: منطقة ذات مساحات شاسعة وواسعة.

٣. يصرفه: يتحكم فيه ويذهب فيه في مجاري معينة.

مكعب في مقابل (٣٢٠, ٠٠٠) كيلو متر مكعب يتبخر منها، والفارق بين هذين الرقمين هو نفس الفارق بين كميتي المطر والبخر على اليابسة، ويقدر بحوالي (٣٦, ٠٠٠) كيلو متر مكعب من الماء يفيض من اليابسة إلى البحار والمحيطات في كل عام، بعد أن يكون قد أدى دوره على سطح اليابسة من تفتيت للصخور، وتكوين للتربة وشق للفجاج<sup>(١)</sup> والسُّبُل<sup>(٢)</sup>، وتسوية لسطح الأرض، وتركيز للعديد من الخامات الرسوبية، ورَيِّ للإنسان والحيوان والنبات، وخزن لبعض الماء في صخور الأرض، وترطيب لكل من الغلاف الغازي والتربة، وازدهار للحياة.

ودورة الماء حول الأرض دورة معجزة تشهد لله الخالق بطلاقة القدرة، وعظيم الصنعة، وإحكام الخلق، فكميتهما في مجموعها ثابتة، ومحسوبة بما يكفي متطلبات الحياة على الأرض، والدورة ذاتها بين البخر والتكثف والمطر تعمل على تنقية مياه الأرض التي يحيا ويموت فيها بلايين الأفراد من صور الحياة المختلفة في كل لحظة، وهي تعمل على حفظ التوازن الحراري على سطح الأرض، وعلى التقليل من شدة حرارة الشمس في الصيف، فتعمل بذلك على تقليل الفرق بين درجتي الحرارة صيفاً وشتاءً؛ وذلك لصون الحياة الأرضية بمختلف أشكالها.

ولما كان مجموع ما يتبخر من ماء الأرض إلى غلافها الغازي ثابتاً في كل عام، وكان مجموع ما يحمل هذا الغلاف الغازي من بخار الماء ثابتاً كذلك على مدار السنة؛ فإن مجموع ما ينزل من مطر إلى الأرض يبقى ثابتاً في كل سنة، وإن تباينت<sup>(٣)</sup> كميات سقوطه من مكان إلى آخر حسب مشيئة الله.

١. الفجاج: الطرق الواسعة البعيدة.

٢. السُّبُل: جمع سبيل وهو الطريق السالك والمألوف.

٣. تباينت: اختلفت وتغايرت وتفاوتت.

ويبلغ متوسط سقوط المطر على سطح الأرض اليوم (٧, ٨٥) سنتيمترًا مكعبًا في السنة، وتتراوح كمياته بين الصفر في المناطق الصحراوية الجافة والقاحلة و (٤٥, ١١) مترًا مكعبًا في السنة في جزر هاواي.

وهذه الملاحظات الدقيقة التي لم يستطع الإنسان الوصول إليها إلا في أواخر القرن العشرين سبقتها بأربعة عشر قرنًا أو يزيد أحاديثُ رسول الله ﷺ.

٥-٥-٥ الحديث الخامس: البحر المسجور:

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَرَكِبُ الْبَحْرَ إِلَّا حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا، وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا» (رواه أبو داود).

- وكذلك أخرجه البيهقي في سننه مرفوعًا بلفظ: «إِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا، وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا».

- والحديث بمجموع طرقه حسنٌ، على الرغم من عجب ما فيه من معانٍ علمية دقيقة لم يتوصل الإنسان إلى إدراك شيء منها إلا في أواخر القرن العشرين.

شرح الحديث:

والحديث الشريف الذي نحن بصده يتفق بدقة بالغة مع القَسَمِ القرآني الوارد في مطلع سورة الطور، والذي يُقسم فيه ربُّنا تبارك وتعالى - وهو الغني عن القَسَمِ - بالبحر المسجور فيقول: ﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ ٢﴾ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ قَعٌ ٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨﴾.

ولم يستطع العرب في وقت تنزيل القرآن الكريم أن يستوعبوا دلالة القَسَمِ بالبحر المسجور، لأن عندهم: (سَجَرَ التَّنُورِ) يعنى أوقد عليه حتى

أحماءه، ولكن الماء والحرارة من الأضداد، فالماء يطفئ الحرارة، والحرارة تبخر الماء، فكيف للأضداد أن تتعايش في تلاحم<sup>(١)</sup> وثيق دون أن يلغي أحدها الآخر؟! وقد دفعهم ذلك إلى نسبة الأمر للآخرة استناداً إلى قول الحق تبارك وتعالى في سورة التكوير ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ﴿٦﴾.

ولكن الآيات في مطلع سورة التكوير كلها تشير إلى أمور مستقبلية في الآخرة، والقسم في مطلع سورة الطور يدل كله بأمور واقعة في حياتنا في الدنيا! واضطر ذلك مجموعة من المفسرين إلى البحث عن معنى لغوى للفعل (سَجَرَ) غير أوقد على الشيء حتى أحماءه، ووجدوا من معانيه «ملاً وكف»، وفرحوا بذلك فرحاً شديداً؛ لأنه فسّر الأمر لهم بمعنى أن الله تعالى يَمُنُّ<sup>(٢)</sup> على البشرية كلها بأنه قد ملاً منخفضات الأرض بالماء وحجزها وكفها<sup>(٣)</sup> عن مزيد من الطغيان على اليابسة.

ولكن حديث الرسول ﷺ يؤكد على أن «تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً!» والرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يركب البحر في حياته الشريفة مرة واحدة، فمن كان يضطره إلى الخوض<sup>(٤)</sup> في أمر غيبي كهذا لولا أن الله تعالى قد أخبره به؟ لأنه سبحانه وتعالى يعلم -بعلمه المحيط- أن الإنسان سيكتشف هذه الحقيقة الكونية المبهرة<sup>(٥)</sup> في يوم من الأيام، فأنزلها في كتابه الكريم وعلمها لخاتم الأنبياء والمرسلين، لتبقى شاهدة أبد الدهر على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن هذا النبي الخاتم الذي تلقاه كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السماوات والأرض.

١. تلاحم: انضمام بعضها إلى بعضها الآخر بعد ما كانت مفصلة.

٢. يمين: ينعم نعمة عظيمة بإحسان.

٣. كفها: أوقفها ومنعها.

٤. الخوض: الاقتحام والاندفاع في الكلام.

٥. المبهرة: المضيئة المدهشة المحيرة.

فبعد الحرب العالمية الثانية نزل العلماء إلى أعماق البحار والمحيطات بحثاً عن بعض الثروات المعدنية التي استنفدت احتياطياتها<sup>(١)</sup> أو قاربت على النفاد من على اليابسة في ظل الحضارة المادية المسرفة التي يعيشها إنسان اليوم، ففوجئوا بسلسلة من الجبال البركانية تمتد في أواسط جميع محيطات الأرض لعدة عشرات الآلاف من الكيلومترات، أطلقوا عليها اسم (جبال أواسط المحيطات)، وبدراسة تلك السلاسل الجبلية المحيطية اتضح أنها تتكون في غالبيتها من الصخور البركانية التي اندفعت على هيئة ثورات بركانية عنيفة عبر شبكة هائلة من الصدوع<sup>(٢)</sup> لعميقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض وتحيط بكثرتنا الأرضية إحاطةً كاملة في كل الاتجاهات، وتتركز أساساً في قيعان<sup>(٣)</sup> المحيطات وبعض البحار، وأن شبكة الصدوع تلك تصل في امتداداتها إلى أكثر من (٦٤٠٠٠) كيلو متر وتصل في أعماقها إلى (٦٥) كيلومتر تحت قيعان البحار والمحيطات، وإلى أكثر من (١٠٠) كيلو متر تحت قشرة الأرض، مخترقة الغلاف الصخري للأرض بالكامل، فتصل إلى نطاق الضعف الأرضي، وتوجد الصخور فيه في حالة لدنة<sup>(٤)</sup> شبه منصهرة عالية الكثافة واللزوجة، تدفعها تيارات الحمل الساخنة إلى قيعان كل محيطات الأرض وقيعان بعض البحار (من مثل البحر الأحمر) في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية، وذلك بملايين الأطنان، فتدفع بجانبه المحيط أو البحر يَمَنَّةً وَيَسْرَةً في ظاهرة يسميها العلماء (ظاهرة اتساع قيعان البحار والمحيطات) (Sea- Floor Spreading)، وباستمرار هذا التوسع، تملأ المناطق الناتجة عن عملية الاتساع تلك بالصهارة الصخرية؛ مما يؤدي إلى تسجير قيعان كل محيطات الأرض وقيعان بعض بحارها (ذات القيعان المتصدعة التي تتعرض لعملية توسع).

١. احتياطياتها: الزبادات المحافظ عليها لاستخدامها في وقت الشدة وعند الحاجة.

٢. الصدوع: الشقوق العميقة في الشيء.

٣. قيعان: جمع قاع، وهو منتهى عمق الشيء.

٤. لدنة: لينة.

ومن الظواهر المبهرة للعلماء اليوم أن الماء في هذه المحيطات والبحار -على كثرته- لا يستطيع أن يطفئ جذوة تلك الصهارة! ولا الصهارة -على شدة حرارتها- تستطيع أن تبخر مياه البحار والمحيطات بالكامل. ويبقى هذا التوازن بين الأضداد: الماء والنار (أي الصهارة الصخرية) فوق قيعان كل محيطات الأرض (بما في ذلك المحيطان المتجمدان الشمالي والجنوبي)، وقيعان عدد من البحار (مثل البحر الأحمر) شهادة حية على طلاقة القدرة الإلهية التي لا تحدها حدود، وعلى صدق القرآن الكريم، وصدق الرسول الخاتم الذي تلقاه صلى الله عليه وسلم.

#### ٥-٦. بعض الاعتراضات على أحاديث الرسول ﷺ:

لقد رد الدكتور سامي عامري في كتابه «العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل» على بعض الاعتراضات على علم الأجنة في القرآن الكريم والسنة النبوية في الكتابات التنصيرية والإلحادية المكررة بلا تجديد، وقد تم التطرق إلى أهم الاعتراضات على آيات سورة المؤمنون، وبقيت شبهات أخرى نعرضها الآن، وسنذكر منها اعتراضات على خبر السنة النبوية الشريفة لاقتران<sup>(١)</sup> الشبهات حول القرآن بالشبهات حول السنة الشريفة في خبر علم الأجنة.

#### ٥-٦-١ الاعتراض الأول: سبب التذكير والتأنيث:

جاء في الحديث النبوي الشريف: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعاً فعلاً مني الرجل مني المرأة أذكرًا بإذن الله، وإذا علًا مني المرأة مني الرجل أنثًا بإذن الله» (رواه مسلم).

ويقول المشككون: علمياً سبق ماء الرجل أو المرأة لا تأثير له في تحديد جنس الجنين!

١. اقتران: جمع والتصاق بين شيئين أو أكثر.

## الجواب:

أولاً: يزعم بعض المخالفين للإسلام أن أصل تحديد الجنس في الخبر النبوي أصله التراث التلمودي<sup>(١)</sup>، فقد قال الحبر إسحاق: «إِذَا أَمْنَتِ الْمَرْأَةُ أَوْلَا كَانَ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ، وَإِذَا أَمَنَى<sup>(٢)</sup> الرَّجُلُ أَوْلَا كَانَ الْوَلَدُ بِنْتًا»<sup>(٣)</sup>، وهي دعوى فاسدة من وجهين رئيسين:

أ. الحديث النبوي الشريف يتحدث عن اجتماع المائين، ثم علو<sup>(٤)</sup> أحد المائين، في حين يتحدث التلمود عن سبق إماء المرأة قبل الرجل.

ب. الحديث الشريف يذكر عكس ما جاء في التلمود؛ إذ التلمود يجعل تحديد الجنس بغلبة<sup>(٥)</sup> ماء الجنس المخالف، فسبق الرجل يؤدي إلى ميلاد أنثى، والعكس بالعكس.

ثانياً: ما جاء في الحديث النبوي الشريف صحيح ودقيق؛ فإن الحديث يتحدث عن العلو، وتلك هي العبارة الأليق في تفسير ظاهرة تحديد الجنس بلغة يفهمها الأعرابي في القرن السابع الميلادي، وتوافق حقائق العلم اليوم.

## التفسير العلمي العصري:

يحمل نصف الحيوانات المنوية عند الرجل، الصبغية المذكر (Y)، والنصف الآخر صبغية مؤنث (X)، وأما بويضة المرأة فصبغتها مؤنث (X)، عند تلقيح حيوان منوي مذكر البويضة يكون الجنين ذكراً، وبذلك يغلب ماء الرجل على ماء بويضة المرأة، وإذا لم يكن الحيوان المنوي مذكراً غلبت

١. التلمودي: في تلمود بابليون.

٢. أمني: أنزل منياً في رحم المرأة.

٣. جاءت بعض الروايات الحديث بلفظ (سبق) لا لفظ (علا). ولعل الأظهر لفظ العلو لا السبق لأن السبق جاء تالياً للاجتماع بما ينفي أنه سبق الإنزال من الرجل وتحول البويضة عن محلها.

٤. علو: ارتفاع.

٥. غلبة: تفوق.

البويضة، أي غلب الطابع الأنثوي للبويضة لأنه لم يلتحم بكائن أقوى منه (مذكر).

والعلم اليوم لا يجد حرجاً في وصف ما يكون بين الصبغيات بأنّها مغالبة تنتهي بمنتصر؛ إذ إننا نقرُّ أنه إذا انتصر الحيوان المنوي x كان الجنين أنثى، وإذا كان الحيوان المنوي الفائز يحمل الصبغ الصغير (y) تكون النتيجة مختلف.

كما أثبت العلم مؤخراً أن ماء الرجل قلوي<sup>(١)</sup>، وماء المرأة حمضي، فإذا غلبت قلووية ماء الرجل حمضية ماء المرأة، غلب احتمال ذكورة المولود؛ ولذلك ينصح الأطباء بأغذية معينة تزيد قلووية ماء الرجل لمن تريد ذكوراً.

ونشرت مؤخراً ورقة علمية تشير إلى أن العلاقة بين بويضة المرأة والحيوان المنوي ليست اعتباطية<sup>(٢)</sup>، وإنما هناك جينات من الطرفين تعمل على اختيار الطرف الآخر المناسب، فليست البويضة طرفاً سلبياً في هذه العلاقة، وإنما هي أيضاً تمارس سلطاناً<sup>(٣)</sup> لاختيار رفيقها.

### ٥-٦-٢ الاعتراض الثاني: تفسير الشبه

جاء في الحديث عن أم سليم أنها سألت نبي الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يراه الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَتْ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ فَلْتَعْتَسِلْ»، فقالت أم سليم: واستحييت من ذلك، قالت: وهل يكون هذا؟ فقال نبي الله ﷺ: «نَعَمْ، فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبَهُ؟ إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَيْضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ رَقِيْقٌ أَصْفَرٌ، فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلَا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ» (رواه مسلم). ويقول: المشككون وهذا التفسير للشبه غير علمي.

١. قلوي: مركب كيميائي ضد الحمضي وتفاعل معه.

٢. اعتباطية: عشوائية وفوضوية، وعلى غير قاعدة معينة.

٣. سلطاناً: قوة وقدرة.

## الجواب:

أولاً: لاحظ الاستدلال لوجود ماء للمرأة بمساهمة مائها في تكوين الجنين، وهذه ملاحظة علمية بارعة استدلت بها جالينوس العالم اليوناني - وقالوا بقوله لاحقاً - للرد على مَنْ أنكروا ذلك، وهم كُثُرٌ، وهي ملحوظة علمية صادقة؛ إذ إن الشَّبهَ سببُه مساهمةُ كروموسومات الأُنثى - التي تضم المعلومات الجينية المتعلقة بالشكل والحجم... - في صناعة بنية<sup>(١)</sup> الجنين.

ثانياً: ما قرره الحديث صحيح علمياً؛ فإن في الحيوان المنوي والبويضة معلومات جينية مختلفة، الجزء الذي يساهم في الذكر يضم معلومات تشابه ماء الرجل في أسرته، والجزء الذي تساهم به المرأة فيه معلومات جينية تشابه ما في أسرتها، وإذا غلبت المعلومات الجينية للذكر - كأن يكون فيها لونُ العينين أخضر - كانت عين المولود على هذا اللون، وإذا غلبت المعلومات الجينية كما في البويضة - كأن تكون العين سوداء - كانت عين المولود سوداء.

التعبير عن المعنى السابق بلغة بسيطة يفهمها الأعرابي في القرن السابع الميلادي يكون باستعمال ألفاظ تدلُّ على الانتصار في صراع الغلبة على الهيمنة<sup>(٢)</sup> بين خيارات مختلفة.

٥-٦-٣ الاعتراض الثالث: زمن تحديد جنس الجنين:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا، وَجَلَدَهَا وَلَحَمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبُّ، أَذْكَرُ أَوْ أُنْثَى؟» (رواه مسلم).

١. بنية: الجسم والقوام والتركيب ومجموع الأعضاء.

٢. هيمنة: سيطرة وقدره مطلقة على الشيء.

يقول المشككون: إن الحديث الشريف يخبر أن جنس الجنين يتحدد في اليوم الثاني والأربعين، في حين أن العلم يخبر أن جنس الجنين يتحدد منذ تلقيح البويضة.

### الجواب:

الحديث الشريف يبين أن الملك<sup>(١)</sup> لا يعلم أن الجنين ذكرٌ إلا في اليوم الثاني والأربعين، وذلك يدل على أن جهاز الذكورة أو الأنوثة لا يتميز بمظهر الذكورة أو الأنوثة إلا في هذه المرحلة، ويوافق الحديث النبوي العلم في أن الذكورة والأنوثة تتحدد منذ التخصيب<sup>(٢)</sup>، وذلك في قول الرسول ﷺ: «ماءُ الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعاً فعلاً مني الرجل مني المرأة أذكراً بإذن الله، وإذا علاً مني المرأة مني الرجل أثناً بإذن الله» (رواه مسلم)؛ فتحديد جنس الجنين يكون منذ مرحلة النطفة الأمشاج، وعلم الملك خاص بتكوين الشكل الخاص للجهاز التناسلي.

وإذا قيل: لماذا يسأل الملك عن جنس الجنين في اليوم الثاني والأربعين؟ فالجواب: أن الملك يسأل قبل ظهور طابع الجهاز التناسلي له، كما أنه قد يتحدد جنس الجنين أنه أنثى، ثم يتطور ليكون الجهاز التناسلي ذكراً، أو العكس، وذلك لأسباب عدة، منها نقص هرمون التستوستيرون<sup>(٣)</sup>.

### ٥-٦-٤ الاعتراض الرابع: نفخ الروح:

جاء في الحديث الشريف: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَظْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيَوْمِرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ» (رواه البخاري).

١. الملك: من الملائكة.

٢. التخصيب: هو اتحاد الحيوان المنوي للرجل مع البويضة الأنثوية.

٣. هرمون التستوستيرون: هو هرمون ذكوري يلعب دوراً مهماً في تطوير الخصائص الفيزيائية النموذجية والحفاظ عليها، مثل: كتلة العضلات، نمو شعر الوجه والجسم...

يقول المشككون: ذاك خطأ؛ إذ إنَّ الحركة والنمو ثابتان للجنين منذ مرحلة دخول الحيوان المنوي البويضة، ولا حركة ونموً دون رُوح.

### الجواب:

لا علاقة للحركة والنمو ضرورة بنفخ<sup>(١)</sup> الروح؛ فإن النبات ينمو ويكبر دون أن تكون له روح، والإنسان يكتسب الروح عندما يبدأ في اكتساب الصورة الأدمية، ولا يكتسب هذه الروح وهو قطعة دم، أو عندما تبدأ بعض أعضائه في التشكل. والروح في القرآن خَلْقٌ خَفِيٌّ لَا نَعْرِفُ كُنْهَهُ، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٥).

٥ - ٦ - ٥ الاعتراض الخامس: ويعلم ما في الأرحام:

يقول المعترضون والمشككون: إن نبي الإسلام ﷺ قال: مفاتيح الغيب خمسة، ثم قرأ الآية من سورة لقمان: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢٤)، ومعلوم اليوم أن الطب قادر على معرفة جنس الجنين، وذلك من علم الغيب الذي زعم القرآن أن الله قد استأثر بالعلم به.

### الجواب:

أولاً: الآية في الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله، وليس شرطاً أن يكون جنس الجنين هو المقصود في الآية، فإن الحديث النبوي قد أخبر أن المَلَكَ يعلم جنس الجنين بدءاً من منتصف شهره الثاني في الرحم كما في قوله ﷺ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَيَصْرَهَا وَجِلْدَهَا وَلِحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ» (رواه مسلم).

١. نفخ الروح: هي لحظة دخول الروح في جسد الجنين.

ثانياً: روى البخاري عن الرسول ﷺ أنه قال: «مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» (رواه البخاري)، فالعلم المطلق الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه هو ما يغيض في الأرحام، وليس ما يزداد فيها بتضخم حجم الجنين عبر أطوار نشأته.

وإذا كان نمو الجنين لا يدخل في غيض الأرحام، فإن غيض الأرحام إذن ما يفسد في الأرحام، أي الإسقاط التلقائي المبكر، بدلالة اللغة. قال الأصفهاني رحمه الله: «وما تغيض الأرحام: ما تفسده الأرحام، فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض، والغيضة: المكان الذي يقف فيه الماء فيبتلعه»، وقال المفسر عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وما تغيض الأرحام، أي: تنقص مما فيها، إما أن يهلك الحمل، أو يتضاءل، أو يضمحل. وعرف علماء اللغة أيضاً السقط بأنه: الجنين يسقط من بطن أمه قبل تمامه».

وقد انقسم أهل العلم منذ زمن الصحابة في مفهوم غيض الأرحام إلى قولين كبيرين، أولهما الدم الذي ينزل على المرأة الحامل، وثانيهما سَقَطُ الأجنة<sup>(١)</sup> قبل تمام خلقها. علماً أن الغيض قد يكون بسقوط الجنين من بطن أمه أو بهلاكه في الرحم بأن يتحلل ويغور<sup>(٢)</sup> وتختفي آثاره منه، كما يغور الماء في الأرض.

يقول د. عبد الجواد محمد الصاوي - وهو استشاري طب الأطفال -:  
«يقول علم الأجنة الحديث: عندما تهلك<sup>(٣)</sup> الأجنة في الأسابيع الثمانية الأولى من عمرها، إما أن تسقط خارج الرحم، أو تحلل وتختفي تماماً

١. سَقَطُ الأجنة: نزول الأجنة من بطون الأمهات قبل تمامها.

٢. يغور: يذهب إلى الداخل ويختفي.

٣. تهلك: تموت.

من داخله، ويسمي علماء الأجنة هذا الهلاك بصورتيه: الإسقاط التلقائي المبكر<sup>(١)</sup>. وهو متوافق تمامًا مع أقوال علماء اللغة. وهو الذي يحدث خلال الأسابيع الثمانية الأولى من الحمل، وهو ظاهرة شائعة، ونسبة حدوثه كبيرة؛ إذ تصل إلى حوالي (٦٠٪)، في الأسابيع الثمانية الأولى من الحمل، وفي عدة مشاهدات للسقط المبكر لم يكن الجنين موجودًا، أي: إن الجنين قد تحلل واختفى داخل الرحم. وعدم رؤية جنين بالمرّة في حويصلة الحمل<sup>(٢)</sup> يسمى كيس الحمل الفارغ، وتمثل هذه الحالات حوالي نصف حالات السقط التلقائي المبكر، وبعد اكتشاف جهاز الأشعة فوق الصوتية واستخدامه في تشخيص الحمل ومتابعته، تأكدت حالات غور الأجنة واختفائها من داخل الأرحام».

ويجيب على سؤال: ماذا يعني العلم بغيب الأرحام؟ بقوله: «العلم بغيب الأرحام يعني العلم المسبق بحدوث الإسقاط التلقائي المبكر بشقيه قبل تمام تخليق<sup>(٣)</sup> الجنين، برغم توفر مقدمات الخلق الضرورية ومادته الأولى، وتهيؤ الأسباب وانتفاء<sup>(٤)</sup> الموانع لحدوثه، فيتخلص الرحم من تلك المواد الأولية؛ إما بإسقاطها أو بغورها واندثارها<sup>(٥)</sup>، وذلك لبيان أن الإيجاد بعد العدم والإعدام بعد الوجود ظاهرة متكررة تبين إمكان وقوع البعث بالنظير<sup>(٦)</sup> والصد، وأن التخليق هو اختيار من الفاعل المختار سبحانه وحده.

وعلى هذا يكون المراد بعلم غيب الأرحام الذي لا يعلمه إلا الله هو العلم بمستقبل هلاك الأجنة المبكرة، أو بمعنى آخر: العلم بإرادة الله في إنشاء

١. الإسقاط التلقائي المبكر: نزول الجنين عفويًا، قبل أوان ولادته.

٢. حويصلة الحمل: المشيمة.

٣. تخليق: بدء خلق كائن حي.

٤. انتفاء: عدم وجود، أو عدم وقوع، أو ابتعاد.

٥. اندثارها: لم يبق لها أثر.

٦. النظير: المثل.

إنسان جديد من عدمه، وأن هذا العلم مقصور على الله وحده، ويستحيل على  
البشر - بل وعلى الخلق جميعًا - معرفته».

وأسباب السقط كثيرة جدًا، منها ما هو وراثي، ومنها ما هو مرضي  
بسبب الأشعة أو الهرمونات أو الفيروسات أو المواد الكيميائية، ومنها ما  
هو سيكولوجي<sup>(١)</sup> أثناء الحمل؛ بما يجعل الإحاطة بجميع هذه الأسباب  
مُحالًا<sup>(٢)</sup>، بل إن الخلل في الصبغيات وحده يحدث بطريقة عشوائية يعجز  
العلم عن التنبؤ به، والله أعلم.

١. سيكولوجي: نفسي (من علم النفس).

٢. محالًا: مستحيلًا.

## [ ٦ ] الخاتمة<sup>(١)</sup>

إن الذي يتتبع تاريخ المسلمين مع كتابهم (القرآن) [وسنة نبئهم]، يدرك -دون شك- سبب اهتمامهم بالتفسير أو الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ.

ذلك أنه ما تألق<sup>(٢)</sup> في الساحة الفكرية الإسلامية مذهب<sup>(٣)</sup> أو نظرية إلا وُجد أثر ذلك في التفسير، فكأنما التفسير مرآة تنعكس عليها الحضارة الإسلامية في جميع مظاهرها، وما ذلك إلا للمكانة السامية<sup>(٤)</sup> التي احتلها القرآن في نفوس المؤمنين به.

ويمكن أن نقول: إن التيار العلمي الحديث الذي أخذت الحضارة الإسلامية في تمثله لم يتخلف عن القاعدة، فقد اهتم به الباحثون، وحاولوا استنباط<sup>(٥)</sup> قواعده ونظرياته من القرآن.

والسؤال يجب أن يكون عن نوع العلاقة الممكنة بين العلم والقرآن على ألسنة أصحاب المذاهب المختلفة.

والذي ينبغي فهمه من عبارة (التفسير العلمي) يتمثل في الوقوف على سر المطابقة<sup>(٦)</sup> الكلية التي يلاحظها الباحث بين اللفظية القرآنية والواقع الذي تشير إليه، ولا يمكن الوقوف على المطابقة إلا عن طريق العلم، فالعلم يسعى جاهداً إلى الكشف عن أسرار الكائنات<sup>(٧)</sup> ليطلع الباحثين على حقائقها،

١. مقتبس بتصرف من كتاب «التفسير العلمي للقرآن الكريم بن النظريات والتطبيقات» للدكتورة هند شلبي رحمها الله

٢. تألق: أحسن وأجاد.

٣. مذهب: منهج معين في استنباط، وتطلق أيضاً على المناهج بصورة عامة.

٤. المكانة السامية: المنزلة الرفيعة والقدر العالي من الصدارة المرموقة.

٥. استنباط: استنتاج منطقي أو استخراج المعاني والأحكام.

٦. المطابقة: التوافق بين جزأين مترابطين.

٧. الكائنات: المخلوقات الحية كالإنسان والحيوان والنبات.

ومقارنة نتائجه التي وصل إليها بما جاء مذكورًا في القرآن، وملاحظة المطابقة بين حقائق هذه ونتائج ذلك هو الذي جعل القول بال تفسير العلمي ضرورة قائمة لا ادعاءً مزعومًا<sup>(١)</sup>.

فالذي توصل إليه العلم عن طريق البحث والدراسة كشف عنه القرآن عن طريق الوحي.

لذلك لاحظنا أنه من أوجه الإعجاز في القرآن ما سميناه (أسبقية زمنية)<sup>(٢)</sup>، وهي قاسم مشترك بين معجزات الرسل والأنبياء جميعًا.

فالذي يتجلى في كل معجزة من المعجزات التي حصلت على يد الرسل والأنبياء هي القدرة الإلهية الماسكة<sup>(٣)</sup> بجميع المخلوقات والمتصرفة فيها تصرفًا ذاتيًا، وتتفق المعجزة في طريقة صدورها عن الله تعالى في طريقة صدور بقية الكائنات الأخرى. فالأمر الإلهي الذي عنه ظهرت المعجزات هو عينه الذي كان وسيكون وراء كل ما أراد الله ظهوره من المخلوقات، لقوله تعالى في سورة يس: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup>.

ينتج عن هذه تسوية مطلقة<sup>(٥)</sup> بين المعجزة وبين جميع مظاهر الخلق الإلهي، فصفة الخلق<sup>(٥)</sup> الإلهي التي كَيْفَتْ<sup>(٦)</sup> النار بطريقة تجعلها تلتهم كل ما يقع فيها، هي التي أمسكت النار بفضلها عن الإحراق في معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام. وكما أمر الله مياه البحر

١. مزعومًا: غير موثوق به.

٢. أسبقية زمنية: أقدمية في الزمان أو تقدم في الإخبار عنه.

٣. الماسكة: المسيطرة عليها والمشرقة.

٤. تسوية مطلقة: تساوى وتعادل وتماثل على وجه عام ومن غير استثناء.

٥. مظاهر الخلق: الصور التي تبدو فيها كافة الأشياء المادية في الكون، بما فيها الكائنات الحية وتصرفاتها وصفاتها وعملها.

٦. كيفت: تغيير الحالة والانسجام مع المتغير.

أن تشدَّ<sup>(١)</sup> إلى الأرض شدًّا فامتثلت<sup>(٢)</sup> خاضعة لأمر الله، فإنها انتصبت واقفة في معجزة سيدنا موسى عليه السلام تنفيذًا كذلك لأمر الله. فتعريف «المعجزة» بكونها أمرًا خارجًا للعاداة يصدق على اعتبارها من زاوية الإنسان<sup>(٣)</sup> لأنها تأتي بما لم يتعوده.

لكن هذا التعريف لا يصدق على علاقة المعجزة بالإرادة الإلهية؛ لأن شأنها في ذلك شأن بقية الكائنات الأخرى، وإن هي إلا إظهارٌ فوريٌّ لخلقٍ جديد.

فالذي بهر<sup>(٤)</sup> عقول الناس في المعجزة ينبغي أن يبهرها في كل مظهر من مظاهر الكائنات التي تتجلى فيها صفات الخلق والإرادة والقدرة الإلهية، لكن الذي جعل العقول لا تلاحظ تلك الصفات فيما يحيط بها، هو تعودٌ رؤيتها، فأصبحت لا تسترعي<sup>(٥)</sup> الانتباه ولا تعجب<sup>(٦)</sup> لها النفوس.

ويؤكد هذا التقريب بين المعجزة وبين كل عنصر من عناصر الكون من حيث صدورها عن الله اشتراكها في التسمية (بالآيات)، فقد سمى الله ما أتى سيدنا موسى عليه السلام من معجزات «آيات» كما جاء في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿١٠١﴾﴾، وما أتى سيدنا عيسى عليه السلام من بينات هي آيات، كما جاء في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذِ اجْتَنَّبَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴿١١٠﴾﴾، وسمى معجزة سيدنا صالح عليه السلام آية في قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَيَقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴿٦٤﴾﴾، وجعل القرآن

١. تشدَّ: تجذب بشدة.

٢. امتثلت: أطاعت وتبعت الأوامر والتعليمات.

٣. زاوية الإنسان: ناحية أو جهة نظر الإنسان.

٤. بهر: أدهش بشدة.

٥. تسترعي: تشد تتطلب النظر أو الإصغاء.

٦. تعجَّبُ: استغرب أمر.

جميعاً منه آيات في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ﴾، وأطلق هذه التسمية في كل المعجزات التي أرسل بها أنبياء ورسله، كما في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ﴾.

ثم إنه تعالى سمى عددًا من مظاهر الكون<sup>(١)</sup> «آيات»:

ففي السماوات والأرض آيات للمؤمنين، قال تعالى في سورة الجاثية: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾، وكذا في الأنفس<sup>(٢)</sup>، قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۚ﴾، والليل والنهار آيتان، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۚ﴾، وكذلك الشمس والقمر، قال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۗ﴾.

فهذه الأمور جميعاً: معجزات الأنبياء والرسول والظواهر الكونية تتجلى فيها صفات الله التي لا يشاركه فيها أحد، وهي صفة الخلق، ولولا أن المعجزة قُصد بها تحدي<sup>(٣)</sup> مَنْ كَذَّبَ برسالة الأنبياء والرسول تعجيزاً لهم عن أن يأتوا بمثلها لقلنا إنها لا فرق بينها وبين أي ظاهرة من ظواهر الكون.

فإذا ثبت هذا، فإن مَنْ تيسَّر له فهمُ حقائقِ بعضِ الكائنات في السماء والأرض، ينبغي أن لا يتعذر عليه إدراك حقيقة بعض المعجزات باعتبارها خلقاً من خلق الله، جارياً<sup>(٤)</sup> على نسق<sup>(٥)</sup> الخلق المتجلي في السماء والأرض، والذي دُعي الإنسان إلى تدبره وإدراك أسرار تكوينه، ومن هنا يفقد وصف

١. مظاهر الكون: الصور والأشكال والأفعال لمخلوقات الله في الكون.

٢. الأنفس: المقصود بها الإنسان.

٣. تحدي: المغالبة والمواجهة والتباري.

٤. جارياً: مستمراً أو ساري التنفيذ.

٥. نسق: ما كان على نظام واحد أو معيار واحد.

المعجزة بالسحر كل معنى . وفي سجود السحرة لسيدنا موسى عليه السلام ما  
يثبت هذه الحقيقة، قال تعالى في سورة طه: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفًا<sup>(١)</sup> مَا صَنَعُوا<sup>٢</sup>  
إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا<sup>(٢)</sup> سِحْرًا وَلَا يَفْلِحُ<sup>(٣)</sup> السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى<sup>(٤)</sup>﴾ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجَدًا قَالُوا أَمْ نَارِيبٍ<sup>(٥)</sup>  
هَارُونَ وَمُوسَى<sup>(٦)</sup>﴾ ﴿٧٠﴾ .

لقد أصبح للإنسان سلطان<sup>(٤)</sup> على عدد كبير من الكائنات بفضل ما  
أحرزه من تقدم علمي صار به قادرًا على إدراك حقائق كثير من الأشياء،  
وكلما ازداد فهمه ازداد تسخيره<sup>(٥)</sup> لتلك الكائنات وحاكي<sup>(٦)</sup> الكثير منها في  
مجالات مختلفة.

ولا شك أنه أصبح من الميسور<sup>(٧)</sup> على المختصين تصور إمكانية وقوع  
معجزة سيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام، وقد كان الشيخ محمد الغزالي  
رحمه الله تنبه إلى هذا المعنى، فاعتبر أن الذي حصل فيها هو إما التغيير في  
صفة النار أو التغيير في صفة النبي إبراهيم عليه السلام.

والذي تم في هذه المعجزة هو كما جاء في القرآن صدور الأمر الإلهي  
إلى النار فتحولت بفضلها إلى خلق جديد، لقوله تعالى في سورة الأنبياء:  
﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ<sup>(٨)</sup>﴾ ﴿٦٩﴾ . فالنار التي أضرمها<sup>(٨)</sup> قوم إبراهيم  
عليه السلام لم تبق هي النار التي اعتادها الناس وجربوها، إنما أصبحت خلقًا  
آخر بفضل الأمر الإلهي الذي حولها إلى خلق جديد.

١ . تلقف: تلتقط وتبتلع بشدة وسرعة.

٢ . كيد: مكر وخداع وحيلة.

٣ . يفلح: ينجح ويفوز.

٤ . سلطان: قوة ونفوذ وسيطرة.

٥ . تسخيره: تكليفه أن يعمل كما أمره.

٦ . حاكي: شابهه أو فعل مثله.

٧ . الميسور: المتوفر بسهولة.

٨ . أضرمها: أوقدها وأشعلها.

وقد ذكر الشيخ محمد عبده رحمه الله - وهو عالم دين وفقه ومجدد إسلامي مصري، يعد أحد دعاة النهضة والإسلام في العالم العربي (ت ١٩٠٥ م) - هذا المعنى في تفسيره، مؤكداً على إمكانية إدراك المعجزة إدراكاً عقلياً إن تمَّ الاهتداء إلى سنة الله في ذلك، فقال في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا<sup>(١)</sup> قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ** ﴾<sup>(٢)</sup>:

«فَلَبِثُ الرَّجُلُ - قيل إنه العزيز، أحد أنبياء بني إسرائيل - الذي ضُربَ على سَمْعِهِ هنا مثلاً مائة عامٍ غيرٍ مُحَالٍ في نظر العقل، ولا يشترط عندنا في التسليم بما تواتر<sup>(٢)</sup> به النص من آيات الله تعالى أخذها على ظاهرها، إلا أن تكون من الممكنات<sup>(٣)</sup> دون المستحيلات، وإنما ذكرنا ما وصل إليه بعض الناس من هذا السبات<sup>(٤)</sup> الطويل الذي لم يعهده<sup>(٥)</sup> أكثرهم؛ لأجل تقريب إمكان هذه الآية من أذهان الذين يعسر عليهم التمييز بين ما يستبعد لأنه غير مألوف وما هو مُحَالٌ لا يقبل الثبوت لذاته».

إن ما ذكرناه بشأن المعجزة لا يزيدها إلا تأكيداً، وإن السلطان الذي أصبح للإنسان على الأشياء بفضل التقدم العلمي والتكنولوجي لم ينزع<sup>(٦)</sup> عن معجزات الأنبياء صفة الإعجاز؛ فقد تبين:

أن ما تم فيها لم يكن أمراً مستحيلاً، وقد أمكن تفسير بعضها وفهمه عن طريق التعليل<sup>(٧)</sup> البشري للظواهر الكونية.

١. خاوية عروشها: تهدمت بيوتها.
٢. تواتر: رواية عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، والحديث المتواتر يفيد القطع.
٣. الممكنات: أي بالإمكان حدوثها ولم تعد من المستحيلات.
٤. السبات: النوم العميق أو الراحة والسكون.
٥. يعهده: كما يعرفه.
٦. ينزع: يزيل.
٧. التعليل: ما يستدل به من العلة على المعلول أو استدلال على المسبب بالسبب أو بيان الأسباب الموجبة للحكم.

أن الكيفية التي صدرت بها لا يمكن أن تكون بشرية؛ فهي طريقة صدور جميع الكائنات خضوعاً للأمر الإلهي الوحي بالكينونة<sup>(١)</sup>.

وهذه الكيفية لا يمكن أن تتم على يد بشر، ولا يدرك هذا الأمر حق الإدراك إلا من خبر الأشياء وعلم أن إمكانية التصرف في طبيعتها لا يتسنى<sup>(٢)</sup> للإنسان إلا بعد البحث المضني<sup>(٣)</sup> والدراسة المستمرة والمعدّات المعقدة يستعين بها على الوصول إلى تحقيق غايته، وهذا كله لم يتوقف حصول المعجزات عليه؛ فإن سيدنا موسى عليه السلام لم يزد على إلقاء عصاه لتتحول إلى ثعبان يتلقف<sup>(٤)</sup> بإذن الله ما أتى به السحرة، وسيدنا عيسى عليه السلام لم يزد على الدعاء ليداوي الأكمه<sup>(٥)</sup> والأبرص<sup>(٦)</sup>، ويحيي الموتى بإذن الله، هذه المعاني تشترك فيها معجزات الرسل والأنبياء جميعاً.

والقرآن الكريم معجزة الرسول محمد ﷺ، الذي أوحاه الله تعالى إليه عن طريق سيدنا جبريل عليه السلام؛ لذلك تحدى الله عز وجل الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بسورة أو بعشر سور مثله.

ولقد عدد العلماء أوجه الإعجاز في القرآن، ولعل أول هذه الأوجه تلك الأسبقية الزمنية<sup>(٧)</sup> التي لاحظناها في جميع المعجزات، فهي التي تسمح بفتح الباب للتفسير العمي للقرآن؛ ذلك أن في القرآن من المعاني ما يتعذر - تاريخياً - القول بظهوره زمن نزول القرآن، ويدل ورودها<sup>(٨)</sup> فيه على أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون صادرًا عن بشر.

١. الكينونة: من الكيان أي الأصل والطبيعة والهوية الذاتية.

٢. يتسنى: يتهيأ أو يتح أو يسر له.

٣. المضني: المتعب والمرهق الراح تحت عبء وضغط.

٤. يتلقف: يشده ويلبسه بسرعة.

٥. الأكمه: الأعمى.

٦. الأبرص: المصاب بداء البرص، أي: بقع بيضاء على الجسم.

٧. الأسبقية الزمنية: الأولوية في الوقت والزمان، قبل أو تقدم على غيره.

٨. ورودها: وجودها أو مسجلة منها، الحاضر فيها، المتضمنة.

## الأسبقية الزمنية سر الإعجاز العلمي للقرآن:

إن القول بالتفسير العلمي للقرآن يعود إلى إبراز صفة الإعجاز فيه باعتباره صادرًا عن الله، وبالتالي شاهدًا على صدق الرسالة المحمدية، فكما أن معجزات الأنبياء السابقين تبين بعد ما كشف العقل عن حقائق بعضها أنها لا يمكن أن تكون صادرة عن بشر، فكذلك الأمر بالنسبة إلى القرآن؛ فإنه لا يمكن أن يكون صادرًا عن أعلم علماء ذلك العصر، فما بالك بالنبي الأمي محمد ﷺ؟!

فالذي يحسن فهمه حينئذ من مثل عبارتي «الإعجاز العلمي في القرآن» أو «التفسير العلمي»، هو ملاحظة ما احتوى عليه هذا النص من معانٍ يتعذر صدورها عن بشر زمن نزول القرآن؛ لأنها تكشف عن واقع لم تكن العقول البشرية قد نضجت<sup>(١)</sup> بعد لتقف عليه<sup>(٢)</sup>، وعدم إدراك معاصري<sup>(٣)</sup> القرآن أو مَنْ أتوا بعدهم بزمن طويل لذلك الواقع هو الذي يدل على جانب الإعجاز فيه، مثل ما دل عدم إدراك معاصري سيدنا إبراهيم عليه السلام سرِّ بقاءه سالمًا في النار على كون ذلك الأمر يمثل معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام الدالة على صدق ما أتى به.

وليس الغرض من التعبير عن هذه الخاصية في القرآن «بالإعجاز العلمي» هو حَمْلُ القرآن على متابعة أمر احتل في الفترة الحاضرة محل الصدارة في الحياة المعرفية في تاريخ الإنسان، أعني بذلك «العِلْم»، إنما يعود التقريب بين القرآن والعلم إلى الاشتراك الواضح بينهما في تقديم الواقع على صورته التي هو عليها بالفعل، وهذا قد يعرف أو يكتشف مع الزمن كلما تقدم العلم؛ لذلك لم يبق مجال للتساؤل عن مشروعية التفسير العلمي للقرآن أو عدم

١. نضجت: تمام نمو الكائن الحي واكتمال خصائصه.

٢. لتقف عليه: لتناوله وتفهمه وتؤكد من حجته واستيعابه.

٣. معاصري القرآن: من كان في زمان نزول القرآن الكريم.

مشروعيته؛ لأن علاقة العلم بالقرآن علاقة المُفسّر كما اتضح من المسائل التي تم تحليلها، في الأقسام السابقة من هذا الكتاب مثل: كروية الأرض، ودور الجبال في تثبيت الأرض، والمسائل الفيزيولوجية أو التشريحية الأخرى مثل «البنان» ومعناها في اللغة مقارنة ذلك بمفهوم «البصمات» وغيرهما من الكثير من المسائل وعلاقتها بالإعجاز العلمي، وموقف العلم والأديان من هذه المسائل الكونية، شاملة لها جميعاً باعتبار أن الإنسان جزء من الكون.

وهكذا، فإن الأسبقية الزمنية التي تعتبر مركز الدائرة<sup>(١)</sup> في كل معجزة، هي التي جعلت القرآن معجزة في الماضي وفي الحاضر، وهي التي ستجعله معجزة في المستقبل، باعتبار الاستمرارية الزمنية التي أرادها الله لخاتمة شرائعه، لقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا<sup>(٣)</sup> لَكَلِمَتِ رَبِّي<sup>(٢)</sup> لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا<sup>(٤)</sup>﴾.

فطريق العلم مَطِيَّةٌ<sup>(٤)</sup> الزمن تنكشف حقائق الكائنات فيه على التدرج، وطريق المعجزة صادر عن الوحي، وفيه تتجلى حقائق الكائنات تجلياً فورياً لا قدرة للعقل - وهو أداة العلم - أن يدركه إلا بعد اجتياز المراحل الزمنية التي تمكنه من فك رموزها<sup>(٥)</sup>.

فكان على العلم أن يلتحق ضرورة بركب الوحي<sup>(٦)</sup> (ما ورد في القرآن وأحاديث الرسول)، ولا يعني ذلك أن العلماء سيجدون نظرياتهم

١. مركز الدائرة: النقطة المؤثرة، أي: المحور.

٢. خاتمة شرائعه: آخر ما شرعه الله تعالى لعباده من العقائد والأحكام والشرائع.

٣. مداداً: سائلاً يكتب به، ويقال له: حبر.

٤. مطية: دابة تُركب، وهو تعبير مجازي على الوسيلة إلى الوصول إلى الشيء.

٥. فك رموزها: حل وتعلم العلامات والخفايا أو أدرك ما تعنيه هذه الكتابات أو الأموال التي وردت عن طريق الوحي.

٦. ركب الوحي: ما جاء به الوحي من التعليقات الإلهية التي يسير فيها الرسول ﷺ وأتباعه.

وافترضااتهم ومسلماتهم<sup>(١)</sup> مندسّة<sup>(٢)</sup> في الآيات، فهذا لا يقول به عاقل؛ لأنّ طريق الوحي في تقديم الحقائق غير طريق العلم، لكن الذي أظهرته البحوث وبيته المقارنات<sup>(٣)</sup> أنّ الحقائق التي قضى العلم زمنًا طويلًا للكشف عنها كانت حاضرة في القرآن الذي أوحاه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لتشهد أنه من عند الله سبحانه.

وهكذا فإنه لا يمكن أن نعدّ التفسير العلمي للقرآن مجرد اتجاه عرفه التفسير كما عرف غيره من الاتجاهات الفكرية الأخرى، بل نراه حقيقة ذاتية نابعة من القرآن نفسه في كل آية منه بأنه «المعجزة» التي لن يتأتى لأحد الإتيان<sup>(٤)</sup> بمثلها، لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>. انتهى الاقتباس من كتاب التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق.

إن هذا الدين دينُ الله، وهو - وحده - قادرٌ على حفظه ونصره، فلا ينبغي أن نقلق عليه، ولكن ينبغي أن نقلق ما إذا سمح الله لنا أو لم يسمح أن نكون جنودًا له، وكما قال الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه الله في كتابه موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

يجب أن يتّجه الخطابُ الإسلاميُّ إلى عقل الإنسان، وإلى قلبه، وإلى معاشه<sup>(٦)</sup> ودنياه؛ ذلك لأنّ الإنسان عقلٌ يدرك، وقلبٌ يحبُّ، وجسمٌ يتحرّك، وغذاءُ العقلِ العلمُ، وغذاءُ القلبِ الحبُّ، وغذاءُ الجسمِ الطعامُ والشرابُ،

١. مسلماتهم: المنطق والأمر والقضايا التي لا تحتاج إلى إثبات أو برهان يسنده لأنه واضح.

٢. مندسة: من (اندس) أي: دخل في شيء وتسلسل خفية.

٣. المقاربات: وهي ملاحظة ومراقبة الاختلافات والتشابهات بين عنصرين بناء على خصائص كل منهما.

٤. الإتيان بمثلها: العمل كما يجب القيام به للمجيء أو خلق المثل أو الشبه أو الند أو النظير.

٥. ظهيرا: مُعينًا ومساعدًا.

٦. معاشة: من المعاش من المطعم والمشرب والدخل وما تستمر به حياته.

واللباسُ والمأوى، وما لم تُرَاعَ في الخطابِ الإسلاميِّ مبادئُ العقل، وما لم يتوجَّهْ إلى القلب، وما لم يحققْ مصالحَ الإنسانِ الأساسيةَ والمشروعةَ فلن ينجح الخطابُ الإسلاميُّ في امتلاكِ القدرةِ على التأثيرِ في الآخرين، وحملِهِم على تغييرِ تصوّراتِهِم، وقناعاتِهِم من جهةٍ، ثم حملِهِم على تغييرِ سلوكِهِم، وأنماطِ<sup>(١)</sup> حياتِهِم من جهةٍ أخرى، مع التأكيدِ على أن يكونَ هذا التغييرُ طوعاً<sup>(٢)</sup> لا كرهاً.

كُلُّ داعيةٍ ينبغي أن يكونَ عالمًا بأصولِ الدينِ وفروعه، وحقائقه المؤصَّلة<sup>(٣)</sup> والمدلَّلةُ المأخوذةُ من الوحيين: الكتابِ والسنةِ، عالمًا بطبيعةِ النفسِ الإنسانيةِ وخصائصِها، عالمًا بالوسائلِ التربويةِ الفعَّالةِ في إحداثِ التغييرِ الحقيقيِّ في النفسِ، وينبغي للداعيةِ -أيضاً- أن يستوعبَ الثقافةَ العصريةَ بثوابتها ومتغيّراتِها، وبطبيعةِ العصرِ، وسرعةِ التطوُّرِ، والقوى الفعَّالةِ، والموازنِ المعتمَدةِ فيه؛ وإذا استثقلَ الداعيةُ هذا الثمنَ الباهظَ فينبغي ألا يغيبَ عنه أن الدعوةَ إلى اللهِ هي أعظمُ عملٍ يتقرَّبُ به العبدُ إلى ربِّه، وأنها تقتربُ من صنعةِ الأنبياءِ، حيث يقول الله جلَّ جلاله في سورة الأحزاب: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا ﴿٤٦﴾ مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

فمن الثابتِ أن من أسبابِ قوَّةِ التأثيرِ الموضوعيةِ، ربطُ الأهدافِ بالوسائلِ، وربطُ الأصالةِ<sup>(٥)</sup> بالحدائثِ<sup>(٦)</sup>، وربطُ الثوابتِ بالمتغيِّراتِ، وربطُ القديمِ بالحديثِ، وربطُ الإسلامِ بالحياةِ، فهو دينُ الفطرةِ، ودينُ الواقعِ،

١. أنماط: جمع نمط، وهو طريقة وأسلوب وشكل أو مذهب.

٢. طوعاً: من الطاعة بإرادته وموافقته من تلقاء نفسه.

٣. المواصلة: ذو أصل ثابت محدد وراسخ ومحكم ذو جودة.

٤. سراجاً: مصباحاً مضيئاً.

٥. الأصالة: القدرة على التفكير بشكل مستقل من خلال صنع أفكار جديدة ومبتكرة ولا تنقل من آخرين.

٦. الحدائث: حركة عالمية في المجتمع والثقافة تسعى لمواءمة خبرة وقيم الحياة الصناعية الحديثة بشكل جديد وعصري حديث متطور.

ودينُ العلم، ودينُ الوسطية التي جمعتُ بين الحاجاتِ والقيم، وبين المبادئِ والمصالحِ، وبين المادةِ والروح، وبين الدنيا والآخرة.

وانطلاقاً من هذه القناعاتِ الإيمانية الثابتة، والرؤية الموضوعية لما ينبغي أن يكونَ الخطابُ الدينيُّ المعاصرُ منْ جَمْعِ بين حقائقِ الدين، وحقائقِ العلمِ بكلِّ أُطْرِهِ<sup>(١)</sup> وأنماطِهِ، وأشكالِهِ وألوانِهِ، سواءً في المساجدِ، أو في الجامعاتِ، أو في المؤسساتِ الدعوية، أو في المراكزِ الثقافية، أو في وسائلِ الإعلامِ المحلية، والعربية، والإسلامية والدولية وحقائقِ العلم، لترسُّخ<sup>(٢)</sup> حقيقةً غابتْ عن كثيرٍ من المسلمين، هي أن الذي خلقَ الأكوانَ سبحانه وتعالى هو الذي أنزلَ القرآنَ، وأنَّ الحقَّ دائرةٌ تتقاطعُ فيها خطوطُ النقلِ الصحيحِ، والعقلِ الصريحِ، والفطرةِ السليمةِ، والواقعِ الموضوعيِّ.

وقد ذُكر في هذا الكتابِ الكثيرُ من الآياتِ القرآنية (الإعجازية) التي تدل على خالقِ هذا الكون، والذي أوجز بعضاً منها في القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، والتي قورنت بالعديد من المواضيع العلمية، وقد أخذت هذه الموضوعات من مراجعٍ علميةٍ موثوقة، وقد جمعت ونسقت ونقحت، ومع كلِّ هذا الجهد والمراجعة، فقد يجدُّ القارئُ عددًا، أو حجمًا، أو شكلاً، أو اسمًا، أو وصفًا، يباين<sup>(٣)</sup> ما في كتابٍ علميٍّ في حوزتِهِ، فهذا التباينُ طبيعيٌّ جدًّا؛ لأنَّ العلمَ في تطوُّرٍ مستمرٍّ، وهو تباينٌ مقبولٌ؛ لأنَّ هذا الكتابَ في جوهره تعريفٌ بالله جلَّ في علاه، وليس تعريفًا بدقائقِ علمٍ من العلومِ.

إنَّ الحقائقَ العلميةَ في هذا الكتابِ وسيلةٌ، وليست هدفًا بذاتها، فلا يعيننا في هذا الكتابِ الرقمُ، ولكن يعيننا مدلولُهُ الذي يَشْفُ<sup>(٤)</sup> عن تعريفِ بالله جلَّ

١. أطره: من الإطار أي النطاق أو الهيكل العام يجد معالم الشكل والموضوع.

٢. ترسُّخ: تثبت في الذهن.

٣. يشف: يقتصر على أو يجعله شفافًا بائنًا.

٤. يباين: يفرِّق ويقارن ويظهر الاختلاف.

جلالُه من خلال الكون والإنسان، فإذا كان هناك تباين بين الأرقام، فإنه تباين بين المراجع التي أخذت منها هذه المعلومات، والتي في حوزة القارئ، وما لم يكن الهدف الكبير من تأليف الكتاب واضحاً لدى القارئ فلن ينتفع منه بالقدر المأمول والذي من أجله تم جمع وإعداد هذا الكتاب.

والكمال لله وحده، والنبِيُّ ﷺ معصوم<sup>(١)</sup> بمفرده، وأُمَّته معصومةٌ بمجموعها، ولأنَّ كلَّ طالبٍ علمٍ قد تفوَّق في جانب، وتفوَّق غيره في جانبٍ آخر؛ فلا بد من العلم من الأخذ والعطاء، ولأنَّ كلَّ إنسانٍ يُؤخِّدُ منه ويردُّ عليه إلا سيدنا محمد ﷺ.

ولا يَسْعُنِي هنا إلا أن أدعو فأقول: جزى الله عنا سيدنا محمداً ﷺ ما هو أهله<sup>(٢)</sup>، وجزى عنا أصحابه الكرام ما هم أهله، وجزى عنا والدينا، وأساتذتنا، ومشايخنا، ومن علمنا، ومن له حق علينا ما هم أهله، وهم جميعاً مشمولون بقوله تعالى في سورة فصلت: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأرجو الله أن نكون جميعاً منهم، راجين أن نكون ممن يتغي وجه الله بعمله، فلعلَّ الله يقبلنا جميعاً، ويرحمنا جميعاً، وأعوذُ بك يا رب من فتنة القول، كما أعوذُ بك من فتنة العمل، وأعوذُ بك أن أتكلَّف ما لا أحسن، كما أعوذُ بك من العُجب<sup>(٣)</sup> فيما أحسن.

والحمد لله رب العالمين.

\*\*\*\*\*

١. معصوم: المنزه عن الخطأ.

٢. أهله: قدر قدرة الله وعظمته وجوده.

٣. العجب: الإعجاب بالنفس.

# الفهرس

## المجلد الأول

- إهداء ..... ٥
- [١] تمهيد ..... ٧
- [٢] مقدمة (التغيير يبدأ من الوعي بإمكانيات المسلمين في الماضي والحاضر) ..... ١٣
- [٣] أعظم مزية في الإسلام ..... ٢٧
- [٤] دعوى تعارض الدين الإسلامي والعلم ..... ٤١
- [٥] مفهوم العلم في الإسلام ..... ٥١
- [٥-١] وظائف العلم العلوم الطبيعية (Science) وأنواعه ..... ٥٢
- [٥-٢] أنواع العلم ..... ٥٤
- [٥-٣] العلم الديني والديني (المادي) وأهميتهما معًا ..... ٥٥
- [٦] الهوية الإسلامية والعلماء المسلمون المعاصرون ..... ٥٩
- علماء مسلمون، وشخصيات عالمية معاصرة مؤثرة في العالم ..... ٦٣
- [٧] الآيات الكونية في القرآن وتوظيفها في الدعوة ..... ٦٩
- [٨] إعجاز القرآن الكريم وأنواعه ..... ٧٣
- [٨-١] الإعجاز البلاغي (البياني) ..... ٨٣
- [٨-٢] الإعجاز التأثيري ..... ٨٤
- [٨-٣] الإعجاز الغيبي ..... ٨٥
- [٨-٤] الإعجاز العددي (الحسابي) ..... ٨٥
- [٨-٥] الإعجاز التشريعي ..... ٨٥
- [٨-٦] الإعجاز العلمي ..... ٨٦
- [٩] الإعجاز البلاغي (البياني) في القرآن الكريم ..... ٨٩
- مقدمة ..... ٨٩
- [٩-١] الإعجاز في نظم القرآن الكريم: ..... ٩١
- [٩-١-١] تعريف النظم القرآني ..... ٩١
- [٩-١-٢] أمثلة في النظم الإعجازي للقرآن الكريم ..... ٩٤
- الخصائص المتعلقة بالأسلوب ..... ٩٤

٩٦	الخصائص المتعلقة بجمال المفردة القرآنية.....
٩٧	الخصائص المتعلقة بالجملة القرآنية وصياغتها .....
٩٩	[٩-٢] البيان في القرآن الكريم: .....
٩٩	[٩-٢-١] تعريف البيان في اللغة.....
٩٩	[٩-٢-٢] أمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم.....
١٠٠	الدقة في التعبير القرآني .....
١٠٢	التكرار ودلالته في التعبير القرآني .....
١٠٢	الإعجاز في الألفاظ .....
١٠٣	[٩-٣] البلاغة في القرآن الكريم: .....
١٠٣	[٩-٣-١] تعريف البلاغة في اللغة .....
١٠٤	[٩-٣-٢] أمثلة على الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.....
١٠٥	[١] لا ترادف في القرآن .....
١٠٦	[٢] التصوير الفني في القرآن .....
١٠٧	[٣] الاستعارة .....
١٠٧	[٤] التشبيه .....
١٠٨	[٥] الإيجاز والإطناب .....
١٠٩	[٦] الكناية .....
١٠٩	[٧] المحسنات البديعية .....
١١١	[١٠] الإعجاز التأثري (النفسي) للقرآن الكريم .....
١١١	مقدمة .....
١١٢	[١٠-١] تعريف التأثر والتأثير .....
١١٣	- الفرق بين الأثر والعلاقة .....
١١٣	[١٠-٢] أنواع التأثير .....
١١٤	- التأثير الموضوعي .....
١١٤	- التأثير المؤقت.....
١١٤	- التأثير الدائم.....
١١٥	[١٠-٣] التأثير والتأثر في الإسلام .....
١١٥	- تأثير الحضارات.....
١١٧	[١٠-٤] انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية (الدعوة والتأثير) .....
١١٧	أ- انتشار الإسلام بالسيف أذوبةً تدحضها حقائق التاريخ .....
١١٩	ب- منهج الدعوة (في التأثير) .....

- ج- العمل الدعوي الإسلامي، نبذة تاريخية..... ١٢٠
- د- الدعوة الإسلامية والتنصير..... ١٢٧
- [٥-١٠] العمل التطوعي في الإسلام، وأثره على الأفراد والمجتمعات..... ١٢٩
- الواقع التطبيقي للعمل التطوعي في القرآن الكريم..... ١٣٠
- العمل التطوعي في عهد الخلافة الراشدة..... ١٣١
- ثمرات العمل التطوعي..... ١٣٣
- ضوابط العمل التطوعي في الإسلام..... ١٣٤
- [٢-٣-١٠] تأثير القرآن على الأفراد..... ١٣٥
- [٦-١٠] تطور الإعجاز التأثري للقرآن الكريم..... ١٣٧
- المرحلة الأولى: مرحلة النشأة..... ١٣٧
- المرحلة الثانية: مرحلة التأسيس العلمي للإعجاز التأثري..... ١٣٨
- [٧-١٠] موانع تأثر النفس البشرية بالقرآن والانفعال به..... ١٤٦
- [٨-١٠] نماذج من الذين تأثروا بالقرآن الكريم..... ١٤٨
- أ. تأثير القرآن في نفوس الكفار..... ١٤٩
- ب. تأثير القرآن على المنافقين..... ١٤٩
- ج. تأثير القرآن الكريم على أهل الكتاب من العرب..... ١٥٠
- د. تأثير القرآن في غير العرب..... ١٥٣
- هـ. تأثير القرآن في المسلمين..... ١٥٧
- [٩-١٠] آيات من القرآن الكريم للراحة النفسية (التأثير الإيجابي)..... ١٥٨
- [١١] الإعجاز الغيبي في القرآن (والسنة)..... ١٦٣
- مقدمة..... ١٦٣
- [١-١١] لماذا سرّدُ تاريخ الأمم السابقة..... ١٦٤
- [٢-١١] انسجام الرؤية القرآنية (التاريخية) لظهور الحياة، مع التفسير العلمي..... ١٦٧
- [٣-١١] المنهج القرآني (الرياضي) في رؤيته التاريخية..... ١٦٨
- [٤-١١] من الإعجاز التاريخي الماضوي في القرآن (والسنة) (الأخبار الغيبية الماضية) .. ١٧٢
- [١] قصة «نوح» عليه السلام..... ١٧٤
- [٢] قصة النبي «موسى» عليه السلام..... ١٧٤
- [٣] اسم «هامان» في القرآن..... ١٧٤
- [٤] قصة سيدنا «يوسف» عليه السلام..... ١٧٥
- [٥] لقبُ «ملك» على حاكم مصر في عهد سيدنا يوسف عليه السلام..... ١٧٥
- [٦] قصة السيدة «مريم» عليها السلام..... ١٧٦

١٧٧	[٥-١١] من الإعجاز الغيبي للقرآن، الذي تحقَّق في حياة النبي ﷺ (أخبار غيب الحاضر)....
١٧٧	[١] موت «أبي لهب» على الكفر .....
١٧٧	[٢] حال وأخبار المنافقين .....
١٧٧	[٣] انتصار الروم على الفُرس .....
١٧٨	[٤] انتصار المسلمين المستضعفين في مكة .....
١٧٩	[٥] بشرى دخول «المسجد الحرام» .....
١٧٩	[٦] قصَّة «مسجد ضرار» .....
١٨١	[٧] حادثة إسرار الرسول ﷺ لإحدى زوجاته (السيدة حفصة -رضي الله عنها-) ..
	[٦-١١] الإعجاز التاريخي (الغيبي) المستقبلي في القرآن،
١٨٢	(الأخبار الغيبية المستقبلية): .....
١٨٣	[١] تحدي الكفَّار أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن .....
١٨٣	[٢] الإخبار عن المنافقين من الأعراب -أهل اليمامة - أصحاب مسيلمة الكذاب ..
١٨٤	[٣] بُشْرَى تمكين الدين في الأرض .....
١٨٥	[٤] أحداث يوم القيامة في آخر الزمان .....
١٨٦	[٥] سبق العلمي للقرآن .....
١٨٧	[١٢] الإعجاز العددي في القرآن الكريم .....
١٨٧	مقدمة .....
١٨٨	أ. الخلاف في عدد الآيات .....
١٨٨	ب. الخلاف في عدد الكلمات .....
١٨٨	ج. الخلاف في عدد الحروف .....
١٨٩	د. القراءات .....
١٨٩	هـ. ترتيب السور .....
١٩٠	[١-١٢] ما هو الإعجاز العددي .....
١٩١	[٢-١٢] الجذور التاريخية لهذه المزاعم .....
١٩١	[٣-١٢] لأقسام التي تندرج تحتها مزاعمهم في هذا الباب .....
١٩٣	[٤-١٢] الخلاصة .....
١٩٥	[١٣] الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم .....
١٩٥	مقدمة .....
١٩٩	حقيقة الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم .....
٢٠٤	[١-١٣] ومن أهم نقاط إعجاز القرآن الكريم .....
٢٠٤	[١-١-١٣] الشمول .....

٢٠٤	[١-١-١٣] مقاصد الشريعة الإسلامية.
٢٠٤	[أ] الحفاظ على الدين
٢٠٧	[ب] الحفاظ على النفس
٢٠٨	[ج] الحفاظ على العقل
٢٠٨	[د.] الحفاظ على العِرْض (النسل/ النسب).
٢١٠	[هـ.] الحفاظ على المال (الملكية)
٢١٢	[و.] الحفاظ على النظام العام
٢١٣	[١-١-١٣-٢] الأحكام في القرآن الكريم
٢١٤	الأول: أحكام اعتقادية
٢١٤	الثاني: أحكام خُلُقِيَّة
٢١٤	الثالث: أحكام عمليه (فقهية)
٢١٥	[١-١-١٣-٣] أحكام العبادات (الشعائرية)
٢١٦	[١-١-١٣-٤] أحكام المعاملات
٢١٦	أ. أحكام الأحوال الشخصية
٢١٦	ب. الأحكام المدنية (المعاملات المالية)
٢١٧	ج. الأحكام الجنائية (العقوبات)
٢١٧	د. أحكام المرافعات (القضائية)
٢١٧	هـ. الأحكام الدستورية (السياسة الشرعية)
٢١٨	و. الأحكام الدولية (السِّير والمعاهدات)
٢١٨	ز. الأحكام الاقتصادية والمالية
٢١٩	[١-١-١٣-٢] السَّعة والمُرونة
٢٢٠	[١-١-١٣-٣] الإيجاز في آيات الأحكام في القرآن الكريم
٢٢٠	أ. آية الدين (والبيع)
٢٢٢	ب. آية الزكاة
٢٢٤	ج. آيات الموارث (علم الفرائض):
٢٢٤	أ. الآيات المجملة
٢٢٤	ب. الآيات المفصلة (على حسب الحالة وموقع الوارث)
٢٢٥	فلسفة الميراث في الإسلام
٢٢٨	مقارنة بين أنظمة الإرث في الديانات السماوية
٢٢٨	أولاً: نظام الإرث في الديانة اليهودية
٢٣٠	ثانياً: نظام الإرث في الديانة المسيحية

- ٢٣٢ ..... [١٣-١-٤] موافقة الفطرة
- ٢٣٣ ..... [١٣-١-٥] التقوى ومحاسبة النفس
- ٢٣٦ ..... [١٣-٢] القضاء في الإسلام
- ٢٣٩ ..... [١٣-٢-١] الشهادة والشهود في الإسلام
- ٢٤٠ ..... [١٣-٢-٢] فلسفة النظام العام للحدود والعقوبات في الإسلام
- ٢٤٢ ..... [١٣-٢-٣] المقارنة للمفهوم العام للعقوبات بين الديانات السماوية
- ٢٤٢ ..... أ. نظام العقوبات عند اليهود
- ٢٤٥ ..... ب. نظام العقوبات عند المسيحيين (النصارى)
- ٢٤٨ ..... ج. نظام العقوبات عند المسلمين
- ٢٤٩ ..... د. تطبيق العقوبات (الحدود) الإسلامية لغير المسلمين
- ٢٥٣ ..... [١٣-٢-٤] نظام الحسبة في الإسلام
- ٢٥٦ ..... [١٣-٣] الفقه في الإسلام
- ٢٥٧ ..... [١٣-٣-١] في الحقل الاقتصادي والاجتماعي
- ٢٥٩ ..... [١٣-٣-٢] ضوابط النظام المالي والاقتصادي الإسلامي
- ٢٦١ ..... [١٣-٣-٣] نظام الوقف
- ٢٦٦ ..... [١٣-٣-٤] مكانة الزكاة في الاقتصاد الإسلامي
- ٢٦٧ ..... أ. زكاة الذهب والفضة
- ٢٦٨ ..... ب. زكاة بهيمة الأنعام
- ٢٦٨ ..... ج. زكاة ما يخرج من الأرض
- ٢٦٩ ..... د. زكاة التجارة
- ٢٦٩ ..... هـ. زكاة الفطر
- ٢٧٠ ..... [١٥-٣-٥] تأثير المسلمين في صياغة مبادئ الأخلاق الدولي
- ٢٧٣ ..... [١٣-٣-٦] تأثير الفقه المالكي في العالم الغربي
- ٢٧٦ ..... [١٣-٣-٦-١] مدى وجود المذهب المالكي في قانون نابليون
- ..... [١٣-٣-٦-٢] نظام (هيئة المحلفين) المُستحدث في نظام (اللفيف)
- ٢٧٩ ..... في الفقه المالكي
- ٢٨٠ ..... [١٣-٣-٦-٣] تأثير الفقه المالكي على القانون الكنسي والفقه اليهودي
- ٢٨١ ..... [١٣-٤] النتائج المتحققة من الإعجاز التشريعي

٢٨٥	ثانياً: موقف الإسلام من القوانين الوضعية (المدنية).....
٢٨٥	تعريفات.....
٢٨٥	- التشريع.....
٢٨٥	- القانون.....
٢٨٥	- الدستور.....
٢٨٥	- الشريعة.....
٢٨٦	[٥-١٣] القوانين الوضعية، والعلاقة بينها وبين الدين الإسلامي.....
٢٨٦	- نشأة وتطور القوانين الوضعية.....
٢٨٧	- مصادر القواعد القانونية الوضعية.....
	- العلاقة التاريخية بين القوانين الوضعية والأديان عموماً والدين الإسلاميّ
٢٨٨	على وجه الخصوص.....
٢٨٩	[١-٥-١٣] بعض نقاط تمييز الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية.....
٢٩٠	مقارنة عامة (مثال) بين الشريعة الإسلامية والقوانين (الوضعية).....
٢٩٠	أ. نظرية (مساواة المرأة بالرجل).....
٢٩١	ب. نظرية (الحرية).....
٢٩٣	ج. نظرية الشورى والديموقراطية.....
٢٩٥	[٦-١٣] مدى تطبيق الشريعة في البلدان الإسلامية في العصر الحديث.....
٢٩٦	[١-٦-١٣] صلاحية الشريعة الإسلامية للحكم والتطبيق.....
٢٩٧	أ. العرب قبل الإسلام وبعده.....
	ب. استمرار السيادة العالمية للمسلمين على مدار نحو ثمانية قرون
٢٩٧	في ظل شريعة الإسلام.....
٢٩٨	ج. التقدّم الاقتصادي والعلمي والمعرفي في ظل تطبيق الشريعة الإسلامية.....
٣٠٠	[٧-١٣] مكان الاجتهاد في الإسلام وفي الشرائع الوضعية.....
٣٠٣	أنواع الاجتهاد وقواعده الإسلامية.....
٣٠٩	[٨-١٣] الدولة الإسلامية والدولة المدنية.....
٣٠٩	موقف الإسلام من نظرية الفلاسفة.....
٣١٥	[٩-١٣] استنتاج وتصوّر لعولمة الشريعة الإسلامية.....
٣٢١	فهرس المجلد الأول.....

## المجلد الثاني

٣٤١	إهداء.....
٣٤٣	[١] أليس الكون - الذي خلقه الله تعالى - معجزة؟.....
٣٤٣	تمهيد.....
٣٥٠	أ. عبادة التفكّر في خلق السماوات والأرض.....
٣٥٣	ب. الإشارات العلمية (الإعجازية) في القرآن والكون.....
٣٥٨	ج. أسس مباحث الإعجاز العلمي.....
٣٦٠	د. منهجية أبحاث الإعجاز العلمي في ضوء منهج السلف وكلام المفسرين.....
٣٦٢	هـ. أوجه الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة.....
٣٦٣	و. ضوابط البحث في الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة.....
٣٦٦	ز. أهمية أبحاث الإعجاز العلمي، وثمارها.....
٣٧٣	[٢] الإعجاز العلمي، أو الإشارات الإعجازية في القرآن الكريم (بين مؤيد ومعارض).....
٣٧٣	تمهيد.....
٣٧٤	أ. خلفية عقائدية.....
٣٧٥	ب. أشهر المدافعين.....
٣٧٩	ج. أشهر المعارضين.....
٣٨٦	د. أشهر المُحايدين.....
٣٩٥	[٣] مقدمة عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.....
٣٩٥	تمهيد.....
٣٩٦	أ. الإعجاز العلمي، وتاريخه.....
٣٩٩	ب. الألفاظ المرادفة لهذا المصطلح (الإعجاز).....
٤٠٣	ج. تعريف الحقيقة العلمية، وشروطها.....
٤٠٤	د. تعريف الفرض والنظرية.....
٤٠٤	هـ. الضوابط الاسترشادية للباحثين لاستخراج وجه الإعجاز العلمي.....
٤١١	و. التفسير العلمي، وحُكمه.....
٤١١	ز. أصول التفسير المتفق عليها عند علماء المسلمين.....
٤١٣	ح. الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.....
٤١٥	[٤] العلم وحقائقه في القرآن الكريم:.....
٤١٥	تمهيد.....
٤٢١	أ. إشكاليات نظرية في الإعجاز العلمي.....

- أ-١. بين مفهوم في العلم والدين ..... ٤٢١
- أ-٢. بين الثابت والمتحول ..... ٤٢٥
- ب. إشكاليات تطبيقية في الإعجاز العلمي ..... ٤٣٠
- أولاً: الإشارات الإعجازية العلمية في القرآن الكريم ..... ٤٣٥
- تمهيد: ..... ٤٣٥
- أ. في الكون ..... ٤٣٥
- أ-١ نشأة الكون ..... ٤٣٥
- أ-٢ توسع الكون ..... ٤٤٠
- أ-٣ الحركة في الكون ..... ٤٤١
- أ-٤ ظلمة الكون ..... ٤٤٤
- أ-٥ نهاية الكون ..... ٤٤٦
- أ-٦ خلق السماوات والأرض ..... ٤٤٩
- أ-٧ شمس، لا شمس واحدة ..... ٤٥٠
- أ-٨ القمر المضيء ..... ٤٥١
- أ-٩ قشرة الضياء ..... ٤٥٢
- أ-١٠ كروية الأرض في القرآن ..... ٤٥٤
- أ-١١ السماء سقف مرفوع ..... ٤٦٢
- أ-١٢ صعوبة التنفس في الطبقات العُلا للسماء ..... ٤٦٦
- أ-١٣ الجبال أوتاد ورواسي ..... ٤٦٧
- أ-١٤ الماء أصل كل شيء ..... ٤٧٥
- أ-١٥ الموج الداخلي للبحار ..... ٤٧٦
- أ-١٦ أصل المياه الجوفية ..... ٤٨٠
- أ-١٧ البحر المسجور ..... ٤٨٣
- أ-١٨ الأرض ذات الصدع ..... ٤٨٤
- أ-١٩ مواقع النجوم ..... ٤٨٦
- أ-٢٠ الرياح مُبشّرات ..... ٤٨٧
- ب. في عالم الأحياء ..... ٤٩١
- تمهيد ..... ٤٩١
- ب-١ الإنسان ..... ٤٩٣
- ب-١-١ نشأة الجنين في القرآن الكريم ..... ٤٩٣

- شهادات علمية للإعجاز في القرآن الكريم..... ٥٠٧
- القرآن بين التلمود وجالينوس ..... ٥٠٨
- أسئلة للمُنصِّرينَ والملاحدة ..... ٥١١
- ب-١-٢ خلق الإنسان في أحسنِ تقويم ..... ٥١٣
- ب-١-٣ التوازن بين الذكور والإناث ..... ٥١٦
- ب-١-٤ وليس الذكر كالأنثى ..... ٥١٧
- ب-١-٥: البنان والبصماتُ في الإنسان..... ٥٢٠
٢. البصمة بين الإنشقاق والاصلاح ..... ٥٢٥
- ب-٢ في الحيوان ..... ٥٣٠
- ب-٢-١ حوت يونس ..... ٥٣٠
- ب-٢-٢ الطيور ..... ٥٣١
- ب-٢-٣ هُذُهدُ سليمان ..... ٥٣١
- ب-٢-٤ العنكبوت ..... ٥٣٤
- ب-٢-٥ الجراد ..... ٥٣٨
- ب-٣ في النبات ..... ٥٣٩
- ب-٣-١ إخراج الحي من الميت والميت من الحي ..... ٥٣٩
- ب-٣-٢ إنبات الحب المترابك والفواكه المتشابهة وغير المتشابهة ..... ٥٤٠
- ب-٣-٣ إنبات الزروع المختلفِ أكلُهُ ..... ٥٤٢
- ب-٣-٤ السقاية بماء واحد للحدائق المتجاورة والطعوم المختلفة للزرع ..... ٥٤٥
- ب-٣-٥ الإنبات في الأرض موزون بدقة ..... ٥٤٧
- ب-٣-٦ المطر للشرب والرعاية ..... ٥٤٨
- ب-٣-٧ إنبات الحدائق مختلفة الألوان بماء واحد ..... ٥٤٩
- ب-٣-٨ زوجية الإنبات في الأرض ..... ٥٥١
- ب-٣-٩ إحياء الأرض الميتة الجرداء وإنبات النبات ..... ٥٥٣
- ب-٣-١٠ إطعام الإنسان والحيوان المختلف من الأرض الواحدة بزروع مختلفة ..... ٥٥٥
- ب-٣-١١ النار من الشجر الأخضر ..... ٥٥٦
- ب-٣-١٢ شجرة اليقطين (كمثال) وفوائدها ..... ٥٥٩
- ثانياً: بعض اعتراضات المشككين بربانية القرآن وتطابقه مع العلم، والردّ عليها ..... ٥٦٢
- تمهيد ..... ٥٦٢
- ١ - الكون ..... ٥٦٣

- ١-١ الاعتراض الأول: زوجية الكائنات الحية! ..... ٥٦٣
- ١-٢ الاعتراض الثاني: مدة خلق الكون ( ستة أمثمان أيام؟ ) ..... ٥٦٥
- ترتيب الخلق قرينياً ..... ٥٦٩
- ٢-٣ الاعتراض الثالث: هل تنقص الأرض من أطرافها؟ ..... ٥٧٠
- ٢-٤ الاعتراض الرابع: والصبح إذا تنفس، هل يتنفس الصبح؟ ..... ٥٧١
- ١-٥ الاعتراض الخامس: كيف يوجد جبال من برد في السحب؟ ..... ٥٧٥
- ١-٦ الاعتراض السادس: إغفال القرآن عن تبخر الماء قبل ارتداده للأرض ..... ٥٧٦
- ١-٧ الاعتراض السابع: كيف يخرج اللؤلؤ من الأنهار؟! ..... ٥٧٧
- ٢-عالم الأحياء ..... ٥٨٠
- ٢-أ-٢. الإنسان ..... ٥٨٠
- ٢-أ-١ الاعتراض الأول: هل مدة الحمل تسعة أشهر أم ستة أشهر؟ ..... ٥٨٠
- ٢-أ-٢ الاعتراض الثاني: هل يفكر القلب؟ ..... ٥٨٢
- ٢-أ-٣ الاعتراض الثالث: المنى من الصلب والتراتب ..... ٥٨٤
- ٢-أ-٤ الاعتراض الرابع: هل أخطأ القرآن في حساب الميراث؟ ..... ٥٨٧
- ب- الحيوان ..... ٥٩٠
- ٢-ب-١: الاعتراض الأول: هل الدواب أمم أمثالكم ( مثل بني بشر)؟ ..... ٥٩٠
- ٢-ب-٢ الاعتراض الثاني: هل يتكلم النمل؟ ..... ٥٩١
- ٢-ب-٣ الاعتراض الثالث: هل يخرج العسل من بطون النحل؟ ..... ٥٩٣
- ٢-ب-٤ الاعتراض الرابع: هل يخرج اللبن من بين فرث ودم؟ ..... ٥٩٥
- ج - النبات ..... ٥٩٨
- ثالثاً: نتائج البحث الذي توصل إليه الدكتور سامي عامري -حفظه الله- في كتابه  
«العلم وحقائقه، بين سلامة القرآن، وأخطاء التوراة والإنجيل» ..... ٦٠٠
- [٥] الإشارات الكونية والإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة ..... ٦٠٥
- تمهيد ..... ٦٠٥
- ١-٥. ضوابط البحث عند تقرير الإعجاز العلمي في السنة النبوية الشريفة ..... ٦١٠
- ٢-٥. مهام الرسول محمد ﷺ ..... ٦٢٠
- ٣-٥. معجزات الأنبياء والرسل ..... ٦٢٢
- ١-٣-٥ أنواع المعجزات ..... ٦٢٢
- أ) المعجزة الحسية ..... ٦٢٣
- ب) المعجزة المعنوية الدائمة ..... ٦٢٤

- ٦٢٥ ..... ٢-٣-٥ عصمة الرسل
- ٦٢٥ ..... تعريف العصمة.
- ٦٢٦ ..... تعريف العصمة في الشرع
- ٦٣٠ ..... الأمور التي عُصِمَ منها الأنبياءُ
- ٦٤٠ ..... هل الأنبياء معصومون من الصَّغائر غير المنفردة؟
- ٦٤٣ ..... عصمة الأنبياء من الأمراض المنفرة.
- ٦٤٤ ..... ٥-٤. الفرق بين الأحاديث النبوية الخاصة بالتشريع وغيرها
- ٦٥١ ..... ٥-٥. بعض الأحاديث الشريفة التي هي من الإعجاز العلمي
- ٦٥١ ..... ٥-٥-١ الحديث الأول: إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض .....
- ٥-٥-٢ الحديث الثاني: إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب
- ٦٥٦ ..... ٥-٥-٣ الحديث الثالث - تحديد جنس الوليد بإذن الله تعالى
- ٦٦٠ ..... إثبات خلق الزوجين من نطفة إذا تُمَنَى
- ٦٦٥ ..... ٥-٥-٤ الحديث الرابع: ما من عام بأقل مطراً من عام
- ٦٦٨ ..... ٥-٥-٥ الحديث الخامس: البحر المسجور
- ٦٧١ ..... ٥-٦-١. بعض الاعتراضات على أحاديث الرسول ﷺ
- ٦٧١ ..... ٥-٦-١ الاعتراض الأول: سبب التذكير والتأنيث
- ٦٧٣ ..... ٥-٦-٢ الاعتراض الثاني: تفسير الشَّبه
- ٦٧٤ ..... ٥-٦-٣ الاعتراض الثالث: زمن تحديد جنس الجنين
- ٦٧٥ ..... ٥-٦-٤ الاعتراض الرابع: نفخ الروح
- ٦٧٦ ..... ٥-٦-٥ الاعتراض الخامس: ويعلم ما في الأرحام
- ٦٨٠ ..... [٦] الخاتمة
- ٦٨٧ ..... الأسبقية الزمنية سر الإعجاز العلمي للقرآن

